

المُهَيَّبُ
فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ

الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ هَادِي مَعْرِفَةُ

التمهيد في علوم القرآن



العلامة محمد هادي معرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس مواضبع الكناب

١١	المقدمة.....
١٣	القرآن و أسماؤه.....
١٥	علوم القرآن.....
١٦	تاربع علوم القرآن.....
٤١	علوم القرآن.....
٤٢	لشعاق القرآن.....
٤٥	صباغة القرآن صناعة الوحي.....
٥٠	صباغة القرآن صباغة خطاب لاصباغة كتاب.....
٥١	١ - التنقل الفجائي.....
٥٢	٢ - ظاهرة الالغاف.....
٤٣	٣ - مراعاة الروي.....
٥٤	٤ - ألحان وأنغام.....
٥٥	٥ - اتكاء على دلائل من خارج النص.....
٥٦	لغة القرآن التي خاطب بها العرب والنلس جمعياً.....
٥٦	صباغة القرآن في خطاباته عامّة.....
٥٨	إنّ للقرآن ظهراً وبعظناً.....



مركز بحوث كالمبيوتر علوم راسمى

٦٠ منه آيات محكمات وأخر متشابهات
٦٠ دفع التباس وشبهة
٦١ تنوع مفاهيم القرآن
٦٦ القرآن واضح البيان
٦٧ الرحي والقرآن
٦٧ ظاهرة الوحي
٦٧ الوحي في اللغة
٦٨ الوحي في القرآن
٧٠ الوحي الرسالي
٧٣ التعرف بالوحي الرسالي
٧٣ وقفة عند مسألة الوحي
٧٥ جانب روحانية الإنسان
٧٦ براهين فلسفية لإثبات النفس
٧٦ ١ - الإنسان في كينونة ذاته
٧٨ ٢ - الإنسان في صفاته وقرائمه
٨٠ ٣ - الإنسان وظاهرة الإدراك
٨٣ أدلة حديثة على وجود الروح
٩١ الوحي عند فلاسفة الغرب
٩٤ أنحاء الوحي الرسالي
٩٤ ١ - الرؤيا الصادقة
٩٨ ٢ - نزول جبرائيل
١٠١ ٣ - الوحي المباشر



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

١٠٦	تجربة روحية
١٠٨	موقف النبي من الوحي
١٠٩	النبوة مقرونة بدلائل ثيرة
١١٣	قصة ورقة بن نوفل
١١٧	الوحي لا يحتمل التبلساً
١١٩	أسطورة الغرائق
١٢١	قد الحديث سنداً
١٢٤	قد الحديث مدلولاً
١٢٤	مناقضته مع القرآن
١٢٦	مناذاته لمقام العصمة
١٢٧	تهافته مع آي السورة
١٣١	كناب الوحي
 <p>مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي</p>	
١٣٥	نزول القرآن
١٣٥	بدء نزول الوحي «البعثة»
١٤١	بدء نزول القرآن
١٤٣	فترة ثلاث سنوات
١٤٥	آراء وتأويلات
١٥٢	تحقيق مفيد
١٥٥	إنزال وتنزيل
١٥٧	أول ما نزل
١٦٠	آخر ما نزل
١٦٢	المكي والمدني

١٦٤	اتجاهات في تعيين المكي والمدني
١٦٥	شبهات حول المكي والمدني
١٦٧	ترتيب النزول
١٦٨	السور المكية
١٧٠	السور المدنية
١٧٨	سور مختلف فيها
١٩٦	آيات مستثنيات
١٩٧	استثناءات من سور مكية
٢٤٣	استثناءات من سور مدنية

٢٥٥	أسباب النزول
٢٥٥	معرفة أسباب النزول
٢٥٦	قيمة هذه المعرفة
٢٥٩	الطريق إلى معرفة أسباب النزول
٢٦٧	سبب النزول أو شأن النزول
٢٦٨	التنزيل والتأويل
٢٧٣	هل يجب حضور ناقل السبب؟
٢٧٤	العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد
٢٧٦	نزل القرآن بآيالك أعني واسمعي يا جارة
٢٧٧	تاريخ القرآن
٢٧٧	تأليف القرآن
٢٧٨	ضد كلماته



مركز بحوث الدراسات الإسلامية

٢٨٠	قظم آياته
٢٨٥	ترتيب السور
٢٨٧	تمحيص الرأي المعارض
٢٩٢	جمع علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small>
٢٩٥	وصف مصحف علي <small>عليه السلام</small>
٢٩٨	أمد مصحف علي <small>عليه السلام</small>
٢٩٩	جمع زيدبن ثابت
٣٠٠	منهج زيد
٣٠٤	شكوك واعتراضات
٣٠٦	جدارة زيد
٣٠٨	مصاحف أخرى
٣٠٩	أمد هذه المصاحف
٣١٢	وصف عام عن مصاحف الصحابة
٣١٣	وصف مصحف ابن مسعود
٣٢٢	وصف مصحف أبي بن كعب
٣٢٥	جدول يقارن بين ثلاثة مصاحف
٣٣١	توحيد المصاحف
٣٣١	اختلاف المصاحف
٣٣٢	نماذج من اختلاف العامة
٣٣٤	قدم حذيفة المدينة
٣٣٥	عثمان يا أتمر الصحابة
٣٣٦	لجنة توحيد المصاحف
٣٣٧	موقف الصحابة تجاه المشروع المصاحفي



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد اسلامی

٢٣٩	عام تأسيس المشروع
٢٤٢	منجزات المشروع
٢٤٦	عدد المصاحف العثمانية
٢٥٠	تعريف عام بالمصاحف العثمانية
٢٥٠	١ - الترتيب
٢٥٢	٢ - النقط والتشكيل
٢٥٤	نشأة الخط العربي
٢٥٦	أول من قَطَّ المصحف
٢٥٧	أول من شكَّل المصحف
٢٥٩	تحسينات متأخرة
٢٦١	مخالفات في رسم الخط
٢٦٩	نماذج من مخالفات الرسم
٢٧١	مناقضات في الرسم العثماني
٢٧٢	غلو فاحش
٢٧٩	الرأي الحاسم
٢٨٢	سبعة الآف مخالفة في رسم الخط!
٢٨٧	جدول يقارن بين رسم الكلمة بإملائها القديم ورسمها بالإملاء المعاصر
٢٩٧	اختلاف المصاحف
٤٠٠	جدول نموذجي يعين مواضع الاختلاف من مصاحف الآفاق
٤٠٢	القرآن في أطوار الإنافة والتجويد
٤٠٧	فهرس الآيات



مركز بحوث المخطوطات القرآنية
بجامعة الإمام محمد سعود بن عبدالعزيز

المقدمة

وبعد، فإن دراسة شؤون القرآن الكريم في مختلف جوانبه المتنوعة دراسة ممتعة هي في نفس الوقت ضرورة إسلامية ملحة، يستجيبها كل مسلم واع وجد من هذا الكتاب السماوي الخالد حقيقة ناصعة وبرهاناً من الله صادقاً، فيه تبيان كل شيء، وهدى ورحمة للعالمين:

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم رسدي

أولاً، هو سند الإسلام الحي، ومعجزته الباقية، الذي لا يزال الإسلام يتحدى به جموع البشرية - في نداء صارخ -: لو تستطيع أن تأتي بمتله! لكنها - بكل صراحة وصراعة - تعترف بعجزها المستمر مع كثر العصور.

«قُلْ لَنْ أَجْتَعِمَّغِتِ الْإِنْسَ وَ الْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ كَذَلِكَ كَانَ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً»^١

ثم، هو دستور الإسلام الجامع و الكافل لإسعاد البشرية في كافة ميادين الحياة الاجتماعية والإدارية والسياسية وغيرها أجمع. وقد تحققت هذه الواقعية المشرقة، يوم سارت ركب البشرية في ضوء هذا المشعل المضيء.

«يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»^١.

وأيضاً، تجاوبه الوثيق مع فطرة الإنسان الأصيلة انسجاماً متشابكاً مع جبلته الأولى التي فطر عليها. وهذا التجاوب يبدو - بكل وضوح - على محيى كافة تشريعاته و تنظيماته و جميع أحكامه الشاملة. الأمر الذي يجعل من هذا القانون السماوي الجامع نظاماً منبثقاً من صميم الإنسانية، جاء ليؤمن عليه جميع حاجاته التريهية في مختلف شؤون الحياة.

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَئِيمُ وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»^٢.

كما و أنه أنحف للبشرية جمعاء بمعارف و تعاليم جليلة، كان المستوى البشري ولا يزال يقصر عن البلوغ إليها لولا سماح القرآن بمتلها بكل سخاء و جعلها في متناولها القريب في أبلغ بيان و أبداع أسلوب حكيم.

«وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ»^٣ «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ»^٤ «مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا»^٥

وأخيراً، هيمنته الخارقة على نفوس بشرية كبيرة، كانت تأبى الرضوخ لغير الحق الصريح، فأشرف بها على واقعية مشهودة كانت دلائل الصدق لائحة على محيها بوضوح، و من تم استسلمت لقيادته الحكيمة مذ تعرفت إلى حقيقته الصارخة.

«لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ»^٦.

تلك خصائص و ميزات بارزة امتاز بها هذا الكتاب الإلهي العظيم، الذي لم يكد يمض من ابتاق نوره اللئلا، أكثر من نصف قرن حتى ملك رقاب أمم كبيرة، و سيطر على رقعة واسعة من الأرض كانت مهد الحضارة الإنسانية منذ زمن سحيق. فدوخ صداه

١ - التروم ٣٠، ٣١.

٢ - الألقاب ١٨، ٢٤.

٣ - التلق ٩٦، ٩٧.

٤ - التلق ١١٣.

٥ - التلق ١٦٢.

٦ - مود ١١، ٤٩.

الأجواء، وهزت لهيمنتها العادلة أرجاء العالم المعمور.
الأمر الذي جعل من هذا القرآن موضع اهتمام العلماء و منصرف عناية الباحثين في
مختلف العصور و الدهور.

القرآن و أسماءه

القرآن عَلِمَ (اسم خاص) للكتاب المنزل على نبي الإسلام، حافظاً بمباني شريعته
و آية باقية على صدق رسالته. وليكون تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين.
وقد جاءت تسميته بهذا الاسم محلياً باللام في القرآن أكثر من خمسين مرة
«وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ»^١ و «بِاللَّامِ فِي خَمْسَةِ عَشْرَ مَوْضِعاً وَفُرْآنًا
فَرْقَانًا لِقُرْآنِهِ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّ وَنَزْلَانًا تَنْزِيلًا»^٢ و يُطْلَقُ عَلَى الْكُلِّ وَعَلَى الْجُزْءِ أَيْضاً
«وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْلَمُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً»^٣ و ذلك
لأن التسمية هنا لوحظ فيها معنى الوصفية (كونه مقروءاً)، ومن ثم صح عموم الإطلاق.
والكلمة ذات أصل عربي عريق، في أصلها مصدر «قرأ، يقرأ، قراءة وقرآناً». على
وزن عُفْرَانٍ وَرُجْحَانٍ وَكُفْرَانٍ. وجاء استعمالها في القرآن مصدراً في قوله تعالى: «وَقُرْآنَ
الْفَجْرِ. إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً»^٤. وقوله: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ»^٥
والاشتقاق وكثرة التصريفات - ولا سيما التلاقيات - دليل على الأصالة في اللغة.

قال ابن فارس: القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع.
من ذلك القرية، سميت قرية لاجتماع الناس فيها... ومن الباب القرى: الظُّهْرُ، وسمى قرى
لما اجتمع فيه من العظام... وإذا همز هذا الباب كان هو والأول سواء. يقولون: ما قرأت هذه

١ - وهو لام التلميح بلحاظ سبق معنى الوصفية فيه. كما قال ابن فارس:

«وسمى الأعلام عليه دخلاً تلميح مما قد كان عمله أملاً»

٢ - الأندام ٦، ١٩. ٣ - الإسراء ١٧، ١٦، ١٧.

٤ - يونس ١٠، ٦٦. ٥ - الإسراء ١٧، ٧٨.

٦ - القیامة ٧٥، ٧٨، ٧٧.

الناقطة سلباً، كأنه يراد أنها ما حملت قطاً. قال عمرو بن كلثوم في معلنته المشهورة:

ذراعني عيطل أدماء بكرٍ هجان اللون لم تقرأ جنيماً^٢

قالوا: ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والتقصص وغير ذلك.^٣

وقال الراغب: والقرآن - في الأصل - مصدرٌ نحو كفران ورجحان. قال تعالى: «إِن

عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ فَإِذَا قُرْآنُهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ»^٤ وقد خصص بالكتاب المنزّل على محمد ﷺ

فصار كالعلم. قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً

لثمره كتبه بل لجمعه تمرّة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله: «وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ»^٥

وقوله: «تَبَيَّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ»^٦

ومن ثمّ فمن العجث محاولة البعض فيما حسب أنّ الكلمة من الدخيل وأنها مأخوذة

من أصل سرياني: قربانة بمعنى تلاوة النصوص الدينية.^٧ إذ لا غرو في تواجد المشتركات

في اللغات الشرقية ولا سيما السامية منها كما هو معروف.

والفرقان، اسم آخر للقرآن، وأصله مصدر بمعنى الفاعل باعتبار أنّه كلام فارق بين

الحقّ والباطل. قال تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»^٨ ويبدو

هذا الوصف فيه جليلاً في قوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، هُدًى لِّلنَّاسِ

وَيُبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْقُرْآنِ»^٩ بالجزء عطفاً على الهدى، أي بيّنات من الفرقان. قال الإمام

جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به»^{١٠}

١ - جلدة يكون في ثمنها التود في بطن أمه.

٢ - العيطل: الطويلة التي تنشق من التوق. الأدماء: البيضاء منها. البكر: الناقة التي عدت بطناً واحداً. الهجان: الأبيض الغامض

البياض، يستوي فيه الواحد والتنبيه واتجمع، ونبعت به الإبل والرجال وغيرهما. لم تقرأ جنيماً: أي لم تحظ في رحمتها

وتدأ. راجع: شرح التصوّفات للزوزني، ص ١٢٠. ٣ - معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٧٨-٧٩.

٤ - الإسراء: ١٧، ٧٨. ٥ - يوسف: ١٢، ١١١.

٦ - النحل: ٨٩، ١١٦.

٧ - هكذا جاء في دائرة المعارف البريطانية (تضاريفاً قرآنية في الموسوعة البريطانية) تذكر فضل حسن عباس، ص ١٢٣.

٨ - الفرقان: ١، ٢٥. ٩ - البقرة: ٢، ١٨٥.

١٠ - مجمع البيان، ج ٢، ص ١٧٦.

وبهذا الوصف أطلق على كتاب موسى أيضاً: «وَإِذ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»،^١ باعتباره عطفاً توضيحياً. وأصرح منه قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ».^٢

وبهذا الاعتبار لا يكون الفرقان اسماً خاصاً بالقرآن، وإنما أطلق عليه باعتبار جانب الوصفية فيه.

وهذا الاسمان (القرآن والفرقان) أشهر أسماء الذكر الحكيم. ويلى هذين الاسمين في الشهرة اسمان آخران: الكتاب، مصدر بمعنى المفعول؛ اسم عام. والآخر: الذكر باعتبار أنه مُذَكَّرٌ؛ أيضاً وصف عام.

وقد تجاوز صاحب البرهان وغيره حدود التسمية، معتمدين في ذلك على إطلاقات وردت في القرآن باعتبارها أوصافاً ناعته للقرآن، كقوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ».^٣ وقوله: «وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ».^٤ فحسبوا من الكريم اسماً ومن المبارك اسماً آخر، إلى خمسة وخمسين اسماً كما عدّه صاحب البرهان؛ وبعضهم أنهاها إلى نيف وتسعين اسماً،^٥ وهو من التكلف الظاهر؛ والأمر في ذلك سهل، غير أنه مسهب وتطويل بلا طائل، حتى لقد أفرد بعضهم بالتأليف، وفيما ذكرناه كفاية «وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ السَّيِّئِينَ».^٦

علوم القرآن

علوم القرآن - بهذا التركيب الإضافي - مصطلح خاص لمجموعة مباحث دارت حول مختلف شؤون القرآن الكريم، لغاية معرفة هذه الشؤون معرفة فنيّة وفق أصول وضوابط. وبما أنّ هذه الشؤون تختلف عن بعضها اختلافاً جوهرياً، كانت المباحث الدائرة حول كل واحد منها تختلف في مبانيها ودلائلها وكذلك النتائج، ولا تلتقي مع

١ - البقرة: ٥٣. ٢ - الأنبياء: ٥٨.

٣ - الواقعة: ٥٦، ٥٧. ٤ - الأنبياء: ٥٠.

٥ - راجع: البرهان للزركشي، ج ١، ص ٢٧٣ - ٢٧٦. ٦ - النحل: ١٦، ١٧.

بعضها لا في الأصول ولا في الفروع، ومن ثمّ كان كلّ مبحث علماً مستقلاً في الموضوع وفي المسائل والدلائل، وأصبحت مجموعة تلك المباحث علوماً متنوّعة، ولكن يجمعها: أنّها جميعاً باحثة عن شؤون القرآن الكريم.

مثلاً: البحث عن القراءات شيء، والبحث عن النسخ في القرآن شيء آخر. وكذلك البحث عن الإعجاز، والبحث عن الجمع والنزول وغير ذلك، فكلّ بحث هو مستقل في ذاته لا يربطه مع سائر الأبحاث سوى أنّها جمع هادفة إلى معرفة مختلف جوانب هذا الكتاب العزيز الحميد.

تاريخ علوم القرآن

* ومنذ الصدر الأول: بذل كبار الصحابة وفضلاء التابعين عنايتهم البالغة في البحث عن شئى جوانب القرآن الكريم، واهتموا بالتكلم عن ناسخه و منسوخه، و محكمه و متشابهه، و ترتيبه و تأويله، و عامه و خاصه، و إطلاقه و تقييده، و ترتيبه و تجويده، و عن كافة شؤونه المترامية. وهكذا لم يزل تطرّد و تتوسع دائرة الدراسات القرآنية عبر القرون والأعصار. كما طفحت من نتائج تلكم البحوث والدراسات جوامع الحديث والتفسير في مختلف الأدوار.

أمّا عهد التدوين فيرجع إلى مؤخر القرن الأول، فكان أوّل من صنّف في القراءة هو يحيى بن يعمر (ت ٨٩) من تلامذة أبي الأسود الدؤلي. ألف كتابه في «القراءة» في قرية واسط، و يضم الاختلافات التي لوحظت في نسخ القرآن المشهورة. كما في «تاريخ التراث العربي» لمؤاد سزكين.

* وفي القرن الثاني: صنّف الحسن بن أبي الحسن يسار البصري (ت ١١٠) كتابه في «عدد آي القرآن».

وعبدالله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨) كتابه في «اختلاف مصاحف الشام والحجاز

والعراق» و «المتطوع و الموصول» في الوقف و الوصل.

وأبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمان السدي الكبير (ت ١٢٨) له كتاب في «الناسخ و المنسوخ».

وشيبة بن نصاح المدني (ت ١٣٠) له «كتاب الوقوف».

وأبان بن تغلب (ت ١٤١) صاحب الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام هو أول من صنف في «القراءات» بعد ابن يعمر. وله كتاب «معاني القرآن» أيضاً.

ومحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦) أول من صنف في «أحكام القرآن».

ومقاتل بن سليمان المنستر (ت ١٥٠) له كتاب «الآيات المتشابهات».

وأبو عمرو بن العلاء زبّان بن عمار التميمي (ت ١٥٤) له «الوقف و الابتداء» و كتاب «القراءات».

وحمزة بن حبيب، أحد القراء السبعة (ت ١٥٦) صاحب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام له كتاب في «القراءة».

وموسى بن هارون من تلامذة أبان بن تغلب (ت حدود ١٧٠) له كتاب «الوجوه والنظائر».

وعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٧٩) له كتاب «القراءات» وكتاب «التهاتات» المكنى بها في القرآن، وغيرهما.

ويعقوب بن زياد القراء (ت ٢٠٧) له «معاني القرآن» طبع في ثلاث مجلدات. و«اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف» و«الجمع والتشبيه في القرآن» وغير ذلك.

ومحمد بن عمر الواقدي الكاتب العلامة والمؤرخ الشهير (ت ٢٠٧) له كتاب «الرشيب» في علوم القرآن وغلط الرجال.

وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩) له «مجاز القرآن» طبع في جزئين، و«معاني القرآن».

وفي القرن الثالث: صنف أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) كتابه «فضائل القرآن» و«المقصود والممدود» في القراءات و«غريب القرآن» و«الناسخ والمنسوخ» وغير ذلك. والحسن بن علي بن فضال (ت ٢٢٤) من أصحاب الرضا عليه السلام له كتاب «الناسخ والمنسوخ».

وعلي بن المديني (ت ٢٣٤) صنف في أسباب النزول. والحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٣٦) له كتاب «العقل وفهم القرآن». وأبو الفضل جعفر بن حرب (ت ٢٣٦) له كتاب «متشابه القرآن». وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري شيخ القميين ووجههم (ت حدود ٢٥٠) له كتاب «الناسخ والمنسوخ».

وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥) له كتاب «نظم القرآن». وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري (ت ٢٥٥) له كتاب «القراءات» و«الختلاف مصاحف الأمصار».

وأبو عبدالله أحمد بن محمد بن سيار (ت ٢٦٨) كاتب آل طاهر وصاحب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام له كتاب «تواب القرآن» و«القراءات» وسمي «التنزيل والتحرير».

وأبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦) له «تأويل مشكل القرآن» و«تفسير غريب القرآن» و«إعراب القرآن» وكتابه في «القراءات».

وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي (ت ٢٨٦) له «إعراب القرآن». وأبو عبدالله محمد بن أيوب بن ضريس (ت ٢٩٤) كتب فيما نزل بمكة وما نزل بالمدينة، وله كتاب «فضائل القرآن».

وأبو القاسم سعد بن عبدالله الأشعري القمي (ت ٢٩٩) صنف رسالة جامعة في صنوف آيات القرآن. عثر عليها العلامة المجلسي، ونقلها منتطعة في موسوعته الكبرى

«بحار الأنوار»^١.

وأبو عمرو ومحمد بن عمر بن سعيد الباهلي (ت ٣٠٠) له كتاب «إعجاز القرآن» وهو أول كتاب ظهر بهذا العنوان وخصّ أبحاثه بوجوه إعجاز القرآن.

* ويمتاز القرن الرابع بأزدهاره بأنواع العلوم والمعارف الإسلامية وشتى الفنون، ولا سيّما بشأن القرآن ومختلف أبعاده.

ومن كتب في علوم القرآن في مطلع هذا القرن هو: محمد بن يزيد المولاسطي (ت ٣٠٦) وهو من جلة المتكلمين وصاحب كتاب «الإمامة». ذكر له ابن النديم كتاباً في «إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه». قيل: هو أول من بسط القول حول إعجاز القرآن. وقد كتب عليه الشيخ عبدالقاهر الجرجاني شرحين لطيفين.

ومحمد بن خلف بن حيّان (ت ٣٠٦) له كتاب «عدد آي القرآن».

ومحمد بن خلف بن المرزبان (ت ٣٠٩) له كتاب «العاوي في علوم القرآن» في ٢٧ جزءاً.

وأبو محمد الحسن بن موسى النوبختي (ت حدود ٣١٠) له كتاب «التنزيه وذكر متشابهات القرآن».

وأبو علي الحسن بن علي الطوسي (ت ٣١٢) له كتاب «نظم القرآن».

وأبو بكر بن أبي داود، عبدالله بن سليمان السجستاني (ت ٣١٦) له كتاب «المصاحف» و«الناسخ والمنسوخ» ورسالة في القراءات.

وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت ٣٢٠) له كتاب «الناسخ والمنسوخ».

١ - راجع: بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ٩٧.

والأديب اللغوي العلامة أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي - المعروف بابن دُرَيْد -
 (ت ٣٢١) له كتاب في غريب القرآن.
 وأبو زيد أحمد بن سهل البلخي (ت ٣٢٢) له كتاب «ما اخلق من غريب القرآن»
 و«الحروف المقطعة في أوائل السور» و«البحث عن كيفية التأويلات» وغير ذلك.
 وأبو بكر أحمد بن موسى العطشي - المعروف بابن مجاهد - (ت ٣٢٤) صنف كتابه
 «السبعة» في القراءات السبع. وهو الذي حصرها في السبع!
 وأبو بكر أحمد بن علي بن إخشيد (ت ٣٢٦) له كتاب «نظم القرآن».
 وثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩) له «فضائل القرآن» أردفه ضمن
 الأصول من الكافي الشريف.
 وأبو بكر محمد بن العزيز السجستاني (ت ٣٣٠) الذي اشتهر بكتابه «غريب القرآن»
 أسماء «نزهة القلوب» رتبته على حروف المعجم وأكمله في (١٥) عاماً.
 وأبو جعفر أحمد بن محمد النعاشي (ت ٣٣٨) له «إعراب القرآن» و«الناسخ
 والمنسوخ» و«معاني القرآن».
 وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم، المعروف بابن أبي زينب، الكاتب النعماني
 (ت حدود ٣٥٠) صنف في صنوف آي القرآن نقلها العلامة المجلسي في بحار الأنوار.
 كان خصبياً بالكليني، يكتب له كتاب الكافي.
 وأبو محمد القصاب محمد بن علي الكرخي (ت حدود ٣٦٠) له «نكت القرآن».
 وأبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠) صنف في أحكام القرآن. وهو
 كتاب حافل جامع كبير، طبع في ثلاث مجلدات كبار، وهو أكمل كتاب وأنفعه في الباب.
 وأبو علي الفارسي، علّم من أعلام الإمامية ممن ازدهر به القرن الرابع فضلاً ونسباً

وأدباً (ت ٣٧٧) له كتاب «الحجّة في القراءات»، وهو أحسن كتاب وأجمعه وأتقنه في الباب.

وأبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت ٣٨٤) له «النكت في إعجاز القرآن» ورسالة وجيزة يغلب عليها ضابع كلامي عريق في الاعتزال الجدلي.

وأبو الحسن عبّاد بن عباس الطالقاني والد الصاحب (ت ٣٨٥) له كتاب في أحكام القرآن.

وأبو محمد عبدالله بن عبدالرحمان القيرواني (ت ٣٨٦) من أعلام الفقهاء بديار المغرب. له كتاب في إعجاز القرآن.

ومحمد بن علي الأذفوي (ت ٣٨٨) له «الاستغناء» في علوم القرآن. مائة جزء. رأى منها صاحب «الطالع السعيد» عشرين جزءاً.

وأبوسليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي (من أحفاد زيد بن الخطاب) البُستي -نسبة إلى «بُست» من بلاد كابل - (ت ٣٨٨) له رسالة وجيزة في «بيان إعجاز القرآن» عالج الموضوع فيها معالجةً فنيّةً حاول إبداء وجه الإعجاز من زاوية البيان من جهة النظم والتنسيق وانتقاء الكلمات المتناسبة مع مواضعها تمام المناسبة. ولعلّه أوفى بحث ظهر في الوجود عرض لهذا الجانب الخطير من إعجاز القرآن.

وأبو الفتح عثمان بن جنيّ (ت ٣٩٢) له «المحتسب» في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.

والقاضي أبوبكر محمد بن الطيّب الباقلاّني (ت ٤٠٣) له «إعجاز القرآن» و«نكت الانتصار» في القراءات وجمع القرآن وتأليفه.

وأبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت ٤٠٤) له كتاب «تلخيص البيان في مجازات القرآن» و«حقائق التأويل في مشابه التنزيل». لم يوجد سوى الجزء الخامس منه، عثرت عليه مؤسسة منتدى النشر بالنجف الأشرف، فحقّقته وأعدته للنشر عام ١٣٥٥ فطُبِعَ في النجف وبيروت.

* وفي القرن الخامس: صنف القاضي أبو زرعة عبد الرحمان بن محمد (ت حدود ٤١٠) كتاب «حجّة القراءات». وضع كتابه علي أثر «الحجّة في القراءات» لأبي علي الفارسي وعلي أسلوبه ومنهجه. طبع في جامعة بنغازي بتونس ثم في بيروت عدّة طبعات.

وأبو القاسم هبة الله بن سلامة (ت ٤١٠) له «الناسخ والمنسوخ».

وأبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣) له كتاب في «إعجاز القرآن» وكتاب «البيان» في أنواع علوم القرآن.

وأبو الحسن عماد الدين القاضي عبد الجبار المتكلم المعتزلي (ت ٤١٥) له «متشابه القرآن» في جزءين، و«تنزيه القرآن عن المطاعن».

وأبو القاسم الحسين بن علي الوزير المغربي الإمامي (ت ٤١٨) وهو بسيط ابن أبي زينب النعماني من أصل فارسي، له كتاب «خصائص القرآن».

ومحمد بن عبدالله الإسكافي - العلامة المسدد - (ت ٤٢١) له كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» في متشابهات القرآن، ويشتمل الحكم والأمثال والمكرّر من الآيات.

وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي (ت ٤٣٠) له «البرهان في علوم القرآن» وهو أشبه بالتنسير والبحث عن مطاوي القرآن.

وأبو المعالي الشريف المرتضى علّم الهدى علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦) له كتاب «الدرر والغرر» وكتاب «الموضح من جهة إعجاز القرآن» بحث فيه عن جانب الصرفة فيه.

وأبو محمد مكّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧) له «الكشف عن وجوه القراءات السبع» في جزءين كبيرين، يبحث عن علل القراءات وحججها بشكلٍ مستوفٍ وهو أثر جيّد لطيف.

وأبو عمرو الداني (ت ٤٤٤) له «التيسير» في القراءات السبع، و«المحكم» في النقط، و«المقنع» في رسم مصاحف الأمصار. وهي كتب لها شأن كبير في هذا الباب.

وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد المعروف بابن حزم الظاهري الأندلسي (ت ٤٥٦) له رسالة في القراءات المشهورة الآتية مجيء التواتر في الأمصار.

وأبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠) له في مقدمة تفسيره «التبيان» مباحث جلييلة عن مختلف شؤون القرآن، فُقد فيها موعظة التحريف وزيف نسبة القول به إلى الشيعة الإمامية الأبرياء، وبحث عن شؤون أخر في ضوء البرهان الرشيد.

والخطيب النيسابوري الحسن بن الحسين الخراعي (ت حدود ٤٦٠) له كتاب «إعجاز القرآن».

وأبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨) له «أسباب النزول» و«فضائل القرآن» و«نفي التحريف عن القرآن» وغيرها من رسائل بحث فيها عن شؤون القرآن.

وأبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١) له «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» والثالثة «الشافية» سلك فيها مسلك التحدي الكاشف عن عجز العرب عن مقابلته.

وأبو عبد الله محمد بن شريح الرعييني (ت ٤٧٦) من أعلام الإشبيلية، اختصر كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي وله كتاب «الكافي» في القراءات.

وأبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (ت ٤٧٨) له كتاب «التلخيص» في القراءات الثمان، فأضاف قراءة يعقوب. وله أيضاً كتاب «الوقف والابتداء» و«هجاء المصاحف» و«العدد» وغير ذلك.

وأبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الإصفهاني (ت ٥٠٢) له «المفردات في غريب القرآن» وقد أغرب في هذا الكتاب وأعجب. وله أيضاً «المقدمة» بحث فيها عن مختلف شؤون القرآن ولا سيما المباحث المتعلقة بالتفسير وشروطه وآدابه. وهو كتاب جيد لطيف. وهو كمقدمة لتفسيره الجامع.

وأبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني (ت حدود ٥٠٥) له كتاب «أسرار التكرار في القرآن». وكتاب «عجائب القرآن» و«باب التأويل».

وأبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥) له «جواهر القرآن» بحث فيه عن العسلة بين القرآن والعلوم البشرية وأسرار الطبيعة، سوى ما عقده فصلاً في كتابه «إحياء علوم الدين» بحثاً عن شؤون القرآن.

* وفي القرن السادس: صنف أبو محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦) كتابه «تفسير مشكل إعراب القرآن».

ومحمد بن بركات بن هلال النحوي (ت ٥٢٠) له «الإيجاز» في معرفة الناسخ من المنسوخ.

وأبو العزّ محمد بن الحسين الواسطي القلاني (ت ٥٢١) له «كفاية المبتدي» في القراءات العشر و«اختلاف القراء بالحجاز والشام والعراق».

وأبو الفضل محمد بن أبي القاسم - المعروف بزين الشيخ - (ت ٥٢٣) من تلامذة الزمخشري. له كتاب «التنبيه» في إعجاز القرآن.

وأبو الحسن علي بن عبيد الله الزمخشري (ت ٥٢٧) له «الوجوه والنظائر في القرآن». وعلي بن الحسين الباقولي الإصفهاني (ت ٥٣٥) له كتاب «كشف المشكلات عن القرآن» و«البيان في شواهد القرآن».

وعلاوة الأدب والبيان جاز الله الزمخشري (ت ٥٣٨) له تفسير وجيز لسورة الكوثر، أبان فيه اعتلاء هذا الفخيم من كلام الله العزيز الحميد، ولقد أفاد وأجاد، كما في سائر تأليفه القيمة التي طار صيته في الآفاق. وقد لخصه العلامة الطبرسي - على عادته - في موجز بيان.

وأبو بكر محمد بن عبدالله - المعروف بابن العربي - (ت ٥٤٣) له «أحكام القرآن» طبع في أربعة مجلدات.

والقاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤) له رسالة موفية بإتيان إعجاز القرآن.

والقاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦) له بحث ضاف بمختلف شؤون القرآن، في مقدمة تفسيره «المحرر الوجيز».

وأمين الإسلام أبو علي النضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨) له أبحاث متنوعة عن شؤون القرآن، جعلها في مقدمة تفسيره «مجمع البيان».

وأبو الفضل حبيش بن إبراهيم بن محمد التنفسي (ت ٥٥٨) له «وجوه القرآن» بالفارسية.

وأبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد الأوسي الأنصاري - المعروف بفريد خراسان - (ت ٥٦٥) له «أسئلة القرآن مع الأجوبة» في متشابهات الآيات و«إعجاز القرآن» و«قرائن آيات القرآن». وله شرح لطيف على نهج البلاغة باسم «معارج نهج البلاغة».

وقطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣) هو أول من صنف من علمائنا الإمامية في «فقه القرآن» و بسط الكلام حول آيات الأحكام بأسلوب يخالف أساليب غيرهم. حيث رتبته على أبواب الفقه، جامعاً في كل باب ما يخصه من آيات، تسهيلاً على الطالب في الوقوف على ما جاء في القرآن حول كل مسألة بالذات. و جرى على منواله من جاء بعده ممن كتب في آيات الأحكام من فقهاءنا.

أما الذي كتبه محمد بن السائب الكلبي وعباد بن عباس الطالقاني - فيما سبق - من آيات الأحكام فكان على نهج العمامة وغير مبسطة.

وأبو البركات عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧) له «البيان في إعراب القرآن» طبع في مجلدين. و«عجائب علوم القرآن».

وأبو القاسم عبد الرحمان - المعروف بالسهيلي - (ت ٥٨١) صاحب كتاب «الروض الأنف» ألف في مبهمات القرآن: «التعريف والإعلام بما أيهم في القرآن من الأسماء والأعلام».

ورشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨) تلميذ القطب الراوندي. صنف كتابه القيم «متشابهات القرآن» في جزءين، وهو أحسن كتاب في الباب.

وأبو محمد القاسم بن فيرة الشاطبي (ت ٥٩٠) ألف فقيده المشهورة «حرز الأمانى ووجه التهاني» في القراءات تعرف بالشاطبية.

وأبو الفرج عبدالرحمان بن علي - المعروف بابن الجوزي - (ت ٥٩٧) صنف «فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن» و«المجتبى» في علوم تتعلق بالقرآن. والإمام الرازي صاحب التفسير الكبير (ت ٦٠٦) له كتاب قيّم في «إعجاز القرآن».

* وفي القرن السابع: صنف أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦) كتابه التقيّم في إعراب القرآن «إملاء ما من به الرحمان» في وجوه الإعراب والقراءات، وهو كتاب جيّد لطيف يجمع بين الإيجاز والإيفاء.

ومحمد بن سليمان الزهري (ت ٦١٧) له «البيان» فيما أتيهم من الأسماء في القرآن. ومحمد بن أبي الفرج الموصلي (ت ٦٢١) له «نبذة المرید» في علم التجويد. ومحمد بن أحمد بن سراقه (ت ٦٢٢) له «أمثال القرآن». ومحمد بن علي بن الخيمي (ت ٦٤٢) له «أمثال القرآن». والحسين بن أبي العزّ الهمداني (ت ٦٤٣) له كتاب «المرید» في إعراب القرآن المجيد.

وعلم الدين علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣) له «جمال القراء وكمال الإقراء». وأبو القاسم محمد بن عبدالله (ت حدود ٦٥٠) تلميذ شرف الدين أبي الحسن علي بن المنضّل المقدسي، ألف رسالة وجيزة تتضمن ما ورد في القرآن من لغات القبائل، وهو أثر لطيف، لخصّها جلال الدين السيوطي في النوع (٣٧) من كتابه «الإتقان».

وكمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم الزمّلكاني (ت ٦٥١) له كتاب «البرهان» الكاشف عن وجوه إعجاز القرآن.

وابن أبي الأصبح عبدالعظيم بن عبدالواحد (ت ٦٥٤) له «بديع القرآن» وهو أثر جيّد لطيف يشرح فيه أنواع البديع الوارد في القرآن، وكتاب «أمثال القرآن».

وأبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام - المشهور بالعمري - (ت ٦٦٠) له كتاب في «مجاز القرآن».

وقدوة العارفين رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤) صنّف كتابه الأثري الخالد «سعد السعود». هو على صغر حجمه كبير الفائدة، وهو في الواقع فهرسة فنيّة عن كلّ ما ألف في تفسير القرآن وتاريخه وسائر شؤونه. وقد تُرجم إلى عدّة لغات. وكان هذا الكتاب رصيدينا الوافي لمعرفة كثير من الكتب والمؤلفين. فله درّه من إبداع في البيان.

وأبو شامة شمس الدين عبد الرحمان بن إسماعيل (ت ٦٦٥) له كتاب «المرشد الوجيز فيما يتعلّق بالقرآن العزيز».

ومحمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦) له «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها». يحتوي على (١٢٠٠) سؤال وجواب في غرائب أي القرآن.

وجمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر ابن طاووس الحلبي (ت ٦٧٣) له كتاب «شواهد القرآن» في مجلدين. *مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی*

ويعقوب بن شرف النووي (ت ٦٧٧) له كتاب «التبيان في آداب حملة القرآن». ولابن النقيب جمال الدين محمد بن سليمان بن الحسن (ت ٦٩٨) كتاب موسّع في تفسير متشابهات القرآن.

* وفي القرن الثامن: ألف ابن الزبير أحمد بن إبراهيم الشنقي (ت ٧٠٨) كتابه «البرهان في تناسب سور القرآن».

وسليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الحرصري الطوفي البغدادي (ت ٧١٦) كتابه «الإكسير في علم التفسير» تعرّض فيه لمختلف شؤون القرآن الكريم و تفسيره وتأويله. وأبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي الفاسي - الشهير بالخرّاز - (ت ٧١٨) قام بنظم أرجوزته المعروفة بـ «مورد الظمان في رسم أحرف القرآن» على

قراءة نافع. وقد وقعت موضع عناية العلماء ولا تزال.

ومحمد بن المطهر بن يحيى الزيدي (ت ٧٢٨) له منظومة في النسخ والمنسوخ في القرآن. نظم ما أورده أبو القاسم هبة الله بن سلامة (ت ٤١٠) ثم شرحه وأوضح موارده. وأبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي (ت ٧٢٨) له مقدمة وجيزة في أصول التفسير، و«البيان في نزول القرآن» و«الإكليل في المتشابه والتأويل».

والسيد محمد بن إدريس الصنعاني (ت ٧٣٠) له رسالة في النسخ والمنسوخ أسماها «الدرة المضيئة في الآيات المنسوخة المثقبة».

وبرهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢) له منظومة في تبیین السور والآيات المكية والمدنية. و«كنز المعاني في شرح حرز الأمان» وهو من أحسن شروحه. وله رسائل أخرى بهذا الشأن.

وابن جماعة محمد بن إبراهيم الحموي (ت ٧٣٣) ألف كتاب «كشف المعاني في المتشابه المثاني».

وهبة الله بن عبد الرحيم البارزي الحموي (ت ٧٣٨) له «بديع القرآن» و«ناسخ القرآن ومنسوخه».

والأمير يحيى بن حمزة العلوي الزيدي (ت ٧٤٥) ألف كتابه القيم «الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» في ثلاث مجلدات.

ولأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥) كتاب «تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» ورسائل أخرى في القراءات.

ولأبي عبد الله محمد بن أحمد بن لبان (ت ٧٤٩) كتاب «متشابه القرآن والحديث». ولابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١) كتاب «البيان في أقسام القرآن» و«أمتال القرآن» و«أعلام الموقعين».

ولابن هشام الأنصاري عبد الله بن يوسف بن أحمد صاحب كتاب «مغني الملبب»

(ت ٧٦١) كتاب «إعراب مواضع من القرآن».

ولأبي الفداء إسماعيل بن عمر - المعروف بابن كثير الدمشقي - (ت ٧٧٤) رسالة في «فضائل القرآن» بحث فيها عن مختلف شؤون القرآن الكريم.
ولابن العثائقي كمال الدين عبدالرحمان بن محمد الحلبي (ت ٧٨١) كتاب «الناسخ والمنسوخ».

ولالإمام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤) كتابه القيم «البرهان في علوم القرآن» والذي لم يكتب مثله، وكان قدوة لمن جاء بعده، جعله على سبع وأربعين نوعاً، استوعب فيها فنون هذا العلم، وقد أفاد وأجاد.

* وفي القرن التاسع: يأتي العلامة الأديب سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الأندلسي - المعروف بابن الملقن - (ت ٨٠٤) ليكتب في تفسير غريب القرآن، وهو أثر لطيف استوعب فيه جوانب الموضوع وجمع شوارده.
وأبو زرعة العراقي عبد الرحمن بن الحسين (ت ٨٠٦) نظم ألفيته في تفسير غريب القرآن.

ومحمد بن علي بن محمد السهودي المعروف بابن القطن (ت ٨١٣) له كتاب «بسط السهل» في القراءات السبع.

وأحمد بن محمد المقدمي - المعروف بابن الهائم - (ت ٨١٥) له كتاب «التبيان في تفسير غريب القرآن».

وللعلم العلامة اللغوي الكبير مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صاحب كتاب «القاموس المحيط» (ت ٨١٧) أثر جيد لطيف بحث فيه عن مختلف شؤون القرآن الكريم بتفصيل وتعميق أسماء: «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» وهو كتاب جامع شامل في ستة مجلدات نافع كثير الفائدة.

ولجلال الدين البلخي أبو الفضل عبدالرحمان بن عمر بن رسلان الكناني العسقلاني

(ت ٨٢٤) كتاب «مواقع العلوم في مواقع النجوم» جعله على سنة أمور، كل أمر يحتوي على أنواع تختلف عدداً و مجموع الأنواع خمسون نوعاً بحث فيها عن مختلف شؤون القرآن الكريم.

و اتخذ جلال الدين السيوطي في بادئ الأمر من هذا الكتاب أصلاً جامعاً لثنون هذا العلم، ففتح و هذب في كتاب أسماه «التحبير في علوم التفسير» في ٢٠٢ نوعاً. فرغ منه سنة ٨٧٢.

وفي هذا القرن قام العلم العلامة الفاضل السيوري أبو عبدالله المقداد بن عبدالله الحلبي الأسدي (ت ٨٢٦) بتأليف كتابه القيم: «كنز العرفان في فقه القرآن».

ولأبي الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري الشيرازي ثم الدمشقي (ت ٨٣٣) أثره الخالد «النشر في القراءات العشر» في مجلدين ضخمين، وهو كتاب حافل فريد في بابه. وله كتب أخرى قيمة في الموضوع، أبدى فيها براعته وسعة باعه، كـ «تحبير التيسير» و «الدرة المضيئة» و «منجد المترجمين» و «مرشد الطالبين». ومن أعظمها «غاية النهاية في طبقات القراء» كتاب نافع جامع في مجلدين كبيرين. وله في الإعجاز رسالة وجيزة في تبين مواضع الإعجاز من قوله تعالى «وقيل يا أرض ابلعي ماءك...»^١

ولشهاب الدين أحمد بن عبدالله بن سعيد البحراني - المعروف بابن المتوج - من أعلام الإمامية وكان معاصراً للشهيد الأول وتلمذ لديه (ت ٨٣٦) كتاب «الناسخ و المنسوخ» وقد شرحه السيد عبد الجليل الحسيني القاري (ت ٩٧٦) وقدمه للأمير أحمد (حاكم جيلان). وترجمه إلى الفارسية الدكتور محمد جعفر الإسلامي المعاصر بإشراف الدكتور «السيد محمد مشكاة» و طبع المجموع و نُشر عام ١٣٦٠ هـ. ش بطهران.

ولابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢) رسائل وجيزة في مواضع شتى قرآنية كـ «أسباب النزول» و «غريب القرآن» و «فضائل القرآن» و «ما وقع في القرآن من غير لغة العرب».

ولمحمد بن سليمان الكافيجي (ت ٨٧٩) «التيسير في قواعد علم التفسير»
 ولبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥) كتاب «الضوابط والإشارات
 لأجزاء علم القراءات» و«القول المنيد في أصول علم التجويد» والأهم تفسيره للقرآن
 الذي اهتم فيه لبيان تناسب الآيات و السور أسماء «نظم الدرر في تناسب الآي والسور»
 في حجم كبير. وكتابه الآخر: «مساعد النظر للإشراف على مفاسد السور». جاء فيهما
 بتكلفات كان القرآن في غنى عنها.

* وفي القرن العاشر: يأتي دور العلامة الكبير فارس هذا الميدان الإمام الحافظ
 جلال الدين عبدالرحمان نجل العلامة كمال الدين الخضير السيوطي (ت ٩١١) ليقوم
 بنشر آثار قيّمة في الحديث والتفسير وعلوم القرآن. ومن أهمّ تأليفه في التفسير «الدر
 المنثور»، وفي علوم القرآن «الإتقان». وبهما طار صيته وعلا مكانه في عالم الإسلام.
 إنّه - كما نبهنا - بدأ بكتاب البلقيني فنقحه وهذب، لكنه بعد ذلك عنر على كتاب
 «البرهان» للإمام بدر الدين الزركلي فاستحسنه ووجده أحسن ما صُفّ في هذا الباب،
 فصوّب اهتمامه إلى تنقيحه وتحريره ليؤلف عليه كتابه الخالد الحافل بفنون هذا العلم
 «الإتقان» وجعله ٨٠ نوعاً، وكان خاتمة المؤلفات الموسّعة على هذا النمط البديع الجامع،
 ولم تسمح القرون المتأخّرة بسوى رسائل ومختصرات تعالج طرفاً من شؤون القرآن.
 أما سائر كتبه فهي: «التحبير في علم التفسير» - وهو مهذب «مواقع العلوم» للبلقيني -
 و«معتزك الأقران في إعجاز القرآن» و«لباب النقول في أسباب النزول» و«مفحّمات
 الأقران في مبهمات القرآن» و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب» و«المتوكّلي»
 فيما وقع في القرآن من اللغات، قدّمه للخليفة العباسي عبدالعزيز بن يعقوب المتوكّل
 على الله (ت ٩٠٣). و«قطف الأزهار» في بيان أسرار التنزيل و«تناسق الدرر في تناسب
 الآي والسور» و«الإكليل في استنباط التنزيل» و«مراصد الطالع في تناسب المقاطع

والخطاب» و«خمائيل الزهر في فضائل السور» و«شرح الشاطبية» وغيرها.
 ولأبي عبدالله محمد بن أحمد المكناسي (ت ٩١٩) كتاب «إنشاد الشريد» في رسم القرآن.
 وللقاضي زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦) كتاب «فتح الرحمان بكشف ما يلبس في القرآن».
 ولأبي عبدالله جمال الدين محمد بن أحمد بن سعيد المكي (ت ٩٣٠) كتاب «الإحسان في علوم القرآن».
 ولشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني صاحب الشرح الكبير على البخاري (ت ٩٣٣) كتاب جميل في القراءات أسماء «لطائف الإشارات بنون القراءات».
 ومحمد بن يحيى الحلبي التاذلي (ت ٩٦٢) له كتاب «القول المذهب في بيان ما في القرآن من الرومي المعرب». والظاهر أنه أخذ من «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» تأليف جلال الدين السيوطي.
 ولأحمد بن أحمد بن إبراهيم الطيبي (ت ٩٨١) منظومته الخالدة في القراءات ورسائل أخرى في علمي التجويد والقراءات.
 وللمولى أحمد بن محمد الشهير بالمحقق الأردبيلي (ت ٩٩٣) كتابه القيم «زبدة البيان في أحكام القرآن» تأليف علمي وضع على أساس التحقيق والتدقيق.

* وفي القرن الحادي عشر: كتب القاضي الإمام الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي صاحب كتاب «الشفاء بتعريف حقوق المعصفي» (ت ١٠١٤) كتابه «حدّث الأمانى بشرح حرز الأمانى» و«الفيض السماوي في تخريج قراءات البيضاوي» و«المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية» وغيرها في مختلف شؤون القرآن الكريم.
 وسيف الدين بن عطاء الله البصري (ت ١٠٢٠) له في القراءات: «الأصول

المختصرة» و«الجواهر المضية».

والمفقيه البارع مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي (ت ١٠٣٣) كتاب «قلائد المرجان في النسخ والمنسوخ من القرآن» و«الآيات المحكمات والمتشابهات». ولعبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأندلسي الفاسي الأندلسي (ت ١٠٤٠) كتاب «فتح المنان بشرح أرجوزة مورد الظمان» وهو شرح لطيف. ولما كانت الأرجوزة مقتصرة على قراءة نافع أكملها ابن عاشر في رسم الباقي من الأئمة السبعة وأسماء «الإعلان بتكميل الظمان».

ومحمد بن أحمد العوفي (ت حدود ١٠٥٠) له «الجواهر المكنونة» و«بحر المعاني» في القراءات و«الجواهر اليمانية» في رسم الخط العنماني.

والمولى صدرالدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠) رسالته الوجيزه في متشابهات القرآن كتبها في ضوء فلسفه الإشراق. والمولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١) العلامة الكبير والمحدث الخبير صاحب التصانيف الكثيرة الممتعة النافعة في شتى ميادين العلوم الإسلامية، جعل في مقدمة تفسيره القيم «الصافي» ١٢ فناً، بحثاً مستوعباً عن جوانب خطيرة من شؤون القرآن الكريم.

والمفاضل الجواد الكاظمي من أعلام القرن الحادي عشر كتابه القيم «أحكام القرآن». وعمادالدين علي بن محمود المعروف بعمادالدين شرف القاري الاسترآبادي من أعلام القرن الحادي عشر (توفي في أواخر هذا القرن) كتابه القيم: «إرشاد الأذهان إلى تجويد القرآن» و«التحفة الشاهية» قدّمه إلى الشاه طهمااسب الصفوي. وكتاب «أصول قراءة أبي عمرو» و«أصول قراءة حمزة» و«أصول قراءة الكسائي» و«أصول قراءة نافع» وغيرها من أصول القراءات بروايات المشايخ. وكان يعدّ مفخرة عصره في فنّ القراءات و التّجويد وسائر علوم القرآن. وله تصانيف جيدة في هذا السبيل.

* وفي القرن الثاني عشر: صدر السيد هاشم بن سليمان الحسيني البحراني (ت ١١٠٩) تفسيره الأثرى «البرهان» بالتكلم عن طرف من شؤون القرآن الكريم في ١٦ مقدمة.

وخصص المولى محمد باقر المجلسي العظيم (ت ١١١١) من موسوعته المحديّة الكبرى «بحار الأنوار» - وهي تربو على ١١٠ مجلداً - مجلدين ٨٩ و ٩٠ طبع بيروت بالبحث عن مختلف شؤون القرآن الكريم في ضوء مذهب أهل البيت عليهم السلام و نقد آراء مخالفة. وضعه على ١٣٠ باباً و تكلم في الباب ١٢٨ عمّا ورد في القرآن من موهم التناقض، و أورد محاورة جرت بين بعض الزنادقة و الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يكون الإطلاع عليها ممتعاً. هذا فضلاً عمّا صدر كل باب من أبواب بحار أنواره بلفيف من آيات قرآنية مائتة بالموضوع و في دقّة فائقة و عن إحاطة شاملة، يكون بذلك أول تبويب للآيات حسب المواضيع المتنوعة.

وصنّف شهاب الدين ابن البنا أحمد بن محمد الدميّاطي (ت ١١١٦) كتابه «إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر».

والمولى أبي الحسن بن محمد طاهر بن عبد الحميد الباطني الفتوني (ت ١١٣٨) كتاب «مرآة الأنوار و مشكاة الأسرار» جعله على ثلاث مقدمات، كل مقدمة مشتملة على مقالات تختلف عدداً، و تحت كل مقالة فصول بأعداد مختلفة أيضاً. و مجموع الفصول التي تكلم فيها عن شؤون القرآن هي ٢٥ فصلاً. وفي المقالة الثانية من المقدمة الثالثة أسهب في بيان تأويل كلمات جاءت في القرآن، رتبها حسب حروف المعجم، يربو عددها ١٢٠٠ كلمة تكلم عن تأويلهنّ واحدة واحدة. و وضع خاتمة كتابه على تماني فوائد.

ولعبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣) كتاب «القول القاسم في قراءة حفص عن عاصم» يبيّن فيه وجه تنظيّلها على سائر القراءات.

ولمحمد بن أبي بكر ساجلتي زاده المرعشي (ت ١١٥٤) كتاب «نهر النجاة في بيان مناسبات آيات الكتاب».

وللشيخ مصطفى بن عبدالرحمان بن محمد الأزميري (ت ١١٥٥) كتاب «بدائع البرهان في وصف حروف القرآن».

والحسن بن علي بن أحمد المنظاوي (ت ١١٧٠) له «إتحاف فضلاء الأئمة» في القراءات السبع.

وللشيخ عطية الأجهوري (ت ١١٩٠) كتاب «إرشاد الرحمان» في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وأصول علم التجويد.

* وفي القرن الثالث عشر: صنف الوحيد البهبهاني المولى محمد باقر بن محمد أكمل - المعروف بالأستاذ الأكبر - (ت ١٢٠٦) رسالة التحقيقية بشأن «حجية ظواهر الكتاب» والمولى محمد جعفر بن سيف الدين الإسترابادي (ت ١٢٦٣) له «حلّ مشاكل القرآن».

وأستاذ المتأخرين المولى مرتضى بن محمد أمين الأنصاري التستري (ت ١٢٨١) له رسالة في «حجية ظواهر الكتاب».

والمولى محمد تقي الهروي الإصبهاني (ت ١٢٩٩) له «خلاصة البيان في حلّ مشكلات القرآن».

* وفي القرن الرابع عشر: صنف الميرزا محمد بن سليمان التنكابني (ت ١٣٠٢) كتابه «حجية القراءات السبع» و«حجية ظواهر الكتاب».

والمولى محمد تقي بن محمد حسين الكاشاني (ت حدود ١٣١٦) كتاب «إيضاح المشتبهات» في تفسير مشكل القرآن.

* وفي هذا القرن الأخير: أقبل الكثير من العلماء على تأليف كتب و رسائل حول تاريخ القرآن و علومه و سائر شؤونه:

فألف السيد أحمد حسين بن رحيم علي الأمروهي (ت ١٣٢٨) كتاب «مناهج العرفان في علوم القرآن».

والشيخ محمد علي سلامة صنف «منهج الفرقان في علوم القرآن».

ومحمد غوث النائطي الأوكاتي له «نثر المرجان في رسم القرآن» في سبع مجلدات.

ولإبراهيم بن محمد المارغني التونسي كتاب «دليل الحيران على مورد الظمآن»

وهو شرح على منظومة الخراز في رسم المصحف على قراءة نافع. وأكملها بشرحه الآخر

على «الإعلان بتكميل مورد الظمآن» لابن عاشر الأندلسي لسائر القراءات وأسماء «تنبيه

الخلآن». وقد أكمل الشرحين في أواخر عام (١٣٢٥).

والأستاذ محمد عبد العظيم الزرقاني له «مناهل العرفان في علوم القرآن».

والمولى المحقق حيدرقلي بن نور محمد - المعروف بسرदार كابلبي - له «تحفة

الأحباب» في بيان آي القرآن وسورة والحكي والمدني وغيرها.

وللدكتور محمد عبدالله دراز: «النبأ العظيم» نظرات جديدة في القرآن.

والعلامة السيد هبة الدين الشهرستاني: «إعجاز القرآن» و«تنزيه القرآن».

والأستاذ محمد الغزالي: «نظرات في القرآن».

والأستاذ المحقق الشيخ أبو عبدالله الزنجاني: «تأريخ القرآن».

والأستاذ مصطفى صادق الرافعي: «إعجاز القرآن».

والشيخ خليل ياسين العاملي: «أضواء على متشابهات القرآن» يحتوي على ١٦٠٠

سؤال وجواب.

والدكتور صبحي الصالح: «مباحث في علوم القرآن».

والأستاذ سيد قطب: «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن».

وتلميذه الموفق الدكتور عبدالله شحاته: «أهداف كل سورة ومقاصدها»
والإمام المجاهد العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي، جعل في صدر تفسيره «آلاء
الرحمان» مقدمة منيفة تحتوي على أهم المباحث القرآنية، وأتى فيها بنظرات مستجدة
يكون الإطلاع عليها ضرورياً. وطبعت هذه المقدمة أيضاً مع تفسير السيد عبدالله شبر
المطبوع بمصر أخيراً.

والمرجع الديني الأكبر سماحة سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي رحمه الله وضع في مقدمة
تفسيره «البيان» فصلاً مسهباً حقق فيها عن جوانب خطيرة من شؤون القرآن، لها قيمتها
و أثرها الكبير في الأوساط العلمية الراهنة، لا يستغني الباحث عن مراجعتها.

وفضيلة العلامة الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله: «قرآن در اسلام» بحث
حافل بأهم المسائل القرآنية فضلاً عن أبحاث زان بها تفسيره القيم «الميزان».

هذا غيض من فيض، ولم أكن تقصيت الكتب المصنفة في علوم القرآن بصورة
شاملة، سوى العالمية المعروفة، إلا أن الذي يكتفي لإبداء ما بذله علماءنا الأعلام من جهود
جبارة حول تحقيق هذا الكتاب المقدس الخالد، ومدى اهتمامهم البالغ بشأنه العزيز،
شكر الله مساعيهم الجميلة، وأفاض عليهم سجال رحمته الواسعة، آمين.

ومنذ القرن الثاني عشر واكب علماء الإفرنج علماء الإسلام في البحث والتنقيب عن
شؤون القرآن بنواحٍ شتى، فبدأوا يبحثون عن تأريخه، وعن الكتب المؤلفة فيه، وعن
تفسيره وما أشبه ذلك. وحوالي منتصف القرن الرابع عشر قامت ألمانيا بعملٍ عظيم
محمود؛ ذلك أن المجمع العلمي في مونيخ بألمانيا عني عناية خاصة بالقرآن الكريم،
وجمع كل ما يمكن الحصول عليه من المصادر الخاصة بالقرآن وعلومه. وأدلى هذا الأمر
إلى الأستاذ «برجستراسر» الذي كان قد بدأ بالعمل في حياته، فلما توفي سنة
(١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) عهد المجمع بالسير في هذا المشروع إلى العالم «او توير تيزل» أستاذ
اللغة العربية في مونيخ. وهذا الأستاذ كتب إلى المجمع العلمي العربي في دمشق كتاباً

يقول فيه:

«ولقد نوينا تسهيلاً لمحبي الاطلاع أن تدون كل آية من القرآن الكريم في لوحة خاصة تحوي مختلف الرسم الذي وقفنا عليه في مختلف المصاحف مع بيان القراءات المختلفة التي عثرنا عليها في المثنون المتنوعة، ومتبوعة بالتفسير العديدة التي ظهرت على مدى العصور وتوالي القرون».

وأخذ في نشر أهم الكتب المؤلفة في القرآن، ككتاب «التيسير» في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، وكتاب «المقنع» في رسم مصاحف الأمصار، مع كتاب «النقط» أيضاً له. وكتاب «مختصر الشواذ» لابن خالويه. وكتاب «المحتسب» لابن جنّي. وكتاب «غاية النهاية في طبقات القراء» لشمس الدين ابن الجزري. وكتاب «معاني القرآن» للقراء. ورسالة في تاريخ علوم القرآن باللغة الألمانية، وهي تحتوي على أسماء المؤلفات في علوم القرآن الموجودة في الآفاق ودور الكتب في العالم.

أدلى بهذه المعلومات فضيلة الأستاذ الشيخ أبو عبدالله الزنجاني في كتابه الوجيز «تاريخ القرآن» وكان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

غير أن الشعلة التي كادت تنوّهج وتنوّهج فاجأها الانطفاء المرير، على أثر اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية القاسية، على يد ألمانيا نفسها (١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م) فيأله من أسف.

وكنّت منذ تعلّمت القراءة مشغولاً بدراسة شؤون القرآن الكريم ومطالعة الكتب المصنّفة في مختلف جوانبه المتنوعة. وكنّت أجد من ذلك متعة ولذة فائقة، حتّى خضت عابها وإذا هي ضرورة إسلامية ملحة، لا بد لكل مسلم أن يتعرّف إليها إن كان يريد التحقّق من أقوى دعامة لهذا الدين الحنيف. فقمّت أدرس من شؤونه بدقّة وإمعان، وأسجّل من مطالعاتي لقطات، إمّا نقداً فيما شككت في صحته، أو إعجاباً بما استطرفته من موضوع.

والآن - وبعد سنين - اجتمعت لدي من تلكم المذكرات عدد ضخم وفي حجم كبير، فجعلت أرتبها و أنظّمها، وإذا هي تصلح لتأليف كتاب يحتوي على أبواب وفصول في متنوع البحوث القرآنية فأسميته «التمهيد»، لأنني جعلت من هذه الأبحاث كمتقدمة لتفسيري «الوسيط». وأسأله تعالى أن يوفقني لإتمامه، ولأن أكون قد خدمت جيلي المسلم بنظرات مستجدة حول القرآن الكريم، ربّما لا يجدها الباحث في موسوعة سواء، أو يصعب عليه تناولها، وهي في مطاوي كتب ذات أحجام كبيرة أو بعيدة عن تناول العموم.

والذي شد من عزمي على إنجاز هذا الأثر المتواضع أنني لمست فراغاً في مكتبة الطائفة في عهدنا الحاضر - وقد كانت غنيّة قبل اليوم - فيما يخص جانب البحوث القرآنية مستوفاة ما عدى بحوث قليلة عالجت طرفاً من شؤون القرآن الكريم، وبقيت الجوانب الأخر - وهي كثيرة - قابضة في زاوية الخمول، لا يجدها الباحث إذا ما حاول التطلع على رأي الطائفة في ضوء مذهب أهل البيت عليهم السلام. ومن ثم جعلت أتبع الآثار والآراء ونقدتها نقداً موضوعياً، عرضاً على نصوص تاريخية ثابتة وروايات متواترة أو محفوظة بقرائن قطعية.

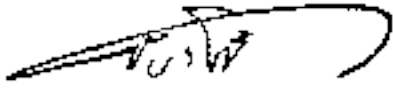
وسيدو من خلال بحوثنا الآتية مدى انحرافات أودت بكثير من أئمة النقد والتمحيص، مغبة تسرعهم في بت الأمر أو عصبيتهم لمذهب أو طريقة خاصة في تحقيق الآراء والآثار. فلم أفرغ من مسألة إلا وكنت مطمئناً من صحتها ومستوتفاً من أصلها مبلغ جهدي الذي بذلت فيها حسب المستطاع.

كما ولم أغفل - مدة بقائي في النجف الأشرف (١٣٧٩ - ١٣٩١) وبعد المهاجرة إلى مدينة قم المتدسّسة (نهاية عام ١٣٩١) - من إلقاء محاضرات جامعية على طلبة المعاهد الدينية العالية وإفساح المجال لهم في المناقشة والتساؤل، تحقيقاً لغاية التنبّت الكامل فيما استجددته من نظريات، وتحكيماً لمثيق الآراء المتنوّرة في كل مسألة عزمتم البت

فيها قطعياً.

والنفس الغاية كنت أحياناً أقوم بنشر كراسات أتعرض عليها بحوثاً قرآنية كانت
كنماذج عن مباحث مسهبة، ألخص فيها من آراء ومناقشات، لأستلفت أنظار زملائي
الأفاضل، تتجاوباً مع أفكارهم التميّنة، وتفاهماً معهم على صعيد النقد الزيد. ومن ثم أقدم
لهم شكري الجزيل وتقديري المتواصل لهذا التجاوب الودّي الكريم جزاهم الله عن
القرآن خير جزاء، ووفقنا جميعاً لمرضاته إنه وليّ قدير وهو الموفق والمعين.

تم - محمد هادي معرفة



شهر رمضان المبارك ١٤٢٥هـ



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم راسدي

علوم القرآن

مصطلح لمسائل دارت حول مختلف شؤون القرآن الكريم، كل مسألة تبحث عن شأنٍ من شؤونه غير الذي تبحث عنه مسألة أخرى، فكانت المسائل تدور حول مواضيع شتى متنوعة، كل مسألة لها موضوعها الخاص، ولارابط لها سوى المحور العام، وهو القرآن الكريم، ومن ثم أصبحت علوماً لا علماً لموضوع فرد.

خذ مثلاً البحث عن القراءات: مناقشتها، تنوعها، حصرها في السبع، تواترها وحجيتها، وما إلى ذلك كلها مباحث تدور حول موضوع واحد وهي: القراءة، ومجموعة هذه المباحث تشكل علماً على حدة، ولارابط بينها وبين المباحث الدائرة حول مسألة الناسخ والمنسوخ في القرآن. وكذا مسألة التشابه والإحكام في القرآن، ومسألة جمع القرآن وتأليفه، ومسألة الإعجاز، وكذا أصيابة القرآن من التحريف، وهلم جرا. كل مسألة علم برأسه وله موضوعه الخاص. ويجمع الكلُّ أنها بحوث عن متنوع شؤون القرآن، فكانت علوماً لا علماً واحداً. نظراً لتنوع المواضيع من غير جامع.

وهذا على خلاف مصطلح آخر راجح أخيراً وهو: معارف القرآن، هي مجموعة مباحث تدور حول مواضيع تعرض لها القرآن في نصه، كمسألة التوحيد والصفات والمعاش والمعاد، ومسألة الاستطاعة والتكليف، والجبر والاختيار، ومسألة الخير والشر

والشرائع والأحكام، والثواب والعقاب، وما إلى ذلك من مسائل جاءت في القرآن نصّاً وبحث عنها العلماء والنبهاء من كبار المفسرين. فإذا كان البحث عنها - سواء في المجموع أو في البعض - بشكل موضوعي (أفردت آيات تخصّه ودُرست دراسة موضوعية) كان هذا النمط من البحث والتبيين القرآني تفسيراً موضوعياً له أهميته في عالم التفسير وفي عرض رسالة القرآن العاقمة، ولاسيّما في هذا العصر حيث تعطّش العالمين لمعرفة تعاليم القرآن الكريم. وقد ذكرنا جوانب أهميته في دراستنا للمناهج التفسيرية في كتابنا «التفسير والمفسرون» (الجزء التاسع والعاشر من التمهيد).

وأما جانب أهمية علوم القرآن (بحوث عن مختلف شؤون القرآن) فيكفيك أن تعلم أن ليس باستطاعتك الحصول على حقائق معاني القرآن إلا عبر هذه البحوث والتي هي مبادئ، وتمهيدات لإمكان البلوغ إلى تلك الغاية المنشودة.

وإذا لاحظنا مباحث هذا العلم مسألة مسألة وجدنا أن لكل واحدة منها دوراً أساسياً في إمكان الاستفادة من القرآن. فمثلاً مباحث «حجّية ظواهر القرآن» هي التي مهّدت للمفقيه سبيل الاستنباط من آيات الأحكام وكذا معرفة النسخ من المنسوخ، والمتشابه من المحكم. وهكذا مباحث «حجّية القراءات و تواترها» تلعب دورها الخطير في معرفة النصّ القرآني الحكيم. ومثلها مباحث نفي التحريف من القرآن ومسألة الإعجاز وغيرها من مسائل، كلُّ لها دورٌ في عرفان النصّ بما لا يمكن إغفائه. الأمر الذي دعا بنا لتقديم البحث عن وحيانية القرآن وهي أسس المسائل.

اشتقاق القرآن

«القرآن» اسم علم للكتاب النازل على محمد رسول الله ﷺ ليكون للعالمين نذيراً. والكلمة عربية محضاً لها أصل في اللغة من «قَرَأَ يَتَقَرَّأُ قِرَاءً، وقراءةً وقُرْآنًا».

والكلمة مهموزة تحوّلت من أصل معتلّ. قال ابن فارس: القاف والراء والحرف المعتلّ، أصلٌ صحيح يدلُّ على جمع واجتماع. من ذلك: القرية، سمّيت قرية لاجتماع

الناس فيها، ويقولون قريبت الماء في الجفراة: جمعته، وذلك الماء المجموع: قَرِيٌّ، والجفراة: الجنة، سُميت لاجتماع الضيف عليها أو لما جمع فيها من الطعام.

ومن الباب «القَرْو»: حوض معروف ممدود عند الحوض العظيم تُرِدُهُ الإبل، ومن الباب «القَرْو»: وهو كل شيء على طريقة واحدة، تقول: رأيت القوم على قَرْوٍ واحد. ومن الباب «القَرِي»: الظَّهر. وسُمِّي قَرِيٌّ لما اجتمع فيه من العظام. وناقته قَرَواء: شديدة الظَّهر.

قال: وإذا هُمز هذا الباب كان هو والأوّل سواء. يقولون: ماقرأت هذه الناقته سلياً، كأنه يُراد: أنها ما حملت قطاً.

قالوا: ومنه القرآن، كأنه سُمِّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والتقصص وغير ذلك.^١ وقال الخليل بن أحمد: وقرأت القرآن عن ظهر قلب أو نظرت فيه... وقرأ فلان قراءةً حسنة، فالقرآن مقروء وهو قارىء.^٢

قال الراغب: والقراءة، ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل مصدرٌ نحو كثران ورجحان [ونفران]. قال تعالى: «لِنُكَلِّمَنَّكَ فِي الْوَيْدِ نَجْمًا مِّنْ سَبْعِينَ نَجْمًا فَرَسًا مُّتَّبِعًا فَتُحَدِّثُ بِهِ مَا نَشَاءُ إِنَّكَ بِعَيْنِنَا لَمُخَلَّبٌ مِّنْ عِندِنَا وَإِن كُنتَ لَمِنَ الْغَائِبِينَ»^٣ وقد خصّ بالكتاب المنزل على محمد ﷺ فصار له كالعلم، كالنوراة لما أنزل على موسى والإنجيل على عيسى عليه السلام.^٤

والكلمة ذات اشتقاق في اللغة دليلاً على أصلتها وليست من الدخيل، والإلم يأت منها الاشتقاق ثلاثياً ومزيداً فيه.

«وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّنُورًا»^٥

«فَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^٦

«وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْحٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا»^٧

٢ - معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج ٥، ص ٧٨ - ٧٩.

٤ - اقيامة ٧٥، ٧٧ و ٧٨.

٦ - الإسراء ١٧، ٤٥.

٨ - الإسراء ١٧، ١٠٦.

١ - جالدة يكون ضمها التوند في بطن الله.

٣ - التبعين لتخليل، ج ٥، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

٥ - مفردات الراغب، ص ٤٠٦.

٧ - التلخيل ١٦، ٩٨.

وقال تعالى حكايةً عن العرب: «وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرَبِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَأُهُ»^١.

«فَأَسْأَلِ الَّذِينَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ»^٢.

«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»^٣.

«فَأَقْرَأُوا مَا تُمَنَّرُونَ مِنَ الْقُرْآنِ»^٤.

«سَنَقْرُوكَ فَلَا تَمْنَىٰ»^٥.

على أن لفظة «قرآن» استعملت مصدرًا بمعنى القراءة:

«إِنَّا عَلَّمْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قُرَأَتْهُ فَتَبَعُ قُرْآنَهُ»^٦.

«وَالْقُرْآنَ الْقَجْرَ إِذْ قُرْآنَ الْقَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا»^٧ أي القراءة في صلاة الفجر.

وبمعنى المقروء أيضاً:

«وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ»^٨ وقرآن - هنا منكرًا - يراد به المصدر

بمعنى المفعول أي الشيء المقروء. فقد أُطلق على الكتاب وصفاً لا علماً كما في المعرف باللام.

وكذا في قوله: «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالْقُرْآنِ مُبِينٌ»^٩. وقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ»^{١٠} أي مقروءاً بالعربية، وغيره من آيات.

وهذا نظير حسوه: «الفرقان»، أُطلق على القرآن باعتباره الفارق بين الحق والباطل،

أي ما يفرق به بينهما.

«تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»^{١١}.

«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ»^{١٢}.

٢ - يونس ١٠: ٩٤.

٤ - الترمذ ٧٣: ٢٠.

٦ - القياس ٧٥/٧٧ و ٧٨.

٨ - الإسراء ١٧: ١٠٦.

١٠ - يوسف ١٢: ٢.

١٢ - البقرة ٢: ١٨٥.

١ - الإسراء ١٧: ٩٣.

٣ - العلق ٩٦: ١.

٥ - الأعلى ٨٧: ٦.

٧ - الإسراء ١٧: ٧٨.

٩ - الحجر ١٥: ١.

١١ - الفرقان ٢٥: ١.

أي يبتات هادية إلى الحق وفارقة، أي فاصلة بين الباطل والصواب.
والقرآن كالفرقان عِلْمٌ وَصْفِي لكتاب الله. كلاهما من أصلٍ عربيٍّ صميم.
هذا، ومن الغريب ما نجده من المستشرقين الأجانب حسبوا كلمة (القرآن) دخيلة
مشتقة من «قريانة» كلمة سريانية؛

جاء في دائرة المعارف البريطانية: «القرآن هو كتاب المسلمين المقدس. ومن
المحتمل أن الكلمة مشتقة من كلمة «قرأ» وهي كلمة سريانية في أصلها، وهو: قريانة، أي
القراءة. حيث كانت تُستعمل في الكنيسة السريانية»^١.

لكن لا مجال لهذا الاحتمال بعد ما عرفت من عربية الكلمة واشتقاقها في اللغة. أما
التقارب أو التقارن في حروف الكلم ونظيراتها في سائر اللغات فهذا يجعله التقارب في
أصول الكلم الشرقية ولاسيما اللغات السامية كالعبرية والعربية، حيث التقارن القريب في
أكثر كلماتها كما في نفس العبري والعربي. الأمر الذي لا يدع مجالاً لاحتمال التبادل مع
فرض التقارب في أصل الانحدار.

صياغة القرآن صناعة الوحي

من صريح الكتاب العزيز، فضلاً عن الحديث المتواتر، أن القرآن نزل كُتْمًا، لفظاً
ومعنى، من عند الله و أنه بنظمه ونضده، في كل جملة وتعابيره، صياغة الوحي وصناعة
السماء، لا يد لغيره فيه إطلاقاً لاجبرائيل الأمين ولا النبي الكريم ﷺ. ولنسرد عليك
آيات ناصئة على ذلك:

منها: ما جاء التصريح فيه بأنه كلام الله^٢ ولا ينسب كلام إلى أحد إلا إذا كان صنيعه

١ - راجع: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية للدكتور فضل حسن عباس، ص ٢٣.

٢ - قال تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ». الفصح ٤٨: ١٥. وقال: «وَلَنْ أَخَذَ مِنَ الْمُفْرِكِينَ لِنَجَارِكَ مَا جَزَاءُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ».
التوبة ٦٩.

قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «ما آمن بي من ذمير بريه كلامي». (أمانتي التصديق، تصحيف الثاني، ص ٦، ح
نصف). وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بشأن القرآن: «وهو كلام الله، وقاويله لا يشبه كلام البشر». (كتاب التوحيد
التصديق، باب ٣٦ في الرد على التنوية رقم ٥، ص ١٢٦٤).

نظماً وتأليفاً، لفظاً ومعنى.

وكذا التصريح بأنه مما قرأه الله على النبي،^١ ولا تكون قراءة إلا بتلاوة آياته كُملاً عليه. وليست مجرد إلقاء المعاني. إذ لا يكون ذلك قراءة قرآن وإنما هو إلقاء مفاهيم لا غير.

ومثله ما جاء التعبير فيه بأنه إقرأه على النبي.^٢ وكذا التعبير بأنه ﷺ كان يتلقى القرآن تلقياً^٣ وتلقى هذا القرآن إنما يعنى بلفظه ونظمه، وليس مجرد معانيه. إذ القرآن هو: ما يقرأ، لا ما يفهم ويدرك.

وعلى غراره الآيات الناصئة على أن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن لأنه كان يتكلم به^٤ هذا بالإضافة إلى أن القرآن معجزة الإسلام الخالدة، وأن ليس باستطاعة البشرية جمعاء أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. وهذا العموم يشمل النبي نفسه أيضاً. فليس باستطاعة النبي - وهو بشر - أن يصوغ كلاماً في صياغة القرآن فكيف يظن - ماترى - أنه من صليعه، وهو عاجز عن أن يأتي بمثله حتى ولو كان كل الناس معه ظهيراً! ولعل القائل بذلك مدسوس عليه فزعم أن القرآن ليس من كلام الله المعجز وأنه قول بشر، وبذلك حاول أهل الريب التشكيك في أكبر دعامة من دعائم الإسلام.

وذكر الإمام بدر الدين الزركشي أنه نقل بعضهم عن السمرقندي^٥ حكاية ثلاثة أقوال في المنزل على النبي ﷺ ما هو:

أحدها: الرأي السائد وهو: أن النازل على النبي ﷺ هو اللفظ والمعنى معاً، حسب تعبير صريح القرآن.

١ - «إِن عَلَّمْنَا جَعْتَهُ وَقُرْآنَهُ وَإِذَا قُرْآنًا فَاتَّخِذْهُ قُرْآنًا». القمانيه ١٧: ١٨.

٢ - «عَلَّمُوا مَا لَمْ يَكُنْ». الأعرابي ١٨٧: ٢٠٠.

٣ - «وَقُرْآنًا قُرْآنًا لِّقُرْآنِهِ عَلَى النَّاسِ». الإسراء ١٧: ١٠٦. «وَإِذَا قُرْآنُ جِئْنَا بِتِلْكَ وَتَبَيَّنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ حِجَابًا مُّشْعَرًا».

الإسراء ١٧: ٤٥. «وَإِذَا قُرْآنُ الْقُرْآنِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». النحل ١٦: ٩٨.

٥ - هو: أبو بكر محمد بن إسماعيل السمرقندي (ت ٢٦٨) كان فقيهاً حنفياً وبتكافؤاً.

ثانيها: أن جبرائيل إنما نزل بالمعاني خاصة، وأنه عليه السلام كان قد صاغها في صياغة لغة العرب. و تمسك القائل بذلك بظاهر قوله تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ» وقوله: «فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ»،^٢ زاعماً أن ما يعيه القلب هي المعاني دون الألفاظ الخاصة بمدرك السمع!

ثالثها: أن جبرائيل هو الذي كان يشرحها في قوالب الألفاظ بلسان عربي مبين كان يلقئها على النبي صلى الله عليه وآله و من تمّ كان أهل السماء استمعوا إلى قرآن جبرائيل وجعلوا يقرأونه بالعربية. ولما استند لهذا القول سوى ما زعموه من روايات نزول القرآن جملة إلى البيت المعمور أو بيت العزة في السماء الدنيا أو الرابعة، ثم نزوله تدريجياً على رسول الله صلى الله عليه وآله في طول عشرين سنة.^٣

قال الجويني^٤: الوحي على قسمين: أحدهما أن يأمر الله جبرائيل بأن يقول للمسيب: افعل كذا أو أن الله أمر كذا. فكان جبرائيل يتلقى المعنى ويلقيه على قلب النبي. الثاني أن يقول له: اقرأ على رسول الله بكذا، فهذا يلقيه بلفظه الذي كان يتلقاه من غير تبديل، كما كان الملوك يكتبون الرسائل ويترجمونها على أيدي الرسل فيوصلونها من غير تصرف أو تغيير....

قال جلال الدين السيوطي - بعد نقل كلام الجويني -: والقرآن من قبيل الثاني، كان يتلقاه جبرائيل بلفظه ويلقيه على النبي كما تلقاه من غير تصرف فيه لافي لفظه ولا في معناه، ولم يجزله إلقاء المعنى فقط. والسرف في ذلك أن المقصود من القرآن التعبد بلفظه وراء التعبد بالعمل بمعناه، و لأنه دليل الإعجاز، فلا يستطيع أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، لا جبرائيل ولا غيره، وأن تحت كل حرف منه مقاصد لا تحصى. فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليها...^٥

١ - اشعراء ٢٦٦-١٩٣-١٩٤.

٢ - انفرد: ٤، ٩٧.

٣ - تبرهان تازركشي، ج ١، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ونفاة السيوطي في الإفتان، ج ١، ص ١٢٦.

٤ - هو أبو المعالي إمام الحرمين، الفقيه الشافعي أستاذ العراقي، له مصنفات في مختلف العلوم.

٥ - الإفتان، ج ١، ص ١٢٧ - ١٢٨.

قال الزرقاني: وقد أسفّت بعض الناس فزعم أنّ جبرائيل كان ينزل على النبي ﷺ بمعاني القرآن، والرسول يعبر عنها بلغة العرب. وزعم آخرون أنّ اللفظ لجبرائيل وأنّ الله كان يوحى إليه المعنى فقط. وكلاهما قول باطل أثيم، مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع، ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به. وعقيدتي أنّه مدسوس على المسلمين في كتبهم. وإلا فكيف يكون القرآن حينئذٍ معجزاً واللفظ لمحمد أو لجبرائيل؟! ثمّ كيف تصحّ نسبته إلى الله واللفظ ليس لله؟!^١

وأما الآيات التي استند إليها هذا القائل، فعلى عكس مطلوبه أدلّ!

ذات لأنّ المراد بالقلب فيها هو شخصيّة الرسول الباطنة الآهنة لتلقّي الوحي من عند الله وليس هذا العضو الصنوبري الكامن في الصدور. حيث إنّ أجهزة الإدراك عندنا لم تُعدّ لاستلام هكذا تلقّيات ممّا وراء المادة، وإنما هي تعمل في إطار محدود.

ونظير هذه المحدودية في المادة، الأمواج اللاسلكيّة تتلقّاها أجهزة خاصّة بذلك، تلقياً بنفس الألفاظ وحتى الصور والأشكال والألوان من مكان بعيد، ممّا لا يمكن تلقّيها بهذا الحسّ الظاهري العاديّ. وهكذا النفوس المستعدّة تستأهل لإدراك أمور تعجز الأحاسيس العاديّة عن إدراكها مادامت على كفافها الأولى ولم تبلغ لطافتها المتناسبة مع الملأ الأعلى!

على أنّ الآية من سورة الشعراء «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ... بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» ناصّة على أنّ النازل من عند الله وعلى يد أمينه جبرائيل، هو هذا القرآن بنصّه ولفظه العربي المبين! فالآية على عكس مطلوب المستدلّ أدلّ!

وقد نسب هذا القول إلى «معمر بن عبّاد السُّلمي» (ت ٢١٥) من زعماء المعتزلة،^٢ نسبة مأخوذة من قياس المساواة، إذ لا تصرّح له بذلك وإنما هو لازم كلامه ومذهبه في

١ - منازل اترقان تاليف محمد عبد العظيم اترقاني، ج ١، ص ٤٩.

٢ - هو أبو المعتمر معمر بن عمرو، وقيل: ابن عبّاد البصري، كان بينه وبين انضمام مناظرات و مناظرات، سير اعلام النبلاء تاليفه، ج ١، ص ٥٤٦/١٦٦.

كلامه تعالى فيما زعموا.... لأنه قائل بأن الكلام في ذاته عرض، والعرض عند المعتزلة حركة، وهو قائم بجسم، فيستحيل أن يقوم به تعالى إذ لا يكون محلاً للأعراض. فليس كلامه تعالى سوى ما يبدو من المحل الصادر منه إن شجرة أو إنساناً. فالكلام الصادر من الشجرة فعل لها، والصادر من إنسان، فعل له. وإن كان بإرادة الله ومشيئته سبحانه...^١ قالوا: فمعنى ذلك: أن كلامه تعالى الصادر عن محل، عبارة عن استعداد وقابلية يخلقها الله في شجرة أو يمنحها لإنسان، فيقوم هو بإنشاء كلام يتجلى فيه إرادته تعالى. فالكلام الصادر من الشجرة فعلها والصادر من إنسان فعله، وإن كان في ذاته منسوباً إليه تعالى، لأنه إنما صدر وفق إرادة الله.

وهكذا استندوا إلى ما نسبته إليه الراوندي قائلاً: «وكان (أي معمر) يزعم أن القرآن ليس من فعل الله ولا هو صفة له في ذاته كما تقول العوام، ولكنه من أفعال الطبيعة...»^٢ لكنّ أبا الحسين الخياط المعتزلي رفض هذه النسبة رفضاً باتاً، قال: «إعلم - أرسدك الله إلى الخير - أن معمرًا كان يزعم أن الله هو المكلّم بالقرآن، وأن القرآن قول الله وكلامه ووحيه وتزييله لا مكلّم له سواه ولا قائل له غيره، وأن القرآن مُحدث لم يكن ثم كان...»^٣ لكن رغم ذلك نجد أن بعض المستشرقين الأجانب،^٤ وتبعه بعض الكتاب الإسلاميين^٥ متابعين من غير تحقيق، ذهب إلى أن معمرًا يقول بأن القرآن ليس من كلامه تعالى، وأن الله سبحانه أعطى نبيه قابلية أن يصوغ كلاماً يفرغ فيه إرادة الله التي كان يتلقاها بالوحي على نفسه.

وهو استنتاج باطل بعد كونه قياساً محضاً وليس من صريح كلامه؛ هذا و قوله تعالى:

١ - جاء في مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٦٨: «واقترقة التغلطة منهم أصحاب معمر، يزعمون أن القرآن عرض، ومحال أن يكون الله فعله في الحقيقة، لأنهم يُحيون أن تكون الأعراض فعلاً لله وزعموا أن القرآن فعل تمكن الذي يُسمع منه، إن سُمع من شجرة فهو فعل لها، وحيثما سُمع فهو فعل تمكن الذي حلّ فيه».

٢ - راجع: كتابه «الاتصاف»، ص ١٠٤.

٣ - هو: «هري أوسترين وندين»، في كتابه «فلسفة علم الكلام»، ترجمة أحمد آرام، ص ٢٩٨ و ٣٠٤.

٤ - هو: «مقصود فراستخواه»، في كتابه «زبان قرآن»، ص ٣٠٥ وفي مقال له في مجلة «فرا راه»، ع ١٣٣٧/١، ص ٢٣.

«وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا»^١ يؤكد على أن الله تعالى كان يكلمه بنفس هذا الكلام المعهود، وأنه حقيقة الكلام وليس عن مجاز أو استعارة. وإلا لم يصح هذا التأكيد (بالمنعول المطلق).

ويحمل قول معمر على أن الكلام المسموع من أي شيء، إنما خلقه الله فيه ليسمع منه، لأنه من صنع ذلك الشيء. فإن سُمع من الهواء فهو فعل الهواء أي صادر منه وإن كان بخلقه تعالى فيه. وهكذا إذا سُمع من شجرة. أمّا الصادر عن إنسان مثل النبي ﷺ فهو بإلهام منه تعالى عليه، فهو أيضاً صنيعه تعالى وليس من صنع النبي نفسه.

صياغة القرآن صياغة خطاب لصياغة كتاب

من مميزات صياغة الكتاب هو الانسجام التام من بدء الكلام إلى الختام، فما من مقال في صحيفة أو رسالة في كتاب أو تصنيف أو تأليف إلا ويكون منتظماً على نضد ووصف منسجم وملتئم بعضه مع بعض كالنظام حلقات السلسلة متماسكة بعضها مع بعض ويعبر عنه بالتناسق في الكلام. الأمر الذي يفتقده المثال إذا كان في خطاب حيث لا يتقيد المتكلم فيه بمراعاة التناسق، لا اللفظي فقط بل وحتى المعنوي، فقد ينتقل في كلامه من موضوع إلى موضوع آخر بمناسبة يراعيها حال الخطاب، حتى ولو لم يكن بين المواضيع التي تعرض لها ذلك الربط الوثيق. الأمر الذي نجده في القرآن كثيراً. فهذا الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغياب، وكذا التنوع في الضمائر واختلافها مع المراجع وهكذا أسماء الإشارات أو من الظاهر إلى ضمير الخطاب وما شاكل ليس إلا لكونه منساقاً على أسلوب الخطابة لا الكتابة، وإلا لم يصح ذلك التنقل الفجائي والتبدل من حال إلى حال! ومن ثم جاز النطق بجمل معترضة أثناء الكلام إذا كان خطاباً لا كتاباً. وإليك من ميزات الخطاب نجدها في القرآن الكريم:

١ - التنقل الفجائي:

من ميزات الكلام إذا كان مقالاً في خطاب، جواز التنقل الفجائي من موضوع إلى موضوع ومن حالة إلى حالة أخرى قد لا تكون بينهما مناسبة ظاهرة، ومما يُعد عيباً في سرد الكلام إذا كان كتاباً لا إذا كان خطاباً معتمداً على قرائن المقام.

خذ مثلاً سورة القيامة، تبتديء بالكلام عن الإنسان وتُشأنه من قيام الساعة حتى تأتي إلى قوله تعالى: «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ» وفجأةً يتوجه الكلام خطاباً إلى النبي ﷺ: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُحْجِلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ».

ويعود فوراً إلى مواجهة الإنسان بالتفريع عليه: «كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ». ثم يتحول إلى الكلام عن حالة الإنسان في يوم القيامة: «وَجِئُوا بِرَبِّهَا نَازِرَةً. وَوَجِئُوا بِرَبِّهَا نَازِرَةً». إلى آية ثلاثين. وبعدها يتحدث عن إنسان مستبخر لا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى... وهكذا نجد السياق يصول ويجول ويتحول ويتنقل بفتارة تشيع وأخرى تفريع وثالثة تهويل وتفضيع حتى نهاية السورة.

فما هذا الكرّ والفرّ، والرجعة والإقدام، إلا لكونه سياق خطاب لاسيما كتاب! فقد حصل التنقل في هذه السورة ست قمرات، وهذا من خصائص القرآن البديعة بلا ريب. يقول الإمام الرازي بصدد تبرير هذا النوع من الالتفات الفجائي (الشديد الانحراف) عند تفسير الآية: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ...»: يجوز أن الرسول ﷺ اتفق له عند نزول هذه الآيات أن استعجل بقراءتها خوفاً من الضياع، فلا جرم نهى عن ذلك لفوره. وهذا كما أن المدرّس إذا كان يلقي على تلميذه درساً فأخذ التلميذ يلتفت يميناً وشمالاً، فينبهه المدرّس لفوره ويقول له في أثناء ذلك الدرس: لا تلتفت يميناً وشمالاً، ثم يعود إلى الدرس.

فإذا ضبطت تلك المحاضرة بكاملتها مع ما تخللها من كلام - كما إذا سجلت على شريط - لم يعرف من لا علم له بالواقعة، وجه المناسبة في سياق هذا الكلام. ولكن من علم ذلك عرف أنه حسن الترتيب.^١

٢ - ظاهرة الالتفات

ومن سورة يس، تجد فيها بديعة الالتفات بيّنة:

«إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِينُونَ هُمْ فِيهَا فَاكِهِةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ. سَلَامٌ. قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ. وَأَمَّا زُورَ الْيَوْمِ أَهْلُهَا فَجَحِيمُونَ - إلى قوله - : هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ...»^٢

فأولاً كان الكلام عن أصحاب الجنة بصورة غياب.

ثم تحول إلى صورة خطاب بالسلام عليهم ذلك اليوم.

وفجأة تحول الخطاب إلى المجرمين - إلى قوله - : «كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ». لكنه رجع إلى

صورة الغياب في قوله: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ...».

وهذا النوع من التداور في الكلام لا يحسن في الكتابة، ويكون بديعاً في الخطاب.

وفي سورة الفتح:

«لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْابَهُمْ فَتَحْنَا قُرْبَاهَا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً. وَعَدَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا...»^٣

بدأ بالكلام عن المؤمنين غياباً في خطاب موجه إلى النبي، وفجأة تحول إلى

الخطاب مع المؤمنين أنفسهم.

٢ - يس ٥٥-٥٤، ٥٥.

١ - التفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

٣ - الفتح ٤٨، ٤٨، ٤٩.

وهي لطيفة بديعة تحسن في الخطاب لاتبث الكتاب.
وهذا نظير ما حكاه سبحانه عن عزيز معسر، خطاباً مع يوسف وطلبت لمثوره إلى امرأته يؤتيها: «يُوشَفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا. وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ». الأمر الذي يصح حال المواجهة بالكلام شفاهاً لا غير.

وفي سورة الحمد، تبتدي بتمجيد الله سبحانه غيباً، ثم يتحول الكلام إلى مسألته تعالى خطاباً، وهو من بديع الالتفات بيّناه في التفسير.

وفي سورة عبس تبتدي بالعتاب غيباً «عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى» تم مواجهة خطاباً مع الرسول «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي...»^٢

وفي سورة الأنفال: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ. قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ». كلام عن المؤمنين غيباً في خطاب مع النبي. وفجأة يتوجه الخطاب مع المؤمنين: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...»^٣ وما ذلك إلا لكونه في صياغة خطاب.

وفي سورة الأعراف: «يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا. ذَلِكَ خَيْرٌ. ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ» رواه تعالى يواجه بني آدم في الخطاب معهم مشافهةً ويكتمل كلامه وكأنه يتكلم عن عليهم راجعاً ليخاطبهم بقوله: «يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ...»^٤

كان الخطاب أولاً مع بني آدم بالمواجهة. ثم صرف الكلام إلى بيان الحكمة من غير مواجهة لأحد. ثم رجع إلى ما كان عليه أولاً من الوعظ والإرشاد والتحذير والإنذار.

٣- مراعاة الروي

من مزايا السجع في الكلام مراعاة الروي إذا لوحظ منطوقاً لا مكتوباً. وفي القرآن كثير من التسجيع على حساب النطق بالكلام لاتبته محض كتاب.

٢- عبس ١٨٠: ١-٣.

١- يوسف ١٩: ١٤.

٤- الأعراف ٧: ٢٦-٢٧.

٣- الأنفال ٨: ١.

مثلاً قوله تعالى: «بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَكَلَّا لَتُبَدِّلَنَّهُ لَمَتًّا ۖ إِنَّمَا يَلْتَمِسُ الْكَلَامَ سَجْعًا فِي حَالَةِ الْوَقْفِ عَلَىٰ كُلِّ مِنْ «بصيرة» و«معاذيره» عند النطق والقراءة ببناء وراء وهاء في آخرهما، الأمر الذي لا يتحقق في التبت والكتابة.

وهكذا قوله: «وَأَلْتَفَتِ الشَّاقُّ بِالشَّاقِّ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ»^١ إنما يلتزم السجع والروي لدى القراءة بالوقف على كل من «بالساق» و«المساق».

وقوله: «فَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُمُ اقْرَؤْا كِتَابِيَهٗ. إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ»^٢ فإن الروي فيها إنما هو على حساب النطق والوقف على السكون.

وقوله: «وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَةٌ هَٰوِيَةٌ. وَمَا أُنذِرَكَ مَا هِيَ. نَارٌ حَامِيَةٌ».

فإن الروي فيها إنما يكون على حساب الوقف على التاء من «هاوية» و«حامية» ليلتزم مع هاء السكت في «ماهيئة». وهذا خارج بالتلاوة لا الكتابة.

وقوله: «وَالْقَجْرِ وَالْجَبَلِ عَشْرًا. وَالشُّعْبِ وَالْوُثْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ...»^٣ فحذفت الياء من «يسر» مراعاة للروي حالة النطق بهذا الكلام. وهذا خارج عن الروي. هكذا تليت على النبي وتلاها على الناس ويجب الاتباع أبداً، فحتى الكتابة هنا تابعت التلاوة، نظراً لأنها الأصل في القرآن!

٤ - ألحان وأنغام

جانب خطير لوحظ في القرآن يتناسب وتلاوته لفظاً لا قراءته خطأً، وهو جانب نظامه الصوتي البديع المنتظم على ألحان وأنغام. كان بادئ ذي بدء، هو المؤثر المستحوذ على شعور العرب قبل أن يتمكن في نفوسهم. وقد أمر النبي ﷺ أن يقرأ القرآن بالبحان العرب وأصواتها تمهيداً لتحقيق هذا الغرض، وليس يتحقق إلا في تلاوته جهاراً حيث

١ - اقيامة ١٤-١٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١.

٢ - القجر ١، ٢، ٣، ٤.

١ - اقيامة ١٤-١٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١.

٢ - الحاقه ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣.

يسوقها لحن الأداء، لاهمساً وراء ستار الخفاء.

هذا مضافاً إلى لحن الأداء المرعى في تعابيره إما تقريع أو تعنيف. تهديد أو تهويل. تبشير أو إنذار. تحسر أو تحزن وما شاكل، يتكفله الملهج الصوتي المتناسب مع أحدها لا القراءة همساً.

الأمر الذي تغافل عنه من زعم صياغة القرآن كتباً، لا حماسة في خطاب! وقد قيل - قديماً -: القرآن، إنما هو بقراءته لا بكتابته.

٥ - اتكاء على دلائل من خارج النصّ

الكلام إذا كان في صياغة كتاب فلا بد أن تتوفر دلائله في ذات التعبير، مسبقاً أو ملحقاً أو في الأثناء (قرائن متصلة مرفقة) ولا يجوز الاتكاء على قرائن منفصلة. الأمر الذي يجوز إذا كان الكلام في صياغة خطاب. والقرآن من هذا القبيل. والمعتمد في فهم معانيه غالبياً على معرفة أسباب النزول.

لا يجوز لمن ألف كتاباً أو صنف رسالة أن يعتمد لفهم مغالته على معهودات خاصة لا حضور لها عند العموم. ذلك أن خطابه عام ونداءه شامل لا يخص من حضر تلك الدلائل بالذات. أمّا القرآن فقد اعتمد في بيان معانيه وإدلاء مقاصده كثيراً على دلائل منفصلة عن النصّ عرفت بأسباب النزول، لا محيص لمعرفة معاني القرآن عن العلم بها مسبقاً. ولأصبح النصّ مبهماً إذا لم يعرف سبب النزول.

خذ مثلاً قوله تعالى: «إِنَّ الصَّفاَ وَاللُّزُوءَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا. وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ». فمن لم يعرف شأن نزولها حسب من ظاهر التعبير (الاجتراح) أن نساك السعي ليست فريضة واجبة. لكأنه إذا عرف أنها نزلت بشأن أولئك المؤمنين الذين تخرجوا من السعي بين الصفا والمروة - بعد أن أعيدت

١ - ومما يجدر التنبيه أنه أن تقرينة العقلية - كدليل المحكمة - إذا كانت بيّنة، تعدّ من القرائن المتصلة المرفقة وتيسر

الأصنام عليهما - خوف أن يكون تكريماً لها كما كان يفعل المشركون. فنزلت الآية دفعاً لتوهم الحظر، وليس لمجرد الرخصة المبيحة. فهي رخصة لأداء هذا الواجب الشرعي من غير شائبة المنع. وهذا المعنى لا يفهم من الآية - ولا دلالة في نصها - إلا بعد الإحاطة بسبب النزول.

والآيات من هذا القبيل كثيرة، الأمر الذي لا يجوز - حتمياً - في كتابة كتاب إذا كان منهجه عاماً ونداؤه شاملاً!

وهذا هو عمدة الدليل على أن صياغة القرآن صياغة خطاب لا صياغة كتاب!

لغة القرآن التي خاطب بها العرب والناس جميعاً

صياغة القرآن في خطابه عامّة

جاء القرآن ليخاطب العرب و الناس جميعاً بلسان يفهمونه و يتعاهدون صياغته في يسر و سهولة، وهو لسان: «العرف العام» والذي جرى عليه متعارف الناس في أساليب محاوراتهم العامّة.

قال سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي - طاب تراه - : لاشك أن النبي ﷺ لم يُبدع طريقة خاصّة لإفهام شريعته، وإنما واجه قومه بما ألفوه من أساليب التفاهم. وقد جاء بالقرآن ليفهموا معانيه و يدركوا مقاصده. وليتدبروا آياته و يأخذوا عظمتهم منه «هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ»^١ «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ»^٢ «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»^٣ إلى غير ذلك من آيات كلّها تنم عن سهولة في فهم معاني القرآن و يسر في إدراك مقاصده الكريمّة. ليس هناك صعوبة ولا تعقيد ولا التباس على المراجعين ...^٤

وهذا هو مقتضى حكمة بعث الرسل و إنزال الكتب «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ

٢ - القصر ٥٤، ١٧.

١ - آل عمران ٣، ١٣٨.

٤ - راجع: البيان - بتأليف - من ٢٨١ - ٢٨٢.

٣ - محمد ١٧، ٢٤.

قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ»^١ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»^٢ «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»^٣ «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ»^٤ «فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»^٥ «قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ»^٦ «وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ»^٧.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَيَّ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَالْمَتَعَارَفِ فِي لُغَتِهَا»^٨. وهكذا كان العرب ينهمونه و يستسيغون عدوبته في سهولة من غير صعوبة! ومن ثم فإن لسان القرآن - وهو لسان الوحي - لسان العرف العام، الذي خاطب به عاصمة الناس، على مختلف مستوياتهم ومبلغ مقدراتهم في إدراك مقاصد الكلام، كل حسب استعداده الخاص وسعة ظرفيته القابلة: «أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا»^٩ وهذا الاختلاف في مقدار الاغتراف يعود إلى تفاوت ظرفية القابل، أما البيان الصادر من الفاعل فلا اختلاف فيه ولا تفاوت. والقرآن إنما خاطب عموم الناس بلسانهم وعلى وفق أساليب كلامهم المألوف، وإن اختلفوا في التلقي والبلوغ إلى مغزى الكلام! فالاختلاف فيهم وفي فهمهم، وليس في البيان أي اختلاف، بعد كونه عموماً شاملاً سعة الأفاق. نعم إن القرآن ظهراً وبطناً ومحكماً ومتشابهاً، مما يوجب تفاوتاً في دلالة الكلام ظهوراً وخفاءً، وضوحاً وإبهاماً، لكنه لا يمس جانب دلالة العائمة المخصوصة بظهر القرآن ومحكمات آياته، دون دلالة الباطنة ومتشابهات الآيات، الخاصة فهمها بالراسخين في العلم من ذوي الاختصاص! وإليك بعض الكلام في ذلك:

- | | |
|---|-------------------------|
| ١ - إبراهيم ١٤: ٤ | ٢ - يوسف ١٢: ٢ |
| ٣ - الزخرف ٤٣: ٣ | ٤ - الشعراء ٢٦: ١٩٣-١٩٥ |
| ٥ - المدخان ٤٤: ٥٨ | ٦ - الزمر ٣٩: ٢٨ |
| ٧ - النحل ٦٦: ١٠٣ | |
| ٨ - كنز انقوائد تكرانكي، ص ٢٨٥ - ٢٨٦؛ وبحار الانوار، ج ٩، ص ٢٨٢ | |
| ٩ - الرعد ١٤: ١٧ | |

إِنَّ الْمَقْرَأَانَ ظَهْرًا وَبَطْنًا

قال رسول الله ﷺ: «ما من آية في القرآن إلا ولها ظهر وبطن»! وقد سئل الإمام الباقر عليه السلام عن ذلك فقال: «ظهره تنزيله وبطنه تأويله».^١

وهذا من طبعي البيان القرآني أن يكون له ظهر لائح وبطن خفي، أما الظاهر فهو المستفاد حسب تنزيله. أي بدلائل شواهد النزول يستفاد مفهوم هو محدود في إطار تلك المناسبة المستدعية للنزول، لا يتعداها، وهي دلالة ضيقة النطاق. غير أن هناك وراء هذه الدلالة الظاهرة دلالة على مفهوم عام مستفاد من فحوى الكلام بعد إلغاء الخصوصيات المكتتفة بأسباب النزول. وهذا المفهوم الواسع هو المقصود الأصلي الذي يُشكل غرض الكلام، فهو تأويله أي يعود إليه مفهوم الكلام في نهاية المطاف.

مثال ذلك قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ».^٢

هذا خطاب مع المشركين حيث تسككوا في إمكان بعنة بشر «قالوا ما أنزل على بشر من شيء»^٣ فعرض عليهم أن يسألوا أهل الكتاب عن ذلك «فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك»!^٤

هذا هو مفهوم ظاهر التنزيل المحدود بأناس خاصة ومسألة خاصة وعصر خاص... أما لو كانت الآية محدودة بهذا الظاهر الضيق النطاق، إذن لأصبحت لفائدة فيها بعد فوات ذلك الأوان سوى حكاية أمرٍ ماضٍ. ولكانت كل آية قيد تاريخها، غير صالحة للمجربان مع الأبد... لولا الإمعان في مفاد الآية العام، المستفاد من فحوى الآية بعد إلغاء الخصوصيات غير المرتبط بأصل المراد، إذ لا خصوصية في كونهم مشركين، بعد كون المناط هو جهلهم بحقيقة الأمر. كما لا خصوصية في مسألة النبوة، بل المراد: مطلق ما جهلوا من أمر الشريعة. وهكذا لا خصوصية في كون المسؤولين هم أهل الكتاب بعد

٢ - النحل ١٦٦، ٤٣-٤٤.

١ - تفسير العياشي، ج ١، ص ١١.

٤ - يونس ١٠٠، ٩٤.

٣ - الأنعام ٦٦.

اعتبار علمهم بما جهل المشركون، إذن أصبح مفاد الآية: ينبغي لكل جاهل بشأن من شؤون الشريعة أن يراجع العلماء في ذلك «على الجاهل أن يراجع العالم فيما لا يعلم» هذا هو مفهوم الآية العام المستفاد من فحوى الآية، والتي كانت باطنة، أي خافية على قاصري النظر على ظاهر الآية البدائي. وهذا المفهوم العام هو تأويل الآية، أي ما لها في نهاية الأمر. وهو المتصود الأصلي من الآية والذي ضمن بقاءها مع الخلود.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «لو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم - وكانت خافية بهم - إذن لماتت الآية بموتهم، وما بقي من القرآن شيء. قال: ولكنه يجري كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع...»^١

فالتقرآن بمفاهيمه العامة وبمحتوى بطونه الشاملة صالح للبقاء وجارٍ مع الأبد. غير أن معرفة هذه المفاهيم واستخراج هذه البطون بحاجة إلى إمعان نظر ودقّة، الخاصّ بدوي الاختصاص من الراسخين في العلم. كما قال الإمام الباقر عليه السلام: «ونحن نعلمه» وتلا الآية: «وَمَا يَخْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»^٢.
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، فظاهره أئيق وباطنه عميق... لا تحصى عجائبه ولا تُبلى غرائبه...»^٣

ومن ثمّ فإنّ العبارات (الظاهرة) للعوام (أي لعامة الناس على مختلف مستوياتهم) والإشارات (الخافية) للخواصّ (من العلماء الربانيين الراسخين في العلم) - كما قال الإمام الصادق عليه السلام:^٤

- ١ - تفسير العياشي، ج ١، ص ١٠ - ١١.
- ٢ - آل عمران ٣، ٤، راجع: تفسير العياشي، ج ١، ص ١٠ - ١١.
- ٣ - أي أحكام وتكاليف ظاهرة ومحدودة.
- ٤ - أي تواجد كنيّة في معاهيم عامة صالحة للتطبيق في كلّ نور وكون.
- ٥ - التكاليف الشريفة التكاليف، ج ٢، ص ٥٩٩.
- ٦ - بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ٢٧٨، عن جامع الأخبار تصديق، ص ٤٨.

منه آيات محكمات وأخر متشابهات

قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...»^١

وهكذا نجد في القرآن آيات محكمة بيّنة المراد ممّا يعود إلى بيان التكاليف والأحكام والمواعظ والآداب وماشابهه، في وفرة وفيرة تعمّ أكثرية الآيات الغالبة، وهنّ أم الكتاب أي مراجع الأئمة لمعرفة الحلال والحرام والسنن والأخلاق.

وأخر متشابهة المراد في عدد قليل ممّا يعود إلى أصول المعارف والمبادئ والمعاد ممّا يخفى كنه المراد لغير المتعمّقين... في مثل قوله تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ». فقد يخفى وجه الشبه في الآية في دقته وظرافته، سوى معرفة الظاهر من أنّه تعالى منور السماوات والأرض، الأمر الذي تفهمه العامة من ظاهر الآية وتقتنع به. أمّا الخاصّة فيعرفون وجه الشبه في خفاء الكنه وكونه تعالى - كالنور - قائماً بذاته ومنوراً وفي نفس الوقت منوراً لغيره، على ما أوضح بيّانه الفيلسوف ابن رشد الأندلسي.^٢

والعمدة أنّ الآيات المتشابهة أيضاً ظاهرة المراد في ظاهر تعبيرها لدى العامة ومن ثمّ يقتنعون بها ولا يرون فيها غموضاً، وإنّ كانت الدقائق والظرائف التي تحتويها الآية خافية على غير أهل الدقة والعلم والمعرفة.

فقد أصبحت الآيات القرآنية حسب ظواهر تعابيرها كلّها بيّنة لائحة على العامة، وإن كانت في باطن خباياها خفيّة على غير ذوي الاختصاص من الراسخين في العلم فلم يعد شيء من الآيات باقية في طي الغموض أو التعقيد بصورة الإطلاق.

دفع التباس وشبهة

هناك قد يتساءل البعض عن مواقف العامة بل الخاصّة تجاه لغة الوحي، وهي لغة الملائمة التي لا تتناسب مع لغة أهل الأرض حسب مصطلحاتهم وأعرافهم. فما هي إلا

١ - أن عمران ٧٣.

٢ - أن عمران ٧٣.

٣ - التكاليف عن مذاهب الأدلة، ص ٨٩ - ١٠٧، وراجع الجزء الثالث من التمهيد «لماذا في القرآن متشابهة».

تعبير رمزية وإشارات وأحياناً استعارات هي قاصرة على إفادة تمام المراد! ومن ثم كانت تلك المخالفات - حسب ظاهر التعبير - في كثير من الكتب المنسوبة إلى وحي السماء! لكنها شبيهة آثارها الغريبون تبريراً لموقفهم تجاه كتب زعموها وحي السماء، حيث فيها الكثير من العتق والهزيل والسخيف والسقيم، فحاولوا تغطيتها بمثل هذا التبرير غير المبرر... إنها أباطيل صنعتها أيادٍ أئيمة حرّفت وحي السماء، الأمر الذي لا تشبه شيئاً مما في القرآن المصون عن التحريف بحبايته تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^١ فلا تعقيد فيه ولا غموض فضلاً عن المخالفات.

نعم إن في القرآن تنوعاً في البيان ممّا جعله على مستويات أرقى فأرقى وقد يبلغ التعمق في البيان ممّا لا تناله إلا يد الجهابذة وأصحاب العبقريات، الأمر الذي لا يستدعي كونه غامضاً أو معقداً بعد كونه واضح المفاد حسب ظاهره البدائي لعامة الناس، على ما أسلفنا.

وإليك بعض الكلام عن تنوع مفاهيم القرآن وبذلك تختلف الأفهام:

مركزية تكوير علوم راسدي

تنوع مفاهيم القرآن

تنوع مفاهيم القرآن حسب تنوع المقاصد وأهداف الكلام، وبذلك تتفاوت درجات صعود البيان وارتفاعه، وإن كان الجميع على درجة البلاغة الفائقة. ومن ثم نستطيع تقسيم هذا التنوع - إجمالياً - إلى أربعة أنواع:

١ - أحكام وتكاليف، مرتبطة بحياة الإنسان العملية من وظائف عبادية وأخرى معاملية وما شاكل. فيجب أن تكون على مستوى فهم العامة، لأنهم المخاطبون بذلك على سبيل التكليف. مثل قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^٢ فكل من يعرف اللغة العربية ويتعاهد أساليبهم الكلامية، يعرف أن هذا خطاب مع عامة الناس وتكليف موجه إليهم جميعاً ويعرف مغزاه تماماً من غير إبهام أو

إجمالاً. وهكذا قوله: «أَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ». وقوله: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»^١ و«لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ»^٢ وما شابه من عباديات. ومثلها قوله تعالى: «أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا»^٣ في المعاملات.

أمثال هذه التكاليف وردت في أيسر بيان وأسهل أساليب الكلام، حيث المخاطبون بها هم عامة الناس على مختلف مستوياتهم في الفهم والتلقي، فيجب أن لا يكون عليها أي غموض أو إبهام.

٢ - أمثال وحكم، جاءت لعظة الناس وإيقاظ ضمائرهم في الحياة الفردية والاجتماعية، وليكونوا على أهبة للبلوغ إلى مدارج الكمال الإنساني المنشود. وهذا على نمطين: أحدهما، الاعتبار بما تر سألته مرّت على حياة الإنسان، فجاء التذكّر بها لأجل العبرة بها، فلا تتكرّر المآثم وليتأسى بالمكارم من الأخلاق والشيم الفاضلة. فيجعل ما ارتكبه الإنسان في سالف حياته نصب عينيه ليعتبر بها، إن فضيلةً فيدوم عليها، وإن رذيلةً فلا يقترّبها ثانية، حيث العاقل لا يلدغ من جحر مرّتين.

مثلاً جاء بشأن أهل الكتاب وما تمّ فعالهم ما يقضي بالعبرة ولكن أتى لهم وقلوبهم جافية! قال تعالى: «يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً»^٤.

وقال بشأن المشركين: «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ»^٥.

وبشأن ديار آل لوط كانت بمعرض من المشركين ينذرهم بها: «وَأَنْتُمْ لَقُرُونٌ عَلَيْهِمْ مُضِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَقْلًا تَعْقِلُونَ»^٦.

وبصدد مقارنة حالة مشركي العرب بآل فرعون، حيث اختاروا الضلال على الهدى:

١ - البقرة ٢: ١٨٤.

٢ - البقرة ٢: ١٩٣.

٣ - البقرة ٢: ٢٧٥.

٤ - آل عمران ٣: ٩٧.

٥ - البقرة ٢: ١١٨.

٦ - النساء ٤: ١٤٣.

٧ - الصافات ٣٧: ١٣٨.

«ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ. كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ»^١

والنمط الآخر، ضرب الأمثال، وهو عبارة عن ترسيم حالة وتجسيد صفة باطنة، في صورة مثال مشاهد، وهو من تشبيه غير المحسوس بالمحسوس تجسيدياً للخيال الحاكي عن واقعية ثابتة، من غير أن يكون مجرد تخيل، وهو من التصوير الفني في سبيل تحقيق أهداف رسالة التبليغ، ويعدُّ الأداة المفضَّلة في هذا السبيل.

قال سيد قطب: التصوير هو الأداة المفضَّلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيَّلة، عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاحصة، أو الحركة المتجددة. فإذا المعنى الذهني حياة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاحصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة؛ فإذا أضف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل. فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول، الذي وقعت فيه أو ستقع... إنها الحياة هنا، وليست حكاية الحياة؛ وإتقان قدرة البيان القرآني ومدى تأثيره في قوة التخيل...^٢ وفي القرآن الكثير من ضرب الأمثال: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»^٣ «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ»^٤ ولقد عرضنا نماذج منها عند البحث عن ضرب الأمثال في القرآن.

٢ - التصوير الفني في القرآن تجسيد قطب، ص ٢٩.

٤ - الإسراء ٥٧، ٨٩.

١ - الأنفال ٨، ٥٦ - ٥٤.

٣ - الزمر ٣٩، ٢٧.

وهذان النوعان من البيان القرآني (بيان الأحكام والتكليف، وعرض الحكم والأمثال) كانا من وضوح البيان حينذاك (حين نزول القرآن) بمكان. وهكذا يجري بوضوحه مع الأزمان، الأمر الذي يعمّ غالبية الآيات القرآنية، بلا أن يكون عليها شيء من الغموض والإيهام...

ويبقى النوعان الآخران - في أقلية من الآيات الكريمة - وهما: النوع المرتبط بالحديث عمّا وراء ستار الغيب والنوع المرتبط بأصول المعارف... ويكثر فيهما استعمال المجاز والاستعارة والكنائية حيث علو المستوى وانخفاض مرتبة الألفاظ وتصورها عن شمول مثل هذه المعاني الشامخة الأمر الذي قد يسبب إجمالاً في التعبير أو إيهاماً في الأداء والبيان. وإنما هو لبعده المستوى عن الأذهان العادية... ولضرب لكلا النوعين مثلاً:

٣- تعابير عن عوالم الغيب. أمر لامحيص عنه في الكتب النازلة من السماء، ففيها طرف من إخبارات عن عوالم الغيب وعمّا يجري هناك من تدابير، أو يؤول إليه أمر هذه الحياة في نهاية المطاف.

مثلاً عند ما يصور الملائكة نوحاً وهو المدبر أمرٌ - وبيان مراتب قدرهم في أمر التدبير، يذكر لها أجنحة مثنى وثلاث ورباع. ومن المعلوم أن لأجنحة هناك كأجنحة الطيور هنا، وإنما هي تعابير كناية عن مراتب قدرهم. واستعارة الجناح للمقدرة وكذا الذراع والعضد شائع في المتعارف، من غير أن يكون المعنى الحقيقي مراداً...

وهكذا عند ما يتكلم عن الحور والقصور والأشجار والأنهار، إنها تعابير عن ملاذ الآخرة، كما أن النار والحرور كناية عن أليم عقابها، أمّا نفس هذه المناهيم بعين ما تجده في دار الدنيا، فغير معلوم بعد عدم تسامخ بين الشأئين. ٢

نعم عدم معرفتنا بحقيقة الأمر في ذلك، إنما يعود إلى قصور في أفهامنا الخاصة

١ - «جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع». خاطر ٣٥: ١.

٢ - وفي المجلد السابع من التمهيد تصيحات إلى ذلك حيث ردّ تشبهات الواردة بهذا الشأن وتسميد الخطأ بطائي إشارة إلى ذلك في مقدمة تفسيره التميزان، ج ١، ص ٦ - ٩.

بمدركات هذه الحياة دون الحياة الأخرى غير المسانحة مع عالمنا المشهود.

٤ - أصول المعارف فيما يعود إلى المبدأ والمعاد وسر الحياة، إنها معرفة بأصل الوجود في البداية والختام، معرفة إجمالية عن الصفة، أما الكنه فغير مستطاع البتة، بعد كونها خارجة عن إطار حيطتنا و متعالية عن مدركات الأحاسيس.

إنه تعالى و تقدس، يوصف بتسع وتسعين صفة. ^١ فمدى معرفتنا بذاته المقدسة هي مفاهيم هذه الأوصاف على حد ترجمة الألفاظ، أما المعرفة بالكنه، فليس بإمكاننا لمكان التصور. وفي آيات من آخر سورة الحشر جاء ذكر عمدة هذه الصفات: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغُيُوبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الصَّوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ^٢.

ومنتهى معرفتنا بالله - جل ثناؤه - عن طريق هذه الصفات هو: أن الله تعالى متصف بأوصاف تحمل هذه العناوين في مفاهيمها الظاهرية. أما كيف الاتصاف؟ وهل هو على غرار اتصاف أحدنا بها؟ ولا شك أنه غير ذلك لأنه تعالى لا يشبه أحداً من المخلوقين في أي صفة من صفاته «كَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» ^٣ ومن تم لو كان الاتصاف على نحو اتصاف المخلوقين، فنفي الصفات عنه تعالى أولى. قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» ^٤ أي إن كان الاتصاف بهذا النحو الذي يتصف أحدنا به (على نحو المغايرة بين الموصوف والصفة) فهو يتنافى مع عقيدة الإخلاص في ذاته تعالى... وقد شرحنا هذه الناحية في مجاله المناسب.

وأما سر الخليفة فيمكننا المعرفة به من زاوية معرفة السر في خلقه الإنسان، خلق

١ - أوردها التصديق في كتاب التوحيد (ص ١٩٤ - ٢٢٠)، واقفيص انكاشاني في كتابه علم اليقين (ج ١، ص ٩٧ - ١٥٠)، وابن زهد التحلي في خاتمة كتابه عدة انداعي (ص ٢٩٨-٣١٢)، واتسيزواري في شرح الأسماء الحسنی، ومصباح التكفصي (ص ٣١٢-٣٤٧)، وازراي في شرح أسماء الحسنی (ص ١٥٢ - ١٥٣) وغير ذلك من الكتب المتخصصة لذلك.

٢ - الحشر ٥٩: ٢٦-٢٤.

٣ - نهج البلاغة، أولى خطبة.

٤ - الثوري ٤٢: ١١.

ليكون خليفة الله في الأرض، وخلق الأشياء لأجله: «يا ابن آدم، خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي». ^١ فإذا كانت الخليقة كلها إنما خلقت لتتجلى عظمة الرب تعالى، فهذا لا يكتمل بل لا يتحقق إلا بعد خلق الإنسان الذي هو مظهر تام لتجليه تعالى في الخلق. ومن ثم لما خلقه الله بآرك نفسه «فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ». ^٢ الأمر الذي تحقق مع مسيرة الحياة في وجه الأرض ولا يزال تتجلى قدرته تعالى الفائضة على يد هذا الإنسان الذي هو خليفة الله في الأرض. هكذا جاء وصف الإنسان في القرآن بما لم يأت في أي مكان.

القرآن واضح البيان

إذن فقد صحّ قوله تعالى: «هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ». ^٣ بيان مكشوف وواضح لائح لا غبار عليه ولا تعقيد. الأمر الذي يعمّ الأنواع الأربعة، فالنوعان الأولان بحقائق مفاهيمهما في وضوح بيان. والنوعان الأخيران حسب ظاهر التعبير اللائح. وبذلك تبين وهن ما زعمه أناس من صعوبة في فهم القرآن أو وعورة في بياناته الرشيدة، كلاً إلهياً وأهمته يرفضها واقع صراحة القرآن.

نعم هنا شيء، وهو أن لفهم القرآن شرائط طبيعية لا يمكن إنفاؤها والتي منها: معرفة لغة العرب المعاصرة لنزول القرآن... ومعرفة أسباب النزول... والإحاطة بأقوال السلف وما حققه الخلف... وغير ذلك مما هو مرتبط بجانب فهم كثير من الآيات الناظرة إلى عادات ورسوم جاهليّة كالفحها الإسلام، وكذا حلّ مشكل تعابير - لو لا معرفة شأن النزول - تبدو معقّدة في ظاهر الأمر وشرائط مشابهة ينبغي مراعاتها، على غرار سائر الكتب المتوقّفة فهمها على مقدّمات لا محيى عنها، وليس على الإطلاق.

١ - حديث قدسي، راجع: علم اليقين تصحّذ انكاشاني، ج ١، ص ٢٨١.

٢ - المؤمنون ٢٣: ١٤. ٣ - أن عمران ٨٣: ٢٣٨.

الوحي والقرآن

ظاهرة الوحي الوحي في اللغة:

الوحي: إعلامٌ سريعٌ خفيٌّ، سواء كان بإيماءٍ أو همسةٍ أو كتابةٍ في سرٍّ، وكلُّ ما ألقينته إلى غيرك في سرعةٍ خاطفةٍ حتى يفهمه فهو وحي، قال الشاعر:

نظرت إليها نظرةً فتحيّرت دقائق فكري في بديع صفاتها
فأوحي إليها الطرف أنني أحبها فأتّر ذاك الوحي في وجناتها

وقال تعالى عن زكريّا عليه السلام: «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا» أي أشار إليهم على سبيل الرمز والإيماء.

قال الراغب: أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمرٌ وحيٌ أي سريع. وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوتٍ مجردٍ عن التركيب، وبإشارةٍ ببعض الجوارح، وبالكتابة.^١

وقال ابن فارس: «و، ح، ي» أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك، فالوحي: الإشارة. والوحي: الكتاب والرسالة. وكلُّ ما ألقينته إلى غيرك حتى علمه فهو

وحي، كيف كان.^١

ولعل هذا التعميم في مفهوم الوحي - عند ابن فارس - كان في أصل وضعه، غير أن الاستعمال جاء فيما كان خفياً:

قال أبو إسحاق: أصل الوحي في اللغة كلها: إعلام في خفاء، ولذلك سمي الإلهام وحيًا.

وقال ابن بزري: وحي إليه و أوحى: كلمه بكلام يخفيه من غيره، و وحي و أوحى: أوماً. قال الشاعر:

فأوحى إلينا و الأنامل رسلها^٢

أي أشارت بأناملها.

ولعل الخفاء في مفهوم الوحي جاء من قبل اعتبار السرعة فيه، فالإيماءة السريعة

تخفى - طبعاً - على غير المومئ إليه. يقال: «ومئ وحي أي سريع». ومنه الوحا الوحا أي البدار البدار، يقال ذلك عند الاستعجال، ومنه الحديث: «وإن كانت خيراً فتوحه» أي

أسرع إليه. قال ابن الأثير: والهاء للمسكت.^٣

قال الزمخشري: وحي إليه و أومئ بمعنى، و وحيته إليه و أوحيت: إذا كلمته بما تخفيه عن غيره، و توحى أي أسرع، قال الأعشى:

مثل ربح المسك ذاك ريحها صبتها الساقى إذا قيل: توح^٤

الوحي في القرآن

واستعمله القرآن في أربعة معانٍ:

- ١ - نفس المعنى اللغوي: الإيماءة الخفية، وقد مر في آية مريم.
- ٢ - تركيز غريزي فطري، وهو تكوين طبيعي مجعول في جبلتة الأشياء، استعارة من

٢ - ندمان العرب، ج ١٥، ص ٢٨٠ و ٢٨١.

١ - معجم مقاييس اللغة، ج ٦، ص ٩٢.

٤ - أساس البلاغة، ج ٢، ص ٤٩٦.

٣ - النهاية، ج ٥، ص ١٦٣.

إعلام قولي لإعلام ذاتي، بجامع الخفاء في كيفية الإلقاء و التلقّي، فبما أن الوحي إعلام سرّي، ناسب استعارته لكل شعور باطني فطري. ومنه قوله تعالى: «وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا»^١ فهي تتهيج وفق فطرتها، وتستوحي من باطن غريزتها، مذللة لما أودع فيها من غريزة العمل المنتظم، ومن ثم فهي لاتحيد عن تلك السبيل.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: «وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ صَمَاءٍ أَمْرَهَا»^٢ أي قدر. وقد استوحي العجاج هذا المعنى من القرآن في قوله:

وحي لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات التثبت^٣

٣- الإهائم نفسي، وهو شعور في الباطن، يحس به الإنسان إحساساً يخفى عليه مصدره أحياناً، وأحياناً يلهم الله من اللذة. وقد يكون من غيره تعالى.

وهذا المعنى هو المعروف عند الروحانيين بظاهرة التنبؤ (التخاطر من بعيد) وهو خطور باطني أنني لايعرف مصدره. قالوا: إنها فكرة تنتقل من ذهن إنسان إلى آخر والمسافة بينهما شاسعة أو إلقاء روي من قبل أرواح عالية أو سافلة^٤ وقيل: إنها فكرة رحمانية توحيها الملائكة، تنفثها في روع إنسان يريد الله هدايته، أو وسوسة شيطانية تلتقيها بألسنة الجن لغرض غوايته.

ومن الإلهام الرحماني قوله تعالى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَاقِوَةٌ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ»^٥.

قال الأزهري: الوحي هنا إلقاء الله في قلبها. قال: وما بعد هذا يدل - والله أعلم - على أنه وحي من الله على جهة الإعلام، للمضمان لها «إِنَّا رَاقِوَةٌ إِلَيْكَ». وقيل: إن معنى الوحي هنا الإلهام. قال: وجائز أن يلقي الله في قلبها أنه مردود إليها وأنه يكون مرسلًا. ولكن

١- النحل ٦٨، ٦٩ و ٦٩.

٢- فصلت ٥٦، ٥٧.

٣- تبيان التفسير، ج ١، ص ٣٨٠.

٤- راجع: مطول الإنسان روح لاجمعة نزلون عبده، ج ١، ص ٥٤٢.

٥- القصص ٢٨، ٢٩.

الإعلام أبين في معنى الوحي هنا.^١

والشيخ المفيد رحمه الله أخذ الوحي هنا بمعنى الإعلام الخفي، وذلك في كتابه «أوائل المقالات». لكنه في كتابه «تصحيح الاعتقاد» جعله بمعنى رؤيا أو كلام سمعته أم موسى في المنام. وقال - بقصد إيضاح معنى الوحي - : أصل الوحي هو الكلام الخفي، ثم قد يُطلق على كل شيء قصد به إيفهام المخاطب على السر له عن غيره.^٢

وأما التعبير بالوحي عن وسواس الشيطان و تسويله خواطر الشر و الفساد فجاء في قوله تعالى: «وَكذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا»^٣ وقال: «وَالشَّيَاطِينُ لَمْ يُوْحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ»^٤ وينسره قوله: «مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ»^٥.

كما جاء التعبير عما يلقى الله إلى الملائكة من أمره لينفعلوه من فورهم بالوحي أيضاً في قوله تعالى: «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَاتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا»^٦.

وأما التعبير بالوحي عما يلقى الله إلى نبي من أنبيائه بواسطة ملك أو بغير واسطة لأجل تبليغ رسالة الله فهو معنى رابع استعمله القرآن وهو موضوع بحثنا في الفصل التالي.

الوحي الرسالي

«الوحي الرسالي» معنى رابع استعمله القرآن في أكثر من سبعين موضعاً، معبراً عن القرآن أيضاً بأنه وحي ألقى على النبي ﷺ: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ»^٧ «وَكذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا»^٨ «أَنْتَ مَا لَوْحِي

١ - تلمذ التعريب، ج ١٥، ص ٣٨١.

٢ - راجع: أوائل المقالات، ص ٣٩، وتصحيح الاعتقاد، ص ٥٦.

٣ - الأندام، ٦: ١١٢.

٤ - الأندام، ٦: ١١٢.

٥ - الناس، ١١٤: ٤-٦.

٦ - الأندام، ٦: ١١٢.

٧ - يوسف، ١٢: ٢.

٨ - التور، ٤٢: ٧.

إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ»^١

وظاهرة الوحي بشأن رسالة الله هي أولى سمات الأنبياء، امتازوا بها على سائر الزعماء و المصلحين أصحاب العبقريات الملهمين. ولم يكن النبي محمد ﷺ بدعاً من الرسل في هذا الاختصاص النبوي، ولا أول من خاطب الناس باسم الوحي السماوي، و من ثم فلاعجب في هذا الاصطفاء مادام ركب البشرية منذ بداية سيرها لم تزل يرافقتها رجال إصلاحيون يهتفون بهذا النداء الروحي، ويدعون إلى الله باسم الوحي وتبليغ رسالة الله.

«أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ»^٢

ودفعاً لهذا الاستنكار الغريب قال: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَنْبِيَاءِ وَعِيسَى وَإِيثُوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً. وَرَسُولاً قَدْ قُصَصْنَا عَنْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولاً لَمْ نَقْضِصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً. رَسُولاً مَبْشَرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً. لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَتَبَ بِاللَّهِ شَهِيداً. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً»^٣

والوحي الرسالي لا يعدو مفهومه اللغوي بكثير بعد أن كان إعلاماً خفياً، وهو اتصال غيبي بين الله ورسوله، يتحقق على أنواع ثلاثة، كما جاءت في الآية الكريمة: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^٤

فالصورة الأولى: اللقاء في القلب ونقش في الروح. والثانية: تكليم من وراء حجاب،

١ - التوبة: ٢٩، ٤٥.

٢ - يونس: ١٠، ٢٠.

٣ - التوبة: ٢٩، ٤٥.

٤ - التوبة: ١٠، ٢٠.

بخلق الصوت في الهواء بما يقرع مسامع النبي ﷺ ولا يرى شخص المتكلم ومن ثم شبه بمن يتكلم من وراء حجاب. والثالثة: إرسال ملك الوحي فيبلغه إلى النبي، إماماً عيناً يراه، أو لا يراه ولكن يستمع إلى رسالته.

إذن، فالفارق بين الوحي الرسالي و سائر الإيحاءات المعروفة هو جانب مصدره الغيبي اتصالاً بما وراء المادة. فهو إيحاء من عالم فوق، الأمر الذي دعا بأولئك الذين لا يروقه الاعتراف بما سوى هذا الإحساس المادي أن يجعلوا من الوحي الرسالي سبيله إلى الإنكار، أو تأويله إلى وجدان باطني ينتشي من عبقرية واجده، و سبغت عن ذلك في فصل قادم إن شاء الله.

ملحوظة: بما أن الوحي ظاهرة روحية فإنه بأي أقسامه إنما كان مهبطه قلبه الشريف (شخصيته الباطنة: الروح) سواء أكان حياً مباشراً من الله أم بواسطة جبرائيل. قال تعالى: «فَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالرُّوحِ الْأَمِينِ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ»^١ والقلب هو لب الشيء، وحقيقته الأصلية.

قال سيدنا الطباطبائي: «وهذا إشارة إلى كيفية تلقيه ﷺ القرآن النازل عليه، وأن الذي كان يتلقاه من الروح هي نفسه الكريمة من غير مشاركة الحواس الظاهرة التي هي أدوات لإدراكات جزئية خارجية... فكان ﷺ يرى شخص الملك ويسمع صوت الوحي، لكن لا يهذه السمع والبصر الماديين، وإلا لكان أمراً مشتركاً بينه وبين غيره، ولم يكن يسمع أو يبصر هو دون غيره. فكان يأخذه برحاء الوحي وهو بين الناس فيوحى إليه ولا يشعر الآخرون الحاضرون...»^٢

اللهم سوى ماورد بشأن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)، كان يرى ما يراه النبي ويسمع ما

١ - تكن لا يهذه الأذن اتعاديته وإلا تسمعه الآخرون أيضاً، بل بذلك تسمع أنذي يختص باطنه. قال تعالى: «فَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالرُّوحِ الْأَمِينِ عَلَىٰ قَلْبِكَ». البقرة ٢، ٩٧.

٢ - البقرة ٢، ٩٧.

٣ - الشعراء ٢٦، ١٩٣-١٩٤.

٤ - تفسير التميزان، ج ١٥، ص ٣٤٦. برحاء الوحي: شدة ألمه والإحساس بكرمه.

يسمعه إلا أنه ليس بنبي كما قال له الرسول.^١

وسياتي تفصيل أنحاء الوحي الرسالي وما كان يعرض له عند نزول الوحي.

التعريف بالوحي الرسالي

وبعد فيتلخص التعريف بالوحي الرسالي: في أنه عبارة عن اتصال روحي مباشر بين الملائكة الأعلى وشخصية الرسول الباطنة. وذلك لخصائص فيه أهلتها لهذا الاتصال الغيبي الفذ. ومن ثم أمكنته من مكاشفات روحية صاحبة يرى من خلالها ملكوت العلى رؤياً بالعيان من غير ما التباس ولا إيهام. ويفترق عن الإلهام بمعرفة مصدر الإيحاء معرفة صاحبة كالشمس اللانحة، على خلاف الإلهام الخافي مصدره على الشخص الملهم.

كما ويفترق عن الاستلهام النفسي بأن هذا انعكاس الخواطر النفسية المتركمة في النفس فتتجلى أحياناً وربما من غير شعور. على خلاف الوحي الرسالي المستلهم من خارج النفس، من الملائكة الأعلى من عند رب العالمين، معلوماً ذلك للنبي علماً قاطعاً لا يتردد ولا يشك فيما أوحى إليه أنه وحي السماء، ومن ثم لا يفرع ولا يترقع على ما سنفصل الكلام فيه.

وقفة عند مسألة الوحي

وبعد... فإن الوحي - الوحي الرسالي - في واقعه: اتصال روحي بما وراء المادة، يحصل للأنبياء بداعي الرسالة، فيحملون رسالة الله إلى الناس في وعي وأمانة وإخلاص. أما وكيف يحصل هذا الاتصال الروحي، وماهي مقوماته وماهي عناصره الأولية، فهذا أمر خفي علينا، نحن العائشين على الأرض، ولانملك سوى أحاسيس مادية ومعايير مادية، لا تمكنا فهم حقائق هي فوق المادة وما وراء المادة.

وهذا الخفاء من جهة قصورنا الذاتي، دعى ببعض المتشاكسين إنكار النبوات من

١ - نهج البلاغة، الخطبة القاصمة ١٩٢، ص ٢٠٦.

رأس، متدرّعين بحجة تباعد ما بين العالمين، العالم العلوي والعالم السفلي، ذلك ناصح بيضاء لطيف، وهذا منكدر ظلماء كثيف، وإذ لا رابط بين نور وظلمة، ولا صلة بين لطيف وكثيف، فلا علاقة تربط أحد العالمين بالآخر، لكن إذا ما عرفنا من هذا الإنسان وجوداً برزخياً ذا جانبيين، هو من أحدهما جسماني كثيف، وفيه خصائص المادة السفلى. ومن جانبه الآخر روحاني لطيف، وهو ملكوتي رفيع، لم يكن موقع لهذه الشبهة رأساً.

الإنسان وراء شخصيته هذه الظاهرة، شخصية أخرى باطنة، هي التي تؤهله - أحياناً - للارتباط مع عالم روحاني أعلى، إذ كان مبدؤه منه وإليه منتهاه: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» هذا هو واقع الإنسان الحقيقي، ذو التركيب المزدوج من روح وجسم، ومن تمّ فهو برزخ بين عالمي المادة وما وراء المادة، فمن جهة هو مرتبط بالسما، ومن أخرى مستوئق بالأرض. قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا» إلى هنا تكتمل خلقة الإنسان المادية، ثم يقول: «ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»^١ وهذا الخلق الآخر هو وجود الإنسان الروحي، وهو وجوده الأصيل. الذي أشارت إليه آية أخرى: «وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ»^٢ قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقًا وَخَلَقَ رُوحًا. ثُمَّ أَمَرَ مَلَكًا فَنَفَخَ فِيهِ...»^٣ فهذا هو الإنسان، مخلوق متركّب من جسم هو مادي، وروح هو لامادي، فبوجوده المادي خلق، وبوجوده اللامادي خلق آخر. وبوجوده هذا الآخر يستأهل للاتصال بالملا الأعلى، لا بوجوده ذلك المادي الكثيف.

نعم جاءت فكرة إنكار الوحي، نتيجة للنظرة المادية البحتة إلى هذا الإنسان، وهي نظرة قاصرة بشأن الإنسان، سادت أوروبا في عصر نشوء الفكرة المادية عن الحياة، والتي جعلت تتقدّم وتتوسّع كلما تقدّمت العلوم الصناعية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأخذت المقاييس المعنوية في الحياة تتدهور تراجعاً إلى الوراء. وكادت الموجة تطبق

١ - البقرة ٥، ١٥٦.

٢ - المؤمنون ٥٣، ١٦-١٤.

٣ - المسجدة ٧، ٩.

٤ - بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٤٢ ح ٥.

العالم أجمع، لولا أن انتهضت الفكرة الروحية في أمريكا ومنها سرت إلى أوروبا كلها فجعلت مسألة الوحي تحيي من جديد.

قال الأستاذ وجدي: كان الغربيون إلى القرن السادس عشر كجميع الأمم المتديئة يقولون بالوحي، وكانت كتبهم مشحونة بأخبار الأنبياء، فلما جاء العلم الجديد بشكوكه ومادياته، ذهبت الفلسفة الغربية إلى أن مسألة الوحي، هي من بقايا الخرافات القديمة، وتغالت حتى أنكرت الخالق والروح معاً، وعذلت ماورد عن الوحي في الكتب القديمة بأنه إما اختلاق من المتبناة أنفسهم لجذب الناس إليهم وتستخيرهم لمشيتهم، وإما هذيان مرضي يعتري بعض العصبيين، فيخيّل إليهم أنهم يرون أشباحاً، تكلمهم وهم لا يرون في الواقع شيئاً.

راج هذا التعليل في العالم الغربي، حتى صار مذهب العلم الرسمي. فلما ظهرت آية الروح في أمريكا سنة ١٨٤٦م وسرت منها إلى أوروبا كلها، وأثبتت الناس بدليل محسوس وجود عالم روحاني أهل بالعقول الكبيرة والأفكار الشاقبة، تغير وجه النظر في المسائل الروحانية، وحييت مسألة الوحي بعد أن كانت في عداد الأضاليل القديمة. وأعاد العلماء البحث فيها على قاعدة العلم التجريبي المقرر، لاعلى أسلوب التقليد الديني، ولا من طريق الضرب في مهام الخيالات، فتأدوا إلى نتائج، وإن كانت غير مآقرره علماء الدين الإسلامي، إلا أنها خطوة كبيرة في سبيل إثبات أمر عظيم كان قد أُحيل إلى عالم الأمور الخرافية^١.

جانب روحانية الإنسان

قلنا: إن موجة إلحادية لم تطل غير قرنين، كادت تطبق العالم المتمدّن، لولا أن قام في وجهها واقع الأمر، الذي تجلّى أخيراً على محيي العلم، فانتقاد له العلماء المحققون أجمع، ومن تم اندحرت تلك الفكرة الإلحادية، وتراجعت القهقري تراجعاً مع الأبد. غير أننا نجد أنفسنا في ضرورة النظر إلى أدلة أقامها فلاسفة قداما، ومحدثون، بشأن

١ - دائرة مدارف القرن العشرين، ج ١٠، ص ٧١٣.

إثبات النفس، أي وجود الإنسان الباطن، ليكون هذا الإنسان مزدوج الشخصية: روحاً وجسداً، ويكون هذا الأخير آلة لإرادته يسيّرهما وجود الإنسان الباطني، الذي هو وجود الإنسان الحقيقي الأصيل. وهذه النظرة المزدوجة إلى الإنسان كانت ولا تزال هي الفكرة السائدة عن الحياة، في الأوساط المتديّنة في العالم القديم، وتواصلت في سيرها حتى حيتت معالمها من جديد، وكانت الأديان السماوية كلها تؤيدها أيضاً وتجعلها الأساس لجميع تعاليمها وبرامجها في التشريع والعبادات.

وإليك بعض البراهين الفلسفية أو لا ممّا أقامها فلاسفة إسلاميون. وهي كثيرة ومتنوعة، اخترنا لك ما يلي، ثمّ نعبئها بأدلة حديثة جاء بها العلم التجريبي الحديث.

براهين فلسفية لإثبات النفس

جاءت الفلسفة العقلية بأدلة ضافية، تثبت وجود النفس بصورة واضحة، تكلم عنها الشيخ أبو علي ابن سينا في كتابيه «الشفاعة» و«الإشارات». ثمّ تكلم عنها غيره من فلاسفة إسلاميين، كابن رشد، ونصير الدين، والرازي، والنيسابوري، وابن حزم، وصدر المتألهين، والحكيم السبزواري، وأخيراً سيّدنا الطباطبائي. وغيرهم كثيرين. وإليك منها:

١ - الإنسان في كينونة ذاته

لهذا الإنسان وجود باطن، يدعى بالنفس، هو الذي يشكل كينونته الذاتية الثابتة، ويكون وجوده الأصيل الحقيقي، والذي لا يتغيّر مهما تغيّر هذا الجسد الظاهر. وهذا ما يجده كلّ إنسان من ذاته أنّه شيء وراء هذا الجسد. وتوضيحاً لهذا الجانب من وجود الإنسان الحقيقي نستوضح ما يلي:

❖ إنّنا نجد في كياننا الذاتي شيئاً نعبّر عنه بـ«أنا»، لا يمكننا التعبير عنه بغير هذا اللفظ، كما لا نستطيع التعبير بهذا اللفظ عن أي شيء سواه في وجودنا. حينما نقول: «أنا» نقصد من أنفسنا وجوداً باطناً هو الذي يشكل كينونتنا الذاتية،

لأشياء آخر سواه، فلا تعبر عن أي جارحة من جوارحنا أو أي عضو من أعضائنا الجسدية، بـ «أنا» سواء أكانت أعضاء داخلية كالقلب والكبد والمخ والمعدة وأمثالها، أو كانت أعضاء خارجية كالرأس واليد والرجل والبطن وأمثالها كل ذلك لا يصح التعبير عنه بـ «أنا» بل ولا عن الجسم كله.

نعم عندما نريد النفس والذات - وهو وجود باطن حقيقي أصيل - نقول: أنا.

فالإنسان في كينونة ذاته وجود آخر غير وجوده الجسدي الظاهر.

✽ الإنسان يسند جميع ما في وجوده الجسدي - سواءً كانت خارجية أم داخلية -

إلى نفسه، فيقول: رأسي، يدي، رجلي، قلبي، مخي، بدني، وهذا «المضاف إليه» في جميع ذلك، شيء وراء تلك «المضافات» كلها. الأمر الذي يدل على تباين ما بين الجسد وذلك الوجود الحقيقي الأصيل المنسوب إليه تلك الأشياء.

وأما إضافة النفس أو الروح إلى الذات: «نفسية»، «روحية» فهي من إضافة الشيء إلى

نفسه كما في «ذاتي» بشهادة الوجدان بعدم فهم تغاير ما بين المضاف والمضاف إليه في ذلك، على عكسها في إضافة أعضاء الجسد إلى النفس.

✽ الإنسان ينسب جميع أفعاله وتصرفاته وهكذا جميع حالاته وصفاته إلى نفسه،

يقول: تكلمت، تعلمت، أعطيت، أخذت، سافرت، ذهبت، بعث، اشتريت ...

لا يريد بذلك إسنادها إلى شيء من جوارحه، لا يريد أن لسانه هو الذي تكلم. أو قلبه

هو الذي تعلم. أو يده هي التي أعطت أو أخذت. أو رجله هي التي مشت أو ذهبت وإنما

يريد أنه بذاته فعل هذه الأمور، وكانت جوارحه آلات توصل بها إلى ما ربه وحاجاته.

فكل أحد يجد من نفسه وجوداً - وراء هذه الأعضاء الجسدية - هو الذي يفعل

ويتصرف وينسب إليه جميع حالاته وتقلباته.

✽ إننا نوجه الخطاب أو التكليف، وكل ما يستتبعه من مدح أو ذم أو تحسين أو تقييح،

وكذا كل أمر أو نهي أو بعث أو زجر، إلى الإنسان، لا نريد به جسده ولا شيئاً من أعضائه

وجوارحه، وإنما نريد بذلك ذاته ونفسه، وهو المقصود بقولنا: «أنت» لأشياء آخر.

وتسأل: من المخاطب بقولنا: أنت؟ ومن المأمور أو المنهي عندما نأمر أو نرجو؟
ومن الموجه إليه المدح أو القبح؟

لاشك أنه وجود الإنسان الحقيقي الثابت وهو ذاته ونفسه، ليس إلا.

✽ إن في وجود هذا الإنسان شيئاً لا يغفل عنه أبداً، وما عداه فإنه قد يغفل عنه أحياناً. الإنسان قد يغفل عن جسده وعن كل ما يتعلق بجسده من أعضاء وجوارح داخلية وخارجية، لكنه لا يستطيع الغفلة عن ذاته هو. فذاته متمثلة لديه في جميع حالاته وتقلباته. فوجود الإنسان الحقيقي هو ذاته - الذي لا يغفل عنه أبداً - لأجسده ولأعضاؤه - ممّا يغفل عنه أحياناً، لأن الذات - وهو حقيقة الشيء - هو الذي لا يغفل عنه وأما الذي يغفل عنه فيبدو أنه ليس من الذات الأصلية.^١

الأمر الذي يدل على أن وجود الإنسان الحقيقي شيء وراء الجسد، وهو ذاته ونفسه، لا شيء في وجود الإنسان يمكن التعبير عنه بالذات أو النفس سوى الروح، فهو وجود الإنسان الحقيقي الأصلية.

مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

٢ - الإنسان في صفاته وغرائزه

الإنسان يملك صفات وغرائز هي ثابتة له أو تبقى له طول الحياة، كما أن له صفات وحالات تتغير حسب تغير الأوضاع والأحوال. وأن صفاته الثابتة الغريزية صفات قائمة بنفسه ومن ثم فهي باقية مدى الحياة. وأما صفاته المتبدلة - وتسمى بعوارض - فهي قائمة بجسده، ومن ثم فهي متغيرة، الأمر الذي يدل على جانبين من وجود هذا الإنسان، وتوضيحاً لهذا الفرق بين نوعين من صفاته نشرح النقاط التالية:

✽ لا شك أن هذا الجسد، بما فيه من أجهزة وعداد وتلافيف وأعصاب وعروق،

١ - ومن هنا كان قولهم الصروف: «غير المتغول عنه غير المتغول عنه»، فتكون التغير الأوتوني أداة مدونة، لأنها حركات جزء الموضوع، والتغير الذاتية أداة ساد، محصنة، لأنها تساد، النسبة حينئذ، أي الذي لا يغفل عنه أبداً يختلف عن الذي يغفل عنه أحياناً.

وحتى العظام والغضاريف، في تغيير وتبدل دائم - ظاهرة الإحراق والتجويض - وقد قيل:
إنَّ جسم الإنسان يتبدل كلياً في كل سبع سنوات.

وهذا التغيير المستمر في جسم الإنسان يستدعي - طبعاً - تبدلاً في صفات وحالات قائمة بهذا الجسم. أمثال الصحة والمرض والسمن والهزال والقوّة والضعف والطفولة والشباب والكهولة والهرم.

لكن الإنسان يملك إلى جانب هذه الصفات والأحوال المتغيرة، صفات وخصائص ثابتة لا يعرضها أيّ تغيير أو تبدل رغم تبدل الجسم وتغييره، وهي صفات الحبّ والبغض والرغبة والرغبة، وملكات الكرم والبخل، والشجاعة والجبن، والسماحة والحسد، وماشاكلها من صفات ذاتية لا ترتبط مع الجسم أيّ ارتباط.

إذن فما هو المحلّ القائم به هذه الصفات الراسخة؟

لا شيء يصلح محلّاً لها سوى النفس «الروح»!

وهنا اعتراض معروف نتعرض له في الفصل القادم.^١

✽ الإنسان لا يزال ينمو ويستحكم قواه الجسدية إلى حدّ معين، ثم يقف في مستوى واحد، ومن بعده يأخذ في الهبوط والانتكاس تدريجياً، فهو إلى العقد الثالث من عمره - تقريباً - أخذ في النموّ الجسدي، وإلى العقد الخامس هو على مستوى واحد وبعده يأخذ في ضعف تدريجي. حتى إذا طعن في السن يتسرّع هبوطه ضعفاً فوق ضعف.

«الله الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيمُ».^٢

هذه طبيعة الإنسان الجسدية. وأمّا حياته العقلية فلا تتساوق مع ظاهرة الجسم في سرعة التبدل والتغيير، فهو لا يزال ينمو في قواه العقلية وتزداد حيويّة ونشاطاً عبر العقود الخمسة من عمره، فبينما الجسم أخذ في الهبوط التدريجي منذ العقد الرابع، وإذا بالجانب العقلي من الإنسان بعد، مستمرّ في طريقته إلى الكمال، الأمر الذي يدلنا على أنّ في وجود

١ - في ذيل التذييل الثاني من الأدلّة الحديثة الآية. ٢ - الروم، ٣٤، ٥٤.

الإنسان جانبين، هو من أحدهما أخذ في الهبوط ومن الآخر أخذ في الصعود. ذلك سائر في الاكتمال، وهذا راجع في طريقه إلى الانتكاس.

❖ قد يحصل نقص في عضو أو أعضاء من جسد الإنسان، فيصبح الجسم ناقصاً لامحالة، لكن هذا النقص الجسدي لا يؤثر نقصاً في ذات الإنسان، فهو هو بعد، على كماله الإنساني الأول، ليس الإنسان الذي فقد رجله أو يده أو عضواً آخر من جسده خارجياً كان أم داخلياً، إنساناً ناقصاً في إنسانيته، وإن كان ناقصاً في هيكله الجسدي. ومن هنا نعرف أن في وجود الإنسان شيئين: روحاً وجسداً، والنقص في أحدهما لا يؤثر نقصاً في الآخر.

وأما القولة المشهورة: العقل السليم في البدن السليم، فتعني: أن الآلة كلما كانت أسلم كان العمل لها أتم، نظراً لأن الروح يستخدم في فعالياته الحاضرة، آلات البدن مادام قيد هذا الجسد، فكلما كان البدن أكمل وأنشط كان العمل به أيسر وأتم.



٣ - الإنسان وظاهرة الإدراك

الإنسان في داخل وجوده ذو طاقة جبارة، تختلف تماماً عن قواه الجسدية المحدودة. إنه في جانب عقليته يذهب إلى أبعاد شاسعة لانهاية لها، ويتحلق في أجواء لأمد لها، كما وينطلق إلى ما وراء المادة وإلى آفاق واسعة، انطلاقة لاوقفة لها عند حد. إنه يدرك، وظاهرة الإدراك ذاته ظاهرة غير مادية، إذ لا يوجد فيها أي خاصية من خواص المادة إطلاقاً، إنها لا تقبل انقساماً إلى أبعاد ثلاثة. ولا تحمل ثقلاً ولا هي محدود بالجهات.

إنه يدرك، وقسم من مدركاته تفوق حدود المادة في جميع أبعادها ومميزاتها بصورة مطلقة: إنه يدرك معاني كلية ليست تتحقق خارجياً أبنة. إنه يفهم ملازمات عقلية، والملازمة ذاتها لا وجود لها سوى طرفيها الملازم والملازم. إنه يعلم بأمر غائبة عن الحس، ويفكر في شؤون ما وراء الإحساس.

وبكلمة جامعة: الإنسان يعرف، والمعرفة في كيان الإنسان ظاهرة غير مادية، في حين أن اللامادي لا يقوم بمادي، فأين محلها من وجود الإنسان؟ ونتيجة على ذلك نعترف - بالضرورة من بديهة العقل - أن وراء وجود هذا الإنسان الجسدي الظاهر، وجود آخر لامادي، هو «النفس» الذي تقوم به ظاهرة الإدراك، ومجال النفس أوسع من المادة بنسبة فائقة.

وتوضيحاً لهذا الجانب النفسي من ظاهرة الإدراك نقول:

قد تنعكس في ذهنية الإنسان - عندما يواجه منظرًا طبيعيًا - صورة منطبقة مع الواقع تمام الانطباق في جميع أبعادها وسماتها، من حركة ولون وزهور وأشجار، وجبال وأنهار، وأبعاد وأغوار. وتتجلى هذه الصورة بنفس الأبعاد والسمات كلما تذكرها، فيجدها حاضرة نفسه على مقاييسها الأولى... تلك ظاهرة التذكر، فيأثرى أين محلها الذي تقوم به؟

ونانية نقول: الإنسان يجد صورة المنظر كلما تذكرها بنفس الأبعاد والمقاييس والحركات والألوان، كأنه يشاهدها الآن، صورة طبق الواقع تماماً، إن هذه الصفحة التي تقع عليها هذه الصورة، وتسمى بصفحة الذهن صفحة ذات أبعاد توازي نفس أبعاد المنظر، حسبما يجدها الإنسان حاضرة نفسه الآن. أين تقع هذه الصفحة المتسعة من وجود الإنسان؟

إن جزيئات المخ، تنطبع عليها صور المحسوسات، لكنها في غاية الصغر. لا تناسب والأبعاد التي يجدها الإنسان عند التذكر.

إننا لانكر وجود جزيئات مخيئة تحتفظ في نفسها صور المشاهدات، لكن ذلك وحده ليس إدراكاً ولا تذكراً لأن هذه الصور موجودة، وهي مستمرة في وجودها حتى مع الغفلة، وتتجلى مع التذكر وعند التفات النفس. وهو إدراك متجدد للصورة بعد أن كان إدراكاً لذات الصورة.

لعلك تقول، إن تلك الصور المنطبقة على جزيئات المخ قد تبدو للنفس وقد تخفى

وبهذا تعلل ظاهرتي «التذكر» و«الغفلة»!

لكننا نساء! إذا كانت هذه الصور تبدو وتخفى، فتجاه أي شيء تبدو، وعن أي شيء تخفى؟ وهذه المقابلة بين أي شيء وشيء؟ وبعبارة أخرى إن هذه الصور تتجلى، لكنها لمن تتجلى؟ ومن المواجه له؟ لانسك أن المواجهة أمر قائم بجانبين، فإذا كانت الصور المنطبعة تشكل جانباً من هذه المواجهة، فأين الجانب الآخر المواجه له؟ نعم إن الصور المنطبعة على جزيئات المخ تتجلى أمام النفس، فالنفس شيء، وهذه الجزيئات شيء آخر. فالنفس وهو وجود الإنسان الباطن هو الذي يشكل الجانب الآخر من هذه المواجهة النفسية، والنفس هي التي تدرك تلك الصور متى تذكرتها، وهو إدراك متجدد وإن شئت فسمه التذكر.

إن جزيئات المخ أفلام تنعكس صورها على صفحة النفس الواسعة عند التذكر، وعندما تتجه النفس إلى ما خزنتها في آلة الإدراك. وبذلك تتحقق تلك المقابلة والمواجهة القائمة بطرفين.

فالصحيح: إن ظاهرة الإدراك والتذكر، ظاهرة نفسية، تقوم بنفس الإنسان، وهو وجود الباطن «الروح» ومن ثم لا توجد فيها خصائص المادة إطلاقاً، فلا محدودية ولا تراحم أبداً.

وأيضاً فإن الإدراك حكم للنفس: هذا ذاك أو ذاك هذا. وهذا يدلنا على أمرين: الأول: إن وراء هذه الصور المنتقشة على صفحة الضمير، وجود آخر هو الذي يحكم عليها بأن هذا ذاك أو ذاك هذا، وليس سوى النفس التي تحكم بذلك.

الأمر الثاني: إن الحكم ذاته بما أنه غير مادي - لعدم وجود خواص المادة فيه إطلاقاً - فإن الحاكم بذلك - وهو النفس - أيضاً غير مادي، بالمعنى المعروف للمادة. وذلك اقتضاءً للسنخية بين الأثر - وهو الحكم - والمؤثر - وهو الحاكم.

كما أن الإدراك يتعلق بأمور كلية هي ثابتة في صقع النفس لا تتغير ولا تتجدد، الأمر الذي يتنافى وظاهرة التغير والتجدد المستمرين في جميع جزيئات الجسم بصورة عامة.

وأخيراً فإن ظاهرة التذكّر ليست سوى إعادة لإدراك أمر سابق، كان موجوداً وهو مستمرّ، وليس إدراكاً لشيء جديد، وإن كان نفس الإدراك جديداً.
 إننا عندما نتذكّر شيئاً نجدّه عين ما وجدناه سابقاً، ومحفوظاً في خزانة الذهن، من غير ما تفاوت أو تغيير، فلو كان قائماً بغير النفس، أي بأجزاء هذا الجسم العنصري، لكان هذا المدرك - بالفتح - ثانياً غير المدرك أولاً، إذ لا شيء في الجسم إلا وهو آخذ في التبدّل والتغيّر لفترة محدودة، ولا سيما إذا كان التذكّر بعد أمد طويل.
 فإما أن نخطئ ذاكرتنا - التي حكمت بالعينية - أو نسلّم بلامادية ظاهرة الإدراك والتذكّر، الأمر الذي يجعل الأخير هو الصحيح، حيث كانت بداهة الوجدان هي المحكّمة في هذا الرفض أو القبول.

أدلة حديثة على وجود الروح

أما الفلسفة الحديثة فأخذت من الشغوق في علم الفزيولوجيا «علم وظائف الأعضاء»، براهين جلية على صحة وجود النفس وتمييزها عن الدماغ ووظيفته:
 أولاً: إنّ الأعصاب المنتشرة على سطح الجسم لا تؤثر فيها العوامل الخارجية على حدّ سواء، بل يقتضي لها مؤثّرات معينة لاهتزاز الألياف الدقيقة المؤنّفة منها. متلاً أنّ التأثيرات النظرية لافعل لها في عصب السمع وبالعكس. فإذا اتخذنا متلاً حاسة البصر موضوعاً لبحثنا نرى أنّ الحركة التوجّية في الأثير، بتأثيرها في شبكة العين، تحدث اهتزازاً في العصب البصري، وهذا الاهتزاز يمتدّ إلى الطبقة البصرية المستقرّة في وسط الدماغ ومن هناك يندفع إلى مركز الحواس، حيث ينتشر في القلالي الدقيقة، ويوقظ الخلايا العصبية المتعلقة بالتأثيرات البصرية. وعليه فكلّ نوع من التأثيرات الحسية تتفرّق ثمّ تتجمّع في مكان مخصوص من الدماغ وقد أثبت الشريح وجود أماكن معينة في الدماغ، ونواح محدودة يتجمّع فيها ويتكاثف ويتحوّل ما تنقله إليها الحواس من التأثيرات الخارجية. وقد قام علماء الفزيولوجيا ببعض امتحانات على الحيوانات الحيّة،

أظهروا بها أنهم بزعمهم عن هذه الحيوانات قطعاً أصلية من المادة المخيطة قد أفقدوها قوة إدراك التأثيرات النظرية أو السمعية. بل أثبت العلامة «شيف» بالامتحان، أن الحرارة ترتفع في جزء من أجزاء دماغ الكلب، نسبة لنوع التأثيرات الواصلة إليه من إحدى الحواس.

وإذا سألنا الماديين: كيف تتحول هذه الحركات الاهتزازية، بعد وصولها إلى مراكزها النسبية من الدماغ، إلى أفكار فهمية؟ فيجبونا: أن هذه الاهتزازات، حينما تبلغ القلبي الحسية من الدماغ يحدث فيها من رد الفعل ما يحدث في قلبي النخاع الشوكي!

لكن غير خاف على أحد ما يتم في حادث رد الفعل هذا، وهو: أن محركات الأعصاب الحسية تنقل إلى القلبي الدقيقة من النخاع الشوكي تهيجاً ينعكس إلى القلبي الغليظة، فتتهزأ له الأعصاب المحركة المناسبة لها، وعلى هذه الصورة يرتد الاهتزاز إلى نقطة مصدره تحت هيئة تأثير محرك. هذا شرح ما يحدث في ضفدعة قطع رأسها، ومع

هذا فتنتسج رجلها لدى مسيها بحامض يهيج.

والأمر نفسه يحدث في مؤثرات القلبي الحسية من الدماغ، أي أن القلية التشريحية عندما يبلغها الاهتزاز الخارجي تتصيب لدرجة ما وتنبيه حاسيتها الذاتية، و تفرغ القوة الكامنة فيها، ثم تمتد الحركة إلى ما جاورها من القلبي وتوظف القوة المضمورة فيها حتى تبلغ القلبي الغليظة وهذه تنقلها إلى المادة الرمادية ذات الأخاديد، من الدماغ، التي تقوي الاهتزازات، وتدفعها إلى الأعضاء تحت هيئة تأثير، أو بالأحرى: أمر محرك.

إننا نسلم مع ناكري النفس بكيفية مجرى الحس هذا، المعبر عنه بالاهتزاز العصبي، وبلوغه إلى الدماغ ثم ارتداده من هناك تحت هيئة أمر محرك، ولكن فات غرمانا حادث خطير جرى ما بين البلوغ والارتداد وهو «حادث الإدراك» أي دراية الشخصية الإنسانية بما حدث لها من الأمور الخارجية، لأن تلك الاهتزازات والتهيجات العصبية ما هي إلا حركات مادية تولد حركات أخرى، ولكنها لاتحدث إدراكاً وماتيجتها سوى أن تنبه القوة العاقلة لإدراك مصدر هذا التنبيه، وعلته وأثره. وبدون ذلك لا يكون للاهتزاز أو الحركة الخارجية أدنى مفعول في قوة النهم.

إنَّ القليّة العصبية المركّبة من كميات، متناسبة من الكوليستيرين والماء، والفسفور وحامض الأومينك... إلخ ليست بذاتها قوّة مدركة. والحركة الاهتزازية هي بذاتها حركة ماديّة محضة، فكيف يولد اهتزاز هذه القليّة العصبية وانتصابها إدراكاً؟

هذا ما عجز الماديون عن تبيانه، أمّا الفلاسفة الروحيون فيعلموننا بوجود شخصيّة عاقلة فينا، تدعى «النفس» تشبه بهذا الاهتزاز، إلى ما طرأ من الحوادث الخارجيّة وعندما يتم انتباهها هذا يحدث الإدراك!

ويؤيد ذلك بأجلى بيان، حادث «الذهول».

مثلاً عندما نكون مستغرقين داخل حجرتنا في عمل من الأعمال، فربّما نغفل عن سماع تكتكة الساعة، بل حتى عن طرق ناقوسها أيضاً، ومع هذا فإن اهتزازات الصوت تُثرت في عصب سمعنا وبلغت حتى الدماغ من دون أن نشبه لها. وما ذاك إلا لكون نفسنا مشغولة بأفكار أخرى لم تشبهه، ولا تُثرت فيها اهتزازات القلاهي الدماغية فلم يحصل الإدراك السمعي.

وبالاختصار نجد أن المادة هي بذاتها عديمة الاختيار، لا تولد شيئاً من تلقاء نفسها، والمادة الدماغية هي آلة لتبيان إحساسات النفس العاقلة، وأفكارها، فلا تعقل هي لما يصدر بواسطتها من التعبيرات الفكرية، كآلة الساعة مثلاً لا تدرك حركة الأوقات التي تشير إليها، كما لا تدرك قراطيس الكتاب الأفكار المسطرة عليها. «ومن زعم أن الدماغ يدرك الفكر، فهو كمن يزعم أن الساعة تدرك حركة الوقت، أو القراطيس يدرك معاني الكتابة!».

ثانياً: قرّر علماء الفزيولوجيا - إجمالاً - أن كل حركة تصدر من الإنسان أو الحيوان، يصحبها احتراق جزء من المادة العضوية. وكل فعل من الإرادة أو الحس يتأتى عنه فناء في الأعصاب، وكل عمل فكري ينتج عنه إتلاف في الدماغ.

وبكلمة جامعة: إنّه لا يمكن لذرة واحدة من المادة أن تصلح مرّتين للحياة، فعندما يبدو من الحيوان أو الإنسان عمل عضلي أو عقلي، فالجزء من المادة الحيّة التي صرفت

لعدور هذا العمل تتلاشى تماماً، وإذا تكرّر العمل فمادّة جديدة تصلح لعدوره ثانية وتالته وهلمّ جرّاً. وهذا الإتلاف هو بمناسبة قوّة الظهورات الحيويّة، فحيثما اشتدّ ظهور الحياة لزداد تلف المادّة الحيّة.

نعم هذا التلف الدائم يصحبه تعويض مستمرّ من المادّة المستجدة الداخلة في الدم بواسطة الهواء والمواد الغذائيّة.

وهذان العاملان - أي عامل الإتلاف وعامل التجديد - مرتبطان ببعضهما في الكائن الحي ارتباطاً لا ينفصم. وبالإجمال يمكن القول: إنّ الإتلاف شرط ضروريّ للتعويض. وهذا العمل الثاني - أي العمل التجديدي وهو عمل باطنيّ سرّي - لاظهور له في الخارج، في حين أنّ عوامل الإتلاف تبدو ظاهرة للعيان، فدعوها «ظواهر الحياة» وماهي إلا بوادر الموت، لأنّ ظهورها لا يتمّ إلا بإتلاف جزء من أنسجتنا العضويّة.

ينتج ممّا تقدّم: أنّ في وسط تنازع هذين العاملين، يتجدّد جسمنا مراراً عديدة في مدار الحياة. ويتمّ هذا التجديد على ما ارتأى الفيزيولوجي «موليشوت» في كلّ ثلاثين يوماً. أمّا «فلورنس» فيزعم أنّ ذلك لا يتمّ إلا في سبع سنين. وقد قام هذا العلامة بامتحانات على الأرانب أثبت فيها تجدد عظامها ذرّة فذرّة في مدّة محدودة.

وبعد فإنّ ناكري النفس يزعمون أنّ قوّة الذاكرة عبارة عن اهتزازات فسفوريّة تتحرّون في التلية العصبية من الدماغ بعد وصول التأثيرات الخارجيّة إليها!

فإن صحّ ذلك - وإذا تقرّر أنّ كلّ ما فينا من العظام والأنسجة العضليّة والقلالي العصبية تتلاشى وتتجدّد في مدّة معلومة لا تتجاوز السبع سنين - اقتضى لقوّة الذاكرة أن تتناقص فينا بالتدريج، إلى أن تتلاشى في كلّ سبع سنوات، وأن نضطرّ في كلّ سبع سنين إلى تجديد كلّ ما تعلمناه سابقاً، والحال أنّنا نشعر بأنّ الأمر ليس كذلك وأنّ تيار المادّة المتجددة فينا باتصال، لم تحدث أدنى تغيير في ذاكرتنا. وأنّ أموراً حدثت لنا أيام العبا تخطر على بالنا زمن الهرم.

وبالإجمال: كلّ ما فينا يؤيد ثبات شخصيتنا، وعدم تغييرها، رغماً عن استبدال كلّ

ذرات كياننا المادي.

وهذا دليل قاطع على وجود قوة روحية فينا تدعى «النفس» يقينها جوهرها البسيط من التحولات والتقلبات على المادة الهيولانية، وفيها ينطبع ذكر الحوادث الماضية والعلوم التي اكتسبناها بإجهاد العقل والفكر.

وقد يعترض البعض: بأن الخلايا المخيطة في تنقلات ذراتها تدريجياً، لعلها تنتقل ما عليها من صور ونقوش ذاكرية، إلى ذرات مستجدة، كما تنتقل قسماات الوجه وأوان منطبعة على ظاهر الجسد، وحتى الخال، إلى ذرات جديدة من البشرة، ومن ثم يبقى شكل الجسد ولون الخال طول الحياة، وبذلك يعلل - أيضاً - ظاهرة بقاء الذاكرة المنتقلة من ذرات فانية إلى ذرات مستجدة في المخ.

لكن فات هذا المعترض: أن المنتقل من الصفات الباقية، هي الطبيعية الناتجة من داخل الذات، لا العارضة التي طرأت من أحوال المحيط الخارج. مثلاً: لون الخال إنما يبقى، أي ينتقل من ذرات فانية إلى ذرات مستجدة، لأنه طبيعي ذاتي، فلا بد أن نفس الذرات التي كانت تشكل ظاهرة الخال في حالة سابقة، أن تبدل وتستجدد إلى ذرات أخرى تشكل نفس الظاهرة أيضاً. أما الصفات العارضة كاللون العارض من لمحة الشمس، فإنها تخص ذرات الجسم المواجهة للعوامل الأولى، فإذا فثبت تلك الذرات المواجهة تدريجياً، فإن اللون العارض أيضاً يذهب تدريجياً، ما لم تستجدد تلك العوامل الأولى.

وعليه فإن التي تودعها ذرات مخيطة فانية إلى ذرات مستجدة، هي صفات ذاتية كقابلية الانطباع والانتقاس والتلثي، أما نفس الصور والنقوش، فيما أنها صفات طارئة عليها، وليست ذاتية ناتجة من داخل الطبيعة، فلا بد أن تذهب تدريجياً مع فناء ذرات سابقة. ولا تعود باقية إلا مع إعادة العوامل الأولى. اللهم إلا أن نقول بأن النفس هي التي تكرر بقاء الصور على الذرات المستجدة، وهذا يلتم مع مطلوبنا في هذا البحث.

ثالثاً: منذ قرن ونيّف وجدت طريقة بحثية تؤيد وجود النفس بنوع حسي، وهي

طريقة «المغناطيسية الحيوانية» وفيها يشاهد انفصال الروح عن الجسد وقيامها بأعمال مدهشة تنبئ عن صحة وجودها الذاتي وصدور أعمال فكرية بمعزل عن الحواس.

إن المغناطيسية الحيوانية - على ما حدّد منشئها الحديث «انطونيوس مزمر» - هي عبارة عن سيال رقيق جداً ينبعث من جسم الفاعل في المغناطيسية إلى الشخص المنفعل، بواسطة إشارات وحركات، بل نظرة حادّة تصدر من الأوّل إلى الثاني.

إن هذه الظاهرة الروحية قديمة جداً، لكنّها كانت أو كادت تعدّ متأخراً من المعارف البائدة، حتى جاء العلماء الروحيون «فيسان» و«كرنيليوس» و«باراسلوس» ممّن عاشوا في القرن الرابع عشر والخامس عشر، فأحيوا هذا العلم الروحي من جديد ووضعوا له أصولاً وقواعد، نشرها فيما بعد «انطونيوس مزمر». ومن ثمّ شاع وذاع هذا العلم واعترف به العلماء جميعاً، فهو اليوم من الحقائق الراهنة التي تنمو وتزداد صيتاً وأعواناً. الأمر الذي لا يبقى معه شكّ في أنّ الإنسان في كينونته الباطنة وجوداً آخر، ذا طاقة جبّارة، يفعل بها أفعالاً يعجز عنها هذا البدن المادي. وتضعف عنها قواه الجسدية.

وقد جمع من هذه الظواهر وأسماها علماء قاموا بتحقيقها وتمحيصها، الأستاذ رؤوف عبيد في كتابه «الإنسان روح لا جسد» ثمّ فصلها في «مفصل الإنسان روح لا جسد» فراجع.

وظاهرة روحية أخرى: «تحضير الأرواح» جاءت أيضاً - في العصر الأخير - لتؤيد وجود الروح وراء هذه البدن العنصري المادي، ليكون الإنسان وراء وجوده الظاهر المحسوس، وجوداً آخر باطناً، ينفصل عنه أحياناً - في هذه الحياة - ونهائياً بعد الممات. وقد ظهرت آية ذلك لأول مرة في أمريكا سنة ١٨٤٦م، وسرت منها إلى أوروبا كلّها، و أثبتت بدليل علمي تجريبي وجود عالم روحي - وراء هذا العالم المادي - أهل بالعقول الكبيرة والأفكار الثاقبة، ومن ثمّ تغيّر وجه النظر في المسائل الروحانية، وحييت مسألة بقاء الروح بعد مفارقة الجسد من جديد بعد أن كانت في عداد الأخاليل القديمة. وأعاد

العلماء البحث فيها على قواعد العلم التجريبي الحديث، ووصلوا إلى نتائج هامة، كانت خطوة كبيرة في سبيل إثبات أمر عظيم كان قد أُحيل إلى عالم الخرافات.

تأسست في لندن من سنة ١٨٨٢م جمعية دعيت باسم «جمعية المباحث الروحية» تحت رئاسة الأستاذ جويك المدرس بجامعة كمبردج، وهو من أكبر العقول في إنجلترا. وعضوية الأستاذ السير أوليفر لودج الملقب بدارون علم الطبيعة، والسير وليم كروكس أكبر كيماوي الإنجليز، والأستاذين فردريك ميرس، وهودسون، المدرسين بجامعة كمبردج والأستاذ وليم جيمس المدرس بجامعة هارفارد بأمريكا، والأستاذ هيزلوب المدرس بجامعة كولومبيا، والعلماء الكبار: غارني وباريت وبودمور، والعلامة الكبير شارل ريشية المدرس بجامعة الطب الباريزية والعضو بالمجمع العلمي الفرنسي، والرياضي الكبير كاميل فلامريون الفلكي الفرنسي المشهور، وعدد كبير غيرهم من كبار علماء الأرض.

وكان الغرض من هذه الجمعية: البت في المسألة الروحية وتحقيق حوادنها بأسلوب النقد الصارم، والحكم بقبولها نهائياً في العلم إن كانت حقيقة أو تقرير إعادها عن العلم والفلسفة إن كانت من الأمور الوهمية.

فمضى على هذه الجمعية حوالي نصف قرن، حثقت في خلالها أوفاً من الحوادث الروحية، وعمدت من التجارب في النفس وقولها، ما لا يكاد يدرك، لولا أنه مدون في محاضر تلك الجمعية في نحو خمسين مجلداً ضخماً. فكان من ثمرات جهادها إثبات شخصية ثانية للإنسان، أي أننا أحياء مدركون في حياتنا الحاضرة، لا بكل قوى الروح التي فينا، بل بجزء من تلك القوى سمحت لنا بها حوائنا الخمس الفاصرة. ولكن لنا فوق ماتعطيه لنا حوائنا هذه حياة أرقى من هذه الحياة، لا تظهر بشيء من جلالها إلا إذا تعطلت فينا هذه الشخصية العادية بالنوم العادي أو النوم الصناعي المغناطيسي أو بالموت.

وقد سجل الأستاذ «فريد وجدي» شهادات ضافية من علماء كبار بهذا الشأن، في

دائرة معارفه،^١ والأستاذ «أمين الهلالي» في كتابه: المذهب الروحاني،^٢ والدكتور «رؤوف عبيد» في كتابه: الإنسان روح لاجسد،^٣ والأستاذ «جيمس آرثر فنديلاي» في كتابه: على حافة العالم الأثيري،^٤ وغيرهم كثيرون، فراجع.

فذلكة البحث

وخلاصة ما سبق من الأبحاث: إن الإنسان يملك في وجوده جانبين، هو من أحدهما جسماني، ومن الآخر روحاني، فلاغرو أن يتصل - أحياناً - بعالم وراء المادة ويكون هذا الاتصال مرتبطاً بجانبه الروحي الباطن. وهو اتصال خفي، الأمر الذي يشكل ظاهرة الوحي.

الوحي: ظاهرة روحية، قد توجد في أحاد من الناس، يمتازون بخصائص روحية تؤهلهم للاتصال بالملأ الأعلى، إما مكشوفة في باطن النفس أو قرعاً على مسامع، يحس به الموحى إليه إحساساً مفاجئاً يأتيه من خارج وجوده، وليس منبعاً من داخل الضمير، ومن ثم لا يكون الوحي ظاهرة فكرية تقوم بها نفوس العاقرة - كما يزعمه ناكرو الوحي - كلاً، بل إلقاء روحاني صادر من محل أرفع إلى مهبط صالح أمين.

قال تعالى: «أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ»^٥.

نعم شيء، واحد لا نستطيع إدراكه، وإن كنا نعتبره واقعاً حقاً، ونؤمن به إيماناً صادقاً، وهو: كيف يقع هذا الاتصال الروحي؟ هذا شيء - يخفى علينا إذا كنا نحاول إدراكه

١ - دائرة معارف: إثبات الروح بالبراهين التحليلية، مادة روح: ج ٤، ص ٣٦٤-٤٠٠، والوحي وفلسفة التروبي، مادة وحي، ج ١٠، ص ٧١٢-٧٢٠.

٢ - آداب الثاني: إثبات وجود النفس بالأدلة الطبيعية، ص ٣٦-٤٤، وآداب الثالث: إثبات خلود النفس بالحوادث الروحانية، ص ٦٢-٦٤.

٣ - مطول الإنسان روح لاجسد، الفصل التاسع، بين العقل والتمخ، ج ١، ص ٦٤٩-٦٨١.

٤ - الفصل الثالث، المادة والعقل، ص ٤٧-٥١، ترجمة أحمد فهمي.

٥ - يونس ١٠: ٢١.

بأحساسينا المادية أو نريد التعبير عنه بمقاييسنا اللفظية الكلامية، إنها ألفاظ وضعت لفناهم لاتعدو الحس أو لاتكاد. وكل ما باستطاعتنا إنما هو التعبير عنه على نحو التشبيه والاستعارة أو المجاز والكناية لا أكثر، فهو مما يدرك ولا يوصف، فالوحي ظاهرة روحية يدركها من يصلح لها. ولا يستطيع غيره أن يصفها وصفاً بالمكنه، ما عدا التعبير عنها بالآثار والعوارض هذا فحسب.

الوحي عند فلاسفة الغرب

أشرنا فيما سبق أن فلاسفة أوروبا بعد أن عادوا إلى الاعتراف بوجود شخصية باطنة للإنسان، تسمى بالروح، وعلّموا أنها هي التي كوّنت جسمه في الرحم وهي التي تحرك جميع عضلاته وأعضائه التي ليست تحت إرادته كالكبد والقلب والمعدة وغيرها، فهو إنسان بها لا بهذه الشخصية العادية... عادوا يخترقون أيضاً بالوحي، الوحي الذي يدعيه الأنبياء ملء كتبهم النازلة المنسوبة إلى السماء.

ولكن فسروه تفسيراً يختلف عما قرره علماء الدين الإسلامي - على ما سبق تعريفه بأنه إلقاء من خارج الوجود إما قذفاً في قلب أو قرعاً في سمع -.

قالوا: الوحي عبارة عن إلهامات روحية تنبعث من داخل الوجود، أي الروح الواعية هي التي تعطينا تلك الإلهامات الطيبة الفجائية في ظروف حرجة، وهي التي تنث في روح الأنبياء ما يعتبرونه وحياً من الله، وقد تظهر نفس تلك الروح المتنبئة وراء جسمهم، متجسدة خارجاً فيحسبونها من ملائكة الله هبطت عليهم من السماء، وما هي إلا تجلي شخصيتهم الباطنة، فتعلمهم ما لم يكونوا يعلمونه من قبل، وتهد بهم إلى خير الطرق لهداية أنفسهم وترقية أمتهم وليس بنزول ملك من السماء ليلقي عليهم كلاماً من عند الله.

هذا ما يراه العلم الأروبي التجريبي الحديث في مسألة الوحي.

ودليلهم على ذلك: أن الله أجل وأعلى من أن يقابله بشر أو يتصل به مخلوق، وأن الملائكة مهما قيل في روحانيتهم وتجردهم عن المادة فلا يعقل أنهم يقابلون الله أو

يستمعون إلى كلامه، لأنّ هذا كلّهُ يقتضي تحيّزاً في جانبه تعالى، ويستدعي عدم التنزيه المطلق اللائق بشأنه جلّ شأنه. ولأنّ الملائكة مهما ارتقوا فلا يكونون أعلى من الروح الإنساني التي هي من روح الله نفسه، فمنلهم ومنلها سوا.

وبهذه النظرية حاولوا حلّ ما عسى أن يصادفوه في بعض الكتب السماوية من أنواع المعارف المناقضة للمعلم الصحيح طبيعياً وإلهياً. فهم لا يقولون بأنّ تلك الكتب قد حرّفت عن أصلها الصحيح النازل من عند الله، ولكنهم يقولون بأنّ الشخصية الباطنة لكلّ رسول إنّما تأتي صاحبها بالمعلومات على قدر درجة تجلّيها وعبريّتها، وعلى قدر استعداده لقبول آثارها ومن تمّ قد تختلط معارفها العالية بمعارف باطلة آتية من قبل شخصيته العادية، فيقع في الوحي خلط كبير بين الغثّ والسمين، فتري بجانب الأصول العالية التي لم يعرفها البشر إلى ذلك الحين، أصولاً أخرى عامية اصطلاح عليها الناس إلى ذلك الزمان.^١

وبعد: فإذا ما أخضعتهم الحقيقة العلمية، على طريقة تجريبية قاطعة، بأنّ وجود الإنسان الحقيقي هو شخصيته الذاتية القابعة وراء هذا الجسد، وأنّه يبقى خالد بعد فناء الجسد، فما عساهم امتنعوا من الاعتراف بحقيقة الوحي كما هي عند المسلمين؟! لا شك أنّما وصلوا إليه خطوة كبيرة نحو الواقعية، لأنّزال نقدّها تنديراً علمياً، لكنّها بلا موجب توقّفت أثناء المسير ودون أن تنتهي إلى الشوط الأخير.

إنّ منار العلم وضوء الحقيقة قد هدياهم إلى الدرب اللائح، وكادوا يلمسون الحقيقة مكشوفة بعيان، فوجدوا وراء هذا العالم عالماً آخر مليئاً بالعقول. ووجدوا من واقع الإنسان شخصيّة أخرى وراء شخصيته الظاهرة؛ فهاتان متقدمتان أذعنوا لهما، وقد أشرفنا بهم على الاستنتاج الصحيح وصاروا منه قاب قوسين أو أدنى، لكنهم بلا موجب توقّفوا، وأنكروا حقيقة كانوا على وشك لمسها.

١ - راجع: دائرة معارف القرن العشرين، ج ١٠، ص ٧٦٥، فيما نقله عن العلامة «ميريس» - Myers من كتابه «الشخصية الإنسانية»، ص ٧٧ فما بعد.

فعلى ضوء هاتين المقدمتين، لا مبرر لعدم فهم حقيقة اتصال روحي خفي يتحقق بين ملاً أعلى وجانب روحانية هذا الإنسان. فيتلقى بروحه إفاضات تأتيه من ملكوت السماء وإشراقات نورية تشع على نفسه من عالم وراء هذا العالم المادي. وليس اتصالاً أو تقارباً مكانياً لكي يستلزم تحيزاً، في جانبه تعالى. وأظنهم قاسوا من أمور ذلك العالم غير المادي بمقاييس تخص العالم المادي. مع العلم أن الألفاظ هي التي تكون قاصرة عن أداء الواقع، وأن التعبير بنزول الوحي أو الملك تعبير مجازي، وليس سوى إشراق وإفاضة قدسية ملكوتية يجدها النبي ﷺ حاضرة نفسه، ملقاة عليه من خارج روحه الكريمة. وليست منبعثة من داخل كيانه هو.

هذا هو حقيقة الوحي الذي نعترف به، من غير أن يقتضي تحيزاً في ذاته تعالى. أما التعليل الذي يعللون به ظاهرة الوحي، فهو في واقع إنكار للوحي وتكذيب ملئوا للأنبياء بصورة عامة، كما هم فسروا معجزة إبراهيم الأكمه والأبرص بظاهرة الهينوتوزم (المغناطيسية الحيوانية) فجعلوا من المسيح ﷺ إنساناً مشعوذاً - حاشاه - يستغل من عقول البسطاء مجالاً متسعاً لرويح دعواته، باستاليب خداعة ينسبها إلى الباري، تعالى...

ونحن نقدر ساحة الأنبياء من أيّ مراوغة أو احتيال مسلكي، وحاشاهم من ذلك. وما هي إلا واقعية بنوا عليها دعوتهم الإصلاحية العامة، واقعية يعترف بها العلم سواء في مراحل القديمة أو الجديدة الحاضرة. إذن لا مبرر لتأويل ماجاء في كتب الأنبياء من ظاهرة الوحي، اتصالاً حقيقياً بمبدأ أعلى.

نعم: إن ما بقي بأيدي الناس من تراجم كتب منسوبة إلى الأنبياء السالفين، لم تبق سالمة من تناول أيدي المحرّفين، ومن تمّ ففيها من العتّ والسمن الشيء الكثير، ونحن نربأ بعلماء محققين أن يجعلوا من موضوع دراستهم لشؤون الأنبياء ﷺ تلكم التراجم المحرّفة.

أنحاء الوحي الرسالي

قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِنُبِّئِكَ أَنْ تَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً» أي إلهاماً وقذفاً في روعه، وهو إلقاء في الباطن، يحس به الموحى إليه كأنما كتب في ضميره صفحة لائحة، أو رؤياً في المنام «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» أي يكلمه تكليماً يسمع صوته ولا يرى شخصه، كما كلم موسى ﷺ بخلق الصوت في الهواء يخرق مسامعه، ويأتيه من كل مكان، وكما كلم نبينا ﷺ ليلة المعراج.

والتكليم من وراء حجاب كناية أو تشبيه بمن يتكلم محتجباً، أو المراد بالحجاب الحجاب المعنوي، لبعده الفاصلة بين كمال الواجب ونقص الممكن.

«أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً»: ملكاً من الملائكة «فَيُوحِي بِأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ» إما إلقاء على السمع أو تقرأ في التلبي «أَيُّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ»

«وَكَذَلِكَ» أي على هذه الأنحاء الثلاثة: إلهاماً وتكليماً وإرسال ملك^١ «أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً»: هي الشريعة أو القرآن «مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَأَنْتَ كُنْتَ لِي إِذْ يَدْعُو إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^٢

هذه أنحاء الوحي بوجه عام وبصورة إجمالية. أما بالنسبة إلى نبينا محمد ﷺ فكان يأتيه الوحي تارة في المنام، وهذا - أكثرياً - كان في بدء نبوته. وأخرى وحياً مباشراً من جانب الله، بلا توسط ملك. وتالفة مع توسط جبرائيل ﷺ. غير أن الوحي القرآني كان يخص الأخيرين إما مباشرة أو على يد ملك. وإليك بعض التفصيل:

١ - الرؤيا الصادقة

كان أول ما بدى به من الوحي الرؤيا الصادقة، كان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح - وهو كناية عن تشعشع نوراني كان ينكشف لروحه المقدسة، تمهيداً لإفاضة روح القدس عليه صلوات الله عليه وآله - ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء

١ - الثوري ٥٦: ٥٢

٢ - راجع: بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٤٦

يتحدث فيه،^١ الليالي أولات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمتلها،^٢ حتى فجأه الحق، وهو في غار حراء؛ جاءه الملك فقال: «اقرأ...»^٣

قال علي بن إبراهيم القمي: «إن النبي ﷺ لما أتى له سبع وثلاثون سنة، كان يرى في منامه كأن آتياً يأتيه، فيقول: يا رسول الله. ومضت عليه برهة من الزمن وهو على ذلك يكتبه، وإذا هو في بعض الأيام يرى عنما لأبي طالب في شعب الجبال إذ رأى شخصاً يقول له: يا رسول الله، فقال له: من أنت؟ قال: أنا جبرائيل أرسلني الله إليك ليأخذك رسولاً...»^٤

قال الإمام الباقر ﷺ: «وأما النبي فهو الذي يرى في منامه، نحو رؤيا إبراهيم ﷺ ونحو ما كان يرى رسول الله ﷺ من أسباب النبوة قبل الوحي، حتى أتاه جبرائيل ﷺ من عند الله بالرسالة...»^٥

قوله: «قبل الوحي» أي قبل الوحي الرسالي المأمور بتبليغه. لأن هذا البيان تفسير لمفهوم «النبي» قبل أن يكون رسولاً وهو إنسان أوحى إليه من غير أن يكون مأموراً بتبليغه. فهو يتصل بالملأ الأعلى اتصالاً روحياً، وينكشف له الملكوت كما حصل لنبينا ﷺ قبيل بعثته المباركة.

قال صدرالدين الشيرازي: «يعني أنه ﷺ اتصفت ذاته المقدسة بصفة النبوة وجاءته الرسالة من عند الله، باطناً ورسماً، قبل أن يتصف بصفة الرسالة أو ينزل عليه جبرائيل معاً محسوساً بالكلام المنزل المسموع. وإنما جاءه جبرائيل معاً حين جمع له من

١ - التحدث: التحدث. وهو التميل إلى التبليغ. كناية عن التبعذ الذي هو مطهرة للبعد. قال ابن هشام: تقول العرب: التحدث والتحدث، فيبدون انقاء من الماء. كما في حديث جده وأبي القبر. قال: وحدثنني أبو عبيدة أن العرب تقول: فم في موضع

ثم، راجع: التسمية، ج ١، ص ٢٥١. ٢ - التزود: استصحاب الزاد.

٣ - صحيح البخاري، ج ١، ص ٥٣ وصحيح مسلم، ج ١، ص ٩٧، وتاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٩٨.

٤ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٨٤، ج ١٤، ص ١٩٤، ج ٣٠.

٥ - التذافي، ج ١، ص ١٧٦، ج ٣، وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦٦، ج ٥٧.

أسباب النبوة ما جمع للأنبياء الكاملين، كإبراهيم، من الرؤيا الصادقة والإعلامات المتتالية بحقائق العلوم والإحياءات بالمعجزات. والحاصل: أن النبي ﷺ استكمل باطنه وسره قبل أن يتعدى صفة الباطن منه إلى الظاهر، فتصف الغالب بصفة القلب محاكياً له، والأول نهاية السفر من الخلق إلى الحق، والثاني نهاية السفر من الحق بالحق إلى الخلق». ١
 نعم ربّما كانت الرؤيا الصادقة سبيل الوحي إليه ﷺ فيلقى إليه العلم أحياناً في المنام. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «رؤيا الأنبياء وحي». ٢ ولكن لم يكن شيء من ذلك قرآناً، إذ لم يعهد نزول قرآن عليه في المنام. نعم وإن كان بعض رواه أسباباً لنزول القرآن، كما في قوله تعالى: «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالْحَقِّ لِنُدْحَلْنَ لِلسُّجْدِ الْحَرَامِ بِإِذْنِ اللَّهِ...» ٣ فقد رأى النبي ﷺ ذلك، عام الحديبية ٤ وصدقت عام الفتح. ٥ وكما في قوله: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ لِلذُّعُونَةِ فِي الْقُرْآنِ» ٦ فقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر، عن سعيد بن المسيّب، قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية على المنابر، فسأه ذلك، فأوحى الله إليهم: إنما هي دنيا أعطوها وهي قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا...» يعني بلاء للناس من تحتكم في يوم ربي

هذا... وقد ذكر بعضهم أن سورة الكوثر نزلت على رسول الله ﷺ في المنام، لرواية أنس بن مالك، قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغشى إنفاذه، ثم رفع رأسه متبهماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله ﷺ؟ فقال: أنزلت علي آفاسورة، فقرأ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ...» الخ. ٨

قال الرافعي: إنهم فهموا من ذلك أن السورة نزلت في تلك الإنفاذه، لكن الأشبه أنه

١ - شرح أصول الكافي، (صدر المتأخرين)، كتاب الحج، ج ٣، ص ٤٤٤.

٢ - أماني الشيخ الطوسي، ص ٢١٥، راجع: بحار الأنوار، ج ١١، ص ٦٤، ج ٤.

٣ - الفتح ٤٨، ٢٧.

٤ - وهي سنة ست من الهجرة.

٥ - وهي سنة ثمان.

٦ - الإسراء ١٧، ٦٠.

٧ - اندر المتثور، ج ٤، ص ١٩١، وجامع البيان، ج ١٥، ص ٢٧.

٨ - اندر المتثور، ج ٦، ص ٤٠١.

خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة عليه قبل ذلك، فقرأها عليهم وفسرها لهم. قال: وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتربه عند نزول الوحي - ويقال لها: برحاء الوحي - وهي سببته شبه العاص كانت تعرضه من ثقل الوحي.

قال جلال الدين: الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه، والتأويل الأخير أصح من الأول لأن قوله «أنفًا» يدفع كونها نزلت قبل ذلك، بل نزلت في تلك الحالة، ولم يكن الإغماء إغماء نوم بل الحالة التي كانت تعتربه عند الوحي^١ وأنف بمعنى: قبيل هذا الوقت. أقول: لا شك أن سورة الكوثر مكّية، وهذا هو المشهور بين المفسرين شهرة تكاد تبلغ التواتر. قالوا: نزلت بمكة عندما عابه المشركون بأنه أبترا لآعقب له، أو أنه مبتور من قومه منبوذ.

وهكذا لما مات ابنه عبدالله مشيت قريش بعضهم إلى بعض متباشرين، فقالوا: إن هذا الصابي قد بتر الليلة.

قال ابن عباس: دخل رسول الله ﷺ من باب الصفا وخرج من باب المروة، فاستقبله العاص بن وائل السهمي، فرجع العاص إلى قريش، فقالت له قريش: من استقبلك يا أبا عمرو وأنفًا؟ قال: ذلك الأبترا - يريد به النبي ﷺ - فأنزل الله - جلّ جلاله - سورة الكوثر، تسليّة لنفس نبيه الزكيّة.^٢

هذا وأنس عند وفاة النبي ﷺ لم يبلغ العشرين، إذ كان عند مقدمه ﷺ المدينة طفلاً لم يتجاوز التسع وقيل: ثماني سنوات، فكيف نثق بحديث منه يخالف إطباق الأئمة على خلافه، وأنها نزلت بمكة في قصة جازت حدّ التواتر؟!

الأمر الذي يرجح الوجه الأول من اختيار الإمام الرافعي، أو نجعل من رواية أنس حبلها على غاربها!

١ - الإفتان، ج ١، ص ٦٥-٦٦.

٢ - راجع: باب التفتون في أسباب النزول تيسوطي، ج ٢، ص ١٤٢؛ والتدبر المنثور، ج ٦، ص ٤٠١.

٣ - أسد القادسية، ج ١، ص ١٢٧.

نعم أخرج مسلم والبيهقي هذه الرواية من وجه آخر، ليس فيه «أنزلت علي». قال أغشى النبي ﷺ اغشاة ثم رفع رأسه فقرأ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ...» الخ ثم فسرها بنهر في الجنة. قال البيهقي: وهذا اللفظ أولى، حيث لا يتنافى وما عليه أهل التفاسير والمغازي من نزول سورة الكوثر بمكة.^١

٢- نزول جبرائيل

كان الملك الذي ينزل على النبي ﷺ بالوحي هو جبرائيل ﷺ فكان يلقبه على مسامحة الشريفة، فتارة يراه، إنما في صورته الأصلية - وهذا حصل مرتين - أو في صورة دحية بن خليفة. وأخرى لا يراه، وإنما ينزل بالوحي على قلبه ﷺ: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ»^٢.

قال تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ». جبرائيل. مثال قدرته تعالى «دُو مِرَّة» أي ذو عقلية جبارة «فَأَسْتَوَىٰ» استقام على صورته الأصلية. وهذا هو المرة الأولى في بدء الوحي «وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ»: سد ما بين الشرق والغرب «فَمَّا دَنَا فَتَدَلَّىٰ».

فجعل يشرب من النبي ﷺ «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ. فَأُوْحَىٰ» الله بواسطة جبرائيل «إِلَىٰ عَبْدِهِ» محمد ﷺ «مَا أُوْحَىٰ. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ»: فؤاد محمد ﷺ «مَا رَأَىٰ» فكان قلبه ﷺ يصدق بصره فيما يرى أنه حق «أَفَنكَارُونَكَ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ. وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ» مرة ثانية في مرتبة أنزل من الأولى «عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ. إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ»^٣ فكان الذي يراه حقيقة واقعة، ليس وهماً ولا خيالاً.

وقال: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ»: جبرائيل «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ فَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ»: محمد ﷺ «بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَءَاهُ»: رأى جبرائيل في صورته الأصلية «بِالْأُفُقِ

٢- الشعراء، ٢٦: ١٩٣-١٩٤.

١- التدرج المنثور، ج ٦، ص ٤٠١.

٣- النجم، ٥٣: ١٧٠.

للَّيْنِ» إشارة إلى المرّة الأولى أيضاً.

قال ابن مسعود، إن رسول الله ﷺ لم ير جبرائيل في صورته إلا مرتين، إحداهما أنه سأله أن يراه في صورته فأراه صورته فسد الأفق. وأمّا الثانية فحيث صعد به ليلة المعراج، فذلك قوله «وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى»^١.

والصحيح أن المرّتين كانت إحداهما في بدء الوحي بحراء. ظهر له جبرائيل في صورته التي خلقه الله عليها، ما تكأفق السماء من المشرق والمغرب، فتهيّبه النبي ﷺ تهيّياً بالغاً، فنزل عليه جبرائيل في صورة الأدميين فضمّه إلى صدره، فكان لا ينزل عليه بعد ذلك إلا في صورة بشر جميل.

والثانية كانت باستدعائه ﷺ الذي جاءت به الروايات: كان لا يزال يأتيه جبرائيل في صورة الأدميين. فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه مرّة أخرى على صورته التي خلقه الله، فأراه صورته فسد الأفق. فقوله تعالى: «وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى» كانت المرّة الأولى. وقوله «نَزَلَتْ أُخْرَى» كانت المرّة الثانية.^٢

قال رسول الله ﷺ: وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول.^٣
وقال الإمام الصادق عليه السلام: إن جبرائيل كان إذا أتى النبي ﷺ لم يدخل حتى يستأذنه، وإذا دخل عليه فقد بين يديه قعدة العبد.^٤

هذا... وكان جبرائيل - عندما يتمثل لرسول الله ﷺ - يبدو في صورة دحية بن خليفة الكلبي. وبتعبير أصح: يبدو في صورة شبيهة بدحية. كما جاء في تعبير ابن شهاب: كان رسول الله ﷺ يشبه دحية الكلبي بجبرائيل، حينما يتصوّر بصورة بشر.^٥
وذلك لأن دحية كان أجمل إنسان في المدينة، كان إذا قدم البلد خرجت النسويات ينظرن إليه.^٦

١ - التكويم (٨١) ١٩-٢٤.

٢ - مجمع البيان، ج ٩، ص ١٧٣ و ١٧٥ و ج ١٠، ص ٤٤٦، والتصانيف في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٦١٨.

٣ - صحيح البخاري، ج ١، ص ٢.

٤ - كمال الدين، ص ٨٥.

٥ - الاستيعاب بهامش الإحصاء: ج ١، ص ٤٧٤.

٦ - الإحصاء، ج ١، ص ٤٧٣.

والسبب في ذلك: أن جبرائيل كان حينما يتمثل بشراً، يتمثل بصورة إنسان خلقة الله على الفطرة الأولى، والإنسان في أصل خلقته جميل، فكان يتمثل جبرائيل في أجمل صورة إنسانية. وبما أن دحية كان أجمل إنسان في المدينة، كان الناس يزعمون من جبرائيل - وهو يتمثل بشراً - أنه دحية الكلبي، ومن تم كان العكس هو الصحيح. قال رسول الله ﷺ: كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي، وكان دحية رجلاً جميلاً. والظاهر أن الجملة الأخيرة هي من كلام أنس، راوي الحديث أي على صورة تشبهها صورة دحية. وكان الصحابة يزعمونه دحية حقيقة، ومن تم نهاهم رسول الله ﷺ أن يدخلوا عليه إذا وجدوا دحية عنده. قال: إذا رأيتم دحية الكلبي عندي فلا تدخلن علي أحد.^٢

وكان جبرائيل قد يتمثل للصحابة أيضاً بصورة دحية، كما في غزوة بني قريظة سنة خمس من الهجرة شاهده الصحابة على بغلة أيضاً.^٣

وشاهده أيضاً علي بن أبي طالب دفعات بمحضر النبي ﷺ وتكلم معه، والنبي ﷺ راقد.^٤ وأما نزول الملك عليه بالوحي من غير أن يراه فكثير أيضاً، إمام الفناء على مسامعه وهو يصغي إليه، أو إلهاماً في قلبه فيعيه بقوة. قال تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ»^٥

كان ﷺ في أوائل نزول الملك عليه بالوحي، يخشى أن ينوته اللنظ ومن تم كان يحرك لسانه وشفثيه ليستذكره ولا ينساه، فكان يتابع جبرائيل في كل حرف يلقيه عليه، فنهاه تعالى عن ذلك ووعد بالحنظ والرعاية من جانبه تعالى، قال: «لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ بِهِ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَةٌ وَقُرْآنُهُ فَإِذَا قُرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ»^٦ وربما كان ﷺ

١ - انصرد، واسد اقبية، ج ٢، ص ١٢٠.

٢ - بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٣٢٦، ج ٦٠، عن كتاب حجة التفصيل لابن الأثير.

٣ - سيرة ابن هشام، ج ٤، ص ٢٤٤.

٤ - بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ٤١٠، ج ٤٢، ص ٢٣١-٢٣٢، ج ٤٤، ومجمع البيان، ج ٨، ص ٣٥١.

٥ - الشعراء ٢٦، ١٩٤، ١٩٥.

٦ - القبلية ٧٥، ١٦، ١٩.

يقرأ على أصحابه فور قراءة جبرائيل عليه، وقبل أن يستكمل الوحي أو تنتهي الآيات النازلة، حرصاً على ضبطه وثبته، فنهاه تعالى أيضاً وقال: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزِلَ إِلَيْكَ وَحْيَهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً» فاطمأنه تعالى بالحفظ والرعاية الكاملة. فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبرائيل، استمع له، فإذا انطلق قرأه كما أقرأه. قال تعالى: «سَتَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى»^٢

وإشارة إلى هذا النحو من الوحي الذي هونكت في القلب قال ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي»^٣ وهو سواد القلب، كناية عن السر الباطن، والمقصود: روحه الكريمة.

٣ - الوحي المباشر

ولعل أكثرية الوحي، كان مباشراً لا يتوسطه ملك، على ما جاء في وصف الصحابة حالته ﷺ ساعة نزول الوحي عليه، كان ذا وطء شديد على نفسه الكريمة، يجهد من قواه وتعريه غشوة منهكة، فكان ينكس رأسه ويتراصد وجهه ويتصبب عرقاً، وتسطو على الحضور هيبه رهيبه، ينكسون رؤوسهم صموداً، من روعة المنظر الرهيب. قال تعالى: «إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ فَأَوْلاً قِيْلًا»^٤. قال الإمام الصادق ﷺ: كان ذلك إذا جاءه الوحي وليس بينه وبين الله ملك، فكانت تعصبيه تلك السبتة^٥ ويعشاه ما يعشاه، لثقل الوحي عليه. أمّا إذا أتاه جبرائيل بالوحي فكان يقول: هو ذا جبرائيل أو قال لي جبرائيل...^٦

قال الشيخ أبو جعفر الصدوق: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَكُونُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَيُعْمَى عَلَيْهِ وَهُوَ يَنْصَابُ عِرْقاً، فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا؛ أَمْرَكُمْ بِكَذَا وَنَهَاكُمْ عَنْ كَذَا. قَالَ: وَكَانَ يَزْعَمُ أَكْثَرَ مَخَالِفِينَا أَنْ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ نَزْوْلِ جِبْرَائِيلَ. فَسُئِلَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ ﷺ عَنِ الْعُشْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَأْخُذُ النَّبِيَّ ﷺ أَكَانَتْ عِنْدَ هَبْوِطِ جِبْرَائِيلَ؟ فَقَالَ: لَا، إِنَّ جِبْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أْتَى

٢ - الطهات، ج ١، ص ١٣٢.

١ - طه، ١٤، ١١٤.

٤ - الإحسان، ج ١، ص ١٢٩.

٣ - الأعراف، ٨٧، ٦.

٦ - هي إغماء تشبه النعاس.

٥ - التمزيل، ١٢٢، ٥.

٧ - محاسن ائمه، ج ١، ص ٦٩، ح ١٢١؛ وبخار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٧١، ح ٤٦.

النبي ﷺ لم يدخل حتى يستأذنه، وإذا دخل عليه فقد بين يديه قعدة العبد، وإنما ذلك عند مخاطبة الله عز وجل إياه بغير ترجمان وواسطة»^١

وفيما يلي أوصاف جرت على ألسنة الصحابة، يذكرون مشهوداتهم عن الحالة التي كانت تعثري رسول الله ﷺ ساعة نزول الوحي عليه:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نزلت على النبي ﷺ سورة المائدة، وهو على بغلته الشهباء، فثقل عليه الوحي حتى وقفت، وتدلى بطنها، حتى رأيت سرتها تكاد تمس الأرض، وأنمي على رسول الله ﷺ حتى وضع يده على ذؤابة شيبه بن وهب الجمحي...»^٢

وقال عبادة بن الصامت: «كان إذا نزل الوحي على النبي ﷺ كرب له وتربّد وجهه»^٣ وفي رواية: «نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم فلما سرى عنه رفع رأسه»^٤

وقال عكرمة: «كان إذا أوحى إلى رسول الله ﷺ وقد لُذ ذلك ساعة كهياة السكران»^٥ وقال ابن أروي الدوسي: «رأيت الوحي ينزل على النبي ﷺ وأنه على راحلته فترغو، وتقتل يديها حتى أظن أن ذراعها ينقصم، فربما بركت وربما قامت مؤتدة يديها حتى يسرى عنه، من ثقل الوحي وإياه ليتحدّر منه مثل الجمان»^٦

وقالت عائشة: «ولقد رأيت رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه لينفصد عرقاً»^٧ وقالت أيضاً: «إنه كان ليوحى على رسول الله ﷺ وهو على

١ - كمان الدين، ص ٨٥، وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦٠، ج ١٢.

٢ - تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٨٨، ج ٢، والذؤابة، شرح مقدم الترمذ.

٣ - الطبقات، ج ١، ص ١٣١، «كرب» - بانبناء تمجهون - أي انقبضت نفسه وتغيرت حالته. «تربّد» أي تغير لون وجهه إلى البهرة.

٤ - الطبقات، ج ١، ص ١٣١، «وقد» - بانبناء تمجهون - أي شفي عليه، وانمقوداً من غلبه انعاس فصار كهياة السكران.

٥ - الطبقات، ج ١، ص ١٣١، «ترغو» أي تضج وتكابد من شدّة الثقل. «تقتل يديها» أي تباعد بينهما. «ينقصم» أي ينكسر. «قامت مؤتدة» أي وقفت جامدة لاحرك لها، وثبتت قوائمها كأنها سدار انصهت في الأرض. «التمحدّر» الانصباب السريع. «الجمان» التوت، والواحدة: جمانة شبه بذون قطرات عرق جبينه الغليظ.

٦ - صحيح البخاري، ج ١، ص ٤، «النفصد» قطع العرق الذي ينصب منه آدم بتدقق، استعارة لكثرة انصباب عرقه الغليظ حين نزول الوحي.

راحلته فيضرب بجرانها»^١.

وقال ابن عباس: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي، يعالج من ذلك شدة، وألماً شديداً وثقلاً، ويتصدع رأسه»^٢.

وقال ابن شهر آشوب: وروى أنه كان إذا نزل عليه الوحي، نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم. ومنه يقال: برحاء الوحي^٣.

وروى ابن قسيم: «أنه ﷺ جاءه الوحي مرة، وفخذه على فخذه زيد بن ثابت فشلت عليه حتى كادت ترضها»^٤.

وروى صاحب المنتقى، قال: وفي الحديث المقبول أنه ﷺ أوحى إليه وهو على ناقته فبركت ووضعت جرانها بالأرض فماتستطيع أن تتحرك. وأن عثمان كان يكتب للنبي ﷺ وفخذه على فخذه عثمان فغشبه الوحي، فشلت فخذه على فخذه عثمان حتى قال: خشيت أن ترضها»^٥.

وأخيراً فقد وصف هو ﷺ نزول الوحي عليه بما يدهش:

سأله عبدالله بن عمر: هل تحس بالوحي؟ فقال: أسمع صلاصلا، ثم أسكت عند ذلك،

فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تنبض^٦.

وسأله الحارث بن هشام، قال: يا رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ فقال ﷺ:

«أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال»^٧.

١ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٧٨، وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ٤٤٦، ج ٤٠، «الجران» من التبرير مقدم عنقه. يقال: ألقى التبرير جرانه أي برك.

٢ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٤٦١، ج ١٤، عن المناقب، ج ١، ص ٤٤.

٣ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٤٦١، ج ١٤، والمناقب، ج ١، ص ٤٤-٤٣، التبرحاء: شدة الكروب والألم.

٤ - زاد المعاد، ج ١، ص ١٨.

٥ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦٣-٢٦٤، ج ٢٠، ص ٢٦٨ و ٢٦٩، ج ٣٢، وعثمان هذا هو ابن مظنون، كما جاء التصريح به في رواية عن الإمام الباقر ﷺ في كتاب سعد السعود، ص ١٢٤.

٦ - الإفتان، ج ١، ص ١٢٨، عن مسند أحمد بن حنبل، ٧ - سشرح هذا الكلام فيما نثبه عليه تالياً.

وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول^١ وهو أهونه علي^٢.
وتدبيراً على هذه الرواية - وهي متواترة إلى حد ما - يجب أن ننبه القارئ على نقاط هامة:

أولاً: صلصلة الجرس في هذه الرواية، كناية عن صوت متعاقب كصوت الناقوس المصلصل المجلجل، كان ﷺ يسمع صوتاً متداركاً كجملجة الناقوس، هو صوت الوحي المباشر، فكان ﷺ ينصت له بكل وجوده حتى يتلغاه كاملاً. وكان ذا وقع شديد على نفسه الكريمة. وهذا التعبير «صلصلة الجرس» يشي بشدة الوقع، حيث تتابع الصوت المتدارك يؤثر على حاسة السمع تأثيراً نافذاً في الأعماق، فكأنما يأخذ بلب القلب، أخذاً متواصلاً قوياً ومن ثم قال ﷺ: ظننت أن نفسي تقبض.

والظاهر أن هذه الصلصلة كانت تمهيداً لنزول الوحي عليه ﷺ كي يستعد لذلك الاتصال الروحي الشديد. ومن ثم قال: ثم نسكت عند ذلك، أي أنصت حيث الإشعار بنزول الوحي.

نعم كان للموحي ذاته دوي شديد بالغ الشدة، لم يكن يتحمله أهل السماوات العلى.
قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ في تفسير قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»^٣ «كان أهل السماوات لم يسمعوا وحياً في الفترة بين المسيح ﷺ وبعثة محمد ﷺ فلما بعث الله محمد ﷺ سمع أهل السماوات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا، فصعقوا أجمعين. فلما فرغ الله من الوحي، انحدر جبرائيل كلما مرّ بأهل سما، فزع عن قلوبهم، أي كشف عنهم تلك الغشية. فجعل بعضهم يقول لبعض: «ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق. وهو العلي الكبير»^٤.

وفي حديث ابن مسعود: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات صلصلة

١ - صحيح البخاري، ج ١، ص ٣، وانطبقات، ج ١، ص ١٢٢، وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ٤٦٠، وانصاف: صوت تداركاً لتحديد بعضه مع بعض.

٢ - هذه الزيادة جاءت في رواية أبي عوانة في صحيحه، راجع: فتح الباري، ج ١، ص ٤٠، والإيمان، ج ١، ص ١٢٩.

٣ - سبأ ٥٤، ٥٣ - ٤ - تفسير القمي، ج ٢، ص ٤٠٢.

كفصلصلة السلسلة على الصفوان - الحجر الأملس - فيفرعون»^١.

وقال ابن عباس: «كان إذا نزل الوحي كان صوته كوقع الحديد على الصفوان، فيصعق أهل السماء «حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» أي رفع عنهم الفزع «قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ» قالت الرسل ﷺ: «الْحَقُّ»^٢.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَ بِأَمْرٍ، تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، فَإِذَا تَكَلَّمَ أَخَذَتِ السَّمَاءُ رَجْفَةً شَدِيدَةً مِنْ خَوْفِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا سَجْدًا...»^٣.

وبعد... فلانكاد نستغرب من غشبية تعترى رسول الله ﷺ ساعة نزول الوحي عليه إذا كان أهل السماوات لا تتحمل وقع صوته المدهش.

ثانياً: هذا النمط من الوحي الشديد الواقع على نفسه الكريمة، كان يخص الوحي المباشر، كما تقدم حديثه. كما أن الرواية ذاتها تنفي بهذا التفصيل، حيث جعلت من النوع الأول مثل صلصلة الجرس، فكان صوت الوحي النازل عليه مباشرة. ومن ثم قال ﷺ: وكان أشده عليّ، وجعلت من النوع الثاني ما يكلمه الملك مشافهة فيعي ما يوحى إليه في حينه، لأنه ﷺ كان حينئذ في حالته العادية.

وزعم جلال الدين، أن النوعين اللذين أسارت إليهم الرواية: أحدهما ما كان الملك النازل بالوحي مختلفاً والآخر ما كان متمثلاً وهذا مخالف لما يفهم من الرواية ذاتها، كما نبه بذلك شيخنا الصدوق^٤ ومرّ في حديث الإمام الصادق ﷺ^٥.

ثالثاً: إن الجذبة الروحية القوية في الصورة الأولى ربما كانت توهم انفلات شيء من الوحي، حينما يفقد ﷺ وعيه الظاهر. لكنهم ﷺ تدارك هذا الوهم بأنه كان بعدما ينتشع غشوته يجد كل ما أوحى إليه حاضرة ذهنه الشريف، كما كتب في كتاب، ولم ينفلت منه

١ - الإيقان، ج ١، ص ١٢٧.
 ٢ - المصدر، ص ٢٣٦.
 ٣ - كمان الدين، ص ٨٥، وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦٠، ج ١٦.
 ٤ - الإيقان، ج ١، ص ١٢٨-١٢٩.
 ٥ - محاسن ائمه، ج ١، ص ٢٩، ج ١٢١، وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٧١، ج ٣٦.

شيء. وهذا معنى قوله ﷺ: «فيفقس عني وقد وعيت».

والسبب في ذلك: أن الوحي في صورة المباشرة كان يخالط به، ويتسرب إلى أعماق وجوده ﷺ بما أنفذه الله في قلبه الكريم «سُنِّرْتُكَ فَلَا تَنْسِي»^١.

وبهذا يتضح معنى الحديث الذي رواه ابن أبي سلمة عن عمته، أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «كان الوحي يأتيني على نحوين، يأتيني جبرائيل فيلقيني علي، كما يلقي الرجل على الرجل، أفذلك الذي يتفَلَّتْ مني، ويأتيني في شيء^٢ مثل صوت الجرس، حتى يخالط قلبي، فذاند الذي لا يتفَلَّتْ مني»^٣.

قوله ﷺ: فذلك الذي يتفَلَّتْ مني، أي الذي كان يكاد يتفَلَّتْ منه، لأنه كان سماعاً مباشراً من ملك الوحي، وسرعان ما ينسى الإنسان ما يسمعه من غيره إذا لم يعد وعياً. فهذا النمط من الوحي كان بمعرض النسيان وخوف التفَلَّتْ - كما هو شأن السماع المجرد إذا لم يتقيد بالكتابة في وقته - لأنه كان يتفَلَّتْ منه بالفعل. أمّا في صورة الوحي المباشر فحيث كان يخالط به وينفذ في أعماق قلبه الكريم، فلم يكن يخشى عليه التفَلَّتْ أصلاً. هذا وقد وقع بعض الباحثين، في خلط من هذا الحديث^٤ ورفضه آخرون. لكن المعنى على ما ذكرنا صحيح، توافقه سائر الأحاديث.

تجربة روحية

رأينا من المناسب أن نأتي هنا بذكر شاهد واحد من مئات الشواهد، والتي مرّت الإشارة إليها على صحّة وجود النفس، وأنّ للإنسان روحاً مستقلة عن الجسم، وهي لا تحلّ بانحلاله، ويمكنها الاتصال بعالم ما وراء المادة... وهي طريقة التنويم الصناعي أو التنويم المغناطيسي. وهذه التجربة حضرها الأستاذ الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني

١ - الأخرى ٢٠٨٧.

٢ - أي كما يلقي الرجل بكلامه على صاحبه. وهذا هو الصورة الثانية منّا تقدّم.

٣ - أي الوحي ذاته يأتيني بلا توسيط ملك. وهي الصورة الأولى منّا تقدّم.

٤ - التطبيقات، ج ١، ص ١٢٦. ٥ - فتح الباري، ج ١، ص ١٨.

سنة ١٣٥١ هجرية بالقاهرة مع حشد متقف، وشهد تقاضيلها بنفسه بمرأى الملاء ومسمع. وهذه التجربة أثبتت كيف يمكن التأثير على ذهنية الوسيط وتغيير عقيدته بنقل المنوم، فيوحي إليه وهو في حالة الإغماء، ويأمره بالاحتفاظ به إلى مدة كذا، ثم يوقفه وإذا بالذي أُوحي إليه حاضر ذهنه إلى تمام المدة:

قام المحاضر - وهو أستاذ في التنويم المغناطيسي - وأحضر الوسيط، وهو فتى فيه استعداد خاص للتأثر بالأستاذ، والأستاذ فيه استعداد خاص للتأثير على الوسيط، فالأول ضعيف النفس، والثاني قويها. نظر الأستاذ في عين الوسيط نظرات عميقة نافذة، وأجرى عليه حركات يسمونها سحبات، فمأهى الإلحظة حتى رأينا الوسيط يغط غطيظ النائم، وقد امتنع لونه، وهمد جسمه، وفقد إحساسه المعتاد، حتى لقد كان أحدنا يخزّه بالأبرة وخزات عدّة، ويخزّه كذلك ثان وثالث، فلا يبدي الوسيط حراكاً، ولا يظهر أي عرض لشعوره وإحساسه بها. وحينئذٍ كدنا أنه قد نام ذلك النوم الصناعي.

وهناك تسلط الأستاذ على الوسيط يسأله: ما اسمك؟ فاجابه باسمه الحقيقي، فقال الأستاذ: ليس هذا هو اسمك، إنما اسمك كذا (وافترى عليه اسماً آخر) ثم أخذ يقرر في نفس الوسيط هذا الاسم الجديد الكاذب، ويمحو منه أثر الاسم القديم الصادق، بواسطة أغاليط يلتفتها إياه في صورة الأدلة، وبكلام يوجهه إليه في صيغة الأمر والنهي، وهكذا أملى عليه هذه الأكذوبة املاء، وفرضها عليه فرضاً، حتى خضع لها الوسيط وأدعن.

ثم أخذ الأستاذ وأخذنا نناديه باسمه الحقيقي المرّة بعد الأخرى في فترات متقطعة، وفي أثناء الحديث على حين غفلة، كل ذلك وهو لا يجيب، ثم نناديه كذلك باسمه المصنوع فيجيب دون تردد ولا تلتم.

ثم أمر الأستاذ وسيطه أن يتذكر دائماً أن هذا الاسم الجديد هو اسمه الصحيح حتى إلى ما بعد نصف ساعة من صحوه ويقظته. ثم أيقظه وأخذ يتم محاضراته ونحن نشجأ الوسيط بالاسم الحقيقي فلا يجيب، ثم نفجوه باسمه الثاني فيجيب، حتى إذا مضى نصف الساعة المضروب عاد الوسيط إلى حاله الأولى من العلم باسمه الحقيقي...

قال الأستاذ الزرقاني: وبهذه التجربة ثبت لي ما قرب إلى الوحي فهماً عملياً، فالوحي اتصالٌ روحيٌّ يتأثر الموحى إليه بما يلقي إليه الموحى في حالة يتسلخ من الرسول ﷺ حالته العادية، ويظهر أثر التغيير عليه، ويستغرق في الأخذ والتلقي، وينطبع ما تلقاه في نفسه، حتى إذا انجلى عنه الوحي وعاد إلى حالته الأولى، وجد ما تلقاه ماثلاً في نفسه، حاضرٌ في قلبه، كما كتب في صحيفة فؤادة كتاباً.

ثم يقول: أظنُّ أن المخلوق يستطيع التأثير في نفس مخلوق آخر ذلك التأثير الغريب، ولا يستطيع مالك القوى والقدر أن يؤثر في نفس من شاء من عباده بواسطة الوحي؟ كلا تمّ كلا، إنه على كل شيء قدير.

أقول: ونحن إذ لانسلم بجميع التفاصيل التي جاءت بها طريقة التوهم المغناطيسي، ولانصدق بجميع مظاهرها بصورة مطلقة، إذ لاتخلوا أحياناً عن الشعوذة لكننا نعترف بصحتها وإمكانها في الجملة، ومن ثم فباستطاعة هذه الطريقة العلمية الحديثة المعترف بها إجمالياً، إثبات ظاهرة الوحي - ولو إجمالياً - وفي هذا كفاية على نحو الإيجاب الجزئي.

مركز تحقيقات كميتر علوم راسدي

موقف النبي من الوحي

هنا موضوعان لهما أهمية كبيرة بشأن رسالة الأنبياء وصدق دعوتهم إلى الله، لا بد من معالجتهما بصورة علمية مقبولة. وقد تكلم فيهما عامة أهل السنة بطريقة غير مألوفة، وربما لا يستسيغها العقل الفطري في شيء. أمّا علماءنا الإمامية فتكلموا فيهما بطريقة عقلية على أساس الاستدلال البرهاني مدعماً بالنقل المأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، الأول: كيف عرف النبي ﷺ أنه مبعوث؟ ولِمَ لم يشك في أن الذي أتاه شيطان، واضمان أنه جبرائيل؟

الثاني: هل يجوز على النبي ﷺ أن يخطأ فيما يوحى إليه، فيلبس عليه تخيلات

باطلة في نفسه تبدو له بصورة وحي، أو يلقي عليه إبليس ما يظنه وحيًا من الله؟
والأكثر في الموضوع الأول جعلوا من النبي ﷺ مرتاعاً في أول أمره، خائناً على نفسه من مس جنون، عائداً إلى أحضان زوجته الوفيّة، لتستجد هي بدورها إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، فيظمنه هذا بأنه نبي ويؤكد عليه ذلك حتى يطمئن ويستريح بالله.

أما الموضوع الثاني فقد أجازوا الإيليس أن يتلاعب بوحي السماء فيلقي على النبي ما يظنه وحيًا - كما في حديث الغرائيق - لولا أن يتداركه جبرائيل فيذهب بكيد الشيطان. وقد ذهب أئمة أهل البيت ﷺ في كلا الموضوعين مذهباً نزيهاً، وجعلوا من النبي ﷺ أكرم على الله من أن يتركه إلى إنسان غيره ولا يبير عليه الدلائل الواضحة على نبوته الكريمة في تلك الساعة الحرجة. كما لا يدع للشيطان أن يستحوذ على مشاعر نبيه الكريم: «وَاضِرٌ يُحْكِمُ رَبُّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ»^١.

هذا... ويجدر بنا ونحن نحاول تزييد جوارب رسول الله ﷺ مما ألقوه بكرامته، أن نتكلم في كلا المجالين بصورة مستوفاة، كلاً على حدة.

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم راسدي

المبوءة مقرونة بدلائل نبوة

يجب على الله - وجوباً منبجاً من مقام لطفه ورأفته بعباده - أن يقرن تبيينه إنساناً بدلائل نبوة لاتدع لمسارب الشك مجالاً في نفسه، كما أرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض، ليكون من الموقنين^٢. وكما «نودي يا موسى. إني أنا ربك»^٣ «يا موسى إني أنا الله العزيز الحكيم»^٤ «يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون»^٥.

هذا هو مقتضى قاعدة اللطف، وقد بحث عنها علماء الكلام^٦ وتلخص في تمهيد سبيل الطاعة. فواجب عليه تعالى أن يمهد لعباده جميع ما يقربهم إلى الطاعة ويبعدهم عن

١ - انظر ٤٨، ٥٢. ٢ - مقتبس من الآية ٧٥ من سورة الأنعام.

٣ - طه، ٤٠، ٤١، ٤٢. ٤ - انزل ٩، ٤٧.

٥ - انزل ٢٧، ١٠.

٦ - علم مشعر، عن الفلسفة التحكيمية، يبحث عن أصول التبدل والتعدا في ضوء النقل وإرشاد الشريعة.

المعصية. وهذا الوجوب منبعت من مقام حكيمته تعالى إذا كان يريد من عباده الانقياد، وإلا كان نقضاً لغرضه من التكليف. ومن ثمّ وجب عليه تعالى أن يبعث الأنبياء وينزل الشرائع ويجعل في الأمم ما ينير لهم درب الحياة، إما إلى سعادة فباختيارهم، أو إلى شقاء فباختيارهم أيضاً.^١

وطبقاً لهذه القاعدة لا يدع - تعالى - مجالاً لتدليس أهل الزيغ والباطل، إلا وينضحهم من فورهم «وَكُلُّ تَكْوَلٍ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوَالِ لِأَحَدِنَا مِنْهُ بِأَيْمِينٍ. فَمَنْ كَفَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ»^٢ فالحق دائماً يعلم ولا يعلى عليه، والحق والباطل كلاهما، على وضوح الجلاء، لا يكدر وجد الحق عبار الباطل أبداً: «بَلْ تَقْذِفْ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ»^٣ «إِنَّا كُنْصَرُ رُسُلِنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^٤ وهذا إنما هو نصر واعتلاء مبدئي، فالحق دائماً ظاهر منصور، وأن رسالة الأنبياء دائماً تكون هي الغالبة الظاهرة، «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا لِلرُّسُلِينَ. إِنَّهُمْ لَكُفْرٌ لِّلنَّصُورُونَ. وَلَئِن جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ»^٥ نعم «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا»^٦

قال الإمام الصادق عليه السلام: «أبَى اللَّهُ أَنْ يَعْرِفَ بِالْإِطْلَاقِ حَقًّا. أَيْ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الْحَقَّ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ بِالْإِطْلَاقِ لِأَنَّكَ فِيهِ. وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الْبَاطِلَ فِي قَلْبِ الْكَافِرِ الْمُخَالَفِ حَقًّا لِأَنَّكَ فِيهِ. وَلَوْ لَمْ يَجْعَلْ هَذَا هَكَذَا مَا عَرَفَ حَقٌّ مِنْ بَاطِلٍ».

وقال: «ليس من باطل يقوم بإزاء الحق، إلا غلب الحق الباطل. وذلك قوله تعالى: «بَلْ تَقْذِفْ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ»^٧.

هذا... وقد سأل زرارة بن أعين، الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن نفس الموضوع قال: قلت لأبي عبد الله: كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ممّا

١ - راجع: شرح تجريد الاعتقاد للأعلامه النجفي، ص ٢٢٤.

٢ - اتحافه، ٦٩، ٤٤-٤٦.

٣ - الأنبياء، ١٨، ٢١.

٤ - ظافر، ٤١، ٥١.

٥ - تصافات، ٣٧، ١٧١-١٧٣.

٦ - النساء، ٤٨، ٧٦.

٧ - الأنبياء، ١٨، ٢١. راجع: محاسن التبرقي، كتاب مصابيح نظم، ج ٢، ص ٢٥٤، ح ١٥٢.

ينزغ به الشيطان؟ فقال ﷺ: «إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً، أنزل عليه السكينة والوقار - أي الطمأنينة والاتزان الفكري - فكان الذي يأتيه من قبل الله، مثل الذي يراه بعينه»^١ أي يجعله في وضوح الحق، لا غبار عليه أبداً، فيرى الواقع ناصحاً جليلاً لا يشك ولا يضطرب في رأيه ولا في عقله. وقد أوضح الإمام ﷺ ذلك في حديث آخر، سئل ﷺ: كيف علمت الرسل أنها رسل؟ قال: «كشف عنهم الغطاء»...^٢

قال العلامة الطبرسي: «إن الله لا يوحى إلى رسوله إلا بالبراهين النيّرة والآيات البيّنة، الدالّة على أن ما يوحى إليه إنما هو من الله تعالى فلا يحتاج إلى شيء سواها، ولا يفرع ولا يفرق»^٣.

وقال القاضي عياض: «لا يصح - أي في حكمته تعالى، وهو إشارة إلى قاعدة اللطف - أن يتصوّر له الشيطان في صورة الملك، ويلبس عليه الأمر، لافي أول الرسالة ولا بعدها. والاعتماد - أي اطمئنان النبي - في ذلك دليل المعجزة. بل لا يشك النبي ﷺ أن ما يأتيه من الله هو الملك ورسوله الحقيقي إنما يعلم ضروري يخلقه الله له، أو برهان جلي يظهره الله ليدلّ لتتم كلمة ربّنا صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلمات الله»^٤.

إذن فلا بد أن يكون النبي ﷺ حين انبعاثه نبياً على علم يقين، بل عين يقين من أمره، لا يشك ولا يضطرب، مستيقناً مطمئناً بالله مرعياً بحماية الله تعالى ولطفه الخاص، منصوراً مؤيداً، ولا سيما في بدء البعثة فيأتيه الناموس الأكبر وهو الحق الصراح معانين مشهوداً، وهي موقعيّة حاسمة لا ينبغي لبني أن يتزلزل فيها أو يتروّع في موقفه ذلك الحرج العصيب: «إني لا يخاف لديّ المرسلون»^٥.

وأيضاً فإن النبي ﷺ لم يختره الله لنبوته، إلا بعد أن أكمل عقله وأدبه فأحسن تأديبه، وعرفه من أسرار ملكوت السماوات والأرض ما يستأهله للقيام بمهمّة السفارة

١ - تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠١، ح ١٠٦، وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦٢، ح ١٦.

٢ - بحار الأنوار، ج ١١، ص ٥٦، ح ٥٦. ٣ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٨٤.

٤ - انشأ بتعريف حقوق المصطفى، ج ٢، ص ١١٢. ٥ - انصاف، ص ١٠٧.

وتبليغ رسالة الله إلى العالمين، كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ولقد قرن الله به عليه السلام من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليده ونهاره...»^١ وقال الإمام العسكري عليه السلام: «إن الله وجد قلب محمد عليه السلام أفضل القلوب وأوعاها فاختاره لنبوته...»^٢ كما قال عليه السلام: «ولا بحث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته...»^٣

قال العلامة المجلسي: «منذ أن أكمل الله عقله، لم يزل مؤيداً بروح القدس يكلمه ويسمع صوته ويرى الرؤيا الصادقة، حتى بعثه الله نبياً رسولاً»^٤.

والدلائل على أنه عليه السلام منذ بدايته كان مورد لطفه تعالى وعنايته الخاصة كثيرة، وقد عرف قومه فيه النبوغ والجدارة الذاتية، ولمسوا فيه الصدق والأمانة والذكاء والفضيلة، فوجدوه مزيجاً من الاستقامة وحصافة العقل، حتى حُبب إلى الناس جميعاً ولتسبوه بالصادق الأمين، أميناً في رأيه، وأميناً في سلوكه.

وكان قبيل بعثته تظهر له علامات النبوة، فقد ظهرت آياتها قبل ثلاث سنوات من بعثته وهو في سن السبع والثلاثين - كما في رواية علي بن إبراهيم القمي -^٥ فكان يرى الرؤيا الصادقة، وكان يختلي بنفسه في غار حراء، متفكراً في أسرار الملكوت، متعمقاً في ذات الله متطلعاً سر الخليفة، حتى فجأه الحق وقد بلغ سن الأربعين. فقد كان مهتماً بنفسه لذلك، عارفاً بسمات أمر قد أشرفت طلائعه منذ حين.

وهكذا إنسان لا يفرح ولا يفرق ولا يظن بنفسه الجنة أو عارضة سوء، ليلتجأ إلى امرأة لا عهد لها بأسرار النبوات أو رجل كان حفظه من العلم أن قرأ كتاباً محرّفة وآثاراً بائدة، لم يثبت آنذاك أنه لمس حقائق ومعارف من الملك والملكوت كانت موجودة فيها لحدّ ذلك، غير ممسوخة عن فطرتها الأولى.

١ - نهج البلاغة، الخطبة القاصصة، ١٩٢، ص ٣٠٠.
 ٢ - التكافي الشريف، ج ١، ص ١٢-١٣.
 ٣ - المصدر، ص ١٨٤، ج ١٤، ص ١٩٤، ج ٣٠.
 ٤ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٠٥-٢٠٦، ج ٣٦.
 ٥ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٧٧.
 ٦ - هو: ورقة بن نوفل ابن عم خديجة.

على أن النبي محمد ﷺ كان أشرف الأنبياء وأفضل المرسلين وخاتم سفراء رب العالمين، فكان أكرم عليه تعالى من أن يتركه ونفسه يتلوّى في أحضان القلق والاضطراب، خائفاً على نفسه من جنون أو الاستحواذ على عقله الكريم - على ما جاءت في روايات آتية لاقيمة لها عندنا -.

إذن فقد كان موقف النبي ﷺ تجاه نزول الحق عليه - في بدء البعثة - موقف إنسان واع بجلي الأمر، عارف بحقيقة الحق النازل عليه، في اطمئنان بالغ وسكون نفس وانسراح صدر، لم يتردد ولم يشك ولم يضطرب، كما لم يفرع ولم يفرق. وسند ذكر قصة بدء البعثة على ما جاءت في روايات أهل البيت  وهي تشرح جوانب من موقف النبي ﷺ آنذاك ملؤها عظمة وإكبار وأبهة وجلال.

قصة ورقة بن نوفل

تلك كانت قصة البعثة، وفق ما جاءت في أحاديث أهل البيت، وهم أدري بما في البيت، وإليك الآن حديثاً آخر عن بعثة النبي محمد ﷺ على ما جاءت في روايات غيرهم:

روى البخاري ومسلم وابن هشام والطبري وأصراهم: «بينما كان النبي ﷺ مختلياً بنفسه في غار حراء إذ سمع هاتفا يدعو، فأخذه الروح ورفع رأسه وإذا صورة رهيبة هي التي تناديه، فزاد به النزوع وأوقفه الرعب مكانه، وجعل يصرف وجهه عما يرى، فإذا هو يراه في آفاق السماء جميعاً ويتقدم ويتأخر فلا تنصرف الصورة من كل وجه يتجه إليه. وأقام على ذلك زمناً، ذاهلاً عن نفسه، وكاد أن يطرح بنفسه من حائق من جبل، من شدة ما ألم به من روعة المنظر الرهيب. وكانت خديجة قد بعثت أثناءه من يلمس النبي ﷺ في الغار فلا يجده، حتى إذا انصرفت الصورة، عاد هو راجعاً، وقلبه مضطرب ممتلاً رعباً وهلعاً، حتى دخل على خديجة وهو يرتعد فرقاً كأن به الحمى، فنظر إلى زوجته نظرة العائد المستجد، قائلاً: يا خديجة: مالي؟! وحدثها بما رأى، وأفضى إليها بمخاوفه أن

تخدعه بعيرته. قال: لقد اشفت على نفسي، وما أراني إلا قد عرض لي^١ وقال: إن الأبعد - يعني نفسه الكريمة - لكاهن أو مجنون!

فرنت إليه زوجه الوفيّة بنظرة الإشفاق، وقالت: كلاً يا ابن عم، أبشر واثبت، والله لا يخزيك أبداً. فوالذي نفس خديجة بيده، إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتعين على الثواب، وما أوتيت بفاحشة قط. وهكذا طمأنته بحديثها المرهف.

ثم قامت بتجربة ناجحة: قالت: يا ابن عم، أستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك؟ قال: نعم. قالت: فإذا جاءك فاخبرني به. فجاءه الملك كما كان يأتيه. فقال رسول الله ﷺ: يا خديجة، هذا هو قد جاءني. فقالت: نعم، فقم يا ابن عم واجلس على فخذي اليسرى. فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها. فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحوّل واقعد على فخذي اليمنى، فتحوّل رسول الله ﷺ فجلس عليها. فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قال فتحوّل واجلس في حجرتي، فتحوّل وجلس في حجرها، ثم تحسّرت^٢ وأثمت خمارها، ورسول الله ﷺ جالس في حجرها. فقالت: هل تراه يا ابن عم؟ قال: لا. فقالت: يا ابن عم، أبشر واثبت، فوالله إنه لملك وما هو بشيطان.

ثم توكيداً لما استنتجته من تجربتها، انطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان متنصراً قارئاً للكتاب، فقصّت عليه خبر ابن عمها محمد ﷺ فقال ورقة: قدوس قدوس لأن كنت صدقتني يا خديجة، فقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى. فقولي له: فليثبت. وأنه نبي هذه الأمة. ولوددت أن أدرك أيامه فأؤمن به وأنصره. فعادت خديجة إلى رسول الله ﷺ وأخبرته بما قال، فعند ذلك اطمأن بالله، وذهبت روعته، وأيقن أنه نبي^٣. قلت: لا شك أن قصة ارتياع النبي ﷺ بتلك الصورة الفطرية، أسطورة خرافة حاكتها

١ - قال ابن الأثير: أي أصابني مس من الجن.

٢ - أي كثفت عن نفسها.

٣ - راجع: سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٥٢-٢٥٥؛ وصحيح البخاري، ج ١، ص ٣-٥؛ وصحيح مسلم، ج ١، ص ٩٧-٩٩؛ وتاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٩٨-٣٠٤؛ وجامع البيان، ج ٤٠، ص ١٦١؛ وحياة محمد لمحمد حسين هيكل، ص

عقول ساذجة، جاهلة بمقام أنبياء الله الكرام. ومن ثمّ فهي إزرار بشأنهم الرفيع، وحطّ من منزلتهم الشامخة، إن لم تكن ضععة بأقوى دعامة رسالة الله!

وَأولاً النبي ﷺ أكرم على الله من أن يرؤعه في ساعة حرجة هي نقطة حاسمة في حياة رسوله الكريم، هي نقطة تحوّل عظيم، من إنسان كامل كان مسؤول نفسه، إلى إنسان رسول هو مسؤول أُمَّة بأجمعها، كان قبل أن يصل إلى موقفه هذا العصيب، يسير قدماً إلى قمة الاكتمال الإنساني الأعلى، في سفرة خطيرة كان مبدؤها الخلق ومنتهاها الحقّ تعالى. فكان يسير من الخلق إلى الحقّ. والآن وقد وصل القمة، فعاد من الحقّ، حاملاً للحقّ، إلى الخلق.

فساعة البعثة هي الفترة الحاسمة، وهي الحلقة الواصلة بين السفرتين الذاهبة والراجعة، وهي موقف حرج، حاشا لله أن يترك حبيبه يكابد الأمرين حينما بلغ قمة اللقاء، والآن يريد أن يختاره رسولاً إلى الناس، فيتركه يتلوّى في هواجس خطيرة، ويرؤعه بتلك الصورة الفضيعة التي تكاد تذهب بنفسه الكريمة أو تستحوذ على عقله روعة المنظر الرهيب!!

ليس محمد ﷺ أكرم على الله من إبراهيم الخليل وموسى الكليم وغيرهما من أنبياء عظام، لم يتركهم في ساعة العسرة، ليبتجأوا إلى إنسان غيره، حاشاه من ربّ رؤوف رحيم!!

ثانياً: إننا لربما بعلماء - هم أهل تحقيق وتمحيض - أن يفضلوا عقلية امرأة لاشأن لها وأسرار النبوات، على عقلية إنسان كامل كان قد بلغ التمتّة التي استأهلتها لحمل رسالة الله. ثمّ تقوم هي بتجربة حاسمة يجهلها رسول ربّ العالمين. ليضمن إلى قولتها، أو قوله رجل كان شأنه أن كان قارئاً للكتب، وليس لذلك العهد كتب فيها حقائق ومعارف غير محرّفة قطعياً. ولم نعرف ما الذي وجدته رسول الله ﷺ في قولتهما فكان منشأ اطمئناؤه، لم يجدته في الحقّ النازل عليه من عند الله العزيز الحكيم!؟

١ - علي ما جاء في تعبير الفيلسوف الإلهي، اتحكيم صدرالدين التشيرازي تقدّم كلامه في «الترقيّة الصادقة».

ألم تكن الرؤيا الصادقة التي سبقت البعثة، ولم يكن تسليم الملك النازل عليه حينها؛ السلام عليك يا رسول الله. وتسليم الشجر والحجر كلما مرَّ بهما في طريقه راجعاً إلى بيت خديجة. ولم يكن عرفانه الذاتي الذي كان يتعمقه مدة اختلائه بحراء. كل ذلك لم يستوجب استيقانه بالأمر، ليستيقن من طمأننة امرأة أو رجل متعثر!! إن هذا إلا إزراء فظيع بمقام رسالة الله، إن لم يكن مساً شنيعاً بكرامة رسول الله ﷺ المنيع.

ثالثاً: اختلاف سرد القصة، بما لا يلتزم مع بعضها البعض، لدليل على كذبها رأساً. ففي رواية: انطلقت خديجة لوحدها إلى ورقة، فأخبرته بما جرى. وفي أخرى: انطلقت بي إلى ورقة وقالت: اسمع من ابن أخيك، فسألني فأخبرته، فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى. وفي ثالثة: ثقبه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالبيت فقال: يا ابن أخي، أخبرني بما رأيت وسمعت. فأخبره رسول الله ﷺ. فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنسبي هذه الأكمة. وإن أدركت ذلك لأنصرك الله نصرًا يعلمه. وفي رابعة: عن ابن عباس عن ورقة بن نوفل. قال: قلت: يا محمد أخبرني عن هذا الذي يأتيك، يعني جبرائيل عليه السلام فقال: يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ وباطن قدميه أخضر^١ وهذا ليس في روايات خديجة مع ورقة. على ما جاءت في الصحاح المتقدمة. وفي خامسة: إن أبا بكر دخل على خديجة، فقالت: انطلق بمحمد إلى ورقة، فانطلقا فقتلنا عليه...^٢

ثم لو صحّت القصة، فلماذا لم يؤمن به ورقة، حين ذلك وقد علم أنه نبيّ مبعوث؟! فقد صحّ أنه مات كافراً لم يؤمن به. قال سبط ابن الجوزي: هو آخر من مات في الفترة (السنوات الأولى بعد البعثة) ودفن بالحجون. قال: فلم يكن مسلماً. وهكذا روي عن ابن عباس: أنه مات على نصرانيته^٣. وقضية رؤيا النبي ﷺ: كان ورقة في ثياب بيض؛ أيضاً مكذوبة وسندها مقطوع. وإلا لسجل اسمه فيمن آمن به. قال ابن عساکر: لأعرف أحداً

١ - أسد الغابة، ج ٥، ص ٨٨ والرواية ضعيفة بروح بن سنان، ولم يذكر ابن عباس ورقة.

٢ - الإفتان، ج ١، ص ٧٦. ٣ - راجع: التسمية التحليلية، ج ١، ص ٢٥٠.

قال: إنه أسلم. ^١ هذا وقد عاش ورقة إلى زمن بعد البعثة، ذكر صاحب «الإمتاع»: أن ورقة بن نوفل مات في السنة الرابعة من المبعث. قال برهان الدين الحلبي: ويوافقه ما جاء في سيرة ابن إسحاق. وكذا ما عن كتاب الخميس. ^٢ فقد روي أنه مرّ ببلال وهو يعذب ^٣ قال ابن حجر: وهذا يدلّ على أنه عاش حتى ظهرت دعوتك ﷺ ودعا بلالاً فأسلم. إذن قليم بقي على كفره ولم يُسلم كما أسلم الآخرون؟ ولم لم ينصره كما نصره الآخرون؟ وقد خالف عهده كما جاء في الأسطورة.

الوحي لا يحدث التباساً

هذا هو الموضوع الثاني - فيما أشرنا سابقاً - النبي ﷺ لا يخطأ فيما يوحى إليه، ولا يلتبس عليه الأمر قط. النبي كان عندما يوحى إليه، يكشف عن عينه المغطاة، فيرى الواقعية فيما يتصل بجانب روحه الملكوتي، منقطعاً عن صوارف المادة، إنه ﷺ حينذاك يلمس تجليات وإشراقات نورية تغشاها من عالم الملكوت، لينصرف بكلّيته إلى لقاء روح الله وتلقّي كلماته، فيرى حقيقة الحق النازل عليه بشعور واع وبصيرة نافذة، كمن يرى الشمس في وضوح النهار، لا يحدث خطأ في إبصاره ولا التباساً فيما يعيه.

وهكذا الوحي إذ لم يكن فكرة تابعة من داخل الضمير، ليحدث الخطأ في ترتيب مقدمات استنتاجها، أو إبصاراً من بعيد ليتحتمل التباساً في الانطباق. ^٤ بل هي مشاهدة

١ - الإصابتة، ج ٢، ص ٢٣٣.

٢ - السيرة الحلبية، ج ١، ص ٢٥٠.

٣ - الإصابتة، ج ٣، ص ٢٣٤.

٤ - انخطأ إنما يحدث في مجازين: إما في مجال التفكير أو في مجال الإبصار الخارجي - مثلاً - وذلك لأنّ الاستنتاج تفكيري شرائط وأحكام، إذا ما أممها التفكير فموقع في خطأ التفكير، وكذلك إبصار العين الخارجية إذا كان من بعيد، فربما يقع انخطأ فيه من ناحية تطبيق ما عند النفس من مركّزات ومعلومات على خصوصيات براء موجودة في العين الخارجية، ذاتها إنما هو في هذا التطبيق انغمس، لا في العين المشاهدة. لأنّ الإبصار عبارة عن انطباق صورة الخارج - وهي واقعية لا تتغير - في الشبكية العصبية خلف بؤرة العين.

وهذه ظاهرة طبيعية تتحقّق ذاتياً إذا ما تحققت شرائطها، نعم كانت النفس هي التي تحكم على ما شاهدته العين بأنّه كذا وكذا، وانخطأ إنما هو في هذا التحكم، لا في ذلك الإبصار الطبيعي، إذن فيما أن الوحي خارج عن الأمرين، لا تفكير ولا إبصار من بعيد - مثلاً - وإنما هو نفس حقيقة حاضرة فلا موقع لخطأ فيه أصلاً.

حقيقة حاضرة بعين نافذة، فاحتمال الخطأ فيه مستحيل.

تلك طريقة علمية فلسفية^١ تهدينا إلى الاعتراف بعدم احتمال الوحي الخطأ أبداً. ومن ثم فإن شريعة الله النازلة على أيدي رسله الأئمة، مصونة عن احتمال الخطأ رأساً. وهناك طريقة أخرى عقلية تحتم لزوم عصمة الأنبياء، فيما يبلغون من شرائع الله، يفصلها علماء الكلام. وتتخلص في أن النبي المبلغ عن الله، يجب - في ضوء قاعدة اللطف - أن ينعم بصحة كاملة في أجهزة إحساسه، وسلامة تامة في قوى مشاعره، وفي مقدراته العقلية، فيكون مستقيماً في آرائه ونظرياته، معتدلاً في خلقه وسيرته، مستوياً في خلقته وصورته. وبكلمة جامعة: يجب أن يختار الله لرسائله إنساناً كاملاً في خلقه وخلقته. كي لا يتنفر الناس من معاشرته، ويطعنوا إلى ما يبلغه عن الله. وإلا كان نقضاً لغرض التشريع.

فالنبي ﷺ معصوم من الخطأ والنسيان، ولا سيما فيما يخص تبليغ أحكام الشريعة. وهذا إجماع من المسلمين ومن غيرهم من عقلاء أذعنوا برسالة الأنبياء. ولولا ذلك كان الالتزام بشرائع الدين سبهاً ياباه العقل^٢.

هذا مضافاً إلى ما عهد الله لبيته بالرعاية والحفظ: «سُقِرْتُكَ فَلَا تُنْسِي»^٣. كان ﷺ في بدء نزول القرآن، يخشى أن يفوته شيء، فكان يسأق جبرائيل فيما يلقي عليه كلمة بكلمة فهي عن ذلك: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ»^٤ «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً»^٥ قال ابن عباس: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبرائيل استمع له، فإذا انطلق قرأ كما قرأه،^٦ وأخيراً فإن قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^٧ ينقطع أي

١ - راجع: ما كتبه الأستاذ العلامة الطباطبائي بهذا التصدد في رسالة الوحي «وحي يا شعور مرموز»، ص ١٠٤.

٢ - راجع: مباحث العصمة من شرح تجريد الاعتقاد؛ التمساة الثالثة من المقصد الرابع من مباحث النبوة العامة، ص ١٩٤.

٣ - الأئمة ٨٧، ٦. - اقيامة ٧٥، ٦٦، ١٩.

٤ - طه ١٠٤، ١١٤. - ٥ - الطهيات، ج ١، ص ١٣٦.

٦ - الحجر ١٥، ٩.

احتمال الدس والتزوير في نصوص القرآن الكريم.
 وأما احتمال تلبس إبليس ليتدخل فيما يوحى إلى النبي ﷺ ويجعل من تسويلاته الشيطانية في صورة وحي ويلبسه على النبي ﷺ ليزعمه وحياً من الله، فهو أمر مستحيل، لأن الشيطان لا يستطيع الاستحواذ على عقلية رسل الله وعباده المكرمين: «إِنَّ عِبَادِي لَكُنْ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ»^١ ومتناف مع قوله تعالى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوَابِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ...»^٢ وقوله تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ»^٣ وقد قال الشيطان: «وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي»^٤ ومتناف مع قاعدة اللطف الآتفة، ومتناقض مع حكمته تعالى في بعث الأنبياء ﷺ في شرح سبق تفصيله.

نعم ذهب أصحاب الحديث من العائمة إلى إمكان استحواذ الشيطان على عقلية الرسول ﷺ كما جاءت روايتهم لتقصية الغرانيق، الأمر الذي نراه مستحيلاً إطلاقاً، ومن تم فهي أسطورة وضعها من يريد الإمتهان بمقام الرسالة، ليعبر بها على عقول البسطاء، فكانت غنيمة بأيدي أعداء الإسلام واليك نص الأسطورة ونقدها تباعاً:

أسطورة الغرانيق

روى ابن جرير الطبري بإسناد زعمها صحيحة، عن محمد بن كعب، ومحمد بن قيس، وسعيد بن جبير، وابن عباس، وغيرهم: أن النبي ﷺ كان في حشد من مشركي قريش، ببناء الكعبة، أو في ناد من أدينتهم. وكانت تساوره نفسه لو يأتبه شيء من القرآن يقارب بينه وبين قومه الألداء. إذ كان يتألم من مباحثتهم، وكان يرجو الائتلاف معهم مهما كلف الأمر. فلما نزلت عليه سورة النجم، فجعل يثلوها حتى إذا بلغ: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ

٢ - الحاقة: ٦٩، ٤٤-٤٥.

٤ - إبراهيم: ١٤، ٢٢.

١ - الإسراء: ١٧، ٦٥.

٣ - النجم: ٥٣، ٥٢، ٥١.

وَالْعَزَىٰ. وَمَنَاةَ الْفَالِغَةَ الْآخْرَىٰ»^١ التي عليه الشيطان: «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لمرتبجى»^٢ فحسبها وحياءً، فقرأها على ملاً من قريش، ثم مضى وقرأ بقية السورة. حتى إذا أكملها سجد وسجد المسلمون، وسجد المشركون أيضاً، تقديراً بما وافقهم محمد ﷺ في تعظيم آلهتهم ورجاء شفاعتهم. وطار هذا النبا حتى بلغ مهاجري الحبشة، فجعّلوا يرجعون إلى بلدهم مكة، فرحين بهذا التوافق المناجى. كما فرح النبي ﷺ أيضاً بتحقيق أميته القديمة على ائتلاف قومه.

ويقال: إن شيطاناً أبيض هو الذي تمثّل للنبي في صورة جبرائيل وألقى عليه تينك الكلمتين.

ويقال: كان النبي ﷺ يصلي عند المقام إذ نعس نعسة فجرت على لسانه هاتان الكلمتان من غير شعور بهما.

ويقال: النبي ﷺ هو الذي تكلم بهما من تلقاء نفسه حرصاً على ائتلاف قلوب المشركين. ثم ندم من فعله هذا الذي كان افتراء على الله!

ويقال: إن الشيطان أجبره على المنطق بهذا الكلام من الخ. ثم لما أمسى الليل أتاه جبرائيل، فقال له: أعرض عليّ السورة. فجعل النبي ﷺ يقرأها عليه حتى إذا بلغ الكلمتين قال جبرائيل: مه، من أين جئت بهاتين الكلمتين؟ فتندّم رسول الله ﷺ وقال: لقد افتريت على الله، وقلت على الله ما لم يقل!؟ فحزن حزناً شديداً، وخاف من الله خوفاً كبيراً.

ويقال: إن النبي ﷺ قال لجبرائيل: أنه أتاني آتٍ على صورتك فألقاها على لساني. فقال جبرائيل: معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا... فاشتد ذلك على رسول الله. فنزلت: «وَلَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ذَلِكَ لَسَأَلْتَهُمْ لَمَنْ سَأَلْتَهُمْ لَمْ يَكُنِ مِنْهُمْ مَن يَشْفَعُ لَكُمْ فَمَا عَلَيْكُمْ حُزْنٌ وَثَقِيلٌ»

١ - التجم ٥٣: ١٩-٢٠.

٢ - الغرائق: جمع الغرروق، وهو اسباب انزاع الأبيض، وفي الأصل: اسم تغير الماء (ماتن التحزين) وهو تشبيه أنهتة المشركين بطيور بيض متحلقة في أجواء السماء، كناية عن قربهم من الله.

لَقَدْ كَذَبْتَ تَزَكَّىٰ أَلَيْسَ لِي بِأَعْيُنٍ مُّسِيئَةٍ إِذَا لَأَدْفُنَاكَ ضِغْفَ الْحَيَاةِ وَضِغْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا^١.

فاشتمد حزن رسول الله ﷺ على هذه البادرة المباحثة، ولم يزل مغموماً مهموماً، حتى نزلت عليه: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^٢ وكانت تسليته لقلبه الحزين، فعند ذلك سرى عنه الهم وطابت نفسه.^٣

نقد الحديث سنداً

تلك أسطورة الغرائيق، مفتراة على النبي الكريم ﷺ وقد أولع المستشرقون والطاعنون في الدين الإسلامي الحنيف، بهذه الأسطورة المصطنعة وأذاعوها وأثاروا حولها عجاجة من القول البدي.^٤

في حين أنها أكذوبة منتحلة، صنعها قرائح القصاصين، ونسبها إلى بعض التابعين، ومن الصحابة إلى ابن عباس، ودلائل الكذب والافتراء بادية على محيائها القدر. أولاً: لم يتصل تسلسل سند الحديث إلى صحابي إطلاقاً. وإنما أسند إلى جماعة من التابعين ومن لم يدرك حياة رسول الله ﷺ وعليه فالحديث مرسل غير موصول السند إلى من شاهد القضية - فرضاً -.

وأما النسبة إلى ابن عباس فلا تغل عن غيرها، بعد أن كانت ولادة ابن عباس في السنة الثالثة قبل الهجرة، فلم يشهد القصة بتاتاً، وإنما نقلت إليه على النرض. فالرواية من جميع وجوهها غير موصولة الإسناد إلى شهود القصة لوصعت الواقعة. وقواعد فن التمهيص في إسناد الروايات تأتي جواز الاحتجاج بمنزل هذا الحديث المرسل.

١ - الإسراء ١٧: ٧٣-٧٤.
 ٢ - الحج ٢٢: ٥٢. وستنكلم عن الآيتين في نهاية المقال.
 ٣ - جامع البيان، ج ١٧، ص ١٣١-١٣٤؛ والتذرة الصغرى، ج ٤، ص ١٩٤ و ٣٦٦-٣٦٨؛ وفتح الباري، ج ٨، ص ٤٣٣.
 ٤ - انظر: تاريخ الشعوب الإسلامية تكارن بروكلمان، ص ٤٤.

هذا وقد شدَّ ابن حجر في قوله: فيها ثلاث مراسيل رجالها تقات على شرط الصحة. ثم أخذ يتهجم على من زعمها مختلفة، قائلاً: إذا كثرت الطرق وتباينت مخارجها، دلَّ ذلك على أنَّ لها أصلاً، قال: وتلك المراسيل يحتجُّ بها ولو عند من لا يحتجُّ بالمراسيل، لا اعتضاد بعضها ببعض.^١

أقول: وهل الكذبة إذا راجت تنقلب في ماهيتها وتصبح صادقة؟!.

ثانياً: شهادة جلِّ أئمة الحديث بكذب هذا الخبر، وأنَّ الطرق إليه ضعاف واهية، فهو فيما يشتمل عليه من السند أيضاً ساقط في نظر الفن.

قال ابن حجر نفسه: وجميع الطرق إلى هذه القصة -سوى طريق ابن جبير- إما ضعيف (يكون الراوي غير موثوق به أو مرمياً بالوضع والكذب) أو منقطع (أي كانت حلقة الوصل بين الراوي الأوَّل والراوي الأخير مفقودة)^٢ وسنذكر أنَّ بلا، طريق ابن جبير هو الإرسال والضعف أيضاً.

وقال أحمد بن الحسين البيهقي -كبير أئمة الشافعية، مشهوراً بدقَّة النقد والتمحيص-: «هذا الحديث من جهة النقل غير ثابت ورواته مطعون فيهم».^٣

وقال أبو بكر ابن العربي: «كل ما يرويه الطبري في ذلك باطل لأصل له»^٤ وصنَّف محمد بن إسحاق بن خزيمة رسالة، فنَّد فيها هذا الحديث الممتنع، ونسبه إلى وضع الزنادقة.^٥

وقال القاضي عياض: «هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أُلجَّ به وبمثله المفسرون والمؤرِّخون المولعون بكلِّ غريب، المتلقِّفون من الصحف كلِّ صحيح وسقيم. قال: وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلَّق بذلك الملحدون مع ضعف

٢ - المصدر.

١ - فتح الباري، ج ٨، ص ٤٣٣.

٤ - فتح الباري، ج ٨، ص ٤٣٣.

٣ - التكميل الكبير، ج ٤٤، ص ٥٠.

٥ - التكميل الكبير، ج ٤٤، ص ٥٠.

تقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته»^١.
 وأما طريق ابن جبير فذكر أبو بكر البرزاني أن هذا الحديث لم يسنده عن شعبة إلا أُمية
 بن خالد وغيره، يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن
 عباس. ثم يذكر شكّه في صحة الإسناد إلى ابن عباس أيضاً فيما لسند إلى ابن جبير.^٢ وأما
 طريق الكلبي إلى ابن عباس عن طريق أبي صالح فموهون بالاتفاق، قال جلال الدين
 السيوطي: هي أوهى الطرق.^٣

ثالثاً: اتفاق كلمة المحققين من علماء الإسلام قديماً وحديثاً، على أنه حديث
 مفترى وحكموا عليه بالكذب الفاضح، غير آبهين بجانب السند، متصل أم منقطع، صحيح
 أم سقيم، لأنه قبل كل شيء متناقض مع صريح القرآن الذي «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
 وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»^٤ وهادم لأقوى أسس الشريعة وأقوم دعائمته الرصينة.
 قال الشريف المرتضى: فأما الأحاديث المروية في هذا الباب فلا يلتفت إليها، من
 حيث أنها تضمنت ما قد نزهت العقول الراسخون عنه. هذا لولم تكن في نفسها مطعوناً
 ضعيفاً عند أصحاب الحديث. وكيف يجيز ذلك على النبي ﷺ من يسمع قول الله تعالى:
 «كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ»^٥ وقوله: «وَكُلُّكُمْ رُجُلٌ عَلَى غَلَبَةِ قَلْبِهِ»^٦ وقوله: «سَنُقَرِّبُكَ فَلَا
 تَمْنَى»^٧... ثم أخذ في توضيح الاستدلال.^٨

وقال الإمام الفخر: هذه رواية عامة المنسرين الظاهريين. وأما أهل التحقيق فيرونها
 باطلّة موضوعة، واحتجوا عليها بوجوه من العقل والنقل.^٩

وقال السيد الطباطبائي: الأدلة القطعية على عصمة النبي ﷺ تكذب متن الحديث،
 وإن فرضت صحة إسناده. فمن الواجب تزويد جانب قدسية النبي ﷺ عن أمثال هذه

١ - اشعراج ٢، ص ١١٧.
 ٢ - الإفتان، ج ٤، ص ٢٠٩.
 ٣ - التمرقان ٢٥، ص ٤٢.
 ٤ - الأعراف ١٨٧، ص ٦.
 ٥ - التهميز الكبير، ج ٢٢، ص ٥٠.
 ٦ - المصدر، ص ١١٨.
 ٧ - فضائل ٤٦، ص ٤٢.
 ٨ - الحاقة ٦٩، ص ٤٤.
 ٩ - تنزيه الأنبياء، ص ١٠٧-١٠٩.

الردائل التي تمس كرامة الأنبياء.^١

وتكلم القاضي عياض في تنفيذ هذا الحديث بوجوه عديدة اقتبسنا منها فصلاً في هذا العرض. وأخيراً أخذ الدكتور حسين هيكل في تنفيذ القصة بأسلوب حديث، لخصناه في نهاية المقال.

نقد الحديث مدلولاً

هذا الحديث، فضلاً عن سنده الموهون، فإن مضمونه باطل على كل تقدير؛ أولاً: مناقضته الصريحة مع كثير من نصوص القرآن الكريم في شتى الجهات. ثانياً: منافاته الظاهرة مع مقام عصمة الأنبياء، الثابتة بدليل العقل والنقل المتواتر والإجماع.

ثالثاً: عدم إمكان التناهد مع سائر آيات الميورة نفسها، لحناً وأسلوباً، بحيث لا يمكن التباس هذا الجانب على من يعرف أساليب الكلام الفصيح، وبالأحرى أن لا يلتبس الأمر على أفصح من نطق بالضاد، وعلى أولئك الحضور، وهم صناديد قريش وأفلاذ العرب. وتوضيحاً لهذه الجوانب الثلاث الخطيرة نستعرض مايلي:

١- مناقضته مع القرآن

إننا لثرباً بمسلم نابه - فضلاً عن ناقد خبير كابن حجر - أن يتسلم صدق هذا الحديث المنتعل، نظراً لما زعمه من صحة إسناده المراسيل، ثم لا يتدبر في منه الفساد، الظاهر التنافي مع كثير من نصوص الكتاب العزيز، وإليك طرفاً من ذلك:

١- تبدأ السورة بقوله تعالى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ».^٢

وهي شهادة صريحة من الله، بأن محمد ﷺ لا يضل ولا يغوى ولا ينطق إلا عن

٢- النجم ٥٣، ١، ٥.

١- تفسير التيزان، ج ١٤، ص ٤٣٥.

وحي من الله، يعلمه الروح الأمين.

فلو صح ما ذكره في رأس الآية العشرين، لكان تكذيباً فاضحاً لهذه الشهادة، وتغليباً لجانب الشيطان على جانب الرحمان، وهو القائل تعالى: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً»^١، والقائل: «كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْدِبَنَّ أُنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ»^٢.

فكيف - يا ترى - يتغلب إبليس على ضمان يضمنه الله تعالى، فيبطله صريحاً، قبل أن يفرغ من كلامه عزّ شأنه؟! وهل يتغلب ضعيف في كيدته على قوي في إرادته؟! وهل هذا إلا تهافت باهت، وكلام فارغ، لا يستطيع عاقل تصديقه!

ب - وأيضاً فإنه تعالى يقول: «وَكُلُّكُمْ قَوْلٌ عَلَيْنَا بِغَضِ الْأَقْوَابِ لِأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ»^٣ كناية عن أن أحداً لا يستطيع القول على الله، تليساً للحقيقة إلا ويهلكه الله من فوره. الأمر الذي تقتضيه حكمته تعالى، جرياً مع قاعدة اللطف، وقد سبقت الإشارة إليها.

أفهل ترى - بعد هذا التأكيد - يستطيع إبليس، وهو صاحب الكيد الضعيف أن يتقول على الله، ويلبس الأمر على رسول الله ﷺ بما يحسبه وحياً آتياً به جبرائيل الأمين؟! إذن فأين الضمان الذي ضمنه الله تعالى الغالب على أمره، وتعهده على نفسه في الآية المذكورة؟!

ج - وقال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^٤ فقد ضمن تعالى سلامة القرآن من تلاعب أيدي المبطلين، وحفظه عن دسائس المعاندين، أفهل يعقل - بعد ذلك - أن يترك إبليس وشأنه في سبيل التلاعب بالذكر الحكيم، فور نزوله على رسوله الكريم؟! وهل هذا إلا تهافت في الرأي، وإبطال لضمان الله؟! ومعه لا تبقى ثقة بما وعد الله المؤمنين من النصر والغلبة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!!

١ - التوبة: ٤٨، ٤٩.

٢ - التوبة: ٤٨، ٤٩.

٣ - الحجر: ١٥، ١٦.

٤ - الحاقة: ٤٤، ٤٥.

د- وقال تعالى: «إِنَّ لَيْسَ لَكَ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^١ وقال: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكُنْ بِرَبِّكَ وَكِيلاً»^٢ فكيف نجوز - بعد هذا الضمان الصريح المؤكد - أن يتسلط إبليس على أخلص عباد الله المكرمين، فيلبس عليه ناموس الكبرياء، وفي أمس شؤون رسالته المضمونة؟!
على أن القرآن يصرح: أن لاسلطة لإبليس على أحد إطلاقاً، سوى وسوسته الخداعة ودعوته إلى شرور، أمّا التدخل عملياً في شؤون الخلق أو الخالق، فهذا لاسبيل لإبليس إليه إطلاقاً، وقد حكى الله سبحانه عن لسان إبليس: «وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي»^٣.

٢- منافاته لمقام العصمة

قال القاضي عياض: «وقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة، أمّا تمثيه أن ينزل عليه مثل هذا، من مدح آلهة غير الله، وهو كثير، أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبهه عليه القرآن، حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي ﷺ أن من القرآن ما ليس منه، حتى ينسبه جبرائيل ﷺ وذلك كله ممنوع في حقه ﷺ. أو يقول النبي ﷺ ذلك من قبل نفسه عمداً، وذلك كثير، أو سهواً، وهو معصوم من هذا كله».

وقد قرّرنا بالبراهين والإجماع عصمته ﷺ من جريان الكفر على قلبه أو لسانه، لاعمداً ولا سهواً.

وأن يتشبه عليه ما يلقيه الملك ممّا يلقي الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو يتقول على الله ما لم ينزل عليه، وقد قال تعالى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوَابِ...
الآية»^٤ وقال تعالى: «إِذْ نَادَيْنَاكَ خَنِيفًا وَحَيَاةً وَضَعْفًا الْمَاتِ... الآية»^٥.

١ - التعل ١٦: ٩٩.

٢ - الإسراء ١٧: ٦٥.

٣ - الحاقة ٦٩: ٤٤.

٤ - إبراهيم ١٤: ٢٦.

٥ - الإسراء ١٧: ٧٥. راجع: التعل ٢، ص ١١٨ - ١١٩.

وأيضاً فلولا العصمة الملحوظة في أداء رسالة الله، لزلت الثقة بالدين، ولأخذت الشكوك مواضعها من أحكام وتكاليف وشرائع يبلغها النبي ﷺ عن الله تعالى!!
 وامتداداً لجانب عصمته ﷺ وأن لا سبيل لإيليس إلى شأن من شؤونه المعصمة بعصمة الله تعالى، قال: «من رأي فقد رأي فإن الشيطان لا يتمثل بي». ^١ وقد فهم العلماء من هذا الحديث قاعدة كلية: لا يستطيع إيليس التمثل بأي ولي من أولياء الله العباد المخلصين، وبالأحرى: عدم استطاعته التمثل بجبرائيل، ملك الوحي المقرب الأمين!!
 إذن فأنى لإيليس التلاعب بوحي السماء، أو أن ينتحل صورة رسول من رسل الله الأكرميين! كلاً، «لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّمُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ» ^٢.

٣- تهافته مع أي السورة

قال القاضي عياض - أيضاً: «ووجه ثان، وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً وذلك أن هذا الكلام لو كان - كما روي - لكان بعيد الالتئام، متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم، وكما كان النبي ﷺ ولا من بحضرة من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك. وهذا لا يخفى على أدنى متأمل، فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه» ^٣.

أنهال يتصور بشأن النبي محمد ﷺ وهو المعارف بمواقع الكلام، الناقد لأفصح أقوال العرب الفصحاء، أن يلتبس عليه شأن كلام ساقط، لا يتناسب وسائر جمل وآيات كانت تنزل عليه حينذاك؟! أم كيف ينسجم ما ذكره مع قوله تعالى: «إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» ^٤ أم كيف يفتتح المشركون - وهم أهل نقد وفضاحة - بتلك المعاملة المفضوحة: يفتنون مدح مشكوك، بذلك القدر الصارم، ليأخذوه تنارباً

١ - تصانيف، ج ٧، ص ٥٤.

٢ - صحيح مسلم، ج ٧، ص ٥٤.

٣ - انجم، ٥٣: ٢٤.

٤ - انجم، ج ٢، ص ١١٩.

مبدئياً بين إشراكهم والدعوة التي قام بها محمد ﷺ والتي قامت على محق الشرك وإخلاص الدين الحنيف. ولاسيما مع تعقيبها بقوله أيضاً: «وَكَمْ مِنْ مَلِكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تَغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً»^١ أفهل يلتزم هذا الكلام التوحيدى الخالص مع تلك الأكذوبة: «وإن شفاعتهن لترتجى»؟!

وأخيراً فلو صحّت الحكاية لشاعت وذاعت، ولأخذها المشركون مستمسكاً في وجه المسلمين طول الدعوة، ولم يصدقوا النبي ﷺ في دعواه النسخ مهما كلف الأمر. هذا في حين أن التاريخ لم يضبط من تلك الأقصوصة المتعلقة سوى حكايتها عن أناس تأخروا عن ظرفها بزمان بعيد ولم يسجل التاريخ من يقول: حضرته! الأمر الذي يجعلنا قاطعين بكذبها. ولعلها من الإسرائيليات المفصوحة التي نسجتها أيدي النكاة بالإسلام، في عهد سلطة المظالم على أرجاء البلاد الإسلامية، في ظل حكومة بني أمية أعداء الدين والقرآن، وهذا هو الأرجح في نظرنا. وفي فصول هذا الكتاب الآتية يتضح موقف هذه الفئة الباغية على الإسلام أكثر.

قال الأستاذ هيكل: «حديث الغرانيق حديث ظاهر الشهافت، ينقضه قليل من التمهيص. وهو بعد حديث ينقض ما لكل نبي من العصمة في تبليغ رسالات ربه. فمن العجب أن يأخذ به بعض كتاب السيرة وبعض المنسرين المسلمين. ولذلك لم يتردد ابن إسحاق حين سئل عنه في أن قال: إته من وضع الزنادقة. لكن بعض الذين أخذوا به حاولوا تبرير أخذهم هذا، فاستندوا إلى قوله تعالى: «وَلِنْ كَانُوا كَافِرِينَ»^٢ وإلى قوله: «إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانُ»^٣ ويضيف «سير ولیم مویر» أن مرجع المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة بعد ثلاثة أشهر من إقامتهم هناك لدليل قاطع على صحة هذه القصة.

وهذه الحجج التي يسوقها القائل بصحة حديث الغرانيق، حجج واهية لا تقوم أمام التمهيص: أمّا رجوع المسلمين فكان سببه اضطراب سياسي، عمّ أرجاء الحبشة على أثر

٢- الإسراء ١٧: ١٧٣

١- النجم ٥٣: ٥٦

٢- الحج ٥٢: ٥٦

ثورة جديدة قامت فيها.

أما الاحتجاج بالآيات فاحتجاج مقلوب، لأن الآية الأولى لا تسي بوقوع الأمر: «وَلَوْلَا أَنْ نَبْنِيَنَّكَ لَفَدَدْتَ تَزَكُّنَ إِلَيْهِمْ»^١.

فالآية تقول: إن الله تبتته فلم يفعل. وأما آية التمني فلا صلة لها بحديث الغرائيق، وقد تقدم شأنها.

ودليل آخر أقوى وأقطع: سياق السورة وعدم احتمالها لمسألة الغرائيق، فإنها ذم صريح، ولهجة تفریح لا ينسجم وإدراج هكذا جملة، الأمر الذي لا يكاد يخفى على العرب آنذاك.

وأيضاً فإن وصف آلهة قريش بالغرانيق لم يأت في نظمهم هم ولا في خطبهم ولاشيء من معنى الغرنوق يلائم معنى الآلهة التي وصفها العرب - كما قاله الشيخ محمد عبده -.

وبقيت حجة قاطعة نسوقها للدلالة على استحالة قصة الغرائيق هذه، من حياة محمد نفسه، «فهو منذ طفولته وصباه وشبابه لم يجرب عليهم الكذب قط، حتى سمي الأمين. وكان صدقه أمراً مسلماً به من الناس جميعاً، فكيف يصدق إنسان أنه يقول على ربه ما لم يقل، ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه! هذا أمر مستحيل، يدرك استحالته الذين درسوا هذه النفوس القوية الممتازة التي تعرف الصلابة في الحق ولا تداجي فيه لأي اعتبار»^٢.

والآيتان - من سورة الإسراء وسورة الحج - لا تمثان قصة الغرائيق في شيء، وإنما تعنيان شيئاً آخر ذكره المفسرون. وسيأتي تنصيل الكلام فيهما في خاتمة الجزء الثالث من هذا الكتاب عند التعرض لمسألة العصمة عند الكلام عن عصمة خاتم النبيين ﷺ وإليك الآن إجمال الكلام فيهما:

١ - الإسراء ٧٧، ٧٤.

٢ - حياة محمد لمحمد حسين هيكل، ص ١٢٤ - ١٢٩.

أما الآية من سورة الإسراء: «وَكُلُوا أَنْ تَبْنُوا لَكُمْ بُنْيَانًا تَزَكُّونَ مِنْهُمْ سِينًا قَلِيلًا...»^١ فهي - كما أشار إليه هيكال - صريحة في أنه ﷺ لم يفعل... بدليل «لولا» الامتناعية... فهي إن دلت فإنما تدل على أن مقام عصمته ﷺ التي هي عناية من الله خاصة بأوليائه المنتجبين هي التي تحول دائماً دون ارتكاب أية رذيلة مهما كانت صغيرة أو كبيرة...
وكم حاول أهل الزيف والفساد أن يميلوا بمنهج الإسلام المستقيم، سواء بدسائسهم حال حياة الرسول ﷺ أم بعد وفاته... ولكن نبي لهم التناوش من مكان بعيد... «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^٢.

فالآية تضمنين سلامة هذه الشريعة دون تحريف المبطلين... وكاف الخطاب إنما وردت من باب «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»... كما ورد في التفسير... وليكون ذلك اعتباراً لأولياء المسلمين طول عهد التاريخ أبداً.

وكذا الآية من سورة الحج: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ فَتَنَحَّ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَمَنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ آيَاتِهِ»^٣ الأساس لها بقصة الغرانيق، بعد أن كانت تشير إلى ظاهرة طبيعية كانت تخالج نفوس كبار المصلحين أبداً... وهي: تحكيم مباني دعوتهم الإصلاحية، وتدعيم أسسها وقوائمها، دون تضعف أو ضياع أو فساد، وأن تطبق شريعة الله عامة الخلائق وكافة الأمم، وأن تزدهر معالمها وتزهو أنوارها في أرجاء العالم المعمور. هذه هي أمنية كل رسول أو نبي، بل وكل قائم بالإصلاح خالصاً مخلصاً له الدين.^٤ غير أن دسائس أهل الزيف والفساد قد تحول دون تحقق هذه الأمنية؛ لكنه حوّل لاقرار له، لأنه من كيد الشيطان. «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا»^٥ وقد «كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي»^٦ «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ

١ - الإسراء ١٧، ٧٤. ٢ - الحجر ٩: ١٥.

٣ - الحج ٢٢، ٥٢.

٤ - وقد عبّر عنه في ثمان أحاديث أهل البيت ﷺ بالصحة، أي تصانهم بأصوات التغيير وبناصية التبركات، بإسراع منكوتني بفاض عليه من عند رب العالمين، راجع: تصافي، ج ٢، ص ١٣٠.

٥ - النساء ٤: ٧٦. ٦ - المجادلة ٥٨: ٢٦.

الدُّنْيَا»^١ «إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ»^٢ «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَمَا يُنْمَعُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ»^٣ «فَأَمَّا الزُّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَاءً. وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَنَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ»^٤ فهذه الآية أيضاً ضمان لبقاء هذا
الدين وسلامته عن تطاول أيدي المحرّفين. «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ».

كُتَابُ الْوَحْيِ

كان النبي ﷺ حسبما عرفه قومه أمياً لا يقرأ ولا يكتب وهكذا وصفه القرآن: «الَّذِينَ
يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْحُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ...»^٥ «فَأَمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ...»^٦ ولقد كان قومه أمّة أميين لا يعلمون
الكتاب: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ...»^٧ أي المنسوبين إلى أم القرى كما جاء في
قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقُنُودٍ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا»^٨ أو الذين
لا يعلمون الكتاب كما جاء في قوله: «وَمِنْهُمْ (اليهود) أُمِّيُّونَ لَا يَخْلُقُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيً»^٩
أي لادراية لهم في فهم الكتاب سوى تلاوته حفظاً لأمانتي يبتغونها، وهم الجهلة من
عوام الناس.

مرکز تحقیق و ترویج علوم اسلامی

وقد صرح القرآن بأمانة النبي بهذا المعنى الثاني في الآية: «وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُبُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ
كِتَابٍ وَلَا تَخْطُتُمْ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ»^{١٠} والآية لاتسني معرفته بذلك وإنما هو نفي
لمعرفة قومه إياه بذلك. الأمر الذي يفني بغرض الآية فكان النبي ﷺ لم يُعرف بالكتابة^{١١}
وكانت المصلحة أن لا يعرفوه بذلك. إذن فمست الحاجة إلى استخدام كتابة يكتبون رسائله
إلى جنب كتابة الوحي فلا يضيع.

١ - غافر: ٥١، ٥٢.

٢ - لقَدْ: ١٣، ١٤.

٣ - الأعراف: ١٧، ١٨.

٤ - التور: ٥٤، ٥٥.

٥ - العنكبوت: ٢٩، ٣٠.

١ - غافر: ٥١، ٥٢.

٢ - الأنبياء: ٢١، ٢٢.

٣ - الأعراف: ١٧، ١٨.

٤ - الجمعة: ٢، ٣.

٥ - البقرة: ١٢، ١٣.

٦ - الأمر الذي لا ينبغي التصرفه ذاتاً وهو كتمان لا ينبغي تبيينه لغيره منه.

كان علي عليه السلام أول من كتب له عليه السلام في مكة ودام حتى آخر حياته.
ومن ميزاته عليه السلام أنه لم يفتنه شيء من الوحي إلا وسجله في كتاب، حتى الذي كان ينزل
في غيابه فيحفظه له النبي عليه السلام حتى يحضر ويملي عليه ليكتب.
وميزة أخرى: أنه عليه السلام لم يكن يقتصر على إملاء الوحي عليه نعتاً، بل وكان يردفه
بما احتاج إلى تفسير وتأويل. فأملى عليه التزويل والتأويل معاً.
روى سليم بن قيس الهلالي العامري (من أصحابه الأجلاء توفي حدود ٩٠) قال:
جلست إلى علي عليه السلام بالكوفة في المسجد والناس حوله. فقال: سلوني قبل أن تفقدوني،
سلوني عن كتاب الله فوالله ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد أقرأنيها رسول الله عليه السلام
وعلمني تأويلها! فقال ابن الكواء: (فما كان ينزل عليه وأنت غائب؟ فقال: بلى، يحفظ
علي ما غبت عنه، فإذا قدمت عليه قال لي: يا علي، أنزل الله بعدك كذا وكذا فيقرأني به
وتأويله كذا وكذا فيعلمني به.^٢

وأول من كتب له في المدينة أبي بن كعب الأنصاري كان من المعدودين الذين
يجيدون الكتابة ذلك العهد. وهو أول من ختم الرسائل بـ «وكتب فلان...» وقد تولى
النبي عليه السلام عرض القرآن عليه كمالاً وقد حضر العرضة الأخيرة فيمن حضر، ومن تم تولى
الإشراف على الكتابة على عهد عثمان وكان هو المرجع فيما كانوا يختلفون فيه.^٣

كان زيد بن ثابت يسكن في جوار النبي عليه السلام وكان شاباً جليلاً يحسن الكتابة، وكان
النبي إذا غاب أبي أرسل إلى زيد ليكتب له، حتى أصبح من كتابه الرسميين. والأغلب كان
يتعدى كتابة رسائله. وأمره أن يتعلم العبرية في مدارس يهودية كانت هناك باسم

١ - اسمه عبدالله من بني يشكر كان من رؤوس انخوارج حين خرجوا على علي عليه السلام في وقعة صفين. ثم رجع هو
وجماعة بعد أن نصحهم ابن عباس. كان يلازم علياً ومسانده امتساق فيما يراه وكان يمان فيما يمان - كبرياً - تعشياً
لا تفهماً. وكان الإمام يحييه برحابة صدر أجوبة رشيدة بقيت تارحيداً حافلاً بأنواع العلوم والتعارف طوق الأوامر.

٢ - كتاب سليم برواية أبيان (حذف)، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

٣ - راجع: الطبقات، ج ٣، ق ٢، ص ٥٩؛ والإحصاء لابن حجر، ج ١، ص ١٩؛ والاستيعاب لابن عبد البر، بهامش الإحصاء، ج
١، ص ٥٠ - ٥١؛ والمصاحف للمسجدستاني، ص ٣٠.

«مأسلة» ليستعين بها على كتابة رسائله العبرية.

فعمدة الكتاب الرسميين هم هؤلاء الثلاثة: عليٌّ وُبيٌّ وزيدٌ. أمَّا غيرهم فهم في الدرجة الثانية. يقول ابن الأثير: كان عبدالله بن الأرقم الزهري من المواظبين على كتابة الرسائل، أمَّا العهود والمواثيق فكان يكتبها عليٌّ عليه السلام وعدٌ من كتّابه جماعة منهم الخلفاء الثلاثة وزبير بن العوام و خالد و أبان إنا سعيد بن العاص و حنظلة الأسيدي و علاء بن الحضرمي و خالد بن الوليد وعبدالله بن رواحة ومحمد بن مسلمة وعبدالله بن أبي سلول ومغيرة بن شعبة وعمر بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وجهم أو جهيم بن الصلت ومعيقب بن أبي فاطمة وشرحبيل بن حسنة.

ويضيف قائلاً: أول من كتب له من قريش عبدالله بن سعد بن أبي سرح وهاجر معه إلى المدينة ثم ارتدَّ وهرب إلى مكة يعيب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تساهله بأمر الوحي.

كان يقول لقريش: إني كنت أصرف محمداً حيث أريد، كان يُملي عليَّ «عزيز حكيم» فأقول: أو عليم حكيم؟ فيقول: نعم كلُّ صواب! فلما كان يوم الفتح أهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه، ولكن عثمان - وكان أخاه من الرضاعة - تشفع له وأصرَّ ولم يزل به حتى أعفاه النبي بعد صمت طويل يريد أن يبادر أحد فيقتله. ومات في كنف معاوية سنة سبع وتلاثين.

قال ابن أبي الحديد: الذي عليه المحققون من أهل السيرة أن الوحي كان يكتبه عليٌّ عليه السلام وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم. وأن حنظلة بن الربيع التيمي ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل، ويكتبان حوائجه بين يدي، ويكتبان ما يجبي من أموال الصدقات وما يقسم في أربابها.

ويبدو أن من ذكرناهم كانوا هم العدة المعروفين بمعرفة الكتابة واستخدامهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حوائجه.

بروي البلاذري عن الواقدي قال: ظهر الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً يعرفون

١ - أسد الغابة لابن الأثير، ج ١، ص ٥٠، ذيل ترجمة أبي بن كعب، وج ٢، ص ١٧٣ في ترجمة عبدالله بن سعد.

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٣٨.

الكتابة: علي بن أبي طالب و عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان و أبو عبيدة بن الجراح و طلحة بن عبيد الله و يزيد بن أبي سفيان و أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة و حاطب بن عمرو و خوسهيل بن عمرو العامري و أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي و أبان بن سعيد بن العاص بن أمية و خالد بن سعيد أخوه و عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري و حويطب بن عبد العزى العامري و أبو سفيان بن حرب بن أمية و معاوية بن أبي سفيان و جهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف و العلاء بن الحضرمي.

ومن النساء اللاتي كن يعرفن الكتابة منذ ظهر الإسلام: أم كلثوم بنت عقبة و كريمة بنت المقداد و الشفاء بنت عبد الله العدوية فطلب منها رسول الله ﷺ أن تعلم حفصة بنت عمر الكتابة كما علمتها رقيقة النملة^١ وكانت أم سلمة تقرأ المصحف و لا تكتب و كذا عائشة بنت أبي بكر.

قال الواقدي: كتب حنظلة بن الربيع بن رباح الأسدي من بني تميم بين يدي رسول الله ﷺ مرة فسمي حنظلة الكاتب. قال: كان الكتاب بالعريية في الأوس و الخزرج قليلاً. وكان بعض اليهود قد علم كتاب العريية و كان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول، فجاء الإسلام و في الأوس و الخزرج عدة يكتبون، و هم: سعد بن عبادة بن دليم و المنذر بن عمرو و أبي بن كعب و زيد بن ثابت، فكان يكتب العريية و العبرانية^٢ و رافع بن مالك و أسيد بن حضير و معن بن عدي البلوي و بشير بن سعد و سعد بن الربيع و أوس بن خولي و عبد الله بن أبي المنافق.

قال: أول من كتب لرسول الله ﷺ عند مقدمه المدينة أبي بن كعب الأنصاري، و هو أول من كتب في آخر الكتاب: و كتب فلان. فكان إذا لم يحضر، دعا رسول الله ﷺ زيد بن ثابت الأنصاري فكتب له. فكان أبي و زيد يكتبان الوحي بين يديه و رسائله إلى الآفاق.^٣

١ - الرقعة: التزيين بالحناء أو الترفغان، و تعل رقعة لثماعة كانت نوع تزيين تتزين به النساء.

٢ - ذكر الواقدي بإسناده عن خارجة بن زيد: أن أبا زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أعلم ته كتاب يهود، و قال لي: إني لا آمن يهوداً على كتابي، فلم يجر بي تصف أنني برهة قصيرة من الزمن أخطى تعلمته فكدت أكتب، ثم إني لليهود، و إذا كتبوا إتيه قرأت كتابهم.

٣ - فتوح البلدان للبلاذري، ص ٤٥٦ - ٤٦٠.

نزول القرآن

هناك مسألة ذات أهمية تمس جانب نزول الوحي قرآناً، وارتباطه مع بدء الرسالة، حيث اقترنت البعثة - وكانت في شهر رجب - بنزول شيء من القرآن (خمس آيات من أول سورة العلق) في حين تصريح القرآن بنزوله في ليلة القدر من شهر رمضان! فما وجه التوفيق؟ وهكذا تعيين المدة التي نزل القرآن خلالها تدريجاً، والسور التي نزلت قبل الهجرة لتكون مكينة - اصطلاحاً - والتي نزلت بعدها لتكون مدنيّة. وهل هناك استثناء لآيات على خلاف السور التي تبنت فيها؟ والأرجح أن الاستثناء، وأن السورة إذا كانت مكينة فجميع آياتها مكينة، وهكذا السور المدنيّات. إذ لا دليل على الاستثناء على ما سبق.. وإليك تفصيل هذه الجوانب:

بدء نزول الوحي «البعثة»

قال الشيخ الجليل الثقة علي بن إبراهيم القمي: إن النبي ﷺ لما أتى له سبع وثلاثون سنة، كان يرى في منامه كأن آتياً يأتيه فيقول: يا رسول الله! ومضت عليه برهة من الزمان وهو على ذلك يكتمه، وإذا هو في بعض الأيام يرمى غنماً لأبي طالب في شعب الجبال، إذ رأى شخصاً يقول له: يا رسول الله! فقال له: من أنت؟ قال: أنا جبرائيل، أرسلني الله

إليك ليتخذك رسولاً، فجعل يعلمه الوضوء والصلاة. وذلك عندما سمَّ له أربعون سنة. فدخل عليّ ﷺ وهو يصلي. قال: يا أبا التماسم ما هذا؟ قال: هذه الصلاة التي أمرني الله بها. فجعل يصلي معي. وكانت خديجة تالتهما. فكان عليّ ﷺ يصلي إلى جناح رسول الله الأيمن، وخديجة خلته، فأمر أبو طالب ابنه جعفر أن يصلي إلى جناح رسول الله الأيسر. وكان زيد بن حارثة عتيق رسول الله ﷺ قد أسلم عند ما نبي، رسول الله ﷺ، فكان يصلي معهم أيضاً. وبهذا الجمع انعقدت بذرة الإسلام.^٢

وفي تفسير الإمام: كان رسول الله ﷺ يغدو كل يوم إلى حراء، وينظر إلى آتار رحمة الله، متعمقاً في ملكوت السموات والأرض، ويعبد الله حقَّ عبادته، حتى استكمل سنَّ الأربعين، ووجد الله قلبه الكريم أفضل القلوب وأجلها وأطوعها وأخشعها. فأذن لأبواب السماء ففتحت، وأذن للملائكة فنزلوا، ومحمد ﷺ ينظر إلى ذلك، فنزلت عليه الرحمة من لدن ساق العرش، ونظر إلى الروح الأمين جبرائيل مطوقاً بالنور، هبط إليه وأخذ بضبعه وهزّه، فقال: يا محمد! اقرأ. قال: وما اقرأ؟ قال: يا محمد! «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ».^٣

ثم أوحى إليه ما أوحى. وصعد جبرائيل إلى ربه، ونزل محمد ﷺ من الجبل وقد غشيه من عظمة الله وجلال أئنه ماركبه الحمى النافضة^٤ وقد اشتدَّ عليه ما كان يخافه من تكذيب قريش ونسبته إلى الجنون وقد كان أعقل خلق الله وأكرم بريته. وكان أبغض الأشياء إليه الشيطان وأفعال المجانين. فأراد الله أن يشجع قلبه ويشرح صدره، فجعل كلما يمرَّ بحجر وشجر ناداه: السلام عليك يا رسول الله ﷺ.^٥

١ - قيل: استراه رسول الله ﷺ بتدرجته، فلما تزوجها وهبته له، فأعنته رسول الله ﷺ وقيل: استوهبته خديجة من ابن أخيها حكيم بن حزام بن خويلد، عندما قدم مكة بريق فيهم زيد وصيف أبي سلام ثم يراهم. فقال لها: يا عنت! اختاري أي هؤلاء اتصاني شئت. فاختارت زيدا، ثم وهبته رسول الله ﷺ، فأعنته رسول الله ﷺ وتبناه.

٢ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٨٤، ح ١٤، وص ١٩٤، ح ٣٠.

٣ - التعلق ١٩٦، ١ - ٥.

٤ - وهي تشديدة.

٥ - تفسير الإمام، ص ١٥٧، وهو منسوب إلى الإمام الحادي عشر: الحسن بن علي التمكري ﷺ وقد طعن بعض

وفي شرح النهج: أن بعض أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام سأله عن قول الله - عز وجل - : «إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَانَّهُ يَتْلُقُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا»^١ فقال: يوكل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدون إليه تبليغهم الرسالة، ووكل بمحمد عليه السلام ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشرِّ ومساوئ، الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يا رسول الله، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن أن ذلك من الحجر والأرض، فيتأمل فلا يرى شيئاً.^٢

و راجع الخطبة القاصعة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الشأن، وقد نقلنا فيما سبق شرطاً منها. وهي الخطبة رقم: ٢٣٨ في شرح النهج لابن أبي الحديد.

وفي تاريخ الطبري: كان رسول الله عليه السلام من قبل أن يظهر له جبرائيل عليه السلام برسالة الله إليه، يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار من يربط الله إكرامه واختصاصه بفضله، فكان من ذلك ما مضى من خبره عن الملكين اللذين أتياه فشققا بطنه^٣ واستخرجا ما فيه من الغلِّ والدنس، وهو عند أمه من الرصاعة حليلة، ومن ذلك أنه كان إذا مرَّ في طريق لا يمرُّ بشجر ولا حجر إلا سلّم عليه. وهكذا كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً، وينضي إلى الشعب وبطن الأودية. فلا يمرُّ بحجر ولا شجرة إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله عليه السلام فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً.^٤

→ اتصفين في نسبه إلى الإمام عليه السلام كما فيه من مناكير. تكن لو كان المقصود أنه من تأليف الإمام بقلمه وإنشائه انخاض، فهذا شيء لا يمكن قبوله بتاتاً. وأما إذا كانت النسبة بملاحظة أن الراوي كان يحضر مجلس الإمام عليه السلام ويسأله عن أشياء متعلّقة بتفسير أي القرآن، ثم عندما يعود إلى منزله يسأله حسب ما حفظه ووعاه، وربما يريد عليه أسئلة أو يفتن، وفق معلوماته انخاضة أيضاً. فهذا شيء لا سبيل إلى إنكاره. ونحن نقول بذلك، ومن ثم نعتد على كثير من آراء في هذا التفسير، من يوافق سائر الآثار الصحيحة، وراجع أيضاً: بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٠٥ -

١ - ٢٠٦، ج ٣٦، ١ - اتجن ٢٧، ٧٢.

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٠٧.

٣ - ثم يرد بهذا التعبير حديث من طريق أهل البيت عليهم السلام ونحو هذه التعبيرات كانت كناية عن أمور معنوية بإبعاد الصفات الخسيسة عن طابعه عليه السلام.

٤ - تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

قال اليعقوبي: كان جبرائيل يظهر له ويكلمه أو ربّما ناداه من السماء ومن الشجرة ومن الجبل. ثم قال له: إن ربك يأمرك أن تجتنب الرجس من الأوثان، فكان أوّل أمره. فكان رسول الله يأتي خديجة ابنة خويلد ويقول لها ماسمع وتكلمم به، فتقول له: استريا ابن عم! فوالله إني لأرجو أن يصنع الله بك خيراً.^١

وكان رسول الله ﷺ يوم بعث قد استكمل الأربعين، لعشرين مضي من ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن نوشروان. قال اليعقوبي: كان مبعثه ﷺ في شهر ربيع الأوّل. وقيل: في رمضان. ومن شهور الحجج: في شباط. قال: وأتاه جبرائيل ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين.^٢ قال ابن سعد: نزل الملك على رسول الله ﷺ بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان.^٣

قال أبو جعفر الطبري: وهذا - أي نزول الوحي عليه بالرسالة يوم الاثنين - ممّا لاخلاف فيه بين أهل العلم وإنما اختلفوا في أي الاثنين كان ذلك؟ فقال بعضهم: نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثمانى عشرة خلت من رمضان. وقال آخرون: لأربع وعشرين خلت منه. وقال آخرون: لسبع عشرة خلت من شهر رمضان. واستشهدوا بذلك بقوله تعالى: «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِي أَنْجَمَانَ»^٤ وذلك ملتقى رسول الله ﷺ والمشركين بيدر، وكان صبيحة سبع عشرة من رمضان.^٥

لكن لا دلالة في الآية على أن مبعثه كان مصادفاً لذلك اليوم.

أولاً: لأن المقصود: ما أنزل عليه ذلك اليوم من دلائل الحق وآيات النصر، لا القرآن كله ولا مبدأ نزوله.

وثانياً: سوف نذكر: أن مبدأ نزول القرآن - بعنوان كونه كتاباً سماوياً - كان متأخراً عن يوم مبعثه بالرسالة، فقد بعث ﷺ رسولاً إلى الناس في ٢٧ رجب، وأنزل عليه القرآن في

١ - تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧، طبعة اندلس الثانية. ٢ - التكميل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٩ - ٣٠.

٣ - تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧ - ١٨. ٤ - الطهيات، ج ١، ص ١٢٩.

٥ - الأنفال ٨، ٤٦. ٦ - تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٩٤ - ٢٩٤.

شهر رمضان ليلة القدر، وربما كان بعد فترة ثلاث سنين كما يأتي.

وتالياً معنى يوم الفرقان: اليوم الذي فرق فيه بين الحق والباطل، وغلب الحق على الباطل فكان زهوقاً، وكان يوماً حاسماً في حياة المسلمين، وقد أيس الشيطان فيه أن يعبد أو يطاع إلى الأبد.^١

قال المسعودي: أول ما نزل عليه ﷺ من القرآن: «إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ». وأتاه جبرائيل في ليلة السبت ثم في ليلة الأحد وخاطبه بالرسالة يوم الاثنين، وذلك بحراء، وهو أول موضع نزل فيه القرآن، وخاطبه بأول السورة إلى قوله: «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» ونزل تمامها بعد ذلك.

وكان ذلك بعد بنیان الكعبة بخمس سنين، على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز، وعلى رأس مائتي سنة من يوم التحالف بالربذة.^٢

وكانت سنة ستمائة وتسع من تاريخ ميلاد المسيح ﷺ.^٣

والصحيح عندنا في تعيين يوم بعثته ﷺ: أنه اليوم السابع والعشرون من شهر رجب الأصب، على ما جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام ويستحب صيامه والقيام بأدب وعبادات تخصه، تلتزم بها الشيعة الإمامية، كل عام تقديساً لهذا اليوم المبارك، الذي أنزلت الرحمة فيه على الناس جميعاً، وافتتحت أبواب البركة العائمة على أهل الأرض، إذ بعث النبي ﷺ رحمة للعالمين، فيآله من يوم مبارك!

قال الإمام الصادق عليه السلام: «في اليوم السابع والعشرين من رجب نزلت النبوة على رسول الله ﷺ»^٤ وقال: «لا تدع صيام يوم سبع وعشرين من رجب فإنه هو اليوم الذي نزلت فيه النبوة على محمد ﷺ».^٥

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «بعث الله - عز وجل - محمداً ﷺ رحمة للعالمين في سبع

١ - راجع: تفسير شهر، ص ١٩٤. ٢ - مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٨٢.

٣ - تاريخ اتصاف الإسلاميين تهرجي زيدان، ج ١، ص ٤٣.

٤ - الأمانتي لابن التسيخ، ص ٢٨، راجع: بحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٨٩، ج ٢١.

٥ - الكافي، ج ٤، ص ١٤٩، ج ١.

وعشرين من رجب، فمن صام ذلك اليوم كتب الله له صيام ستين شهراً^١.

والروايات بهذا الشأن من طرق أهل البيت عليهم السلام كثيرة^٢.

وهكذا وردت روايات من طرق أهل السنة، بتعيين نفس اليوم:

أورد الحافظ الدمياطي في سيرته عن أبي هريرة، قال: «من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله تعالى له صيام ستين شهراً، وهو اليوم الذي نزل فيه جبرائيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة وأول يوم هبط فيه جبرائيل»^٣.

وروى البيهقي في شعب الإيمان، عن سلمان الفارسي، قال: «في رجب يوم وليلة، من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان كمن صام مائة سنة وقام مائة سنة، وهو ثلاث بدين من رجب، وفيه بعث الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم»^٤.

وروى صاحب المناقب عن ابن عباس، وأنس بن مالك: «لهما قالان: «أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين، السابع والعشرين من رجب، وله من العمر أربعون سنة»^٥.

قال العلامة المجلسي رحمته الله: «اختلفوا في اليوم الذي بعث فيه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على خمسة أقوال:

مرکز تحقیقات کتب وعلوم اسلامی

الأول: سابع عشر شهر رمضان.

الثاني: ثامن عشر شهر رمضان.

الثالث: أربع وعشرون شهر رمضان.

الرابع: ثاني عشر ربيع الأول.

الخامس: سابع وعشرون شهر رجب.

قال: وعلى الأخير اتفاق الإمامية^٦.

١ - المصدر، ج ٢.

٢ - راجع: وسائل الشيعة، باب ١٥ من أبواب الصوم المتدوب، ج ٧، ص ٣٢٩، ح ١.

٣ - التميمة التحلية، ج ١، ص ٢٣٨.

٤ - منتخب، كثر اتصال بهامش التمسند، ج ٣، ص ٣٦٦.

٥ - المناقب، ج ١، ص ١٧٣؛ وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٠٤، ح ٣٤.

٦ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٩٠.

أقول: وهناك قول سادس: تامن ربيع الأول. وقول سابع: ثالث ربيع الأول. ذكرهما ابن برهان الحلبي في سيرته. تم ذكر القول بأنه الثاني عشر من ربيع الأول، يوم مولده الشريف، ليوافق القول بأنه بعث على رأس تمام الأربعين.^١

وسنذكر: أن أكثرية القائلين ببعثته ﷺ في شهر رمضان، لعله قد اشتبه عليهم مبدأ حادثة النبوة بمبدأ حادثة نزول القرآن كتاباً فيه تبيان كل شيء وهذا الاشتباه يبدو من استدلالهم على تعيين يوم البعثة بما دل على أن القرآن نزل في ليلة القدر من شهر رمضان. وسنتحقق: أن لاصلة بين الحادثين، فقد بعث ﷺ في رجب: ٢٧. ولكن القرآن بسمته كتاباً منفصلاً، بدأ نزوله على النبي ﷺ في شهر رمضان: ليلة القدر. بعد ثلاث سنين من نبوته ﷺ فكانت مدة نبوته ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة. ولكن فترة نزول القرآن مفترقاً استغرقت عشرين عاماً، بدأت بدخول السنة الرابعة من البعثة، وختمت في عاشر الهجرة بوفاته ﷺ.



مرکز تحقیقات علوم اسلامی

بدء نزول القرآن

لأشدك أن القرآن نزل على رسول الله ﷺ في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، لقوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ».^٢ وقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ»^٣ وقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»^٤

وليلة القدر - عندنا - مرددة بين ليلتين في العشر الأخير من شهر رمضان المبارك: إحدى وعشرين أم ثالثة وعشرين؟ والأرجح أنها الثانية، لحديث الجهني.^٥

وقال الصدوق رحمته الله: اتفق مشايخنا على أنها ليلة ثلاث وعشرين.^٦

والكلام في تعيين ليلة القدر ليس من مبحثنا الآن، وإنما يهمننا التعرض لجوانب من

١ - التسمية التحليلية، ج ١، ص ٢٣٨.

٢ - اتدخان ٤٤: ٣.

٣ - اتدخان ٤٤: ٣.

٤ - اتدخان ٤٤: ٣.

٥ - اتدخان ٤٤: ٣.

٦ - اتدخان ٤٤: ٣.

هذا التحديد، أي نزول القرآن في ليلة واحدة - هي ليلة القدر - من شهر رمضان،
 أولاً: منافاته - ظاهراً - مع ما أسلفناه من اتفاق الإمامية وعدد من أحاديث غيرهم،
 على أن البعثة كانت في رجب، ولا شك أن البعثة كانت مقرونة بنزول آي من القرآن؛
 خمس آيات من أول سورة العلق. فكيف يتم ذلك مع القول بنزول القرآن - كله أو بدء
 نزوله - في شهر رمضان في ليلة القدر؟

ثانياً: ماذا يكون المقصود من نزول القرآن في ليلة واحدة هي ليلة القدر؟ هل نزل
 القرآن كله جملة واحدة تلك الليلة؟ مع العلم أن القرآن نزل نجوماً لفترة عشرين أو ثلاث
 وعشرين عاماً، حسب المناسبات والظروف المختلفة، ودعيت باسم «أسباب النزول»،
 فكيف ذلك؟

ثالثاً: ما هي أول آية أو سورة نزلت من القرآن، فإن كانت هي سورة العلق أو آي
 منها، فلم سُميت سورة الحمد بفاتحة الكتاب؟ إذ ليس المعنى: أنها كتبت في بدء
 المصحف! لأن هذا الترتيب شيء حصل بعد وفاة النبي ﷺ أو لأقل في عهد متأخر من
 حياته - فرضاً - في حين أنها كانت تسمى بفاتحة الكتاب منذ بداية نزولها: «لا صلاة إلا
 بفاتحة الكتاب»^١ حديث مأثور عن لسان النبي ﷺ!

ولالإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة - بصورة إجمالية - نقول: إن بدء البعثة يختلف عن
 بدء نزول القرآن ككتاب سماوي. لأنهم ﷺ نبى، ولم يؤمر بالتبليغ العام إلا بعد ثلاث
 سنوات، كان خلالها يدعو في اختفاء حتى نزلت الآية: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن
 المشركين»^٢. ومن هذا الحين جعل القرآن ينزل تباعداً، بسمة كونه كتاباً أنزل من السماء،
 وكان يسجل على العصب واللحاف، يكتبه من كان يعرف الكتابة من المؤمنين، وهم عدد
 قليل، خلال عشرين عاماً.

وقد كان بدء نزول القرآن - بعد تلك الفترة - في ليلة القدر من شهر رمضان، وبهذا

١ - صحيح مسلم، ج ٢، ص ٩، ومختار كنز العمال بهامش المصدر، ج ٤، ص ١٨٠.

٢ - الحجر ١٥، ١٤.

الاعتبار صَحَّ التعبير بأنَّ القرآن نزل في ليلة القدر، وإن كان نزوله تبعاً استغرق عشرين عاماً. إذ كلُّ حدثٍ خطيرٍ تكون له مدَّةٌ وامتداد، فإنَّ تاريخه يسجَّل حسب مبدأ شروعه، كما سنفصل الكلام عنه.

أمَّا أوَّل آيةٍ نزلت فهي الآيات الخمس من أوَّل سورة العلق، ونزلت بقيتها في فترة متأخرة. غير أنَّ أوَّل سورةٍ كاملةٍ نزلت من القرآن هي سورة الحمد، ومن تمَّ سمَّيت بفاتحة الكتاب.

هذا إجمال الكلام حول هذه المواضيع الثلاثة، وأمَّا التفصيل فهو كما يلي:

فترة ثلاث سنوات

ولفرض أنَّ البعثة كانت في رجب، حسب رواية أهل البيت ولثيف من غيرهم، لكن القرآن - بسمة كونه كتاباً سماوياً ودستوراً للهِبِ خالداً - لم ينزل عليه إلا بعد فترة ثلاث سنين. كان النبي ﷺ خلالها يكتُم أمره من ملأ الناس، ويدعو إلى الله سرّاً، ومن ثمَّ لم يكن المشركون يتعرَّضون أذاه، سوى طعنات لسنية، حيث لا يرون من شأنه ما يخشى على دينهم.

وكان يعصلي إذ ذاك مع رسول الله ﷺ أربعة: علي وجعفر وزيد وخديجة. وكلُّما مرَّ بهم ملأ من قريش سخرُوا منهم.

قال علي بن إبراهيم القمي: فلما أتى لذلك ثلاث سنين، أنزل الله عليه: «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كُنَّا لَمُسْتَهْزِئِينَ»^١ قال: وكان ذلك بعد أن نبيُّ بتلات سنين.^٢

وقال اليعقوبي: وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين يكتُم أمره.^٣

١ - التمجيد ١٥: ٩٤-٩٥.

٢ - تفسير القمي، ج ١، ص ٣٧٨؛ وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ٥٣، ج ٧، ص ١٧٩، ج ١٠.

٣ - تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٩.

وقال محمد بن إسحاق: وبعد ثلاث سنين من مبعثه نزل «فأصدع بما تؤمر» فأمر أن يجهر بالدعوة ويعم الإنذار.^١

قال الإمام الصادق عليه السلام: «مكث رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة بعد ما جاءه الوحي عن الله تبارك وتعالى ثلاث عشرة سنة، منها ثلاث سنين مختفياً خائفاً لا يظهر أمره، حتى أمره الله أن يصدع بما أمر به، فأظهر حينئذ الدعوة».^٢

وهذه الروايات، إذا لاحظناها مع روايات قائلة: إن فترة نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وآله استغرقت عشرين عاماً، تعطينا: أن مبدأ نزول القرآن كان متأخراً عن البعثة بثلاث سنوات، إذ لا شك أن القرآن كان ينزل عليه صلى الله عليه وآله حتى عام وفاته صلى الله عليه وآله وبذلك يلتئم القول بأن بدء نزول القرآن كان في شهر رمضان، ليلة القدر كما نص عليه القرآن الكريم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ثم نزل القرآن في طول عشرين عاماً». كما جاء في رواية الكليني^٣ والعباشي^٤ وأشار إليه الصدوق^٥ والمجلسي^٦ والنقل على تحديد فترة نزول القرآن بعشرين عاماً كبير.^٧

وإلى هذا المعنى تشير الرواية عن سعيد بن المسيب، قال: أنزل على النبي صلى الله عليه وآله وهو ابن ثلاث وأربعين^٨ أي أنزل عليه القرآن عند ذلك. إذ لا شك أن النبوة نزلت عليه صلى الله عليه وآله عند اكتمال الأربعين، وهذا إجماع الأمة، وعليه اتفاق كلمتهم، فكيف يخفى على مثل سعيد؟! وروى الواحدي بإسناده إلى الشعبي، قال: فرّق الله تنزيله فكان بين أوله وآخره عشرون أو نحو من عشرين سنة.^٩

وأوضح من ذلك ما رواه الإمام أحمد بسند متصل إلى عامر الشعبي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله

-
- ١ - سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٨٠، والمناقب، ج ١، ص ٥٣، وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٩٣-١٩٤، ح ٢٩.
 - ٢ - اتقيبة تلميذ الطوسي، ص ٤٣٤، وكمال الدين، ج ٢، ص ٣٤٤، رقم ٢٩، وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٧٧، ح ٤.
 - ٣ - الكافي، ج ٢، ص ٦٢٨-٦٢٩، ح ٦.
 - ٤ - تفسير العبّاشي، ج ١، ص ٨٠، ح ١٨٤.
 - ٥ - الاعتقادات، ص ١٠١.
 - ٦ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٥٠، ح ٣، و ص ٢٥٣.
 - ٧ - راجع: الإفتان، ج ١، ص ١١٨، وتفسير سحر، ص ٤٥٠.
 - ٨ - التصديق على الصحيحين، ج ٢، ص ٦١٠.
 - ٩ - أسباب النزول، ص ٣.

نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرائيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن. فلما مضت ثلاث سنين، قرن بنبوته جبرائيل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة، فمات ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة. قال ابن كثير: وهو إسناد صحيح إلى الشعبي.^١

وهذه الرواية وإن كانت فيها أشياء لا نعرفها، ولعلها من اجتهاد الشعبي الخاص، لكن الذي نريده من هذه الرواية هو جانب تحديد نزول القرآن في مدة عشرين عامًا، وأن نزوله تأخر عن البعثة بثلاث سنين، وهذا شيء متفق عليه.

آراء وتأويلات

وأما تأويل نزول القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان، مع العلم أن القرآن نزل منجمًا طول عشرين أو ثلاث وعشرين عامًا، في فترات ومناسبات خاصة، تدعى بأسباب النزول، فللعلماء في ذلك آراء وتأويلات:

١- إن بدء نزوله كان في ليلة القدر من شهر رمضان.

وهذا اختيار محمد بن إسحاق^٢ والشعبي^٣ قال الإمام الرازي: وذلك لأن مبادئ الليل والندول هي التي توزخ بها، لكونها أشرف الأوقات. ولأنها أيضاً أوقات مضبوطة معلومة.^٤ وهكذا فسر الزمخشري الآية بذلك، قال: «ابتدى فيه إنزاله»^٥.

وهو الذي نرتأيه، نظراً لأن كل حادث خطير، إذا كانت له مدة وامتداد زمني، فإن بدء شروعه هو الذي يسجل تاريخياً كما إذا سئل عن تاريخ دولة أو مؤسسة أو تشكيل حزبي، أو إذا سئل عن تاريخ دراسة طالب علم أو تلبسه الخاص وأمثال ذلك، فإن الجواب هو تعيين مبدأ الشروع أو التأسيس لاغير.

١- ابتدائة وانتهائة، ج ٤، ص ٤٠، والإتقان، ج ١، ص ١٦٩، والطبقات، ج ١، ص ١٦٧، وتاريخ ابن عسكروبي، ج ٢، ص ١٨.

٢- مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٧٦. ٣- الإتقان، ج ١، ص ١١٨.

٤- التفسير الكبير، ج ٥، ص ٨٥. ٥- التذكار، ج ١، ص ٢٢٧.

وأيضاً؛ فإن قوله تعالى: «أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ»^١ والآيات الأخر، حكاية عن أمر سابق لا يشمل نفس هذا الكلام الحاكي وإلا لكان اللفظ بصيغة المضارع أو الوصف. فنفس هذا الكلام دليل على أن من القرآن ما نزل متأخراً عن ليلة القدر، اللهم إلا بضرب من التأويل غير المستند، على ما سيأتي.

كما أن اختلاف مناسبات الآيات، حسب الظروف والدواعي، أكبر دليل على اختلاف مواقع نزولها، إذ يربط ذلك كل آية بحادثة في قيد وقتها، وهذا في كل آية نزلت بشأن حدث أو واقعة وقعت في وقتها الخاص، وجاءت آية تعالجها في نفس الوقت. كل ذلك دليل على أن القرآن لم ينزل جملة واحدة. وإلا لما كان موقع لقوله المشركين: «كُلُوا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً» قال تعالى - رداً على هذا الاعتراض -: «كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً»^٢ أي كان نزول القرآن تباعاً وفي فترات مناسبة أدم لاطمئنان قلبك، حيث الشعور بعناية الله المتواصلة في كل آونة ومناسبة.^٣

وذهب إلى هذا الرأي - أيضاً - ابن شهر آشوب في المناقب، قال: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أي ابتدأ نزوله. وقال في مناسبات القرآن: والصحيح أن «القرآن» في هذا الموضع لا يفيد العموم، وإنما يفيد الجنس؛ فأى شيء نزل فيه فقد طابق الظاهر.^٤

ويبدو من الشيخ المفيد^٥ من آخر كلامه رداً على أبي جعفر الصدوق^٦ فيما يأتي، اختيار هذا القول أيضاً، قال: وقد يجوز في الخبر الوارد بنزول القرآن جملة في ليلة القدر، أنه نزلت جملة منه ليلة القدر، ثم تلاه ما نزل منه إلى وفاة النبي ﷺ. فأما أن يكون نزل بأسره وجميعه في ليلة القدر، فهو بعيد عما يقتضيه ظاهر القرآن، والمتواتر من الأخبار، وإجماع العلماء على اختلافهم في الآراء.^٥

٢ - كان ينزل على النبي ﷺ في كل ليلة قدر من كل عام، ما كان يحتاج إليه الناس

١ - بقرة ١٧، ١٨٥.

٢ - الفرقان ١٥، ٣٢.

٣ - راجع: الإقتان، ج ١، ص ١١٩.

٤ - المناقب، ج ١، ص ١٧٣؛ ومناسبات القرآن، ج ١، ص ٦٣.

٥ - شرح عقائد الصدوق، ص ٥٨.

في تلك السنة من القرآن، تمّ ينزله جبرائيل حسب مواقع الحاجة شيئاً فشيئاً بما يأمره الله تعالى. فيكون المقصود من شهر رمضان: هو النوع. لارمضان خاصّ - وهو احتمال الإمام الرازي أيضاً.^١

وهذا اختيار ابن جريج^٢ والسدي، وأسند الأخير إلى ابن عباس أيضاً.^٣ ونقله القرطبي عن مقاتل بن حيان. ووافقه الحلبي والماوردي وغيرهما.^٤

غير أنّ هذا الاختيار، يخالفه ظاهر قوله تعالى: «أُنزِلَ فِيهِ» أو «أُنزِلْنَا» حكاية عن حدث سابق، فلو صحّ هذا القول لكان المناسب أن يقول: نزله، صفة للحال!

وأيضاً يرده ما استبعدناه على الرأي الخامس الآتي: ماهي الفائدة المتوخاة من نزول قرآن قبل الحاجة إليه، ولاسيما في صيغة جملة الماضي أو الحال، المستدعية كونها نزلت لمناسبة وقتية، لا موقع لنزولها قبل ذلك، حسب التعبير اللغوي!

٣ - شهر رمضان الذي نزل في شأنه القرآن، أي في فرض صيامه، كما يقال: نزل في فلان، أو في مناسبة كذا قرآن، والمراد من القرآن آية أو آيات منه.^٥

قال الضحاك: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»، أي الذي أنزل صومه في القرآن.^٦ وقال سفيان بن عيينة: معناه: أنزل في فضله القرآن، واختاره الحسين بن الفضل وابن الأنباري.^٨

لكن هذا الوجه يخصّ آية البقرة، ولا يجري في آيتي الدخان والقدر، كما لا يخفى. فضلاً عن أنّه تأويل في اللفظ لا مبرّر له ولا مستند.

٤ - إنّ معظمه نزل في شهر رمضان، ومن ثمّ صحّ نسبة الجميع إليه. وهذا احتمال ثانٍ احتملها سيّد قطب، قال: الشهر الذي أنزل فيه القرآن إنّما بمعنى أنّ

١ - التفسير الكبير، ج ٥، ص ٨٤.

٢ - مجمع البيان، ج ١، ص ٢٧٦.

٣ - مجمع البيان، ج ١، ص ٢٧٦، وانكشاف، ج ١، ص ٢٢٧.

٤ - البقرة ٤، ١٨٤.

٥ - التفسير الكبير، ج ٥، ص ٨٤.

٦ - الدر المنثور، ج ١، ص ١٨٩.

٧ - الإمتقان، ج ١، ص ١١٨.

٨ - الدر المنثور، ج ١، ص ١٩٠.

بدء نزوله كان في رمضان، أو أن معظمه نزل في أشهر رمضان.^١
 لكن لا دليل على أن معظم آيات القرآن نزلت في أشهر رمضان وفي ليلة القدر
 بالخصوص. ولعل الواقعة تأتي هذا الاحتمال رأساً.

٥ - القرآن نزل جملة واحدة في ليلة واحدة، هي ليلة القدر، إلى بيت العزة أو البيت
 المعمور، تم نزل على رسول الله ﷺ في فترات ومناسبات، طول عشرين أو ثلاثة وعشرين
 عاماً.

ذهب إلى هذا القول جماعة من أرباب الحديث، نظراً لظاهر أحاديث رويت في
 ذلك.

قال الشيخ الصدوق - عليه الرحمة -: نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر،
 جملة واحدة إلى البيت المعمور، في السماء الرابعة، تم نزل من البيت المعمور في مدة
 عشرين سنة. وأن الله أعطى نبيه العلم جملة واحدة، تم قال له: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ
 أَنْ يُقضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ».^٢

قال العلامة المجلسي - تعظيماً على هذا الكلام - فقد دلت الآيات على نزول القرآن
 في ليلة القدر. والظاهر نزوله جميعاً فيها. ودلت الآثار والأخبار على نزول القرآن في
 عشرين^٣ أو ثلاث وعشرين سنة.^٤ وورد في بعض الروايات: أن القرآن نزل في أول ليلة
 من شهر رمضان.^٥ ودل بعضها على أن ابتداء نزوله في المبعث.^٦ فيجمع بينها بأن في ليلة
 القدر نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الرابعة (البيت المعمور) لينزل من
 السماء الرابعة إلى الأرض تدريجاً.

١ - في خلال القرآن، ج ٢، ص ٢٤٤.

٢ - طه ٢٠، ١١٤؛ راجع الاعتقادات، ص ١٠١.

٣ - اتكافي، ج ٢، ص ٦٢٨ - ٦٢٩، ج ٦.

٤ - هي مدة نبوته ﷺ بناء على ابتداء نزول القرآن بيوم مبعثه واختتامه بوفاته ﷺ.

٥ - اتكافي، ج ٤، ص ٦٦، ج ١.

٦ - وهي روايات دلت على أن أول سورة نزلت هي سورة الفلق، نزلت في بدء النبوة في اليوم ٢٧ من رجب، راجع:

بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٤٩، ج ١، ص ١٨، ج ٤٠٦، ص ٣٦.

ونزل في أول ليلة من شهر رمضان جملة القرآن على النبي ﷺ ليعلمه هو، ولا يتلوه على الناس، ثم ابتداء نزوله آية آية وسورة سورة في المبعث أو غيره ليتلوه على الناس...^١ وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس: قال: أنزل القرآن ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ووضع في بيت العزة، ثم أنزل نجوماً على النبي ﷺ في عشرين سنة.

قال جلال الدين: وهذا هو أصح الأقوال وأشهرها. وروى في ذلك روايات كثيرة، حكم على أكثرها بالصحة، رواها عن الحاكم والطبراني والبيهقي والنسائي وغيرهم.^٢ وروى الطبري بإسناده عن واتلة بن الأسقع عن النبي ﷺ: قال: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان. وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان. وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت. وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان».^٣

وفيه عن السدي عن ابن عباس، قال: شهر رمضان، واللييلة المباركة ليلة القدر، فإن ليلة القدر هي اللييلة المباركة، وهي في رمضان، نزل القرآن جملة واحدة من الزبر إلى البيت المعمور، وهي مواقع النجوم في السماء الدنيا، حيث وقع القرآن، ثم نزل على محمد ﷺ بعد ذلك في الأمر والنهي وهي الحروب رسلاً رسلاً.^٤ وكان عطية بن الأسود قد وقع في نفسه الشك من هذه الآية، وقد نزل القرآن في جميع شهور السنة، فسأل ابن عباس عن ذلك، فأجابه بما تقدم.^٥

وهكذا روى جلال الدين بسنده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري - رضوان الله عليه - قال: أنزل الله صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزل التوراة على موسى لست خلون من رمضان، وأنزل الزبور على داود لانتني عشرة خلت من رمضان، وأنزل الإنجيل على عيسى لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان على محمد ﷺ لأربع وعشرين خلت من رمضان.^٦

٢ - الإفتان، ج ١، ص ١١٦-١١٨.

٤ - المصدر، ص ٨٤-٨٥.

٦ - المصدر.

١ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٥٣-٢٥٤، ج ٣.

٣ - جامع البيان، ج ٢، ص ٨٤.

٥ - اندر الصبور، ج ١، ص ١٨٩.

ومن طرفنا روى العياشي عن إبراهيم، أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» كيف أنزل فيه القرآن، وإنما أنزل القرآن في طول عشرين سنة، من أوله إلى آخره؟! فقال الإمام عليه السلام: «نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم أنزل من البيت المعمور في طول عشرين سنة. ثم قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأنزلت الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وأنزل الزبور لثمانية عشرة من رمضان. وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان»^١.

وجاء الحديث في الكافي، إلا أن في آخره: «وأنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان» والرواية هي عن الحسن بن غياث^٢.

وفي التهذيب جاء قسم من الحديث برواية أبي بصير، وفي آخره: «وأنزل الفرقان في ليلة القدر»^٤.

هذه جملة من روايات مأثورة، تفسر نزول القرآن جملة واحدة في ليلة واحدة، إما إلى البيت المعمور في السماء الرابعة كما في روايات الخاصة، أو إلى بيت العزة في السماء الدنيا، كما في بعض روايات العامة، ثم منها نزلت آياته مفرقة على رسول الله صلى الله عليه وآله حسب الظروف والمناسبات رسلاً رسلاً...

وقد أخذ الظاهريون من أصحاب الحديث بظاهر هذه الروايات، مستريحين بأنفسهم إلى مدلولها الظاهري تعبداً محضاً.

أما المحققون من العلماء فلم يرقهم الأخذ بما لا يمكن تعقله، ولا مقتضى للتعبد بما لا يرجع إلى أصول العباديات، ومن ثم أخذوا ينتقدون هذه الأحاديث نقداً علمياً. متسائلين: ماهي الفائدة الملحوظة من وراء نزول القرآن جملة واحدة في إحدى السماوات العلى، ثم ينزل تدريجياً على رسول الله صلى الله عليه وآله؟!^٥

١ - تهذيب العياشي، ج ١، ص ٨٠، ح ١٨٤.

٢ - تهذيب الكافي، ج ٢، ص ٦٢٨ - ٦٢٩، ح ٦.

٣ - تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ١٩٣ - ١٩٤، ح ٧.

٤ - تهذيب الكافي، ج ٢، ص ٦٢٨ - ٦٢٩، ح ٦.

٥ - تهذيب الكافي، ج ٢، ص ٦٢٨ - ٦٢٩، ح ٦.

وإجابة على هذا السؤال، قال الفخر الرازي: ويحتمل أن يكون ذلك تسهيلاً على جبرائيل أو لمصلحة النبي ﷺ في توقع الوحي من أقرب الجهات.^١ وهذا الجواب غاية في الوهن والستوط، مضافاً إلى أنه تخرّص بالغيب، ونستغرب صدور مثل هذا الكلام الفارغ من مثل هذا الرجل المضطلع بالتحقيق!! وقال المولى الفيض الكاشاني: وكأنه أريد بذلك: نزول معناه على قلب النبي ﷺ، كما قال تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ»^٢ تمّ نزل طول عشرين سنة نجوماً من باطن قلبه إلى ظاهر لسانه، كلما أتاه جبرائيل ﷺ بالوحي وقرأه عليه بالفاظه.^٣ فقد أوّل ﷺ البيت المعمور إلى قلب رسول الله ﷺ. وربما أراد الصدوق ﷺ أيضاً هذا المعنى من قوله: وأعطى نبيه العلم جملة واحدة.

وهكذا وقع اختيار الشيخ أبي عبد الله الزنجاني في تأويل هذه الرواية، قال: ويمكن أن نقول بأن روح القرآن وهي أغراضه الكلية التي يرمي إليها، تجلّت لقلبه الشريف في تلك الليلة «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ»^٤ ثمّ ظهرت بلسانه الأظهر مفرقة في طول سنين «وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْنٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا»^٥

وقد أخذ العلامة الطباطبائي ﷺ هذا التأويل وزاد عليه تحقيقاً، قال: إن الكتاب ذا حقيقة أخرى وراء ما نفهمه بالفهم العادي، وهي حقيقة ذات وحدة متماسكة لا تقبل تفصيلاً ولا تجزئة، لرجوعها إلى معنى واحد لا أجزاء فيه ولا فصول. وإنما هذا التفصيل المشاهد في الكتاب ظراً عليه بعد ذلك الإحكام، قال تعالى: «كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ»^٦ وقال تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»^٧ وقال: «وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ»^٨ إذن فالمراد بإنزال القرآن في ليلة القدر: إنزال حقيقة الكتاب المتوحّدة إلى قلب رسول الله ﷺ دفعة، كما نُزل القرآن المنفصل في

١ - التفسير الكبير، ج ٥، ص ٨٤.

٢ - تصانيف في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٢.

٣ - الإسراء ١٧، ١٦، راجع تاريخ القرآن، ص ١٠.

٤ - هود ١١، ١٠.

٥ - الواقعة ٥٦، ٧٧ - ٧٩.

٦ - الشعراء ٢٦، ١٩٣ - ١٩٤.

٧ - الأعراف ٧، ٥٤.

٨ - هود ١١، ١٠.

فواصل وظروف، على قلبه عليه السلام أيضاً تدريجاً في مدة الدعوة النبوية...^١
 أقول: هذا كلام لطيف، لكنه لا يعدو تأويلاً غير مستند إلى دليل، والمسألة قبل كل شيء ثقليّة وليست بالعقليّة النظرية، ومن ثمّ تتساءل هؤلاء الأعلام: بم أوّلتهم البيت المعمور الذي هو في السماء الرابعة - حسب روايات الخاصّة - أو بيت العزّة - حسب روايات العامّة - إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وآله؟! ولم هذا التعبير جاء في هذا اللفظ؟! وسوف نناقش السيد العلامة في اختيار وجود آخر للقرآن بسيط، وراء هذا الوجود المنفصل، سيأتي الكلام عليه في فصل المتشابهات إن شاء الله.^٢

تحقيق مفيد

قال المحقق العلامة الشيخ أبو عبدالله المفيد: الذي ذهب إليه أبو جعفر عليه السلام في هذا الباب، أصله حديث واحد - أي ليس من المشوألر المقطوع به - لا يوجب علماً ولا عملاً. ونزول القرآن على الأسباب الحادثة حالاً لا يدلّ على خلاف ما تضمنه هذا الحديث. وذلك أن القرآن قد تضمن حكم ما حدث وذكر ما جرى على وجهه، وذلك لا يكون على الحقيقة إلا لوقت حدوثه عند السبب...

مثلاً قوله تعالى: «مَدَّ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَرَأَى مَلَكًا مُصَدِّقًا لِمَا بَدَأُ بِهَا وَمُنذِرًا لِمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَنَادَى يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ نَادِيًّا»^٣ نزلت هذه الآية بشأن خولة بنت خويلد جاءت تشتكي زوجها أوس بن الصامت الذي كان قد ظاهرها، وكان ذلك طلاقاً في الجاهليّة.^٤

وقوله تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ حِجَارَةً أَوْ خَبْرًا لَمْ يَأْتُوا بِهَا تِجَارَةً وَأُولَئِكَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ»^٥ وقوله: «رِجَالٌ صَدَقُوا

١ - تفسير الصيران، ج ٢، ص ١٤ - ١٦.

٢ - عند الكلام عن حقيقة التاويل في الجزء الثالث من الكتاب.

٣ - نقلاً كلامه سابقاً، وكلام المفيد هذا رأ عليه، وعلى كل من ذهب مذهبه من اختيار ظاهر تنكح الأحاديث.

٤ - الصجادة ٥٨: ١، ٥ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٤٦.

٥ - الجمعة ٦٦: ١١.

مَاعَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَيَنْهَمُ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا»^١.

وكثير في القرآن لفظة «قالوا» و«قال» و«جاؤوا» و«جاء» - بلنظ الماضي - كما أن فيه ناسخاً ومنسوخاً... كل ذلك لا يتناسب ونزوله جملة واحدة في وقت لم يحدث شيء من ذلك.

قال عليه السلام: ولو تتبعنا قصص القرآن، لجاه مما ذكرناه كثيراً لا يتسع به المقال. وما أشبه ما جاء به هذا الحديث بمذهب المشبهة الذين زعموا أن الله سبحانه لم ينزل متكلماً بالقرآن - أي القول بقديم القرآن - ومخبراً عما سيكون بلنظ كان، وقد رد عليهم أهل التوحيد بنحو ما ذكرناه.

قال: وقد يجوز في الخبر الوارد بنزول القرآن جملة في ليلة القدر: أنه نزلت جملة منه ليلة القدر، ثم تلاه ما نزل منه إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فأما أن يكون نزل بأسره وجميعه في ليلة القدر فهو بعيد عما يقتضيه ظاهر القرآن، والمتواتر من الأخبار، وإجماع العلماء على اختلافهم في الآراء...^٢

وقال المرتضى علم الهدى عليه السلام: «والذي ذهب إليه أبو جعفر ابن بابويه عليه السلام من القطع على أنه أنزل جملة واحدة...» إن كان معتمداً في ذلك على الأخبار المروية التي رواها، فتلك أخبار آحاد لا توجب علماً ولا تقتضي قطعاً. وبإزائها أخبار كثيرة أشهر منها وأكثر، تقتضي أنه أنزل متفرقاً، وأن بعضه نزل بمكة وبعضه بالمدينة، ولهذا نسب بعض القرآن إلى أنه مكِّي وبعضه مدني. وأنه صلى الله عليه وسلم كان يتوقف عند حدوث حوادث، كالظهار وغيره، على نزول ما ينزل إليه من القرآن، ويقول صلى الله عليه وسلم: ما أنزل إلي في هذا شيء - ولو كان القرآن أنزل جملة واحدة لما جرى ذلك، وكان حكم الظهار وغيره مما يتوقف فيه معلوماً له. ومثل هذه الأمور الظاهرة المنتشرة لا يرجع عنها بأخبار الآحاد خاصة.

١ - شرح عقائد الصدوق (تصحیح الاعتقاد)، ص ٥٨.

٢ - الأخراب ٣٣، ٣٤.

فأما القرآن نفسه فدالّ على ذلك، وهو قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً» ولو كان أنزل جملة واحدة لقليل في جوابهم قد أنزل على ما اقترحتم، ولا يكون الجواب: «كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً»^١ وفسّر المفسرون كلهم ذلك بأن قالوا: المعنى إنا أنزلناه كذلك أي متفرقاً يتمهل على إسماعه ويتدرج إلى تلقّيه، والترتيل أيضاً إنما هو ورود الشيء في أثر الشيء، وصرّف ذلك إلى العلم به غير صحيح، لأنّ الظاهر خلافه. ولم يقل القوم: لولا علمنا بنزوله جملة واحدة، بل قالوا: لولا أنزل إليك جملة واحدة. وجوابهم إذا كان أنزل كذلك أن يقال: قد كان الذي طلبتموه، ولا يحتاج لإزاله متفرقاً بما ورد بنزوله في تمام الآية.

فأما قوله: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ»^٢ فإنما يدلّ على أنّ جنس القرآن (معظمه أو بدءه شروعاً) نزل في هذا الشهر، ولا يدلّ على نزول الجميع فيه.

فأما قوله: «وَلَا تُعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ»^٣ فلا ندري من أي وجه دلّ على أنّه أنزل جملة واحدة. وقد كان أنّه ﷺ يبين وجه دلالة على ذلك. وهذه الآية بأن تدلّ على أنّه ما أنزل جملة واحدة أولى، لأنّه تعالى قال: «قَبْلَ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» وهذا يقتضي أنّ في القرآن منتظراً ما قضى الوحي به وقوع منه.

وقد كنا سألنا إمامنا تأويل هذه الآية قديماً، فأملينا فيها مسألة مستوفاة، وذكرنا عن أهل التفسير فيها وجهين، وضمنا إليهما وجهاً ثالثاً تفردنا به. فأحد الوجهين: أنّه كان ﷺ إذا نزل عليه الملك بشيء من القرآن قرأه مع الملك المؤدّي له إليه قبل أن يستتمّ الأداء. حرصاً منه ﷺ على حفظه وضبطه. فأمر ﷺ بالنتبت حتى ينتهي غاية الأداء، لتعلق الكلام ببعضه ببعض.

والوجه الثاني: إنّه ﷺ نهى أن يبلغ شيئاً من القرآن قبل أن يوحى إليه بمعناه وتأويله

٢ - البقرة ٢: ١٨٥.

١ - الفرقان ٢٥: ٣٦.

٣ - طه ٢٠: ١١٤.

وتفسيره.

والوجه الثالث - الذي انفردنا به - إنه ﷺ نهى عن أن يستدعي من القرآن ما لم يوح إليه به لأن ما فيه مصلحة منه لا بد من إنزاله وإن لم يستدع، لأنه تعالى لا يدخر المصالح عنهم، وما لا مصلحة فيه لا ينزله على كل حال، فلا معنى للاستدعاء.

فلا تعلق للآية بالموضع الذي وقع فيه...^١

إنزال وتنزيل

ومما تعلق به أصحاب القول بنزول القرآن مرتين: دفعية وتدرجية، وهو الفرق بين التعبيرين (إنزال وتنزيل) بشأن نزول القرآن: قالوا: متى جاء التعبير بإنزال القرآن فالمراد نزوله الدفعي، كما في قوله تعالى: «مَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ». ^٢ وقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي كَيْلَةِ مَبْرَكَةٍ». ^٣ و«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي كَيْلَةِ الْقَمَرِ». ^٤

أما التعبير بالتنزيل فيعني نزوله التدريجي: «وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكَّةَ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا». ^٥

قال الزمخشري - في قوله تعالى: «نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ» - : لم قال بشأن الكتاب: نزل. وبسأن التوراة والإنجيل: أنزل؟ فأجاب: لأن القرآن نزل منجماً ونزل الكتابان جملة.^٦

وقال الراغب: والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة: أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفزقاً ومرة بعد أخرى، والإنزال عام.

قال - في الآيات الثلاث الأولى - : وإنما خص لفظ الإنزال دون التنزيل، لما روي أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجماً فنجماً. وفي قوله تعالى: «الْأَعْرَابُ

١ - جواب انمسائل انظر المسائل الثالثة، ضمن المجموعة الأولى من رسائل انشريف انعرتظي، ص ٤٠٣ - ٤٠٥.

٢ - انبقره ٤، ١٨٥. ٣ - انسخان ٤٤، ٣.

٤ - انقدر ٩٧، ١. ٥ - الإسراء ١٧، ١٠٦.

٦ - أن عمران ٣، ٣. ٧ - انكشاف، ج ١، ص ٣٣٦.

أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُّ أَنْ لَا يَخْلَمُوا حَدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ»^١ فخصّ لفظ الإنزال ليكون أعم. وقوله: «كُلُّ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ»^٢ ولم يقل: «لُونزَلْنَا» تبييناً أنّ ما حوّلناه مرّةً ما حوّلناك مراراً «كَرَأَيْتَهُ حَاشِعاً»...^٣

وتابعهما على ذلك سيدنا العلامة الطباطبائي مؤكداً عليه ومصرّاً على أنّ التعبير بالإنزال إنما كان باعتبار نزول حقيقة القرآن البسيطة دفعةً في ليلة القدر من شهر رمضان. وأمّا التنزيل فهو نزول تفاصيله تدريجياً في تمام مدّة الرسالة.^٤

لكن الحقيقة تبدو غير ذلك، فقد حكى الله عن العرب قولتهم: «لَوْلَا تُرُّلٌ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمَّلَةٌ وَاحِدَةٌ»^٥ فجاء التعبير عن نزول جملة القرآن دفعةً بالتنزيل. وأيضاً قوله تعالى: «كَرَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا»^٦ والملك شخص وهو لا ينزل شيئاً فشيئاً مدرجاً.

وقوله: «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ»^٧ والآية تنزل لفردتها.

وقوله: «وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ»^٨ أي نزولها جملةً.

وقوله: «وَكُلُّ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَابٍ فَلَمْسُوهُ»^٩ أي نزوله بجملة.

ويرد على العلامة فيما حسبه من اختصاص لفظ الإنزال باليسائط، قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ»^{١٠} والكتاب المنزل الذي فيه المحكم والمتشابه هو هذا القرآن الذي فيه تفصيل وتبيين.

وقوله: «وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا»^{١١} والنازل مفصلاً هو هذا القرآن الذي

نزل منجماً.

وقد جمع بين التعبيرين بشأن هذا القرآن في آية واحدة: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ مُبَيَّنًّا

١ - لقوتة ٩: ٩٧.

٢ - التحش ٥٩: ٢١.

٣ - التصرفات تراجم، ص ٤٨٩.

٤ - تفسير الصيران، ج ٢، ص ١٤.

٥ - الفرقان ٢٤: ٣٢.

٦ - الإسراء ١٧: ٩٥.

٧ - الأندام ٦١: ٣٧.

٨ - محمد ٥٧: ٢٠.

٩ - الأندام ٦١: ٧.

١٠ - آل عمران ٣: ٧.

١١ - الأندام ٦١: ١١٤.

لِلنَّاسِ مَانِزِلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»^١.

وقد وهم الرمخسري هنا مرّتين، أولاًهما؛ ما حسبه بشأن الإنجيل أنه كتاب وماهو إلا بشارت ألقاها على الحواريين، ولم يكن له كتاب بمعناه المصطلح.^٢ وقوله: «آتاني الكتاب»^٣ يعني به الشريعة ذاتها وهو تعبير مصطلح شائع، قال تعالى: «يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»،^٤ أي يعلمهم الشريعة إلى جنب الحكمة وهي البصيرة في الدين. وتانيتهما؛ ما حسبه بشأن التوراة أنها نزلت من السماء بصورة كتاب، في حين أنها ألواح أخذها موسى ﷺ معه ليكتب عليها ما يُمليه عليه الرحمان على جبل طور. فكان كتاب موسى (على حدّ تعبير القرآن)^٥ كتبه بيده. أمّا الذي أنزله الله عليه فهي إملاءات أملاها عليه تدريجياً طول إقامته على جبل طور.^٦

أول ما نزل

اختلف الباحثون في شؤون القرآن، ففي أن أي آياته أو سوره نزلت قبل؟ والأقوال في

ذلك ثلاثة:

مرزوقية تكوير علوم رسول

١ - سورة العلق. لأنّ نبوته ﷺ بدأت بنزول ثلاث أو خمس آيات من أول سورة العلق. وذلك حينما فجأه الحق وهو في غار حراء، فقال له الملك: اقرأ فقال: ما أنا بقارىء، فغطّه غطاً ثم قال له: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ،^٧ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»^٨.

وفي تفسير الإمام: هبط إليه جبرائيل وأخذ بضبعه وهزّه، فقال: يا محمد ﷺ اقرأ:

١ - التاجل ١٦: ٤٤.

٢ - راجع: التمهيد، الجزء الثامن، أين صمد الإنجيل انزل على المسيح، وقصص الأنبياء لتدجار، ص ٤٩٩.

٣ - مريم ١١٩، ٣٠. ٤ - البقرة ٢: ١٢٩.

٥ - «وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً»، الأحقاف ٥٦: ١٢.

٦ - راجع: سفر الخروج ٣٤: ٢٧. ٧ - صحيح البخاري، ج ١، ص ٣.

٨ - العلق ١٦: ١، ٥. راجع: صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٧.

قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمد «إقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم»^١.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله «بسم الله الرحمن الرحيم. اقرأ باسم ربك» وآخر ما نزل عليه «إذا جاء نصر الله»^٢.

٢ - سورة المدثر. لما روي عن ابن سلمة، قال: «سألت جابر بن عبد الله الأنصاري: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر قلت: أو اقرأ باسم ربك؟ قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وآله: إني جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي - ولعلته سمع هاتفاً - ثم نظرت إلى السماء فإذا هو - يعني جبرائيل - فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثروني، فأنزل الله «يا أيها المدثر. قم فأذرن»^٣.

هذا. ولعل جابر اجتهد من نفسه أنها أول سورة نزلت، إذ ليس في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله دلالة على ذلك، والأرجح أن ما ذكره جابر، كان بعد فترة انقطاع الوحي، فظنه جابر بدء الوحي^٤ وإليك حديث فترة انقطاع الوحي برواية جابر أيضاً:

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يحدث عن فترة الوحي، قال: فبينما أنا أمشي إذ سمعت هاتفاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، فجلست منه فرقاً - أي فرغت - فرجعت، فقلت: زملوني زملوني فدثروني، فأنزل الله تبارك وتعالى: «يا أيها المدثر قم فأذرن وربك فكبر. ونهايك فطهر. والجزء ما هجر»^٥ - وهي الأوتان - قال صلى الله عليه وآله: ثم تتابع الوحي. وفي لفظ البخاري: فحمى الوحي وتتابع^٦.

١ - تفسير الإمام، ج ١، ص ١٥٧، وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٠٦، ج ٣٦، وتفسير البرهان، ج ٥، ص ٤٧٨.

٢ - التذافي، ج ٢، ص ٦٢٨ - ٦٢٩، ج ٥، وعيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٥ - ٦، ج ١٢، وبحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٤٩، ج ١،

وتفسير البرهان، ج ١، ص ٢٩. ٣ - صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٩.

٤ - راجع البرهان، ج ١، ص ٢٠٦. ٥ - المدثر، ١ - ٥.

٦ - صحيح مسلم، ج ١، ص ١٩٨، وصحيح البخاري، ج ١، ص ٤.

٣- سورة الفاتحة. قال الزمخشري: أكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل.^١
وروى العلامة الطبرسي عن الأستاذ أحمد الزاهد في كتابه «الإيضاح» بإسناده عن سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «سألت النبي صلى الله عليه وآله عن ثواب القرآن، فأخبرني بتواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء فأول ما نزل عليه بمكة: فاتحة الكتاب، ثم: اقرأ باسم ربك، ثم: إن والقلم...»^٢

وروى الواحدي في أسباب النزول بسنده عن أبي مسرة عمرو بن شرحبيل، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خلى وحده سمع نداء فيمزع له، ولمرة الأخيرة ناداه الملك: يا محمد! قال: لييك، قال: قل: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (حتى بلغ): وَلَا الضَّالِّينَ».^٣

قلت: لا شك أن النبي صلى الله عليه وآله كان يصلي منذ بعثته، وكان يصلي معه علي وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة^٤ ولا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب^٥ فقد ورد في الأثر: أول ما بدأ به جبرائيل: أن علمه الوضوء، والصلاة^٦ فلا بد أن سورة الفاتحة كانت مقرونة بالبعثة. قال جلال الدين السيوطي: لم يحفظ أئمة كان في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب.^٧
وبعد.. فلانرى تناقياً جوهرياً بين الأقوال الثلاثة، نظراً لأن الآيات الثلاث أو الخمس من أول سورة العلق إنما نزلت تبشيراً بنبوته صلى الله عليه وآله وهذا إجماع أهل الأمة، ثم بعد فترة جاءت آيات - أيضاً - من أول سورة المدثر، كما جاء في حديث جابر تانياً. أما سورة الفاتحة فهي أولى سورة نزلت بصورة كاملة، وبسمة كونها سورة من القرآن كتاباً سماوياً للمسلمين، فهي أول قرآن نزل عليه صلى الله عليه وآله بهذا العنوان الخاص، وأما آيات غيرها سبقتها

١- التكتاف، ج ٤، ص ٧٧٥، وناقشه ابن حجر مناقشة سطحية لا مجال لها بعد توضيحنا الآتي في وجه انجم بين الأقوال

الثلاثة. وراجع: فتح الباري، ج ٨، ص ٥٤٨. ٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٠٤.

٣- أسباب النزول، ص ١٠. ٤- تفسير علي بن إبراهيم القمي، ج ١، ص ٣٧٨.

٥- التصديق على التصحيحين، ج ١، ص ٢٣٨-٢٣٩، وتصحيح مسلم، ج ٢، ص ٩.

٦- سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٦٠-٢٦١، وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٨٤، ج ١٤، ص ١٩٤، ج ٣٠.

٧- الإفتان، ج ١، ص ٣٠.

نزولاً، فهي إنما نزلت لغايات أخرى، وإن سجلت بعدئذ قرآناً ضمن آياته وسوره.
ومن هنا صحَّ التعبير عن سورة الحمد بسورة الفاتحة، أي أول سورة كاملة نزلت بهذه
السمة الخاصّة. وهذا الاهتمام البالغ بشأنها في بدء الرسالة، واختصاص فرضها في
الصلوات جميعاً، جعلها - في الفضيلة - عدلاً للقرآن العظيم: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سُبْعاً مِنَ اللّٰقَآئِ
وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ»^١ فقد امتنَّ الله على رسوله بهذا النزول الخاصّ تجاه سائر القرآن.
نعم لو اعتبرنا السور باعتبار مفتتحها فسورة الحمد تقع الخامسة، كما جاء في رواية
جابر بن زيد^٢ الآتية.

آخر ما نزل

جاء في رواياتنا: أن آخر ما نزل هي سورة النصر، روي أنها لما نزلت وقرأها عليه السلام
على أصحابه، فرحوا واستبشروا، سوى العباس بن عبد المطلب، فإنه بكى، قال عليه السلام:
ما يبكيك يا عم! قال: أظنُّ أنه قد نعبت إليك نفسك يا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنه لكما تقول.
فعاش صلى الله عليه وآله بعدها سنتين.^٣

قال الإمام الصادق عليه السلام: «وأخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله والفتح»^٤.

وأخرج مسلم عن ابن عباس، قال: آخر سورة نزلت، إذا جاء نصر الله والفتح.^٥
وروي آخر سورة نزلت براءة. نزلت في السنة التاسعة بعد عام الفتح عند مرجعه صلى الله عليه وآله
من غزوة تبوك، نزلت آيات من أولها، فبعث بها النبي مع علي صلى الله عليه وآله ليقرأها على ملأ من
المشركين.^٦

وروي: آخر آية نزلت «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ فَمَنْ تُوَفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ»^٧ نزل بها جبرائيل، وقال: ضعها في رأس المائتين والثمانين من سورة البقرة.

٢ - الإفتان، ج ١، ص ٧٢.

١ - التحجر، ١٧، ١٨٧.

٤ - تفسير التبرهان، ج ١، ص ٢٩.

٣ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٥٤.

٦ - الصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٦٨٠.

٥ - الإفتان، ج ١، ص ٧٩.

٧ - البقرة، ٤، ٢٨١.

وعاش الرسول ﷺ بعدها أحداً وعشرين يوماً، وقيل سبعة أيام^١.
قال ابن واضح اليعقوبي: وقد قيل: إن آخر ما نزل عليه ﷺ «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا»^٢ قال: وهي الرواية الصحيحة النابتة
الصريحة. وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)
بغدير خم^٣.

أقول: لا شك أن سورة النصر نزلت قبل براءة، لأنها كانت بشارة بالفتح، أو بمكة عام
الفتح^٤ وبراءة نزلت بعد الفتح بسنة. فطريق الجمع بين هذه الروايات: أن آخر سورة نزلت
كاملة هي سورة النصر، فقال ﷺ: «أما أن نفسي نعت إلي^٥ وأخر سورة نزلت باعتبار
مفتتحها هي سورة براءة. وأما آية «وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا» فإن صح أنها نزلت
بمنى يوم النحر في حجة الوداع - كما جاء في رواية الماوردي^٦ - فأخر آية نزلت هي آية
الإكمال - كما ذكرها اليعقوبي. لأنها نزلت في مرجعه ﷺ من حجة الوداع ثامن عشر ذي
الحجة. وإلا فلوصح أن النبي عاش بعد آية «وَأَتَمَمْتُ»^٧ أحداً وعشرين يوماً أو سبعة أو
تسعة أيام، فهذه هي آخر آية نزلت عليه ﷺ.
والأرجح عندنا: هو ما ذهب إليه اليعقوبي، نظراً لأنها آية الإعلام بكمال الدين،
فكانت إنذاراً بانتهاء الوحي عليه ﷺ بالبلاغ والأداء. فلعل تلك الآية كانت آخر آيات
الأحكام، وهذه آخر آيات الوحي إطلاقاً.

وهناك أقوال وآراء آخر لا قيمة لها، إنها غير مستندة إلى نص معصوم.

قال القاضي أبو بكر - في الانتصار -: وهذه الأقوال ليس في شيء منها ما رفع إلى
النبي ﷺ ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد، وتغليب الظن وليس العلم
بذلك من فرائض الدين، حتى يلزم ما طعن به المطاعون من عدم الضبط. ويحتمل أن كلاً

١ - تفسير شبر، ص ٨٣.

٢ - التمامة، ص ٣.

٣ - تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٥.

٤ - نواب التنوير، ج ٢، ص ١٤٥.

٥ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٩٤.

٦ - التبرهان للزركشي، ج ١، ص ١٨٧.

منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله ﷺ، وغيره سمع منه بعد ذلك. ويحتمل أيضاً - أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسم ما نزل معها، وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخراً وتلاوته، فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل في الترتيب.^١

المكي والمدني

لمعرفة المكي من المدني، سواء أكانت سورة أم آية، فائدة كبيرة تسمى جوانب أسباب النزول، وتمدّ الحفّس والتقييد في تعيين اتجاه الآية، وفي مجال معرفة الناسخ من المنسوخ، والخاص من العام، والتقييد من الإطلاق، وما أشبه. ومن تمّ حاول العلماء جهدهم في تعيين المكيات من المدنيات، ووقع إجماعهم على قسم كبير، واختلفوا في الباقي. كما استنوا آيات مدنية في سور مكية أو بالعكس، ولذلك تفصيل طريف يأتي.



اتجاهات في تعيين المكي والمدني

والملاك في تعيين المكي والمدني مختلف حسب اختلاف الآراء والأنظار في ذلك، وفيما يلي ثلاث نظريات جاءت مشهورة:

الأولى: اعتبار ذلك بهجرة النبي ﷺ ووصوله إلى المدينة المنورة. فما نزل قبل الهجرة أو في أثناء الطريق قبل وصوله إلى المدينة، فهو مكي، وما نزل بعد ذلك فهو مدني. والملاك على هذا الاعتبار ملاك زمني، فما نزل قبل وقت الهجرة، ولو في غير مكة فهو مكي. وما نزل بعد الهجرة ولو في غير المدينة حتى ولو نزل في مكة عام الفتح أو في حجة الوداع، فهو مدني باعتبار نزوله بعد الهجرة. وعلى هذا الاصطلاح فجميع الآيات النازلة في الحروب وفي أسفاره ﷺ بما أنها نزلت بعد الهجرة، كلها مدنيات.

قال يحيى بن سلام: ما نزل بمكة أو في طريق المدينة قبل أن يبلغها ﷺ فهو مكي. وما نزل بعدما قدم ﷺ المدينة أو في بعض أسفاره وحروبه فهو مدني. قال جلال الدين:

وهذا أمر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكِّي اصطلاحاً^١ وذلك كقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ»^٢ قيل: نزلت بالجنة والنبي ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة.^٣

الثانية: ما نزل بمكة وحواليها - ولو بعد الهجرة - فهو مكِّي، وما نزل بالمدينة وحواليها فهو مدني. وما نزل خارج البلدين، بعيداً عنهما فهو لامكِّي ولا مدني، كقوله تعالى: «كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتُنَلَّوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ»^٤ قيل: نزلت بالمدينة حينما صالح النبي ﷺ مشركي قريش فقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم... فقال سهيل بن عمرو وسائر المشركين: ما عرف الرحمان إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فنزلت الآية^٥ وهكذا آية الأنفال^٦ نزلت في بدر عندما اختصم المسلمون في تقسيم الغنائم^٧ لامكِّية ولا مدنيّة، على هذا الاصطلاح الثالثة: ما كان خطاباً لأهل مكة فهو مكِّي، وما كان خطاباً لأهل المدينة فهو مدني، وهذا الاصطلاح مأخوذ من كلام ابن مسعود: كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو بمكة. وكل شيء نزل فيه يا أيها الذين آمنوا فهو بالمدينة.^٨ قال الزركشي: لأن الغالب على أهل مكة الكفر، والغالب على أهل المدينة الإيمان.^٩

وهذا الاختلاف في تحديد المكِّي والمدني أوجب اختلافاً في كثير من آيات وسور: أنها مكِّيّة أم مدنيّة.^{١٠} غير أن المعتمد من هذه المصطلحات هو الأوّل، وهو المشهور الذي

١ - الإتيان، ج ١، ص ٢٣.

٢ - تبرهان للزركشي، ج ١، ص ١٩٧.

٣ - مجمع البيان، ج ٦، ص ٢٩٣.

٤ - راجع: التيسير لابن هشام، ج ٢، ص ٣٢٢.

٥ - تبرهان للزركشي، ج ١، ص ١٨٧.

٦ - كما في آية الأمانات من سورة النساء ٥: ٥٨ زعمها النحاس مكِّيّة نرواية ابن جرير، راجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٦٤.

٧ - اقتصر ٢٨: ٨٤.

٨ - لقرئ ١٣: ٣٠.

٩ - الأنفال ١٨: ١.

١٠ - التسنن على التصحيحين، ج ٢، ص ١٨.

جرى عليه أكثرية أهل العلم^١ وكان تحديدنا الآتي في نظم السور حسب ترتيب نزولها معتمداً على هذا الاصطلاح.

نعم، الطرق إلى معرفة مواقع النزول: أنها كانت بمكة أو بالمدينة أو بغيرهما، قليل جداً، لأن الأوائل لم يعيروا هذه الناحية المهمة اهتماماً معتدلاً به، سوى ما ذكروه في عرض الكلام استطراداً، وهي استفادة ضئيلة للغاية، ومن ثم يجب لمعرفة ذلك ملاحظة شواهد وقرائن من لفظ الآية أو استفادة من لهجة الكلام، خطاباً مع نوعيته موقف الموجه إليهم: أكان في حرب أم في سلم، وعد أم وعيد، إرشاد أم تكليف...؟ فيما إذا أوجب ذلك علماً أو حلاً قطعياً لمشكلة في لفظ الآية، كما في قوله: «مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِ»^٢ فإن مشكلة دلالتها على مطلق الترخيص دون الإلزام والإيجاب، تنحل بما أتر في سبب نزولها^٣ الأمر الذي يوجب الثقة بصحة الأثر، مع غرض النظر عن ملاحظة السند، ومن ثم فهي مدنيّة.

قال الجعبري: لمعرفة المكي والمدني طريقان سماعي وقياسي، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي، قال علي بن مسعود: كل سورة فيها «يا أيها الناس» فقط، أو «كلّا» أو أولها حروف تهج سوى الزهراوين (البقرة وآل عمران) والرعد - في وجه - أو فيها قصّة آدم وإبليس سوى الطولي (البقرة) أو فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية، فهي مكّيّة. وكل سورة فيها حدّ أو فريضة، فهي مدنيّة. وفي رواية: وكل سورة فيها: «يا أيها الذين آمنوا» فهي مدنيّة.

قال الزركشي: وهذا القول - الأخير - إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر، فإن سورة البقرة مدنيّة وفيها: «يا أيها الناس اغنثوا ربكم»^٤، وفيها: «يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً

١ - راجع: التبرهان للزركشي، ج ١، ص ١٨٧، والإيقان، ج ١، ص ٢٣.

٢ - البقرة ٢: ١٥٨.

٣ - كان الصامعون يتخرجون التبعي بين الصفا والنزوة، زعموا أنها عادة جاهلية تكرمياً بقدم أسان ونائفة، فنزلت الآية دفناً لهذا توهم. راجع: مجمع البيان، ج ١، ص ٢٤٠، ٢٤١ - البقرة ٢: ٢٦.

طَبِياً»^١ وسورة النساء مدنية وفيها: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ»^٢ وفيها: «إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ»^٣ فَإِنَّ أَرَادَ الْمَفْسَّرُونَ أَنَّ الْغَالِبَ ذَلِكَ فَهُوَ صَحِيحٌ، وَلِذَا قَالَ مَكِّي بْنُ حَمُوشٍ: هَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي الْأَكْثَرِ وَلَيْسَ بِعَامَّةٍ. وَفِي كَثِيرٍ مِنَ السُّورِ الْمَكِّيَّةِ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»^٤ وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ: كَانَتْ الْعَادَةُ تَقْضِي بِحِفْظِ الصَّحَابَةِ ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ قَوْلٌ، وَلَا وَرَدَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ كَذَا وَبِالْمَدِينَةِ كَذَا. وَإِنَّمَا لَمْ يَفْعَلْهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَوْمَرْ بِهِ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِ الْأُمَّةِ، وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ، لَمَّا لَمْ يَحْتَبِرُوا ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِ الدِّينِ، لَمْ تَتَوَقَّرِ الدَّوَاعِي عَلَى إِخْبَارِهِمْ بِهِ، وَمَوَاصِلُهُ ذَلِكَ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ سَاعَ أَنْ يَخْتَلَفَ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ فِي بَعْضِ الْقُرْآنِ: هَلْ هُوَ مَكِّيٌّ أَوْ مَدِينِيٌّ؟ وَأَنْ يَعْمَلُوا فِي الْقَوْلِ بِذَلِكَ ضَرْباً مِنَ الرَّأْيِ وَالِاجْتِهَادِ...^٥



شبهات حول المكي والمدني

تيرت لعهد قريب شبهات حول موضوع المكي والمدني وكانت على أساس مزعومة تأثر القرآن بالبيئة وأنه قد خضع لظروف بشرية مختلفة تركت آثارها على أسلوب القرآن وطريقة عرضه، وعلى مادته والموضوعات التي عني بها. لكن لا بد لنا أن نفرّق بين فكرة تأثر القرآن وافتعاله بالظروف الموضوعية من البيئة وغيرها بمعنى انطباعه بها، وبين فكرة مراعاة القرآن لهذه الظروف بقصد تأثيره فيها وتطويرها لصالح الدعوة.

٢ - النساء: ٤، ١.

١ - آية: ٢، ١٦٨.

٣ - النساء: ٤، ١٣٣.

٤ - تم نجد في سورة مكية «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» نعم فيها كثير ذكر «الذين آمنوا» بلا خطاب. كما في سورة عن الزمر وغافر وقصص وغيرها. نعم ذكر الزركشي مثلاً تذكر: قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا» الحج: ٥٢، ١٦٦. فرعها مكية. تكن التصحيح أنها مدنية وسياحي ذلك. ٥ - راجع: البرهان للزركشي، ج ١، ص ١٩٠ - ١٩٢.

فإنّ الفكرة الأولى تعني في الحقيقة: بشريّة القرآن، حيث تفرض القرآن في مستوى الواقع المعاش وجزءاً من البيئة الاجتماعيّة يتأثر بها كما يؤثر فيها. وهذا على خلاف الفكرة الثانية فإنّها لا تعني شيئاً من ذلك، لأنّ طبيعة الموقف القرآني الذي يستهدف التغيير، وطبيعة الأهداف والغايات التي يرمي القرآن إلى تحقيقها قد تفرض هذه المراعاة، حيث تُحدّد الغاية والهدف، شاكلة الأسلوب الذي يجب سلوكه للوصول إليه. فهناك فرق بين أن تفرض الظروف والواقع أنفسهما على الرسالة، وبين أن تفرض الأهداف والغايات التي ترمي الرسالة إلى تحقيقها من خلال الواقع، أسلوباً ومنهجاً للرسالة. والهدف والغاية ليسا شيئين منفصلين عن ذات الرسالة حتى يكون تأثيرهما عليها تأثيراً مفروضاً من الخارج.

والشبهات المعروضة في هذا المجال تملخص في الفرق البائن بين القسم المكي من القرآن والمدني منه بالقصر والإيجاز الملاحظ في السور والآيات المكية على خلاف التفصيل والإسهاب في المدنيات، ممّا يدل على انقطاع الصلة بين التسمين وتأثر كل منهما بالبيئة التي كان يعيشها نبي الإسلام. فإن مجتمع مكة لما كان مجتمعاً أمياً لم يكن النبي بقدرته البسط في شرح المفاهيم وتفصيلها وإنما والله القدر على ذلك عندما أخذ يعيش مجتمع المثقفين المتحضّر في يثرب.

وكذا الفرق بطابع الشدة والعنف الذي وُسمت به السور المكية على العكس من المدنيات الموسومة بطابع اللين والهدوء. ويغلب على المكيات عرض الأدلة والبراهين وفي المدنيات التشريعات والأحكام.

ولكنّها فوارق تعود إلى طبيعة الدعوة في حركتها بدءاً وهي في حالة كفاح، وبعد التمكن والظهور وهي في حالة هدوء بالسنن إلى البسط والتوسّع والتفصيل.

على أنّ تلك الفوارق ليست بقطر إذا ما وجدنا في المدنيات سوراً قصاراً في مثل سورة النصر وسورة الزلزلة والبيئة المدنيات. وفي المكيات طوالاً في مثل سورة الأنعام

وسورة الأعراف. كما أن في سور مدنيّة كثيرًا من التأنيب والتفريع^١ ولاسيما بشأن المنافقين ومن رافقهم من أهل الكتاب.

هذا مع ملاحظة اختلاف الظروف في مكة من اضطهاد وقسوة على عكس المدينة من رحاب ورأفة، وبذلك يشرق لون الدعوة والشليخ بطبيعة الحال.

ترتيب النزول

اعتمدنا في هذا العرض على عدّة روايات متشق عليها. وثق بها العلماء أكثرها، وعمدتها رواية ابن عباس بطرق وأساليب اعترف بها أئمة النسخ^٢.

قال الإمام بدر الدين الزركشي: وعلى هذا الترتيب استقرت الرواية من الثقات^٣. وقد أخذناها الأصل الأوّل في هذا العرض، وأكملنا ما سقط منها على رواية جابر بن زيد وغيره، وكذا نصوص تاريخيّة معتمدة^٤ نعم كان بينها بعض الاختلاف إمّا للاختلاف في تحديد المكّي والمدنيّ، أو في عدد المكّيّات من المدنيّات، ومن تمّ جاء اختلافهم في نيف وثلاثين سورة أنّها مكّيّات أم مدنيّات.

والنظر في هذا العرض كان إلى مفتتح السور، فالسورة إذا نزلت من أولها بضع آيات، ثمّ نزلت أخرى، وبعدها اكتملت الأولى، كانت الأولى متقدّمة على الثانية في ترتيب النزول حسب هذا المصطلح.

وإليك قائمة السور المكّيّة، وعددها: ست وثمانون سورة. متقدّمة على السور المدنيّة، وعددها: تمان وعشرون سورة. مع غرض النظر عن سور مختلف فيها، وستتكلّم عن ذلك في فصل قادم.

١ - كما في سورة الأنعام وسورة براءة وكثير من آيات ذي سور مدنيّات.

٢ - راجع: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٠٥ - ٤٠٦، والإتقان، ج ١، ص ٢٦ و ٢٧.

٣ - البرهان للزركشي، ج ١، ص ١٩٣ - ١٩٤. ٤ - راجع: القهرست، ص ٤٤، وتاريخ البيهقي، ج ٢، ص ٢٦.

السور المكية

(٨٦)

ترتيب المصحف	السورة	ترتيب النزول	ترتيب المصحف	السورة	ترتيب النزول
١١٣	الفلق	٢٠	٩٦	الحلق	١
١١٤	الناس	٢١	٦٨	القلم	٢
١١٢	التوحيد	٢٢	٧٣	المزمل	٣
٥٣	النجم	٢٣	٧٤	المدثر	٤
٨٠	عبس	٢٤	١	الفاتحة ^١	٥
٩٧	التدر	٢٥	١١١	المسد	٦
٩١	الشمس	٢٦	٨١	التكوير	٧
٨٥	البروج	٢٧	٨٧	الأعلى	٨
٩٥	التين	٢٨	٩٢	الميل	٩
١٠٦	قريش	٢٩	٨٩	الفجر	١٠
١٠١	القارعة	٣٠	٩٣	الضحى	١١
٧٥	القيامة	٣١	٩٤	الشرح	١٢
١٠٤	الهمزة	٣٢	١٠٣	العصر	١٣
٧٧	المرسلات	٣٣	١٠٠	العاديات	١٤
٥٠	ق	٣٤	١٠٨	الكوتر	١٥
٩٠	البلد	٣٥	١٠٢	التكاثر	١٦
٨٦	الفارق	٣٦	١٠٧	الماعون	١٧
٥٤	التصر	٣٧	١٠٩	الكافرون	١٨
٣٨	ص	٣٨	١٠٥	الفيل	١٩

١ - سقطت الفاتحة من رواية ابن عباس، فأثبتها علي رواية جابر بن زيد، راجع: الإتيان، ج ١، ص ٢٥ وعلى نص

تاريخ البيهقي، ج ٢، ص ٢٦.

ترتيب المصحف	السورة	ترتيب النزول	ترتيب المصحف	السورة	ترتيب النزول
٤٣	الزخرف	٦٣	٧	الأعراف	٣٩
٤٤	الدخان	٦٤	٧٢	الجن	٤٠
٤٥	الجمانية	٦٥	٣٦	يس	٤١
٤٦	الأحقاف	٦٦	٢٥	الفرقان	٤٢
٥١	الذاريات	٦٧	٣٥	فاطر	٤٣
٨٨	الغاشية	٦٨	١٩	مريم	٤٤
١٨	الكهف	٦٩	٢٠	طه	٤٥
١٦	النحل	٧٠	٥٦	الواقعة	٤٦
٧١	نوح	٧١	٢٦	الشعراء	٤٧
١٤	إبراهيم	٧٢	٢٧	الشمس	٤٨
٢١	الأنبياء	٧٣	٢٨	القصص	٤٩
٢٣	المؤمنون	٧٤	١٧	الأنبياء	٥٠
٣٢	السجدة	٧٥	١٧	يونس	٥١
٥٢	الطور	٧٦	١١	هود	٥٢
٦٧	الملك	٧٧	١٢	يوسف	٥٣
٦٩	الحاقة	٧٨	١٥	الحجر	٥٤
٧٠	المعارج	٧٩	٦	الأنعام	٥٥
٧٨	النبأ	٨٠	٣٧	الصافات	٥٦
٧٩	التارعات	٨١	٣١	الزمر	٥٧
٨٢	الانفطار	٨٢	٣٤	سبأ	٥٨
٨٤	الانشقاق	٨٣	٣٩	الزمر	٥٩
٣٠	الروم	٨٤	٤٠	غافر	٦٠
٢٩	العنكبوت	٨٥	٤١	فصلت	٦١
٨٣	المطففين	٨٦	٤٢	الشورى	٦٢



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامی

السور المدفئة

(٢٨)

ترتيب المصحف	السورة	ترتيب النزول	ترتيب المصحف	السورة	ترتيب النزول
٥٩	الحشر	١٠١	٢	البقرة	٨٧
١١٠	النصر	١٠٢	٨	الأنفال	٨٨
٢٤	النور	١٠٣	٣	آل عمران	٨٩
٢٢	الحج	١٠٤	٣٣	الأحزاب	٩٠
٦٣	المنافقون	١٠٥	٦٠	المتحنه	٩١
٥٨	المجادلة	١٠٦	٤	النساء	٩٢
٤٩	الحجرات	١٠٧	٩٩	الزوراء	٩٣
٦٦	التحرير	١٠٨	٥٧	الحديد	٩٤
٦٢	الجمعة	١٠٩	٤٧	محمد	٩٥
٦٤	التغابن	١١٠	١٣	الرعد	٩٦
٦١	الصف	١١١	٥٥	الرحمان	٩٧
٤٨	الفتح	١١٢	٧٦	الإنسان	٩٨
٥	المائدة	١١٣	٦٥	الطلاق	٩٩
٩	براءة	١١٤	٩٨	البينة	١٠٠



مركز تحقيقات كبيوتر علوم عربي

- ١ - جعل الزركشي في البرهان سورة الصف بعد التحريم وقبل الجمعة.
- ٢ - قدم الزركشي في البرهان البراءة على المائدة، وجعل هذه الأخيرة آخر السور.

وإليك قائمة أخرى مرتبة على حروف التهجّي، والرقم يشير إلى ترتيب السورة في

المصحف:

الف		
نزلت بعد الأنفال	مدنيّة	٣- آل عمران
نزلت بعد نوح	مكيّة	١٤- إبراهيم
نزلت بعد آل عمران	مدنيّة	٣٣- الأحزاب
نزلت بعد الجاثية	مكيّة	٤٦- الأحقاف
نزلت بعد القصص	مكيّة	١٧- الإسراء
نزلت بعد ص	مكيّة	٧- الأعراف
نزلت بعد التكويد	مكيّة	٨٧- الأعلى
نزلت بعد إبراهيم	مكيّة	٢١- الأنبياء
نزلت بعد الرحمان	مدنيّة	٧٦- الإنسان
نزلت بعد الانفطار	مكيّة	٨٤- الانشقاق
نزلت بعد الحجر	مكيّة	٦- الأنعام
نزلت بعد البقرة	مدنيّة	٨- الأنفال
نزلت بعد النازعات	مكيّة	٨٢- الانفطار



ب		
نزلت بعد المائدة	مدنيّة	٩- براءة
نزلت بعد الشمس	مكيّة	٨٥- البروج
نزلت بعد المطففين	مدنيّة	٢- البقرة
نزلت بعد ق	مكيّة	٩٠- البلد
نزلت بعد الطلاق	مدنيّة	٩٨- البيّنة

ت

نزلات بعد الحجرات	مدنيّة	٦٦ - التحريم
نزلات بعد الجمعة	مدنيّة	٦٤ - التغابن
نزلات بعد الكوثر	مكّية	١٠٢ - الشكائر
نزلات بعد المسد	مكّية	٨١ - التكوير
نزلات بعد الناس	مكّية	١١٢ - التوحيد
نزلات بعد البروج	مكّية	٩٥ - التين

ج

نزلات بعد الدخان	مكّية	٤٥ - الجاثية
نزلات بعد التحريم	مكّية	٦٢ - الجمعة
نزلات بعد الأعراف	مكّية	٧٢ - الجن



مركز تحقيقات كتاب توير علوم اسلامی

ح

نزلات بعد الملك	مكّية	٦٩ - الحاقّة
نزلات بعد النور	مدنيّة	٢٢ - الحجّ
نزلات بعد يوسف	مكّية	١٥ - الحجر
نزلات بعد المجادلة	مدنيّة	٤٩ - الحجرات
نزلات بعد الزلزال	مدنيّة	٥٧ - الحديد
نزلات بعد البيّنة	مدنيّة	٥٩ - الحشر

هـ

نزلات بعد الزخرف	مكّية	٤٤ - الدخان
------------------	-------	-------------

	ذ	
نزلت بعد الأحقاف	مكة	٥١- الذاريات
	ر	
نزلت بعد الرعد	مدينته	٥٥- الرحمان
نزلت بعد محمد	مدينته	١٣- الرعد
نزلت بعد الانشقاق	مكة	٣٠- الروم
	ز	
نزلت بعد الشورى	مكة	٤٣- الزخرف
نزلت بعد النساء	مكة	٩٩- الزلزال
نزلت بعد سبأ	مكة	٣٩- الزمر
	س	
نزلت بعد لقمان	مكة	٣٤- سبأ
نزلت بعد المؤمنون	مكة	٣٢- السجدة
	ش	
نزلت بعد الضحى	مكة	٩٤- الشرح
نزلت بعد الواقعة	مكة	٢٦- الشعراء
نزلت بعد القدر	مكة	٩١- الشمس
نزلت بعد فصلت	مكة	٤٢- الشورى

ص		
نزلت بعد التمر	مكة	٣٨ - ص
نزلت بعد الأنعام	مكة	٣٧ - الصافات
نزلت بعد التغابن	مدينة	٦١ - الصف

ض		
نزلت بعد الفجر	مكة	٩٣ - الضحى

ط		
نزلت بعد البلد	مكة	٨٦ - الطارق
نزلت بعد مريم	مكة	٢٠ - طه
نزلت بعد الإنسان	مدينة	٦٥ - الطلاق
نزلت بعد السجدة	مكة	٥٢ - الطور

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

ع		
نزلت بعد العصر	مكة	١٠٠ - العاديات
نزلت بعد النجم	مكة	٨٠ - عبس
نزلت بعد الشرح	مكة	١٠٣ - العصر
هي أول ما نزلت	مكة	٩٦ - العلق
نزلت بعد الروم	مكة	٢٩ - العنكبوت

غ		
نزلت بعد الذاريات	مكة	٨٨ - الغاشية
نزلت بعد الزمر	مكة	٤٠ - غافر

ف

نزلت بعد المدثر	مكية	١ - الفاتحة
نزلت بعد الفرقان	مكية	٣٥ - فاطر
نزلت بعد الصف	مدنيّة	٤٨ - الفتح
نزلت بعد الليل	مكية	٨٩ - الفجر
نزلت بعد يس	مكية	٢٥ - الفرقان
نزلت بعد غافر	مكية	٤١ - فصلت
نزلت بعد القيل	مكية	١١٣ - الملق
نزلت بعد الكافرون	مكية	١٠٥ - القيل



نزلت بعد المرسلات	مكية	٥٠ - ق
نزلت بعد قريش	مكية	١٠١ - القارعة
نزلت بعد عبس	مكية	٩٧ - القدر
نزلت بعد التين	مكية	١٠٦ - قريش
نزلت بعد النمل	مكية	٢٨ - القصص
نزلت بعد العلق	مكية	٦٨ - القلم
نزلت بعد الطارق	مكية	٥٤ - القمر
نزلت بعد القارعة	مكية	٧٥ - القيامة

ك

نزلت بعد الماعون	مكية	١٠٩ - الكافرون
نزلت بعد الغاشية	مكية	١٨ - الكهف
نزلت بعد العاديات	مكية	١٠٨ - الكونر

ل

نزلت بعد الصافات	مكّية	٣١- لثمان
نزلت بعد الأعلى	مكّية	٩٢- الليل

م

نزلت بعد الفتح	مدنيّة	٥- المائة
نزلت بعد التكاثر	مكّية	١٠٧- الماعون
نزلت بعد المنافقون	مدنيّة	٥٨- المجادلة
نزلت بعد الحديد	مدنيّة	٤٧- محمد
نزلت بعد المزمل	مكّية	٧٤- المدثر
نزلت بعد الهمزة	مكّية	٧٧- المرسلات
نزلت بعد فاطر	مكّية	١٩- مريم
نزلت بعد القلم	مكّية	٧٣- المزمل
نزلت بعد الفاتحة	مكّية	١١١- المسد
نزلت بعد العنكبوت	مكّية	٨٣- المحطّفين
نزلت بعد الحاقة	مكّية	٧٠- المعارج
نزلت بعد الطور	مكّية	٦٧- الملك
نزلت بعد الأحزاب	مدنيّة	٦٠- الممتحنة
نزلت بعد الحج	مدنيّة	٦٣- المنافقون
نزلت بعد الأنبياء	مكّية	٢٣- المؤمنون



مركز تحقيقات كتابية علوم اسلامی

	ن	
نزلت بعد الفلق	مكة	١١٤ - الناس
نزلت بعد النبأ	مكة	٧٩ - النازعات
نزلت بعد المعارج	مكة	٧٨ - النبأ
نزلت بعد التوحيد	مكة	٥٣ - النجم
نزلت بعد الكهف	مكة	١٦ - النحل
نزلت بعد الممتحنة	مدينة	٤ - النساء
نزلت بعد الحشر	مدينة	١١٠ - النصر
نزلت بعد الشعراء	مكة	٢٧ - النمل
نزلت بعد النمل	مكة	٧١ - نوح
نزلت بعد النصر	مكة	٢٤ - النور
		
	مكة	
نزلت بعد طه	مكة	٥٦ - الواقعة
	هـ	
نزلت بعد القيامة	مكة	١٠٤ - الهمزة
نزلت بعد يونس	مكة	١١ - هود
	ي	
نزلت بعد الجن	مكة	٣٦ - يس
نزلت بعد هود	مكة	١٢ - يوسف
نزلت بعد الإسراء	مكة	١٠ - يونس

سور مختلف فيها

نتيجة على ما سبق كانت السور المكية ستاً وثمانين سورة، أولهن سورة العلق وأخرهن سورة المطفئين، والسور المدنية ثمانين وعشرين سورة، أولهن سورة البقرة، وأخرهن سورة براءة.

لكن هذا التحديد لم يكن متفقاً عليه عند الجميع، فهناك في أكثر من ثلاثين سورة خالف بعضهم ما أئتمناه في القائمتين. وفيما يلي عرض موجز على هذا الاختلاف، مع إلمامة قصيرة إلى وجه اختيارنا في الموضوع، ونؤجل التفصيل إلى تفسيرنا الوسيط:

١ - سورة الفاتحة

قال مجاهد: إنها مدنية.^١

قال الحسين بن الفضل: هذه هفوة من مجاهد، لأن العلماء على خلاف قوله^٢ ولقول علي^{عليه السلام}: نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش.^٣

ولقوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ»^٤ وسورة الحجر مكية باتفاق، وهذا إخبار عن ما مضى سبقه

ولأنها أول سورة كاملة نزلت على رسول الله^{صلى الله عليه وآله وسلم} علمه إياها جبرائيل^{عليه السلام} ومن ثم سميت بفاتحة الكتاب^٥ فكان^{عليه السلام} يعصلي بها في أولى جماعة اعتدت بهم نطنة الإسلام، ولا صلاة إلا بفاتحة الكتاب.^٦ قال جلال الدين: ولم يحفظ صلاة بغير فاتحة الكتاب.^٧

٢ - سورة النساء

زعم النحاس أنها مكية، نظراً إلى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى

١ - مجمع البيان، ج ١، ص ١٧.

٢ - المصدر.

٣ - التسمية النبوية (بهاشمي السيرة التحليلية)، ج ١، ص ١٦١.

٤ - تقدم ذلك في «أول ما نزل».

٥ - صحيح مسلم، ج ٢، ص ٩، والمسنندك للحاكم، ج ١، ص ٢٣٨ و ٢٣٩.

٦ - الإفتان، ج ١، ص ٣٦.

أهلها» فقد قال ابن جريج: إنها نزلت بمكة عام الفتح بشأن مفتاح البيت الحرام، أراد النبي ﷺ أن يدفعه إلى العباس بن عبدالمطلب. فأمره الله أن يدفعه إلى عثمان بن طلحة، حيث كان ﷺ قد أخذه منه.^١

لكن المفسرين اتفقوا على أنها مدنيّة، نظراً لضعف إسناد هذا الحديث. على أن نزول آية أو سورة بمكة عام الفتح لا يجعلها مكّية، على الاصطلاح المشهور؛ ما نزل بعد الهجرة فهو مدنيّ ولو كان نزوله بمكة.

وأخيراً فإنّ السورة بكاملها لا تنقسم بسمة آية واحدة فيها؛ كان نزولها على غير نزول السورة.

٣ - سورة يونس

في رواية شاذّة عن ابن عباس: أنها مدنيّة.^٢ ولم تثبت هذه الرواية، فضلاً عن مخالفتها للنصّ المتقدّم عن ابن عباس نفسه في ترتيب نزول السور، وكان متفقاً عليه تقريباً.

٤ - سورة الرعد

قال محمد بن السائب الكلبي ومقاتل وعطاء: إنها مكّية.^٣ وكذا في رواية رواها مجاهد عن ابن عباس.^٤

ورجح سيّد قطب هذا القول، قال: ومكّية هذه السورة شديدة الوضوح، سواء في طبيعة موضوعها أو طريقة أدائها أو في جوّها العام الذي لا يخطئ - تنسّمه من يعيش في ظلال هذا القرآن.^٥

لكن روايات الترتيب انفتت على أنها مدنيّة نزلت بعد سورة القتال، كما جاء في رواية عكرمة والحسين بن أبي الحسن ورواية خصيف عن مجاهد عن ابن عباس نفسه.^٦

١ - مجمع البيان، ج ٣، ص ٦٣.

١ - التمام، ج ٥، ص ٥٨.

٢ - اندر الصبور، ج ٤، ص ٤٢، ومجمع البيان، ج ٦، ص ٢٧٣.

٢ - الإفتان، ج ١، ص ٣٦.

٣ - في ظلال القرآن، ج ١٣، ص ٦٣، التمام.

٥ - الإفتان، ج ١، ص ٢٤.

٦ - الإفتان، ج ١، ص ٢٧.

وكذا قال الحسن وقتادة.^١

وأما سياق السورة فإنه توجيه عام للبشرية إلى آيات التحدي، الأمر الذي تشترك فيها السور المكية والمدنية، ككثير من آيات سورة البقرة وغيرها من سور مدنيات. والعمدة: اتفاق روايات الترتيب. ويتضح ذلك أكثر عند الكلام عن سورة الرحمان.

٥ - سورة الحج

قال أبو محمد مكي بن أبي طالب: إنها مكية.^٢ وروى ذلك عن مجاهد بسند فيه ضعف^٣ قال: سألت ابن عباس عن نزول السور، حتى انتهى إلى سورة الحج، فقال أنزلت بمكة سوى الآيات الثلاث (١٩ و ٢٠ و ٢١) نزلن بالمدينة^٤ ولما رواه الطبري من حديث الغرائيق^٥ وأيضاً فإن لهجتها الشديدة تناسب نزولها بمكة!

قلت: كل ذلك لا يقاوم اتفاق كلمة روايات الترتيب ونصوص المؤرخين. ورواية مجاهد - مع ضعف سندها - معارضة بروايات الترتيب المنفق عليها.^٦ أما حديث الغرائيق فحديث خرافة لا أصل لها.^٧ وأما اللهجة فهي غالبية وليست دائمية، ومن ثم لا تصلح مستنداً للحكم عليها.

مركز تحقيقات كليات علوم ردي

٦ - سورة الفرقان

زعم الضحاك أنها مدنية، نظراً لآيات في آخرها قيل فيها: إنها مدنية.^٨ وهذا لو حده لا يصلح دليلاً على مدنيته بعد اتفاق روايات الترتيب.

١ - مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٧٣؛ والتدبر المنثور، ج ٥، ص ٤٦.

٢ - التكميل عن القراءات السبع، ج ٤، ص ١١٦.

٣ - بسبب أبي عبيدة معمر بن المثنى، (ت ٢١٠) قيل: كان يرى رأي الخوارج بديناً منهكاً، قيل اتعازبه بالقرآن، وإذا قرأه قرأه نظراً. كان من أكابر التابعين الأديب، هو أول من صُف في شريف القرآن وله في مثاب العرب كتاب. وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام. راجع: الفهرست، ص ٨٤، وميزان الاعتدال، ج ٤، ص ١٤٤؛ وتهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٢٤٧.

٤ - الإتيان، ج ١، ص ٢٤.

٥ - جامع البيان، ج ١٧، ص ١٣٦ - ١٣٢.

٦ - راجع: الإتيان، ج ١، ص ٢٧ و ٧٦؛ والفهرست، ص ٤٤؛ والتدبر المنثور، ج ٤، ص ٢٤٦.

٧ - تقدم ذلك في «أسطورة الغرائيق».

٨ - المصدر.

٧ - سورة يس

قيل: إنها مدنيّة^١ ولم يعرف هذا القائل ولا دليله الذي استند إليه. والإجماع منعقد على أنها مكّية.

٨ - سورة ص

أيضاً قيل: مدنيّة^٢ وهو شاذّ مخالف للإجماع.

٩ - سورة محمد ﷺ

فيها قول ضعيف: إنها مكّية^٣ وهو غريب بعد أن كانت سورة القتال!

١٠ - سورة الحجرات

قيل: إنها مكّية. وهي مدنيّة بالإجماع قولاً واحداً^٤.

١١ - سورة الرحمان

جاء في نصّ الفهرست واليعقوبي أنها مكّية. وذهب المشهور أيضاً إلى ذلك.

قال جلال الدين: وهو الصواب، لما رواه الترمذي والحاكم عن جابر قال: لما قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمان على أصحابه حتى فرغ قال: مالي أراكم سكوتاً؟ للجن كانوا أحسن منكم ردّاً! ما قرأت من مرة «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ»^٥ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد. قال جلال الدين: وقصة الجن كانت بمكة^٦.

قال: وأصرح من ذلك ما رواه أحمد في مسنده عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: سمعت رسول الله ﷺ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون: «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ»^٧ قال: وهذا دليل على أنها نزلت قبل سورة الحجر.

وقال سيّد قطب: نسق السورة تنضح فيه سمات القرآن المكّي^٨.

أقول: لا شك أن رثتها الأخاذة تشبه رثة غالبية السور المكّية، بل من أوقعها على

١ - المصدر.

٢ - الإتيان، ج ١، ص ٣٢.

٣ - المصدر.

٤ - المصدر.

٥ - الرحمان ٥٥، ١٣.

٦ - الإتيان، ج ١، ص ٣٣.

٧ - مسند أحمد، ج ٦، ص ٣٤٩.

٨ - في ظلال القرآن، ج ٢٧، ص ٦٧٠.

مسمع النفس، لكن ليس هذا وحده دليلاً على مكيتها بعد أن لم يكن ميزة اختصاصية، وكانت توجد في سور مدنيّة أيضاً، كما في سورة الزلزلة وسورة البيّنة وسورة الإنسان وغيرهنّ. وكثير من سور مكية جاءت في لهجة هادئة كسورة يوسف ويونس وهود والأنعام والأعراف وغيرهنّ كثير.

وأما حديث الجنّ فلا دليل على أنّه كان بمكة، إذ لا ملازمة بين هذا الحديث وحديث نزول سورة الجنّ بمكة، فلعلّها قصة أخرى كانت بالمدينة.

وأما حديث أسماء - إن صحّ - فهو يدلّ على نزولها في باكورة البعثة، ولا قائل بذلك لأنها قالت: قبل أن يصدع بالأمر.

هذا فضلاً عن ضعف إسناد هذا الحديث - كما جاء في المسند - بسبب وجود ابن لهيعة قاضي مصر، في طريقته، وهو مطعون فيه، فقد ضعفه ابن معين وقال: لا يحتج بحديثه. وكان يحيى بن سعيد لا يراه شيئاً^١.

وأخيراً فإنّ هكذا تعليقات ضعيفة لا تقاوم روايات الترتيب المتفق عليها^٢.

١٢ - سورة الحديد

قال قوم: إنّها مكية^٣ استناداً إلى حديث إسلام عمر بن الخطاب، دخل على أخته فوجد عندها صحيفة فيها سورة الحديد، فقرأها حتى بلغ: «لَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^٤ فحبّب إليه الإسلام فأتى النبي ﷺ وأسلم على يديه^٥.

وهذا الحديث معارض بحديث ابن إسحاق: كانت في الصحيفة سورة طه، فقرأها حتى انتهى إلى قوله تعالى: «لِغْزَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ»^٦. وقيل إنّ الصحيفة كان فيها مع سورة طه: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ». وإنّ عمر انتهى في قراءتها إلى قوله: «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا

١ - راجع: ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٥٧٥، وتهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٣٧٤.

٢ - راجع: مجمع البيان، ج ١٠، ص ١٠٥، والإيمان، ج ١، ص ١٧ و ١٢.

٣ - قال ابن حزم: هي مدنيّة إلاّ في قول الكلبي: إنّها مكية، راجع: رسالة التماسخ والتصمّوخ، ج ٢، ص ١٩٧.

٤ - الحديد ٥٧: ٨. ٥ - أسد الغابة، ج ٤، ص ٥٤.

٦ - طه ٤٠: ١٥.

أَخْضَرَتْ». ^١ فلان قلبه ورغب في الإسلام. ^٢

ومعارض أيضاً بحديث شريح بن عبيد، قال: قال عمر: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته سبقتني إلى المسجد، فقامت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن، فلما أتمها وقع الإسلام في قلبي كل موقع. ^٣
هذا وذاك الحديث مرسل، أرسله من لا يوثق به. قال ابن حجر: والحديث بسند فيه إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة. ^٤ وأشار بذلك إلى غمز في السند، لأن ابن أبي فروة هذا مطعون فيه، مثروك الحديث. ^٥

وتمتلك بعضهم بحديث ابن مسعود: قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بقوله تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ...» (إلى قوله): فَكَشَفَ قُلُوبَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ^٦ إلا أربع سنين، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً. ^٧

قلت: وهذا الحديث أيضاً معارض بأحاديث تنص على أنها نزلت بعد الهجرة بسنة، بشأن المنافقين ^٨ أو بعد ما أترف المؤمنون فكادت تنسى قلوبهم. ^٩

١٣ - سورة الصف

قال ابن حزم: مكّية ^{١٠} لكن الجمهور وروايات الترتيب على خلاف قوله، فالصحيح أنها مدنيّة، ونسب ابن العرس ذلك إلى الجمهور. ^{١١}

١٤ - سورة الجمعة

مدنيّة بالإجماع، والمخالف غير معروف. قال جلال الدين: ثبت في نصوص صحيحة

١ - التكوير (٨١) : ١٤. ٢ - سيرة ابن هشام وهامشه، ج ١، ص ٣٧٠.

٣ - أسد الغابة، ج ٥، ص ٥٣؛ والإجماع، ج ٢، ص ٥١٩. ٤ - الإجماع، ج ٢، ص ٥١٩.

٥ - راجع: تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢٤٠؛ والمعاني تلمحي، ج ١، ص ٧٦؛ وميزان الاعتدال، ج ١، ص ١٩٤.

٦ - التحديد (٥٧) : ١٦. ٧ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٣٧؛ والإتقان، ج ١، ص ٣٣.

٨ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٣٧. ٩ - نواب التفوق في أسباب النزول، ج ٢، ص ٩٤.

١٠ - رسالة التاسخ والتدموغ، ج ٢، ص ١٩٩. ١١ - الإتقان، ج ١، ص ٣٣.

أنها مدنية كلها.^١

١٥ - سورة التغابن

قيل: مكّية إلى قوله تعالى: «فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ»^٢ نسب ذلك إلى ابن عباس^٣ غير أن روايات الترتيب مطبقة على أنها مدنية كلها.


١٦ - سورة الملك

فيها قول غريب: أنها مدنية^٤ والصحيح أنها مكّية قولاً واحداً.

١٧ - سورة الإنسان

قال عبدالله بن الزبير: نزلت بمكّة^٥ وتبعه على ذلك جماعة ممن يروّفهم إنكار أبي فضيلة لأهل البيت عليهم السلام وهي النقطة المركزية التي تدور عليها رحي هذا التبجح الغريب^٦ وعده ابن الزبير لأهل البيت مشهوراً!

وهكذا أصرّ سيد قطب على أنها مكّية، مستشهداً بالسياق وقال: واحتمال أن هذه السورة مدنية - في نظرنا - هو احتمال ضعيف جداً، يمكن عدم اعتباره.^٧

قال الحافظ الحسكاني: اخترض بعض النواصب بأن هذه السورة مكّية باتفاق المنسّرين، وهذه القصّة - إن كانت - فهي مدنية، فكيف كانت سبب نزول السورة؟! 

فقال - ردّاً على هذا القائل -: كيف يسوغ له دعوى الإجماع، مع قول الأكثر: أنها مدنية!... ثم ذكر نصوص الأئمة على ترتيب السور مصرّحة بأنها نزلت في المدينة بعد سورة الرحمان وقبل سورة الطلاق، وفق ماقدّمنا.^٨

وهكذا حثّق العلامة الطبرسي في تفسيره وغيره من محقّقي المفسّرين.

والعمدة: إطباق روايات الترتيب، لا تشدّ منها في ذلك ولا رواية واحدة^٩ وعليه

١ - المصدر، ص ٣٤. ٢ - التغابن: ٦٤، ١٤.

٣ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٩٦. ٤ - الإيقان، ج ١، ص ٣٤.

٥ - اندر اتمنور، ج ٦، ص ٢٩٧، وتفسير شهر، ص ٥٤٢. ٦ - راجع: شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٢٩٩.

٧ - في ظلال القرآن، ج ٢٩، ص ٣٩١. ٨ - شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٣١٠ و ٣١٥.

٩ - راجع: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٠٥.

فقضية السياق واهية، بعد أن لم تكن كلبية دائمية.

قال السيد شبر: القول بأنها مكية يكذبه النقل الصحيح.^١

١٨ - سورة المطففين

قال اليعقوبي: أول سورة نزلت بالمدينة^٢ وقيل: نزلت عليه ﷺ وهو مهاجر في طريقه إلى المدينة.^٣ قال جلال الدين: أخرج النسائي وغيره بسند صحيح عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أحبب الناس كيلاً، فأنزل الله هذه السورة فأحسنوا الكيل.^٤

قلت: هذا يناقض روايات الترتيب المتفقة على أنها آخر السور المكية، كما أن لهجة السورة العيفة لا تتناسب وبدء قدوم نبي الرحمة إلى المدينة في أول عهده بأهلها المستسلمين له، ولا سيما مع هذا التكرار في لفظة «كلًا» التي تشي بعناد المخاطب وإنكاره الخبيث مما لا يلتئم مع جو الإيمان المسلم الذي أبداه أهل المدينة آنذاك!! وقد سبق كلام الجعبري: كل سورة فيها «كلًا» فهي مكية.^٥

١٩ - سورة الأعلى

قيل: إنها مدنية، استناداً إلى قوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى»^٦ إشارة إلى صلاة العيد وزكاة الفطرة.^٧

قلت: الآية عامة. والرواية - إن صححت - جاءت لتطبق هذا العموم على مصداق من مصاديقه، لأنه هو المقصود الذاتي لا غير. ثم لو سلمنا أن هاتين الآيتين نزلتا بالمدينة، فلا يدل ذلك على أن جميع السورة بكاملها مدنية.

فالصحيح أن السورة مكية حتى ولو كانت بعض آياتها مدنية. هذا فضلاً عن شهادة اللهجة بمكيته!

١ - تفسير شبر، ص ٥٤٢.

٢ - تاريخ اليعقوبي، ج ٤، ص ٤٤.

٣ - رسالة التناسخ والتدريج، ج ٢، ص ٢٠٦.

٤ - الإيقان، ج ١، ص ٣٤.

٥ - تقدم ذكر في «اتجاهات في تعيين المكِّي والمدني».

٦ - الأعلى ١٧، ١٤ - ١٥.

٧ - الإيقان، ج ١، ص ٣٤.

٢٠ - سورة الفجر

مكّية بالاتفاق. والقائل بالخلاف غير معروف.^١

٢١ - سورة البلد

مكّية بالإجماع، لأنّ البلد هي مكة المكرمة بالاتفاق، فكيف يقول القائل: إنّها مدنيّة؟!^٢

٢٢ - سورة الليل

قيل: إنّها مدنيّة، نظراً لما روي في سبب نزولها: كانت نخلة متدلّية في دار رجل فقير، وكان صبيانه يتناولون تمرها، أمّا صاحب النخلة - وهو رجل تربي - فكان يجفّوهم. فساومه النبي ﷺ على نخلة في الجنة فأبى، حتى ساومه أنصاريّ على أربعين نخلة، فاشتراها منه ووهبها للنبي ﷺ فوهبها النبي ﷺ إلى الرجل الفقير. قيل: فنزلت: «وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى»^٣ غير أنّ السند مقطوع غير موصول. على أنّ الآية لا تنطبق تماماً على فحوى القصّة.

فالصحيح: أنّ الآية عامّة في كلّ بخل بحق الله سبحانه فلا يخشى عقابه، كما جاء في رواياتنا، وفي كثير من روايات غيرنا.^٤

٢٣ - سورة القدر

قال ابن حزم وأبو محمد: إنّها مدنيّة^٥ لما رواه الحاكم عن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما قال: رأى النبي ﷺ بني أمية ينزون على منبره نزو القردة. فساءه ذلك فنزلت تسليّة لخاطره الكريم.^٦

قال جلال الدين: قال المزي: وهو حديث منكر^٧ لكنّه تعصّب منضوح، لأنّ الحاكم

١ - المصدر، ص ٣٥. ٢ - المصدر.

٣ - الأبي ٩٢، ٨-٩، راجع: الدر المنثور، ج ٦، ص ٣٥٧، وجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٠١.

٤ - راجع: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٠٢، وجامع البيان، ج ٣٠، ص ١٤٢، واتصافي في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٨٢٥.

٥ - التكميل، ج ٢، ص ٣٨٥، ورسالة التلخيص والمنسوخ، ج ٢، ص ٢٠٣.

٦ - المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ١٧١. ٧ - الإتيان، ج ١، ص ٣٦.

رواها بسند صحيح، قال: هذا إسناد صحيح، وقرّره على ذلك الحافظ المذهبي في التلخيص. وأضاف إليه طريقاً آخر ووثقه أيضاً، ثم قال وما أدري آفته من أين؟^١
قلت: جاءت آفته من قبل نوعة أموية اشربت في قلوب تحكمت فيها نوعات قومية جاهلية، ومن ثم يصعب عليها الرضوخ للحق مهما بلغ حد الثواتر واليقين!^٢
وبعد فإن دلالة هذا الحديث على مدنية السورة، جاءت من قبل لفظ «المنبر» إذ لم يكن للنبي ﷺ وهو بمكة منبراً!

لكن هذا وحده لا يصلح دليلاً على ذلك، إذ يجوز - قريباً - أنه ﷺ أرى ذلك بمكة قبل هجرته لتكون بشارة له باعتلاء ذكره، وإمامة إلى الاغتصاب الذي يرتكبه شرار أمته. فلا تنافي هذه الرواية مع روايات الترتيب أصلاً.

وتأييداً لذلك نقول: الآية: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ»^٣ تشير إلى نفس الرؤيا المذكورة، والآية من سورة الإسراء المكية بالاتفاق، ولم يستثن أحد هذه الآية، وإن استنبهوا تحيرها، كما سيأتي.

فقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر بن النبي ﷺ قال: «رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة، وأنزل الله في ذلك: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» قال: والشجرة ملعونة، يعني الحكم وولده».

وأخرج أيضاً عن يعلى بن مرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أريت بني أمية على منابر الأرض، وسيتملكونكم فتجدونهم أرباب سوء، واهتم رسول الله ﷺ فنزلت الآية».

وأخرج ابن مردويه عن عائشة أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدك: «إنكم الشجرة ملعونة في القرآن».

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر عن سعيد بن المسيّب، قال:

١ - تلخيص المستدرک بانها من ج ٣، ص ١٧٠.

٢ - راجع: جامع البيان، ج ١٥، ص ٧٧ و ج ٢٠، ص ١٦٧؛ واندر الصنوبر، ج ٤، ص ١٩١ و ج ٦، ص ٣٧١؛ ومروج الذهب،

٣ - الإسراء ١٧، ٦٠.

ج ٣، ص ٤٤٠.

رأى رسول الله ﷺ بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فأوحى الله إليه: إنما هي دنيا أعطوها. فقُرت عينه، وهي قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ». يعني بلاء للناس.^١

قال النيسابوري: واعترض بعضهم بأن أيام بني أمية كانت مذمومة فكيف تذكر في مقام تفخيم أمر ليلة القدر؟ فأجاب: إنه تفضيل لسعادة معنوية، وجلال حقيقي دائم، على سعادة ظاهرية، وجلال صوري زائل.^٢ وفي حديث ابن المسيب الآنف إشارة إلى هذا الجواب.

٢٤ - سورة البيئ

قال مكّي بن أبي طالب: مكّية.^٣

لكن اتفاق روايات الترتيب ونصوده على أنها مدنيّة، ويؤيدها ماورد أنها لما نزلت على النبي ﷺ دعا أبي بن كعب فقرأها عليه^٤ وأبي، أنصاري، أسلم على يدي رسول الله ﷺ بالمدينة.

٢٥ - سورة الزلزلة

قال ضعّك وعطاء: مكّية. وهكذا قال مكّي بن أبي طالب، ووافقهم سيّد قطب، نظراً للمهجتها المحيرة.^٥

لكن اتفقت كلمة الروايات على أنها مدنيّة^٦ وأيضاً فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نزلت «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ»^٧ قلت: يا رسول الله ﷺ إنّي لراي عملي؟ قال: نعم. قلت: تلك الكبار الكبار؟ قال: نعم. قلت: الصغار الصغار؟ قال: نعم. قلت: واتكل أمي...^٨ وأبو سعيد أنصاري، لم يبلغ إلا بعد وقعة أحد.^٩

١ - اندر المنثور، ج ٤، ص ١٩١. ٢ - تفسير النيسابوري، ج ٣٠، ص ١٣٦.

٣ - التكميل عن وجوه اقراءات التسميع، ج ٢، ص ٣٨٥. ٤ - اندر المنثور، ج ٦، ص ٤٧٨.

٥ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٢٤، والتكشاف، ج ٢، ص ٣٨٦، وفي ظلال القرآن، ج ٣٠، ص ٢٣٩.

٦ - الفهرست، ص ٤٤، ومجمع البيان، ج ١٠، ص ١٠٥، والإتقان، ج ١، ص ٤٧، واندر المنثور، ج ٦، ص ٣٧٩.

٧ - الزلزلة ٩: ٧. ٨ - اندر المنثور، ج ٦، ص ٤٨١.

٢٦ - سورة العاديات

عن قتادة: أنها مدنية،^{١٠} مرواية منسوبة إلى ابن عباس، قال: نزلت في خيل بعثها رسول الله ﷺ في سرية فأبطأت، فشق ذلك عليه، فأخبره الله بما كان من أمرهم.^{١١} لكن الرواية فيها تمحل وتهافت ظاهر، وفي نفس الوقت معارضة بما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأباري والحاكم - وصححه - وابن مردويه، عن ابن عباس أيضاً أن علياً رضي الله عنه نهره عن تفسير العاديات بالخيل تغير في سبيل الله. وأوضح له: أنها الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة... قال ابن عباس: فزعت عن قولي ورجعت إلى قول علي رضي الله عنه.^{١٢}

٢٧ - سورة التكاثر

اختار جلال الدين أنها مدنية، وتمسك لاختياره بالأمر التالية:

- ١ - حديث ابن بريدة: أنها نزلت في قبيلتين من الأنصار تفاخروا.
 - ٢ - وقال قتادة: إنها نزلت في اليهود.
 - ٣ - وعن أبي بن كعب - وهو أنصاري - : «كنا نرغم أن «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لمتنى ثالثاً» آية قرآنية، حتى نزلت «أهاكم التكاثر...»
 - ٤ - وعن علي رضي الله عنه: كنا نشك في عذاب القبر، حتى نزلت. قال جلال الدين: وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة، كما في الصحيح في قصة اليهودية.^{١٣}
- قلت: جميع ما تمسك به باطل:

أولاً: هذه السورة لا تسمى مسألة التفاخر، وإنما تعرّضت لناحية التكاثر!
 وثانياً: كيف يمتى أبي بن كعب في شك من آية قرآنية، ولا يسأل رسول الله ﷺ وهو كاتبه الأول إلى أن يذهب شكّه بنزول سورة لاشأن لها ونفي قرآنية غيرها!
 وثالثاً: كيف نجيز لأنفسنا تصديق رواية تنسب الشك إلى مثل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه!

٩ - الإفتان، ج ١، ص ٣٦، والمنتدرك على التصحيحين، ج ٣، ص ٥٦٣.

١٠ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٢٧. ١١ - الدر المنثور، ج ٦، ص ٣٨٣.

١٢ - المصدر، وجامع البيان، ج ٣٠، ص ١٧٧. ١٣ - الإفتان، ج ١، ص ٣٧.

في مسألة من مسائل الآخرة، وهو صلى الله عليه وسلم باب علم النبي صلى الله عليه وسلم،
وأما اختصاص نزولها باليهود، فتضابق في فحوى السورة العام، إذ هي تعالج مسألة
عامة تمس حياة البشرية الطاعنة في مطالب سافلة!

والصحيح - كما جاء في روايات الترتيب المثقفة - : أنها من أوليات السور المكية،
وقد نص على ذلك جلال الدين نفسه في الدر المنثور، ورواه عن ابن عباس^١.

هذا مضافاً إلى ما نلمسه من لهجة السورة العنيفة، التي تناسب أجواء مكة المسيطر
عليها النزعة المادية بشدة، ويزيد العنف استعمال لفظة «كلاً» الخاصة بأهل مكة كما مر.

٢٨ - سورة الماعون

قال الضحاك: أنها مدنية^٢.

لكن روايات الترتيب ونصوصه المثقفة عليه ترفض هذا القول، مضافاً إلى أن لهجة
السورة تفريغ عنيف بأولئك المكذبين بالدين، فهي بأوليات السور المكية أشبه، فقد
كانت السابعة عشرة في الترتيب، نزلت بعد سورة التكاثر^٣.

٢٩ - سورة الكوثر

عن عكرمة والضحاك: أنها مدنية^٤، ورجحه جلال الدين، وكذا النووي في شرح
مسلم، لما رواه مسلم عن أنس، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، إذ أغشى إغفاءة فرفع
رأسه وقال: أنزلت عليّ آناً سورة، فقرأها.

لكننا تكلمنا عن هذا الحديث^٥ وزيقنا دلالة على نزول قرآن عليه صلى الله عليه وسلم تلك الحالة،
وذكرنا تأويل الرافعي للمحدث إلى أنها قد خطرت له في تلك الحالة فقرأها عليهم، لأنها
نزلت عليه حينذاك كما ويؤيد ذلك: أن مسلم نفسه روى هذا الحديث بسند آخر ليس
فيه «أنزلت عليّ». قال: أغشى النبي صلى الله عليه وسلم إغفاءة، ثم رفع رأسه فقرأها^٦.

١ - الدر المنثور، ج ٦، ص ٤٨٦.

٢ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٠٥؛ والإتقان، ج ١، ص ٢٧.

٣ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٤٨.

٤ - الدر المنثور، ج ٦، ص ٤٠١.

٥ - تقدم ذكره في «الترؤيا الصادقة».

٦ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٤٨.

وأخيراً أفقد المفسرون على أنها مكّية، نزلت تسليية لحاظر رسول الله ﷺ عندما شنأه ذلك الأبرّ اللعين. ^١ هذا مضافاً إلى اتفاق روايات الترتيب: أنها نزلت بمكة إذن لا يصلح حديث مضطرب أن يقاوم ذلك الإجماع وهذا الاتفاق!

٣٠ - سورة التوحيد

رجّح جلال الدين كونها مدنيّة، لأحاديث رواها بشأن نزولها. قال: نزلت في طائفة من يهود المدينة سألو رسول الله ﷺ أن يصف لهم ربّه، فنزل جبرائيل بسورة التوحيد. ^٢ لكن تجاه هذه الروايات روايات أخرى تذكر هذا السؤال للمشركين، قالوا: أنسب لنا ربك يا محمد ﷺ فنزلت ^٣ مضافاً إلى اتفاق روايات الترتيب.

ومن ثمّ قال بعض الباحثين: إنها نزلت مرّتين!

قلت: لا يبعد ذلك، ولكن معنى نزول السورة مرّتين: أن الثانية كانت تذكيراً للنبي ﷺ بمناسبة الحاضرة، فمن المحتمل - على هذا الفرض - أن اليهود سألو النبي ﷺ سؤالاً، كان المشركون قد سبقوهم إلى منله، فتردّد النبي ﷺ في أن يقرأ عليهم السورة التي كانت إجابة على سؤال المشركين من ذي قبل، وذلك نظراً للفرق بين مستوى اليهود ومستوى المشركين، فعند ذلك نزل جبرائيل بكفاية نفس الإجابة الأولى، بعد أن لم تكن السور القرآنية خاصّة بقوم دون قوم، وبمستوى دون مستوى، إذ الناس على مختلف مستوياتهم يستفيدون من جميع آي القرآن، وإن كانت نوعية الاستفادة تختلف حسب مراتب الثقافات.

وعلى ذلك فالسورة مكّية وإن تكرّر نزولها بالمدينة أيضاً.

٣١ و ٣٢ - المعوذتان

عدّهما اليحويي من أواخر المدنيّات. ^٤ وقال جلال الدين: المختار أنهما مدنيّتان،

١ - باب اتقون، ج ٢، ص ١٤٢، واتدّر المتنور، ج ٦، ص ٥٠٤، ومجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٤٩.

٢ - باب اتقون، ج ٢، ص ١٤٦، والاتقان، ج ١، ص ٣٧، ٣ - اتدّر المتنور، ج ٦، ص ٤١٠.

٤ - تاريخ اليحويي، ج ٢، ص ٣٥.

لأنهما نزلتا في قصة سحر لبيد بن الأعصم.^١

والقصة - كما جاءت في الصحيحين -^٢ حدثت بها عائشة، قالت: «سحر رسول الله ﷺ رجل من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم. قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله - وفي لفظ آخر: سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتين. قال سنيان: وهذا أشد ما يكون من السحر -^٣ قالت: حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة، دعا رسول الله ﷺ ثم دعا ثم دعا. ثم قال: يا عائشة، أشعرت^٤ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان^٥ ففعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب.^٦ قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجفّ طلعة نخل ذكر.^٧ قال: فإين هو؟ قال: في بئر ذروان. قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه، رجع وقال: يا عائشة، والله لكان ماءها نقاعة الحنّاء^٨ وكان نخلها رؤوس الشياطين. قالت: فقلت: هلا استخرجته؟ فقال ﷺ: لا، أما أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن يشير ذلك على الناس شراً. ثم أمر بالبر فدفنت.»

وفي لفظ: «قال: وأين؟ قال: في جفّ طلعة ذكر تحت راعوفة^٩ في بئر ذروان. قالت: فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه. فقال: هذا البئر التي أريتها، وكان ماءها نقاعة الحنّاء وكان نخلها رؤوس الشياطين. قالت: فقلت: أفلا، أي تنسرت؟ فقال: أما الله فقد شفاني،

١ - الإتيان، ج ١، ص ٤٧.

٢ - صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٤٨، وج ٧، ص ١٦٦، وصحيح مسلم، ج ٧، ص ١٤.

٣ - صحيح البخاري، ج ٧، ص ١٧٧. ٤ - أي أعلنت - بصيغة استفهام خطاباً إليها.

٥ - في رواية: جبرائيل وميكائيل، فسنن الأول الثاني، راجع فتح الباري، ج ١٠، ص ١٩٤.

٦ - أي مسحور.

٧ - المشاطة: ما ينزع من الشعر عند التمشط - بالفتح - وهو تسريح الشعر، وبالضم: آتة، واتجفّ: نشاء الطاع.

٨ - أي تون مائها تون نقيع الحنّاء.

٩ - الراعوفة: صخرة أو حجر صلد، توضع عند فم البئر، لا يستطاع قلبها، يقف عليها الصمغقي أو توضع في أسفلها ليجلس عليها الذي يخلّف البئر.

وأكره أن أُتير على أحد من الناس شراً»^١.

هذه النصّة كما هي مذكورة في الصحيحين ليس فيها شاهد بنزول السورتين. وقد تنبه السيوطي لذلك، ومن ثمّ استدرّك الأمر بما ورد من طرق أخرى لم تصحّ إسنادهما. فقد أخرج البيهقي في الدلائل عن عائشة، قالت: «كان لرسول الله ﷺ غلام يهودي يخدمه، يقال له لييد بن أعصم. فلم تزل به اليهود حتى سحر النبي ﷺ فكان يذوب ولا يدري ما وجعه - وفي لفظ: فكان يدور ولا يدري ما وجعه - آفينا رسول الله ﷺ ذات ليلة نائم إذ أتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، فقال الأول للثاني: ما وجعه؟ قال: مطبوب. قال: من طبّه؟ قال: لييد بن أعصم. قال: بم طبّه؟ قال: بمشط ومشاطة وجفّ طلعة ذكر بذي روان، وهي تحت راعوفة البئر. فلما أصبح رسول الله ﷺ غدا ومعه أصحابه إلى البئر فنزل رجل فاستخرج الجفّ، فإذا فيها: مُشط رسول الله ﷺ ومن مشاطة رأسه، وإذا تمثال من شمع، تمثال رسول الله ﷺ، وإذا فيها إبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة. فأتاه جبرائيل بالمعوذتين، فقال: يا محمد، قل: أعوذ برب الفلق، وحلّ عقدة من شرّ ما خلق، وحلّ عقدة حتى فرغ منها، وحلّ العقد كلّها، وجعل لا ينزع إبرة إلا يجد لها الماء، ثم يجد بعد ذلك راحة، فقبل: يا رسول الله ﷺ لو قتلت اليهودي! فقال: قد عافاني الله، وما ورأه من عذاب الله أشدّ».

وفي رواية: «سحر النبي ﷺ يهودي، فاشتكى فأتاه جبرائيل بالمعوذتين، وقال: إن رجلاً من اليهود سحرك، والسحر في بئر فلان. فأرسل علياً عليه السلام وجاء به، فأمره أن يحلّ العتد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحلّ حتى قام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال»^٢.

وقيل: إن بنات لييد كنّ ساحرات فهنّ سحرن وأوهن رسول الله ﷺ وعقدن له إحدى عشرة عقدة. فأنزل الله المعوذتين، إحدى عشرة آية بعدد العقد وشفى الله رسوله ﷺ^٣.

٢ - فتح الباري، ج ١٠، ص ١٩٣.

١ - صحيح البخاري، ج ٧، ص ١٧٨.

٤ - التمهيد لتلوم التنزيل، ج ٤، ص ٢٢٥.

٣ - اندر الصبور، ج ٦، ص ٤١٧.

وبعد... فهذه القصة - لو تسلّمناها - فلا شاهد في رواية الصحيحين على أن المعوذتين نزلتا بشأنها. أما سائر الطرق فلا تصحّ مستنداً للثقة بها، فضلاً عن أخذها مستمسكاً للحكم في شأن من شؤون القرآن، الذي لا ينبغي لمسلم أن يتكلّم فيه بغير علم ولا عن مستند وثيق.

قال جلال الدين: «أما أصل القصة فله شاهد في الصحيحين، دون نزول السورتين. تمّ قال: ولكن له شاهد من غيرهما... وأراد بذلك ما أخرجه البيهقي عن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وفيه ذكر القصة ونزول السورتين»^١.

لكن ذكر جلال الدين نفسه - في الإتيان - أن أوهى الطرق إلى ابن عباس، هو طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس^٢. ثمّ ذكر شاهد آخر فيما أخرجه أبو نعيم في كتاب الدلائل من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك^٣.

هذا... وابن حبان قال: إن أهل الحديث يثنون من حديث الربيع بن أنس إذا كان من رواية أبي جعفر الرازي عنه، لأنّ في أحاديثه عنه اضطراباً كبيراً^٤.

إذن أفلا تعجب من رجل هو مضطرب بنفس الحديث والتفسير، كيف يورط بنفسه في تناقض الاختيار؟! ويضطرب في التماس الحجّة من غير وجهها الوجيه؟! ومن تمّ يتكلّم في شأن جانب من كتاب الله العزيز من غير استناد وثيق؟!!

أما نحن - الإمامية - فإنّ أصول معتقداتنا تنفي إمكان التأثير على قلب نبيّ كريم، هو مهبط وحى الله وعبية علمه الأمين! وبالأحرى فإنّ لببداً أعجز من أن يستطيع التصرف في عقلية مثل رسول الله ﷺ أفضل خلق الله وأكرم أنبيائه!!

يقول تعالى: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكُنْ بِرَبِّكَ وَكَيْلًا»^٥ فأجدر بلبيد عدم قدرته على الاستحواذ على قلب أكرم عباد الله، وقلبه ﷺ بيت الإله تعالى، لا يدع الخبيث

١ - نواب انقون، ج ٢، ص ١٤٨.

٢ - الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٩.

٣ - نواب انقون، ج ٢، ص ١٤٨.

٤ - تهذيب، التهذيب، ج ٣، ص ٢٣٩.

٥ - الإسراء: ١٧، ٦٥.

الاقتراب منه أهدأ!

على أننا لوجوزنا إمكان التأثير على شعور النبي الكريم بحيث يكاد يخيل إليه أنه يفعل ولا يفعل، فإن الثقة بما يقوله وحياً نزول، فلعله مفعول سحر ساحر خبيث، خيل إليه أنه وحي؟!^١

قال العلامة الطبرسي: هذا لا يجوز، لأن من وصفه بأنه مسحور فكأنه قد خيل عقله، وقد أرى الله سبحانه ذلك في قوله: «وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا. انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا»^٢.

ولكن يمكن أن يكون اليهودي أو بناته - على ما روي - اجتهدوا في ذلك فلم يتقدروا عليه، واطلع الله نبيه ﷺ على ما فعلوه من التمويه حتى استخرج، وكان ذلك دلالة على صدقه. وكيف يجوز أن يكون المرض من فعلهم؟! ولو قدروا على ذلك لقتلوه، وقتلوا كثيراً من المؤمنين، مع شدة عداوتهم لهم^٣. وقال العلامة المجلسي: المشهور بين الإمامية عدم تأثير السحر في الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم) ومن تمّ أو لم تمّ بعض الأخبار الواردة في ذلك، وطرحوا بعضها أي ما لا يقبل التأويل^٤.

وقال القطب الراوندي: روي أن امرأة يهودية عملت له ﷺ سحراً، فظنت أنه ينفذ فيه ﷺ كيدها والسحر باطل محال! إلا أن الله دله عليه، فبحث من استخرجه. وكان على الصفة التي ذكروها، وعلى عدد العقد التي عقد فيها ووصف ما لو عاينه معاين لغفل عن بعض ذلك^٥.

وجاء في طب الأئمة: أن جبرائيل أتى النبي ﷺ وقال له: إن فلان اليهودي سحر بك، ووصف له السحر وموضعه. فبحث النبي ﷺ علياً عليه السلام حتى أتى القليب فبحث عنه فلم يجده، ثم اجتهد في طلبه حتى وجدته فأتى به إلى النبي ﷺ وإذا هو حقة فيها قطعة كرب

١ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٦٨.

٢ - الفرقان ٨٢٥ - ٩.

٣ - المصدر، ص ٥٧، ح ١١.

٤ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٧٠.

نخل في جوفه وتر عليها إحدى عشرة عقدة، وكان جبرائيل عليه السلام قد أنزل المعوذتين، فأمر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أن يقرأهما على الوتر، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى فرغ منها، فكشف الله عن نبيته ما سحر به وعافاه.^١

وهذه الرواية - وإن لم يصح إسنادها - ليس فيها التأثير على عقلية الرسول صلى الله عليه وآله نعم في رواية أخرى جاء التأثير على جسمه الشريف، فكان يحس بوجع شديد، وهذا معنى «كشف الله عن نبيته وعافاه» في رواية طب الأئمة. أي عافاه من الوجع الذي كان يحس به، وهذا أمر ممكن، غير أن الأصح عندنا هو ما ذكره القطب الراوندي: أن السحر لم ينفذ فيه صلى الله عليه وآله فقد أرادوا به كيداً لكنهم أصبحوا هم الخاسرين.

آيات مستثنيات

تعرض الأوائل لاستثناء آيات من سور تخالفها في النزول، فربت سورة مكية فيها آيات مدنية أو بالعكس، واستقصى ذلك جلال الدين السيوطي في «الاتقان» مستوعباً، غير أنه اعتمد في الأكثر على روايات ونقول ضعيفة، ثم جاء المتأخرون ليأخذوا بذلك تقليد من غير تحقيق في حين أن غالبية القائلين بهذه الاستثناءات قالوا بها عن حدس

١ - طب الأئمة، ص ١١٨.

٢ - جاء في المصحف الأميري المطبوع بالقاهرة بإذن مشيخة الأزهر وبإشراف لجنة مراقبة البحوث الإسلامية، استثناءات بأرقام كبيرة، لكنه تقليد محض لا أصل لأكثرها اتساقه. وهكذا سجلها من غير تحقيق الشيخ أبو عبد الله الزنجاني في تاريخ قرآنه.

أضف إلى ذلك تناقضات جاءت في هكذا اختيارات تقليدية:

مثلاً: جاء في المصحف الأميري أن سورة التم تنزيل (المدجدة) نزلت بعد سورة التؤمن وأن سورة حم تنزيل (فصلت) نزلت بعد سورة طه في حين أن التؤمن وطاقر اسمان تسورة واحدة!

وأثبت أبو عبد الله في تاريخ قرآنه قائمتين بشأن ترتيب نزول السور فذكر في القائمة الأولى: أن سورة الأنعام نزلت بعد الحجر، وفي الثانية: أنها نزلت بعد الكهف كما ذكر في الأولى أن الأعراف نزلت بعد عن وفي الثانية نزلت بعد الأنعام! وذكر أن السور المكية: ٨٥، والسور المدنية: ٢٨، وتم يانعت أنها تفتس مجموع سور القرآن بواحدة أو أظنه في ذلك قائد الإمام بدر الدين الزركشي!!

أو اجتهاد في الرأي، من غير أن يستندوا إلى نص صحيح مأثور. قال ابن الحنطار: إن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل.^١

ونحن إذ نستطرق هذا الباب، نضرب عن كل ما قالوه بهذا الشأن صفحاً، إذ لم يكن مستنداً إلى دليل مقبول. إذ لا شك أن الآيات كانت تسجل تباعاً في كل سورة بعد نزول بسملتها، واحدة تلو أخرى ترتيباً طبيعياً حسب النزول. أمّا أن تبقى آية مكّية غير مسجلة في سورة، حتى تنزل سورة بالمدينة ثم تسجل فيها، فهذا أمر غريب خارج عن طريقة الثبوت المعروف، كما أن آية مدنيّة تسجل في سورة مكّية بحاجة إلى نص صريح خاص وليس بالأمر الذي يتدخل فيه الحدس أو الاجتهاد النظري!

قال ابن حجر: وأما نزول شيء من سورة بمكة، ثم يتأخر نزول أصل السورة إلى المدينة، فلم أره إلا نادراً، فقد اتفقوا على أن الأنفال مدنيّة، لكن قيل: إن قوله تعالى: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...»^٢ نزلت بمكة، ثم نزلت بمسورة الأنفال بالمدينة. وهذا غريب جداً.^٣ وسوف نذكر بطلان هذه المزعومة!

وإليك نماذج من النوعين مزودة بما يشير إليه من تحقيق الرأي إجمالياً:

استثناءات من سور مكّية:

١ - سورة الفاتحة: مكّية

حكى أبو الليث السمرقندي قولاً بأن نصفها نزلت بالمدينة.

قال جلال الدين: لادليل لهذا القول.^٤ كما سبق: أنها من أوائل ما نزلت بمكة كاملة،

وكان المسلمون يقرأون بها في الصلاة.

→ كما جاء في مصحف مطبوع في إيران على عهد اتقاجارية قائمتان، الأولى تسجل عام نزول كل سورة، والثانية

تسجل ترتيب النزول، فجاء في الأولى: نزلت اتصافات في اتعام اتعامس من اتبعة، ونزلت الأنعام ذي اتعام

اتتات عشر، ثم جاء في القائمة الثانية: أن اتصافات نزلت بعد الأنعام!! وأمّا هذا التناقض كثير.

١ - الإفتان، ج ١، ص ٢٨. ٢ - الأنفال، ٨، ٢٠.

٣ - فتح الباري، ج ٩، ص ٢٨. ٤ - الإفتان، ج ١، ص ٣٠ و ٢٨.

٢ - سورة الأنعام: مكيّة

«نزلت بمكة جملة واحدة، وشيئها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالسيح والتحميد وقد طبقوا ما بين السماء والأرض، وكانت ليلة جمعة، وكانت لنزولهم هيبّة وعظمة، فجعل رسول الله ﷺ يقول: سبحان الله العظيم، سبحان الله العظيم، وخزّ ساجداً. ثمّ دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم».

هذا الحديث مستفيض رواه الفريقان بطرق يعضد بعضها بعضاً^١ قال جلال الدين: فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً^٢ ومن تمّ لا وقع لقول أبي عمرو بن الصلاح: أن الخبر المذكور جاء من حديث أبي بن كعب، وفي إسناده ضعف، ولم نر له إسناداً صحيحاً، وقد روي ما يخالفه^٣.

قلت: استفاضة الطرق إلى عدّة من الأصحاب غير أبي بن كعب أيضاً كافية للاستناد إليها.



هذا... وأما رواية المخالف فضعيفة وخير نابتة.

قال ابن الحصار: استثنى منها سبع آيات، ولا يصحّ به نقل^٤ وستكلم فيما زعموا صحّتها من روايات الاستثناء^٥.

وجاء في المصحف الأميري وفي بعض كتب المقلّدة استثناء سبع آيات من غير تحقيق، بحث عن كلّ واحدة واحدة فيما يلي:

الأولى: قوله تعالى: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ»^٦.

الثانية: قوله تعالى: «فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِعْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ»^٧.

ولاشاهد للاستثناء في هاتين الآيتين إطلاقاً. ولعلّ السبب مجيء ذكر أهل الكتاب فيهما، على غموض في الثانية. ولادليل في ذلك، بعد أن جاء ذكر أهل الكتاب في كثير من

١ - تفسير تفسيري، ج ١، ص ٣٤٤، ج ١، ومجمع البيان، ج ٤، ص ٢٧١، والتذوّقات، ج ٣، ص ٢.

٢ - الإفتان، ج ١، ص ١٠٨.

٣ - الإفتان، ج ١، ص ٣٨.

٤ - عند استثناء الآيات رقم: ٧، ٨، و ٩.

٥ - الأنعام، ج ٢، ص ٢٣.

٦ - الأنعام، ج ٦، ص ٤٠.

سور مكية. كقوله تعالى: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^١، ولم يستثنها أحد. وكذلك قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ»^٢ وأما ذلك كثير.

الثالثة: قوله تعالى: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ فَيَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يَبْذُوثَهَا وَيَخْتَفُونَ كَثِيرًا وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»^٣.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يجعلونه قراطيس يبذونها ويخفون كثيراً»^٤ قيل: نزلت في جماعة من اليهود، قالوا: يا محمد ﷺ أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: نعم. قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً.

وقيل: نزلت في مالك بن الصيف، وكان حبراً من أحرار يهود قريظة، وكان سميناً، فقال له النبي ﷺ: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة: «إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْحَبْرَ السَّمِينِ»؟ فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء وقيل: الذي خاصم النبي ﷺ في هذا المقال هو فنحاص بن عازوراء اليهودي.

وقيل: نزلت في مشرقي قريش، حيث أنكروا النبوات رأساً.^٥

قال أبو جعفر الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصواب، هو القول الأخير، إذ لم يجر لليهود ذكر قبل ذلك. وليس إنكار نزول الوحي على بشر مقادير به اليهود، بل المعروف من دينهم الإقرار بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود. ولم يكن الخبر بأنها نزلت في اليهود خبراً صحيحاً متصل السند، ولا أجمع المفسرون على ذلك. وكان سياق السورة من أولها إلى هنا جارياً في المشركين، فناسب أن تكون هذه الآية أيضاً موصولة بما قبلها لا منصولة منه. فلم يجر لنا أن ندعي فصلها إلا بحجة قاطعة من خبر أو عقل. ولعل الذي

١ - التلخيص ج ١، ص ٤٦، ٤٩.

٢ - التلخيص ج ١، ص ٤٤٠.

٣ - جامع البيان، ج ٧، ص ١٧٧، ومجمع البيان، ج ٥، ص ٣٤٣.

أوقع هذا التنازل في الوهم المذكور ما وجدته في قوله تعالى: «فجعلونه...» على وجه الخطاب. ولكن الأصوب من القراءة أنها بياء الغيبة.^١

قلت: ونحن إذ نصادق أبا جعفر في هذا التحقيق، نضيف إليه: أن القصة التي ذكروها بشأن مالك بن العيص في محاورته تلك مع النبي ﷺ تنافي تماماً مع خلق رسول الله الكريم، النبي لا يجرح من عاطفة إنسان إطلاقاً، كما ونزله كتاب الله العزيز عن التعرض لهكذا أمور تافهة لا قيمة لها، أو تنزل بشأنها آية!!

إذن فقوله: «وعلمتم...» خطاب موجه إلى المشركين، بعد تلك الحكاية - بصورة الغيبة كما رجحها أبو جعفر - عن أهل الكتاب.

وأما القراءة المشهورة بقاء الخطاب في الجميع، فلا تستدعي اختصاص الخطاب بأهل الكتاب، بل إلى البشرية باعتبار فعل بعضهم ممن نزل عليهم الكتاب. ولا سيما ومساس العرب المشركين مع اليهود ومخالطتهم معهم في الجزيرة، ومن ثم جاء الكلام عن بني إسرائيل في سور مكية كبيراً، كما في سورة الأعراف.^٢

ويشهد بذلك قوله تعالى: «فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»^٣ خطاباً مع أهل مكة، وسورة الأنبياء المكية أيضاً.^٤ وقد كان للعرب صلة وثيقة وثقة بأهل الكتاب، ويعرفونهم أهل علم وثقافة، وكثيراً ما يسألونهم عن تاريخ الأمم والأنبياء ويعتمدون كلامهم، فجاز أن يخاطبوا بخطاب اليهود المجاورين لهم المخالطين معهم المتوقع بهم عندهم!

الرابعة: قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ لُوْحِي إِلَىٰ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ»^٥.

قالوا: نزل قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى...» في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخي عثمان من الرضاعة. وكان أسلم وكتب الوحي لرسول الله ﷺ ولما نزلت: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا

١ - جامع البيان، ج ٧، ص ١٧٨. وهكذا وافقه سيد قطب، في «ذبي خلال القرآن»، ج ٧، ص ٣٠٦ - ٣٠٣.

٢ - الآية: ١٠٤ و ١٠٥.

٣ - النحل: ١٦، ٤٣.

٤ - الآية: ٧.

٥ - الأنعام: ٩٣.

الإنسان من سلالته من طين»^١ دعاه النبي ﷺ فأملاها عليه. فلما انتهى إلى قوله: «فم أنشأناه خلقاً آخر»^٢ عجب عبد الله في تنصیل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت علي، فشك عبد الله حينئذ، وقال: لئن كان محمد ﷺ صادقاً لتد أوحى إلي كما أوحى إليه. ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال. فارتد عن الإسلام، ولحق أهل مكة، فجعلوا يقولون له: كيف كنت تكتب لابن أبي كبشة القرآن؟ قال: كنت أكتب كيف شئت. وذلك أنه كان رسول الله ﷺ يملئ عليه «عليماً حكيماً» فيكتب «غفوراً رحيماً» يزيد وينقص ويبدل في كتاب الله، ولا يشعر به النبي ﷺ ومن تم شك في رسالته، وكفر ولحق بقریش. فأهدر النبي ﷺ دمه! لكن عنمان أجاره يوم الفتح، وألح على رسول الله ﷺ حتى عفى عنه.^٣

وقالوا - أيضاً -: إن قوله: «أَوْ قَالَ لَوْحِي إِلَىٰ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ» نزل في مسيلمة والأسود العنسي، كانا قد تنبأ في حياة الرسول ﷺ.^٤ لكن الحديث مكذوب من أصله. لأن سورة «المؤمنون» مكية، ولم يستن أحد تلك الآية. فكيف يكتبها ابن أبي سرح بالمدنية ثم يرتد إلى مكة؟! ثم نبي لبشر أن يتقول على الله كذباً ويتحمله وحياً، وقد ضمن الله لكتابه الكريم بالحفظ. ثم لا يشعر الرسول بدس كاذب منتر على الله فيما أنزله الله عليه!! وهل تبقى - بعد هذا الاحتمال - ثقة بنصوص الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟!

نعم هناك ثلاث آيات من ثلاث سور، قيل في كل واحدة منها: أنها نزلت بشأن ابن أبي سرح. هذه إحداها!

والثانية قوله: تعالى: «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا»^٥.

١ - المؤمنون ٢٤، ١٢.

٢ - المؤمنون ٢٣، ١٤.

٣ - راجع: مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٣٥، واندُر المنثور، ج ٣، ص ٣٠، وجامع البيان، ج ٧، ص ١٨١، والتفسير الكبير، ج ١٢، ص ١٨٤، وفي خلاص القرآن، ج ٧، ص ٣٠٦، والبرهان للزركشي، ج ١، ص ٢٠٠.

٤ - نفس المتصدين.

٥ - النحل ١٦، ١٧، راجع: جامع البيان، ج ٧، ص ١٨١.

والثالثة: «لَنْ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ إِزْدَادُوا كُفْرًا»^١.

وهذه الأخيرة أنسب وأولى بالقبول، كما روي ذلك عن الإمامين: محمد بن علي

الباقر، وجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام.^٢

إذن فالصحيح في الآية الأولى هو ما قاله أبو جعفر الطبري: هي عامة، تصف موقف الإنسان عموماً تجاه رسالات الأنبياء عليهم السلام: فمن منكر معاند لا يصدق بأي رسالة جاءت من قبل الله. وآخر مسترسل ضعيف يؤمن بكل دعوى رسالية، حتى ولو كانت نزعة شيطانية من غير تدبر ولا تفكير صحيح. ومن ثم وبخت الآية هذا النمط من الاسترسال الهابط، وتلك الجرأة الظالمة تجاه رب العزة، فيفتري عليه تعالى ظلماً وعدواناً. ولأساس للآية بقضية ابن أبي سرح بالخصوص.

على أن قوله تعالى: «سَأَنْزِلُ مِنْ لَدُنِّي مَاءً نَزِيلًا»^٣ لا ينطبق مع موقف ابن أبي سرح تجاه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. نعم كان ينطبق عليه لو كانت الآية هكذا: «سَأَنْزِلُ مِنْ لَدُنِّي مَاءً نَزِيلًا»...

وقد ناقض سيد قطب هنا بشأن الآية، ففي موضع رجح كون السورة مكية كلها، وفي

موضع آخر اعتمد على روايات الاستنباط

الخامسة قوله تعالى: «أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتْفَعِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ»^٤.

وليس في الآية ما يدعو إلى الظن بأنها مدنية إلا ذكر أهل الكتاب فيها. وقد سبق أن

هذا وحده ليس دليلاً، فقد ورد مثلها في آيات مكية كثيرة. ويرجع السبب إلى ثقة العرب

المشركين بمن جاؤوا بلادهم من أهل الكتاب، فيرونهم أهل علم ودراية، ومن ثم قال

١ - التمام: ٥، ١٣٧.

٢ - تفسير النجاشي، ج ١، ص ٢٨١، ح ٢٨٨. وأما الذي جاء في التفسير المنسوب إلى علي إبراهيم نقصي، ج ١، ص ٢١٠

من نزول آية الأنعام (٩٣) بشأن ابن أبي سرح، ففيه من التماكيز ما يرفض صدوره من التمعنوم عليه السلام إذ فيه أن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يُقرء على تبيدنه التعلل ويقول: «هو واحد!!»

٣ - الأنعام: ٩٣، ٤ - في فتلان القرآن، ج ٧، ص ١٠٦ و ١٠٧.

٥ - الأنعام: ٦، ١١٤.

تعالى: «فَانَسَأَلُوا أَهْلَ الذُّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيْتَاتِ وَالزُّبُرِ»^١ يعني أهل الكتاب ولاسيما اليهود. وهذه الآية مكينة بالإجماع، ما خلا ما نسب إلى جابر بن زيد، وقد ردّ عليه السيوطي من وجهين فراجع.^٢

السادسة: قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ... (إلى قوله):
كَلُّوا مِنْ قَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ»^٣.

ولعلّ القائل بمدنيّتها فسّر الحقّ الواجب بالزكاة، والزكاة لم تقرّر بأنصبها المحددة في الزروع والثمار إلا في المدينة.

ولكن هذا المعنى ليس متعيّناً في الآية، لأنها فسّرت بمطلق الصدقة من غير تحديد، وهي بهذا الإطلاق كانت واجبة في مكة، وجاءت الإشارة إليها في قوله: «وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» الآية رقم ١٩ من سورة المذاريات المكينة بإجماع. وجاء ذكر الإنفاق والصدقة في كثير من آيات مكينة.

وجاءت روايات مأثورة، بأنّ الحقّ في هذه الآية: يعني الإنفاق وإعطاء اليتامى والمساكين - عن سعيد بن جبير وغيره - تمّ نسختها بآية الزكاة فيما بعد^٤ وروي ذلك عن الإمام أبي عبد الله الصادق، عن آبائه عليهم السلام.

السابعة: قوله تعالى: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ...»^٥.

الثامنة: قوله تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...»^٦.

التاسعة: قوله تعالى: «وَأَنْ هَذَا حِدْرَاطِي مُسْتَكِيماً فَاتَّبِعُوهُ...»^٧.

قال السيوطي: وقد صحّ النقل عن ابن عباس باستثناء هذه الآيات الثلاث^٩ والرواية

١ - التلخ: ١٦، ٤٣ - ٤٤، وفي سورة الأنبياء: ٢١، لا بدون التلخ.

٢ - الإنفاق، ج ١، ص ٣٩.

٣ - راجع: التذوّق، ج ٣، ص ٤٩، وجامع البيان، ج ٨، ص ٤٤.

٤ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٧٥.

٥ - الأنعام: ١٥٢.

٦ - الأنعام: ١٥٣.

٧ - الإنفاق، ج ١، ص ٣٩.

٨ - الأنعام: ١٥٣.

٩ - الأنعام: ١٥٣.

هي: ما أخرجه أبو جعفر النحاس في كتابه «الناسخ والمنسوخ» عن طريق أبي عبيدة معمر بن المثنى، عن يونس عن أبي عمرو عن مجاهد عن ابن عباس...^١
 وأبو عبيدة هذا كان رجلاً به شذوذ، كان يرى رأي الخوارج، وكان بذي اللسان متهاكاً قليل العناية بالقرآن، وإذا قرأه قرأه نظراً،^٢ ومن ثم لا يعتمد على نقله فيما يخص الكتاب والسنة، اللهم إلا في رواية الشعر والأدب. ولاندري بم صحح جلال الدين سند هذا النقل؟

هذا وقد روى أبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على القبائل، خرج إلى منى وأنا معه وأبو بكر، وكان رجلاً نشابة، فوقف على مضاربهم بمنى وسلم عليهم فردوا عليه السلام، فتكلم معه القوم، حتى سألوه: إلى ما تدعوا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي» (إلى قوله: كَعَلَّكُمْ تَكْفُورًا) تمام الآيات الثلاث. فأعجبهم كلام الله، وقالوا: فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان لعرفاء...^٣ فالآيات كانت نازلة حينذاك بمكة.^٤ على أن لعن الآيات وأسلوب التعبير فيها - أيضاً - يشهد بمكيتها.
 وتلخص: أن سورة الأنعام كلها مكية، ليست منها أية مدنية إطلاقاً. ولم يثبت شيء مما قيل باستثنائه أصلاً، لانقلاً ولا عقلاً، على ما أسلفنا.

٣ - سورة الأعراف: مكية

أخرج ابن ضريس والنحاس وابن مردويه من عدة طرق عن ابن عباس: أنها نزلت بمكة.^٥

قال قتادة: سوى آية واحدة: «وَأَسْأَلُكُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ». قال: نزلت

١ - المصدر، ٢٤.

٢ - فهرست، ص ٨٥، وتهذيب، التهذيب، ج ١٠، ص ١٤٧، وميزان الاعتدال، ج ٤، ص ١٥٥.

٣ - اندر المتثور، ج ٣، ص ٥٤، ٤ - جامع البيان، ج ٨، ص ٦٠.

٥ - اندر المتثور، ج ٣، ص ٦٧، ٦ - الأعراف، ٧، ١٦٣.

بالمدينة.^١

وقال غيره: إلى نهاية الآية رقم ١٧١. ^٢ وهي قوله: «وَإِذْ نَحْنُ بِالْجَبَلِ فَأَنْهَاهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ...». قلت: ودليل قتادة هو الأمر بسؤال اليهود، وهو يناسب - كما زعم - أيام كونه ﷺ بالمدينة. وهذا ليس دليلاً، إذ لا مستند لعود الضمير إلى اليهود، فلعله يعود إلى المشركين أنفسهم، لمكان معرفتهم بقصة أصحاب السبت، والقرية - وهي أيلة - كانت على ساحل البحر الأحمر، مما يلي الشام. وهي آخر الحجاز وأول الشام، مدينة يهودية صغيرة كانت عامرة،^٣ وكانت قريش تمرّ عليها في رحلتها الصيفية التجارية، وكانت تتصل بهم أخبارها، ومن ثم كانوا على معرفة من أهلها اليهود الذين عتوا عن أمر ربهم.

وأما قول غيره فلا مستند له إطلاقاً، ولا سند معروف. فالصحيح أن هذه الآيات متناسقة مع غيرها من قصص أمم الأنبياء نزلت على قريش ليعتبر أولوا البصائر منهم، إذن يكون الترجيح مع القول بأن جميعها مكّية، لا استثناء فيها.

٤ - سورة يونس: مكّية

استثنى بعضهم منها أربع آيات: الأولى: قوله تعالى: «وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ»^٤ زعم بعضهم أنها نزلت في اليهود.^٥ لكن السياق ياباه.

الثانية: قوله تعالى: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ...»^٦

الثالثة: قوله تعالى: «وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا...»^٧

الرابعة: قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ...»^٨

زعموها - أيضاً - نزلت في اليهود، ولأدليل لهم في ذلك، والسياق واحد متصل. ولعل

٢ - الإفتخار، ج ١، ص ٣٩.

٤ - يونس: ١٠، ٤١.

٦ - يونس: ١٠، ٩٤.

٨ - يونس: ١٠، ٩٦.

١ - التكملة، ج ١، ص ٤٦٠.

٣ - معجم التبتان، ج ١، ص ٢٩٢.

٥ - الإفتخار، ج ١، ص ٤٠.

٧ - يونس: ١٠، ٩٥.

ذكر أهل الكتاب هو الذي أوقعهم في هذا الزعم! مع العلم بأن هذه الآيات ليست بأحسح من قوله: «فَانَاكُوا أَهْلَ الذُّكْرِ» الآية المكية بالإجماع.

وقيل: من الآية رقم ٤٠ إلى نهاية السورة كلها نزلت بالمدينة^١ ولا شاهد لهذا القول إطلاقاً. ولحن الآيات ولهجتها أيضاً تأباه.

والخلاصة: القائل بالاستثناء في هذه السورة، لا يملك دليلاً متوقفاً به ولا سنداً يعتمد عليه. كما أن سياقها ينادي بمكيته بوضوح. ومن تم نرجح كونها مكية أجمع.

٥ - سورة هود: مكية

استثني منها ثلاث آيات:

الأولى: قوله تعالى: «فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ»^٢.

لكن السياق يشهد - صراحة - بأنها مكية. وقد روي في سبب نزولها ما يجعلها أيضاً مكية قطعياً^٣.

الثانية: قوله تعالى: «أَقْمِنِ كَانِ عَلَىٰ سِنِينَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً لَّوْلِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْجِدَةٌ»^٤. استشهد من قال بمدنيته بقوله: «كتاب موسى». وبتأويله: «من الأحزاب».

لكن لا شاهد فيهما، بعد أن جرى ذكر موسى في كثير من آيات مكية والأحزاب إشارة إلى قبائل عربية متحزبة ضد الرسول، وقد كانت تحزبت منذ أن شعر المشركون بخطر نفوذ الإسلام في الجزيرة وسرعة انتشار الدعوة^٥. ولا شاهد على إرادة وقعة الأحزاب.

الثالثة: قوله تعالى: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ

١ - التحف: ١٦: ٤٣.

٢ - الإيقان: ج ١، ص ٤٠.

٣ - مود: ١١: ١٢.

٤ - مجمع البيان، ج ٥، ص ٤٦٦.

٥ - مود: ١١: ١٧.

٦ - التبيان، ج ٥، ص ٤٦٦.

السَّيِّئَاتِ»^١.

روى أبو جعفر الطبري بإسناده عن أبي مسرة: قال: جاءتني امرأة تبتاع مني تمراً، فقلت لها: إن في البيت تمراً أجود، فأدخلتها البيت وأهويت إليها أقبّلها وآتيت منها ما يأتي الرجل من امرأته سوى الجماع، حتى مسست بيدي دبرها، ثم خرجت فذكرت ذلك لأبي بكر وعمر، فقالوا: استرد ذلك على نفسك ولا تخبرن أحداً. ثم ذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: هل جهّزت غازياً؟ قلت: لا. فقال: هل خلقت غازياً في أهله؟ قلت: لا. فقال: استغفر ربك وصل أربع ركعات. ثم تلا: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُكْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ»^٢ ثم قال: إنها للناس عامة، وفي رواية: نزل بها جبرائيل لساعته.^٣

وهذه الرواية بهذا السياق باطلة عندنا البتة. لأنها تجرئة على المعاصي، فليفعل أي إنسان ما يريد ثم يعمد إلى صلاة يصليها لتكون كفارة عن كل ذنب يشترفه. هذا فضلاً عن التهافت في نفس الرواية وعدم انسجامها مع الآية، وهو دليل آخر على وهنها. وأخيراً ففي أكثر الروايات: ثم تلا عليه الآية، وليس فيها أنها نزلت حينذاك. كما روي غير هذه الأقصوصة أيضاً.

والصحيح عندنا: أن سورة هود مكيّة بأجمعها، نظراً لوحدة سياقها المنتظم على أسلوب تقريعي بديع يتناسب والدعوة في مكة.

٦ - سورة يوسف: مكيّة

في المصحف الأميري: استثناء ثلاث آيات من أولها (١ - ٣) وقوله: «لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَكِّلِينَ»^٤ قال جلال الدين: وهو واه جداً، لا يلتفت إليه.^٥ قلت: ونحن نربأ بمثل العلامة أبي عبد الله الزنجاني أن يتابع تبت المصحف المصري من غير تحقيق، فيسجله في كتابه القيم.^٥ وفضح الأمر أوضح من أن يستتره وهم.

٢ - جامع البيان، ج ١٢، ص ٨٢ - ٨٣.

٤ - الإفقان، ج ١، ص ٤٠.

١ - هود: ١١٤، ١١٥.

٣ - يوسف: ١١٤، ١١٥.

٥ - تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني، ص ٢٨.

٧ - سورة إبراهيم: مكّية

قال الزركشي: سوى آيتين نزلتا في قتلى بدر من المشركين وهما قوله تعالى: «أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ»^١ والأصل في ذلك: ما روي عن سعد، عن عمر بن الخطاب قال: الذين بدلوا نعمة الله كُفْرًا، هما: الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية. أمّا بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر. أو قال: استأصلهم الله يوم بدر، وأمّا بنو أمية فمتّعوا إلى حين.^٢ وهكذا روي عن الإمام الصادق عليه السلام وزاد: بلى هي قريش قاطبة.^٣

لكن لادلالة في ذلك على أنهما نزلتا يوم بدر أو بعده. وإنما كانت وقعة بدر مصداقاً من مصدايق البوار الذي تُذروا به. أمّا المصداق الأوفى فهي جهنم يصلونها وبئس القرار. فهذا الاستثناء كان نتيجة عدم التدبر في تأويل الآية بزعم أنه السبب الداعي للنزول!

٨ - سورة الحجر: مكّية

قال جلال الدين: وينبغي استثناء قوله تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَضْمِينَ مِنْكُمْ وَوَلَقَدْ عَلِمْنَا لَلْمُنَافِقِينَ»^٤ لما أخرجه الترمذي: أنها نزلت في صفوف الصلاة.^٥ وقال الحسن: إلا قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَفَاتِيحِ...»^٦ وقوله تعالى: «كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ. الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ»^٧.

قلت: سياق الآية الأولى يأبى حملها على صلاة الجماعة. بشاهد قوله تعالى قبل هذه الآية: «وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ»^٨ وكذا الآية بعدها: «وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَخْشَرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ»^٩، وإنما المعنى: ولقد علمنا بالأموات الماضين وبالأحياء الباقين.^{١٠}

١ - إبراهيم: ١٤، ٢٨ - ٢٩. راجع: البرهان للزركشي، ج ١، ص ٢٠٠.

٢ - جامع البيان، ج ١٣، ص ١٤٦.

٣ - تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٩، ح ٢٢، وانصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٨٨٧-٨٨٨.

٤ - الحجر: ١٥، ٢٤. ٥ - الإيقان، ج ١، ص ٤٦.

٦ - الحجر: ١٥، ٨٧. ٧ - الحجر: ١٥، ٩٠ - ٩١. راجع: مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٢٦.

٨ - الحجر: ١٥، ٢٣. ٩ - الحجر: ١٥، ٢٥.

أما رواية الترمذي فهي مقطوعة وفي إسناده ضعف مضافاً إلى عدم انسجامها مع الآية. وأما استثناء الآية الثانية فمستند إلى قول مجاهد: إن سورة الفاتحة نزلت بالمدينة. وتقدم أنها هنوء منه، والإجماع على خلاف قوله.^{١١} وأما آية المقتسمين، فزعموها نزلت في اليهود والنصارى ممن آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعض.^{١٢} لكنه زعم باطل، لأن اليهود لم يؤمنوا بالقرآن إطلاقاً، ولم يكونوا هم المنزل عليهم. نعم كان إيمانهم بالكذب النازلة عليهم كذلك، يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض.

والصحيح أن الآية المذكورة نزلت في المشركين الذين جعلوا من القرآن بعضه سحراً وبعضه أساطير الأولين وبعضه مفترى وغير ذلك، وكانوا يتفرقون على أبواب مكة يصدون الناس عن القرآن ويقولون على الله الكذب.^{١٣} وقد روى العياشي عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام: أنها نزلت في قريش.^{١٤}

٩ - سورة النحل: مكة

قال قتادة: إلا قوله: «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا...»^{١٥} وقيل: إلى آخر السورة نزلت بالمدينة.^{١٦}

وعن عطاء بن يسار: استثناء قوله: «وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به...»^{١٧} إلى آخر السورة - وهن ثلاث آيات - نزلت في حادثة أحد، بعد مقتل حمزة رضي الله عنه.^{١٨} وفي رواية عن ابن عباس قوله: «وَلَا تَشْكُرُوا بَعْدَ اللَّهِ فَمَا قَلِيلًا...» (إلى قوله: يَا أَحْسَنَ مَا

١٠ - راجع: تفسير الطبري، ج ١٤، ص ١٦ و ١٨.

١١ - راجع: الإفتان، ج ١، ص ٣٠.

١٢ - جامع البيان، ج ١٤، ص ٤٢.

١٣ - تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٥١ - ٢٥٢، ح ٤٣ و ٤٤.

١٤ - النحل، ١٦، ٤١.

١٥ - الإفتان، ج ١، ص ٤١، وفي مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٤٧، نسبة إلى الحسن وقتادة.

١٦ - النحل، ١٦، ١٦٦.

١٧ - الدر المنثور، ج ٤، ص ١٣٥.

١٨ - الدر المنثور، ج ٤، ص ١٣٥.

كَانُوا يَعْمَلُونَ» نزلت بالمدينة.^١

قلت: أما الآية رقم ٤١ و ٤٢ فلا دلالة فيها على أن المراد هي الهجرة الثانية إلى المدينة، بل الظاهر منها أنها: الهجرة الأولى إلى الحبشة، كما روي ذلك عن قتادة أيضاً.^٢ وأما القول بنزول ما بعد آية الأربعين إلى آخر السورة بالمدينة فلا مستند له وسياق الآيات أيضاً يناهيه.

وأما الآية رقم ٩٥ و ٩٦ فقيل: نزلت بشأن امرئ القيس الكندي، كان قد غصب أرضاً من عبدان الأشعر الحضرموتي. فشكاه إلى النبي ﷺ فأذكر امرؤ القيس، فاستحلته فاستعظم أن يحلف كاذباً، فنزلت الآية.^٣ وهذه القصة وقعت بالمدينة!

لكن القصة لم تثبت، ولهجة الآية عامية، وسياقها يشهد بانسجامها الوثيق مع آيات قبلها، تهدف تقريعاً عفيفاً بأولئك المشركين المعاندين. وملاحظة عبارة الآية تجعلنا نضمن بأنها مرتبطة تمام الارتباط مع الآية رقم ٩١ «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ» تأكيداً منها، وتثبيتاً بموقف المؤمنين آنذاك، فلا يشتروا بما عاهدوا الله عليه مناً بخساً؛ عرض هذه الحياة الدنيا، تجاه ما أعد لهم من عظيم الأجر والثواب وحسن الخاتمة.^٤ وأما آية «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» فقد اختلف المفسرون فيها على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها نزلت يوم أحد، عندما وقف النبي ﷺ على حمزة وقد مثل به، فما كان أوجع لقلبه الكريم، فقال: أما والله لأمتلن بسبعين، أو قال: بتلاتين منهم مكانك! وهكذا لما سمع المسلمون ذلك، قالوا: لئن أمكننا الله منهم لتملن بالأحياء منهم فضلاً عن الأموات، وقال بعضهم: لتملن بهم متلة لم يمثلها أحد من العرب! فنزل جبرائيل بالآية، فكفر النبي ﷺ عن يمينه وأمسك عن الذي أراد!

١ - التحل ٩٥، ٩٦ - ج ٦، ص ٢٤٧.

٢ - مجمع البيان، ج ٦، ص ٢٨٤.

٣ - التحل ١١٦، ١١٧.

٤ - التحل ٩٥، ٩٦ - ج ٦، ص ٢٤٧.

٥ - الدر المنثور، ج ٤، ص ١١٨.

٦ - راجع: الدر المنثور، ج ٤، ص ١٢٩.

الثاني: أنها نزلت يوم الفتح، فهم المسلمون أن يتعوا في المشركين، ويتنلوههم شر قتلة، تشقيماً بما كانوا فعلوا بهم يوم أحد: كان قد أصيب من الأنصار يومذاك أربعة وستون. ومن المهاجرين ستة منهم حمزة بن عبدالمطلب، وقد مثل بهم المشركون! فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا الثرىين عليهم، فلما كان يوم فتح مكة، وأمكن الله المسلمين من المشركين، نزلت الآية للأخذ من حدة المسلمين، وأن لا يتجاوزوا حدود ما أنزل الله! الثالث: أنها عامة في كل ظلم، يحاول المظلوم الانتقام من الظالم، بعد ما يمكنه الله منه.

وهذه الآية جاءت مزيجاً بين الانتقام العادل والصفح الجميل، الأمر الذي يتناسب مع حالة المسلمين يوم كانوا بمكة. ومن تمّ قالوا: إنها منسوخة بآية القتال. وهي نظيرة قوله تعالى: «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» وقوله: «فَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ فَاتَّكَلُمُوهُمْ» نزلت أوائل عهد المسلمين بالمدينة.

وهذا الرأي الأخير هو الصحيح، نظراً إلى سياق الآية نفسها، ومناسبتها الوثيقة مع آيات قبلها وبعدها:

قال تعالى: «أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...» «وَلَنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوقِبْتُمْ بِهِ...» «وَأَضِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ»^١.

وهذه الآية جاءت تصبر النبي ﷺ على أذى المشركين وتسلية عن حزنه عليهم لاحتزانه منهم، وهو دليل على أن الآية نزلت يوم كان المشركون صموداً تجاه دعاء النبي ﷺ ومتعرضين أذاه. وكانت نفوس مؤمنة تأبى تحمّل الضيم، وتحاول الانتقام منهم مهما كلف الأمر.^٢

١ - البقرة ٤، ١٩٠ و ١٩١.

٢ - النحل ١٦، ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧.

٣ - راجع: مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٩٣، واندراكنون، ج ٥، ص ١٢٥.

١٠ - سورة الإسراء: مكية

قالوا: فيها سبع عشرة آية نزلت بالمدينة، وهن: ٢٦، ٣٢، ٣٣، ٥٧، ٦٠، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٨٨، ١٠٧.

وهذه مبالغة في القول، لاسند لأكثرها، وإليك بعض التفصيل:

الآية الأولى: قوله تعالى: «وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ نَبْذِيرًا»^١

قيل: نزلت بالمدينة بعدما فتح الله خيبر على رسول الله ﷺ فأعطى فاطمة فدكاً^٢. وأخرج أبو جعفر الطبري عن السدي عن أبي الديلم، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام لرجل من أهل الشام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم! قال: أفما قرأت في بني إسرائيل: «وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ»؟ قال: وإنيكم للقراءة التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه؟ قال عليه السلام: نعم.^٣ وأخرج الحافظ الحسكاني حديث نزول الآية بشأن إعطاء رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام فدكاً، بأسانيد وطرق عديدة.^٤

قلت: ولكن ظاهر الآية كونها شريعة عامة، وخليفة لكل مسلم، وجاءت مجملة بوجوب الإنفاق على ذوي القربى والمساكين، كما هو طابع الشريعات المكية، ثم فصلت حدودها بعد الهجرة بالمدينة.

والآية بعمومها شاملة للنبي ﷺ فهو أيضاً مأمور بمواصله الأرحام والإنفاق عليهم وعلى الفقراء، كأحد المسلمين.

إذن فالآية - لعلها - نزلت للمرة الثانية بعد فتح خيبر، وبعد ما أفاء الله على رسوله والمؤمنين، نزل بها جبرائيل يذكرها بها وجوب مواصلة قرباه. فدعى فاطمة عليها السلام وأعطاهها فدكاً، ولادليل على أن الآية نزلت - في أول نزولها - حينئذ.

أو لعل الآية التي نزلت بخيبر، بشأن مواصلة القربى، كانت غيرها: فقد ورد في

١ - الإسراء: ١٧، ٢٦.

٢ - اندر المنثور، ج ٤، ص ١٧٧؛ ومجمع البيان، ج ٦، ص ٤١١.

٣ - جامع البيان، ج ١٥، ص ٥٣. ٤ - شواهد التنزيل، ج ١، ص ٣٣٨ - ٣٤١.

حديث «منهال بن عمرو» بالشام - أيضاً - عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في قوله تعالى: «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله ولرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل»^١.

وأهل القرى: هم بنو قريظة وبنو النضير، والقرى، هي: فدك وخيبر وعريضة وبنع، أصبحت غنائم في يد المسلمين. وقد نزلت الآية بشأنها حينذاك^٢.

فلو صح أن جبرائيل عليه السلام جاء بالآية الأولى أيضاً، فهو تذكير للنبي عليه السلام بحكم سابق، وتأكيده لحكم حاضر. هذا إذا لم يكن الراوي قد اشتبهت عليه إحدى الآيتين بالأخرى!

الآية الثانية: قوله تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنا إِنَّه كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سِيلاً»^٣.

الآية الثالثة: قوله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»^٤.

والقائل باستثناء هاتين الآيتين لم يعلل استثناءه بشيء^٥، ولعلّه نظر إلى ظاهر تشريع حرمة الزنا وقتل النفس، حيث كان تشريع الأحكام بالمدينة!

لكن فاتته أن تحديدات الحدود وتفصيل الأحكام جاءت بالمدينة، أما أسس الشريعة وكلّيات الأحكام في صورها الإجمالية فقد جاءت في سور مكّية وبمكة كثيراً. وهاتان الآيتان جاءتا بمكة على نفس النمط.

قال السدي: آية: «وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنا» نزلت يوم لم تكن حدود. فجاءت بعد ذلك في سورة النور - وهي مدنيّة -^٦ وقال الضحاك في آية القتل: كان هذا بمكة، والنبي عليه السلام بها. وهو أول شيء نزل من القرآن في شأن القتل، كان المشركون يقاتلون أصحاب النبي عليه السلام يومذاك، فهم أصحابه عليه السلام أن يفعلوا بهم مثل ذلك، فقاتل جلّ تناؤه: من قتلكم فلا يحملنكم عمله على أن تقتلوا أباه أو أخاه أو أحداً من المشركين، كما كانت العادة الجاهليّة جارئة

١ - التحشير (التدنيّة) ٧: ٥٩.

٢ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٤٦٠ - ٤٦١، وجاء في التذوّق، ج ٦، ص ١٨٩ إشارة.

٣ - الإسراء ١٧: ٣٢.

٤ - الإسراء ١٧: ٣٤.

٥ - تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني، ص ٤٨.

٦ - التذوّق، ج ٤، ص ١٧٩.

على قتل الأخ بأخيه أو آخرين من أفراد قبيلته، فلا يقتلن أحدكم إلا المقاتل نفسه.^١
 الآية الرابعة: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ»^٢
 والآية، بقريئة الآية قبلها تتناسب مع نزولها بمكة، ولم نعرف وجه هذا الاستثناء
 الذي جاء في المصحف الأميري وغيره؛

الخامسة: «وَمَا جَعَلْنَا الزُّوْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ»^٣
 جاء هذا الاستثناء في كلام جلال الدين، نظراً لأن الآية نزلت في رؤيا رسول الله ﷺ
 أهدته، رأى بني أمية ينزرون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، ولم ير ضاحكاً حتى
 مات ﷺ.^٤

هذا... والنبي ﷺ لم يكن له منبر بمكة!
 وقد تقدم كلامنا في ذلك، وأنه ﷺ أرى اعتلاء دعوته المباركة، وأرى أيضاً تطاول
 أيدي الغاصبين لمنصبه الإلهي فساءه ذلك.^٥
 السادسة والسابعة والثامنة: قوله تعالى: «وَإِنْ كَانُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
 لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً وَلَوْلَا أَنْ نَبْنِيَنَّكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً. إِذَا
 لَأَذْنُوكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً»^٦

لاشك أن الآيات مكيات، نزلن بشأن مشركي قريش عرضوا على النبي ﷺ
 مسألته مع آلهتهم، فنهروهم نهراً، ونزلت الآيات تبيهاً بموقف النبي ﷺ ذاك المشرف،
 وتبيهاً للمشركين نهائياً، لئلا يضمعوا في رسول الله، وهو داعية إلى التوحيد الخالص ونبد
 الإشران كلياً، أن يجامل فيما يناقض دعوته إلى الله وحده لا شريك له!^٧
 ولم نعرف وجهاً صحيحاً لاستثناء هذه الآيات الثلاث، كما جاء في كلام

١ - المصدر، ص ١٨٦.

٢ - الإسراء ١٧، ٥٧.

٣ - الإسراء ١٧، ٦٠.

٤ - اندر الصنوبر، ج ٤، ص ١٩٦.

٥ - تقدم ذلك في «سورة القدر» من «سور مختلف فيها»، ٦ - الإسراء ١٧، ٧٣ - ٧٥.

٧ - راجع: مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٣٦؛ واندر الصنوبر، ج ٤، ص ١٩٤.

جلال الدين^١ وفي المصحف الأميري وغيرهما!

التاسعة والعاشرة: قوله تعالى: «وإن كانوا يستغفرونك من الأرض فإخرجهم منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً. سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا نجد لستنا نحوياً»^٢.

وجه الاستثناء: ما قيل في سبب نزولهما: أن اليهود أتوا النبي ﷺ وقالوا له: إن كنت نبياً فأت الشام أرض الأنبياء، فصدقهم على ذلك. وغزا غزوة تبوك، لا يريد إلا اللحاق بالشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه هاتين الآيتين، فأمره بالرجوع إلى المدينة، ففيها محياه ومماته ومبعثه يوم القيامة.^٣

لكنه معارض بما ورد: أنهما نزلتا بشأن مشركي مكة، هتوا بإخراج الرسول من مكة بنفس الأسلوب، قالوا له ﷺ: كانت الأنبياء ﷺ يسكنون الشام فما لك وسكني هذه البلدة! أو هتوا بإخراجه عنفاً، لأن الاستفزاز هو الإزعاج بعنف، وظاهر الآية يرجح المعنى الثاني، كما أن المشركين لما فعلوا ذلك بعدئذ طبقت عليهم سنة الله في الخلق، بدأت بقتلى بدر، وانتهت بفتح مكة وإخراج المشركين منها نهائياً.^٤

الحادية عشرة إلى الرابعة عشرة: قوله تعالى: «أقم الصلاة لذئوك الشمس إلى غسق الليل وقزآن الفجر إن قزآن الفجر كان مشهوداً. ومن الليل فتجهذ به نافلة لك عسى أن ينفعك ربك مقاماً تحموداً. وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لذك سلفاً نصيراً. وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً»^٥.

زعم المستثنى: أنها من تنمة الآيتين السابقتين نزولاً بالمدينة.^٦ وهو زعم باطل، بعد أن لم يثبت الأصل فكيف بالفرع!

وقد أخرج أبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس أن قوله: «وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ...»

١ - الإفتان، ج ١، ص ٤١. ٢ - الإسراء ١٧، ٧٦ - ٧٧.

٣ - مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٣٦، واندر المنثور، ج ٥، ص ١٩٥.

٤ - راجع نفس المصادر. ٥ - الإسراء ١٧، ٧٨ - ٨١.

٦ - الإفتان، ج ١، ص ٤١.

نزل بمكة قبيل هجرته ﷺ.^١

على أن الآيات في سياقها المتصل، سبقاً ولحقاً، بنفسها تشهد بنزولها بمكة، ولا تنسجم مع القول بنزولها في المدينة بشيء.

الخامسة عشرة: قوله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً»^٢.

أخرج جماعة من أهل الحديث: أن هذا السؤال كان من يهود المدينة، بعد الهجرة.^٣ لكنه معارض بما ورد أن هذا السؤال وقع من مشركي قريش، سألوه عن الروح الذي جاء ذكره في القرآن^٤ أو أن اليهود أوعزوا إلى المشركين توجيه هكذا سؤال إلى محمد ﷺ. قالوا: فإن أجابكم فليس بنبي وإن لم يجيبكم فهو نبي.^٥

هذا مضافاً إلى أن ذيل الآية تشهد بأنها خطاب مع المشركين، وعن عطاء بن يسار: أن قوله تعالى: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً» نزلت بمكة.^٦

السادسة عشرة: قوله تعالى: «قُلْ لَنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً»^٧.

أخرج الطبري: أن الآية نزلت على رسول الله ﷺ بالمدينة، بسبب قوم من اليهود جادلوه في تناسق القرآن، فأنكروا تناسقه وزعموا أن التوراة أنسق منه.^٨

لكن رتبة الآية الأخاذة تشي بنزولها بشأن مشركي قريش تحدياً معهم حينما سألوه مخاريق غريبة إلى جنب مطالب تافهة، تجاه نزول القرآن.

وهذه الآية نزلت تمهيداً للتشريع المنجبه إليهم في آيات بعدها: «وَقَالُوا كُنْ تُؤْمِنُ كَلَّ

١ - اندر المتثور، ج ٤، ص ١٩٨، وجامع البيان، ج ١٤، ص ١٠٠.

٢ - الإسراء ١٧: ٨٤.

٣ - اندر المتثور، ج ٤، ص ١٩٩، وجامع البيان، ج ١٤، ص ١٠٤.

٤ - راجع: مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٣٧، واندر المتثور، ج ٤، ص ١٩٩.

٥ - راجع: نفس المصادر.

٦ - جامع البيان، ج ١٤، ص ١٠٥-١٠٦.

٧ - الإسراء ١٧: ٨٨.

٨ - جامع البيان، ج ١٤، ص ١٠٦.

حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا»^١ إلى تمام الأربع آيات، والتي تستتبعها إلى الآية السابعة والتسعين. فراجع نفس الآيات.

الآية الأخيرة وهي السابعة عشرة: قوله تعالى: «قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُغْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا»^٢.

قال جلال الدين: نزلت بالمدينة، لما أخرجناه في أسباب النزول.^٣

لكنه لم يخرج شيئاً بهذا الشأن، لافي لباب القول ولا في الدر المنثور!!

والآية بسياقها تشهد بأنها مكّية، نزلت توبيخاً لصمود المشركين تجاه نزول القرآن وإيادهم عن الإيمان به، وتلميحاً بأنّ هذا العناد هو أمر الجهل الأعمى والنوحش الفداح الذي تمكن من نفوسهم القاسية، أمّا أهل المدينة والثقافة فإنهم إذا لمسوا من حقيقة القرآن الواضحة يؤمنون به فوراً بلا ارتياب، كناية بأنّ هؤلاء المشركين بعيدون عن الحضارة والعلم، ومن تمّ هذا التأنف والشموخ الجاهل!

١١ - سورة الكهف: مكّية

استثنى بعضهم منها اثنين وثلاثين آية، زعمها نزلت بالمدينة. وهذا إسراف في القول، لأنّ هذا يعني: أنّ ثلاث السورة، ولاسيما تماني آيات من أولها مدنيّة، فكان جديراً بثبها في المدنيّات!

قال جلال الدين: استثنى من أولها إلى قوله: «جُرُزاً» الآيات رقم ١ - ٨ نزلت بالمدينة.^٤

ولادليل لهذا الاستثناء إطلاقاً، مضافاً إلى استلزامه أن تكون السورة مدنيّة لامكّية! لأنّ الاعتبار في المكّية والمديّنة إنّما هو بمفتاح السورة وشي، من آيات من أولها. هذا والإجماع منعقد على أنّ سورة الكهف مكّية لاختلاف فيها.^٥

١ - الإسراء ١٧٧، ١٧٨. ٢ - الإسراء ١٧٧، ١٧٨.

٣ - الإفتان، ج ١، ص ٤١، وفي الدر المنثور، ج ٤، ص ١٠٥، ١٠٦، أخرج ابن جرير عن مجاهد: أنّ الذين أُوتوا العلم من قبله هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد، لكنّ ذلك لا يستدعي نزول الآية بالمدينة، كما لا يخفى.

٤ - الإفتان، ج ١، ص ٤١. ٥ - راجع: الدر المنثور، ج ٤، ص ١٠٨.

ولعلّ المستنبي نظر إلى قوله تعالى: «وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَكْدًا»^١.

ولكن ذلك لا يستدعي نزولها بالمدينة لمناسبة وجود اليهود فيها، بل هي عامة تشمل النصارى والمشركين أيضاً، على أن نزول آية بشأن قصة يهودية لا تستوجب مقارنة نزولها يوم كانوا ينادون بالإسلام، والآيات بهذا النمط كثيرة في سور مكّية، وذلك لوجود الصلة القريبة بين اليهود والمشركين قبل مهاجرة النبي ﷺ إلى المدينة، كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك.

وقال أيضاً باستثناء قوله تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...»

(إلى قوله: «فُرْطًا»^٢).

زعموها نزلت في عيينة بن حصن، عرض على رسول الله ﷺ وهو آنذاك بالمدينة، أن يتباعه مجلس فقراء المؤمنين، إن كان يريد إسلام عظماء البلد.^٣ لكن الصحيح أنها نزلت في أمية بن خلف، عرض عليه ﷺ ذلك وهو بمكة فدعى النبي ﷺ إلى طرد الفتراء وتقريب صناديد قريش.^٤ ولهجة الآية وسياقها أيضاً تشي بذلك.

وفي المصحف الأميري وتاريخ القرآن للزمخاني استثناء قوله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ (إلى قوله: «لَا يَسْطَلِعُونَ مَعًا»^٥ تسع عشرة آية.

زعموا أن الذين وجهوا هذا السؤال إلى النبي ﷺ كانوا هم اليهود أنفسهم، ومن ثم كان نزول الآيات - بصدد الإجابة - في المدينة.^٦

والصحيح أن المشركين هم الذين سألوا هذا السؤال، لكن بتعليم من اليهود، كان المشركون بعنوا من يسأل اليهود عن أوصاف رسول الله، فأجابوهم بأسئلة يوجهونها إلى رسول الله ﷺ فإن أجاب فهو نبي حقاً.

١ - التكهف ١٨: ٤.

٢ - التكهف ١٨: ٢٨، راجع: الإفتان، ج ١، ص ٤١، وتاريخ القرآن لأبي عبد الله الزمخاني، ص ٢٩.

٣ - اندر المنثور، ج ٤، ص ٢٦٠.

٤ - نيبات القرآن، ج ١، ص ٢٣٠، واندر المنثور، ج ٤، ص ٢٦٠.

٥ - التكهف ١٨: ٨٣ - ١٠١. ٦ - اندر المنثور، ج ٤، ص ٢٤٠.

روى أبو جعفر الطبري: أن قريشاً بعثت النضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط إلى أخبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول - التوراة - وعندهم علم ما ليس عندنا، من علم الأنبياء. فخرجنا حتى قدما المدينة، فسألوا أخبار اليهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. فقالت لهم أخبار اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه... الخ. والحديث طويل وفي نفس الوقت طريف.^١

وفي الإتقان جاء استثناء قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا» إلى آخر السورة أربع آيات.^٢

هذا... ولم يبين سند هذا الاستثناء الغريب! ولعله سهو أو جزاف من الكلام، إذ لا شيء في الآيات يصلح دليلاً على مدنيته، ولا ورد في تفسيرها ما يتناسب ونزولها بالمدينة!!

نعم روي في الدر المنثور عن مجاهد قال: كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه، فأنزل الله «مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ...»^٣ لكن لحن الآية وفحواها لا تلتم ذلك.. وروي الطبرسي عن ابن عباس: لما نزل قوله: «وَمَا لَوْ تِمَّمْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»^٤ قالت اليهود: أوتينا التوراة وفيها علم كثير. فأنزل الله «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ...»^٥ ولذا قال الحسن: أراد بالكلمات العلم لكن هذا لا يدل على كونها نزلت بالمدينة كما مر غير مرة!

١ - جامع البيان، ج ١٤، ص ١٢٧ و ج ١٦، ص ٧، والتدبر المنثور، ج ٤، ص ٢١٠، ونهاية النقول، ج ١، ص ٢٢٨.

٢ - التكهف ١١٨، ١١٧، ١١٠.

٣ - الإتقان، ج ١، ص ٤٦.

٤ - التكهف ١١٠، ١١٨، راجع: الدر المنثور، ج ٤، ص ٢٥٥، ٥ - الإسراء ١٧، ٨٥.

٦ - مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٩٩.

١٢ - سورة مريم: مكيّة

قال جلال الدين: استثنى منها آيتان^١

١ - آية السجدة: «لَوْلِيكَ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ (إلى قوله):

خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا»^٢

ويكذبه: أن هذه الآية نزلت تعقيباً على الآيات التي سبقتها من أول السورة إلى هنا، ذكرت أحوال الأنبياء وأمم سالفة بتفصيل، ثم جاء مدحهم جميعاً بصورة إجمالية في هذه الآية، كأنها تلخيص لتلك السمات والأوصاف، وكانت نتيجة عليها، فإما أن نقول بأن جميعها من أول السورة إلى هذه الآية مدنيّة أو كلها مكيّة، ولا موقع لهذا الاستثناء الغريب، والذي لم يبيّن المستثنى سنده في ذلك؟

٢ - قوله تعالى: «وَلَنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا»^٣

وهذه كسابقتها مرتبطة تمام الارتباط بآيات اكتسفتها سبقاً ولحقاً، بما لا يدع مجالاً

لاستثنائها وحدها.

١٣ - سورة طه: مكيّة

استثنى منها آيتان: الأولى قوله تعالى: «فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ

طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا»^٤

لكن الآية تفريع على آيات سبقتها، مضافاً إلى لهجتها الخاصّة بآيات مكيّة. وورد

في تفسيرها ما يؤكد نزولها بمكة.^٥

الثانية قوله تعالى: «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ...»^٦

قال جلال الدين: لما أخرجه البزار عن أبي رافع، كان بعته النبي ﷺ ليستسلف من

يهودي طعاماً، فأبى إلا برهن، فحزن رسول الله ﷺ على ذلك، فنزلت الآية.^٧

١ - الإفتان، ج ١، ص ٤٢.

٢ - مريم، ١٩، ٧٦.

٣ - طه، ٢٠، ١٣٠.

٤ - طه، ٢٠، ١٣١.

٥ - جامع البيان، ج ١٦، ص ١٦٨.

٦ - الإفتان، ج ١، ص ٤٢؛ وراجع: جامع البيان، ج ١٦، ص ١٦٩.

٧ - مريم، ١٩، ٥٨.

لكن التقصه - على فرض صحتها - لا تصلح داعية لنزول هذه الآية بشأنها ولا مناسبة بينها وبين فحوى الآية رأساً.

١٤ - سورة الأنبياء: مكية

استثني منها قوله تعالى: «أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا» ولم يذكروا سند الاستثناء.

لكن السياق مكّي بلا كلام. وجاءت نظيرتها في سورة الرعد، الآية رقم ٤١ أيضاً، ولهجتها مكّية، لولا اتفاق روايات الترتيب على مدنيّتها على ما سبق.

١٥ - سورة المؤمنون: مكية

استثني منها قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمُ (إلى قوله: «مُنِلُّونَ») ثلاث عشرة آية.^٢

ولا شاهد لهذا الاستثناء بتاتاً. ولعلّ المسبب في نظر إلى روايات فسّرت العذاب بما أُصيب المشركون يوم بدر أو يوم الفتح، لكنه غفل عن أنّها تفسير لوعده سابق، لاحكاية عن أمر كان. راجع أبا جعفر الطبري وغيره.^٣

١٦ - سورة الفرقان: مكية

استثني منها ثلاث آيات: ٦٨ و ٦٩ و ٧٠.

لكن الآيات منسجمة مع قريناتها سبقاً ولحقاً تمام الانسجام، بما يستحيل استثاؤها لوحدها. وفي تنسير الطبري وغيره ما يؤكد نزولها بمكة فراجع.^٤

١٧ - سورة الشعراء: مكية

استثني منها خمس آيات:

١ - قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ».^٥

١ - الأنبياء ٤١، ٤٤، راجع: الإفتان، ج ١، ص ٤٢.
 ٢ - المؤمنون ٥٣، ٦٤ - ٧٧، راجع: الإفتان، ج ١، ص ٤٢.
 ٣ - جامع البيان، ج ١٨، ص ٢٨.
 ٤ - المصدر، ج ١٩، ص ٤٦.
 ٥ - الشعراء ٢٦، ١٩٧.

حكى ابن غرس: أنها مدنيّة^١ ولعلّه لما ورد في تفسيرها من أن المراد من علماء بني إسرائيل - هنا - هم: أسد وأسيد وابن يامين وتعلبة وعبد الله بن سلام.^٢
 لكن وجه الآية بلا شك مع مشركي قريش، وتوبيخ لاذع بهم. أمّا التفسير الوارد فلا يعني نزول الآية بعد إيمان هؤلاء اليهود، وإنما هو بيان مصداق من مصدايق الآية تحققت فيما بعد.

وقد تقدّم^٣ مراجعة المشركين إلى اليهود فيما يخص معرفة رسول الله ﷺ فكانوا يعرفونهم خصائص وسمات كانت موجودة فيه ﷺ والآية إنما تعني ذلك، وإن هذا شيء كان يعرفه أهل الكتاب. كما اعترفواهم قبل هجرته ﷺ وإنما نكروه بعد ذلك طمعاً في حطام الدنيا ولم تعن الآية إيمانهم وإنما عنت معرفتهم. وبذلك لا يصلح التفسير الوارد لتعيين نزول الآية بالمدينة.

٢ - قوله تعالى: «وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ»^٤ إلى آخر السورة أربع آيات.

حكى استثناء ذلك عن ابن عباس^٥ وسند الاستثناء ما روي أنها نزلت في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين.^٦
 لكنّه معارض بما هو أقوى سنداً وأكثر عدداً: أنها نزلت في مشركي قريش، كان شعراؤهم يهجون رسول الله ﷺ ويتراءها سفلتهم على ملأ من الناس امتناناً بموقف رسول الله ﷺ فنزلت الآية تقرّباً بشأنهم وتنديداً بسلوكهم الشنيء. وقد جاء الطبرسي بأسماء هؤلاء المشركين في تفصيل عريض.^٧ وهكذا رجّحه أبو جعفر الطبرسي.^٨
 ١٨ - سورة القصص: مكّيّة

استثنى منها قوله تعالى: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (إلى قوله): سَلَامٌ

١ - الإيقان، ج ١، ص ٤٢. ٢ - جامع البيان، ج ١٩، ص ٦٩، والندوة المنثور، ج ٥، ص ٩٥.

٣ - تقدم ذلك في «سورة الكهف» من «آيات مستثنيات».

٤ - الشعراء ٢٦، ٢٤. ٥ - الإيقان، ج ١، ص ٢٤ و ٤٢.

٦ - الندوة المنثور، ج ٥، ص ٩٩، وجامع البيان، ج ١٩، ص ٧٨.

٧ - مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٠٨. ٨ - جامع البيان، ج ١٩، ص ٧٨.

عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ» أربع آيات.

قيل: نزلت في جماعة من أهل الكتاب كانوا قد أسلموا، منهم: عبدالله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي.^٢

وقيل: نزلت في أصحاب النجاشي قدموا المدينة وشهدوا وقعة أحد.^٣

لكن لو صحّ تفسير الآية بالمذكورين فإنما عنت الأخبار عما سيكون لأعما كان! فضلا عن معارضة هذا التفسير بتفسيرها بجماعة من أهل الكتاب كانوا مسلمين بالنبي ﷺ قبل مبعثه، وهم أربعون رجلاً على ما جاء في تفسير الطبرسي وتفسير الطبري وغيرهما فراجع.^٤

ويؤكد ما ذكرنا قوله تعالى: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ...»^٥ هذه الآية مكّية وردت بشأن مجادلة أهل الكتاب.

وقوله تعالى: - أيضاً - : «وَكَذَلِكَ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ...»^٦ وهي مكّية أيضاً بالاتفاق.

وهذه نظيرة الآية المبحوث عنها تماماً، أخبار عما سيكون.

واستثني منها - أيضاً - قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ...»^٧.

قيل: نزلت على رسول الله ﷺ وهو مهاجر إلى المدينة، عند وصوله إلى الجحفة^٨ فالآية على الاصطلاح الثاني^٩ لامكّية ولامدنيّة.

لكن الاختيار المشهور هو المصطلح الأول. وعليه فالآية مكّية. وقد سبق ذلك.

١ - انقضى ٢٨: ٥٢ - ٥٥.

٢ - مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٤٨.

٣ - الإتيان، ج ١، ص ٤٢.

٤ - مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٥٨، وجامع البيان، ج ٢٠، ص ٥٧، والتذكرة، ج ٥، ص ١٤٣.

٥ - التلخيص، ج ٢٩، ص ٤٦.

٦ - التلخيص، ج ٢٩، ص ٤٧.

٧ - انقضى ٢٨: ٨٥.

٨ - مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٦٨.

٩ - تقدم ذلك في «اتجاهات في تعيين أمكي وتمدني».

١٩ - سورة العنكبوت: مكية

استثني من أولها إلى الآية الحادية عشرة، قالوا: نزلت بالمدينة^١ قالوا: نزلت الآيات في أناس من المسلمين تخلّفوا عن الهجرة، ثم كتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، فعمدوا إلى المهاجرة فردّتهم قريش ووقع بينهم قتال وعنف.^٢

لكن الآية عامة، نزلت في مؤمني مكة وقعوا تحت شدّة، وكانت ابتلاء لهم ليعلم الصادق من الكاذب. وهكذا فسرها أبو جعفر الطبري^٣ وجاءت به الرواية عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام.^٤

هذا فضلا عن أن مفتتح السورة لو صحّ نزولها بالمدينة لأصبحت السورة مدنية، وفق المصطلح المتقدم^٥ هذا ولم يخالف أحد في مكيتها.

واستثني منها - أيضا - قوله تعالى: «وَكَايُنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^٦.

استثناها جلال الدين، لما رواه ابن أبي حاتم - بسند ضعيف - عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيّطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، ثم قال ﷺ: هذه صبيح رابعة منذ لم أذق طعاماً ولم أجده... قال ابن عمر: فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت: «وَكَايُنْ مِنْ دَابَّةٍ...»^٧

والرواية مطعون في سندها، فضلا عن اضطراب متنها وعدم معقولية فحواها! هذا... وقد روي عن مقاتل والكلبي: أنها نزلت في جماعة من المؤمنين المستضعفين، ضاق بهم المقام بمكة قبل هجرة الرسول ﷺ ووقعوا في عسر وشدّة، فأمروا بالهجرة إلى المدينة، قالوا: كيف نخرج إلى بلد ليس لنا به دار ولا عتقار ولا معيشة! فنزلت الآية: «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ» (إلى قوله): «وَكَايُنْ مِنْ

٢ - تباب التنوير، ج ٢، ص ٣٢.

٤ - مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٧٢.

٦ - العنكبوت ٥٩، ٦٠.

١ - الإفتان، ج ١، ص ٤٤.

٣ - جامع البيان، ج ٢٠، ص ٨٣.

٥ - تقدم ذلك في «ترتيب النزول».

٧ - الإفتان، ج ١، ص ٤٤، والتدبر المنور، ج ٥، ص ١٤٩.

دأب... الخ.^١

والرواية الثانية أوفق بنص الكتاب وأولى بالاعتبار، ومن تمّ فهي الصحيحة المقبولة!
٢٠ - سورة الروم: مكيّة

جاء في المصحف الأميري وتاريخ القرآن لأبي عبدالله الزنجاني والمجمع: استثناء
قوله تعالى: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ»^٢.

ولاسند لهذا الاستثناء، فضلاً عن ارتباطها الوثيق مع آيات سبقتها وآيات لحقتها
٢١ - سورة لقمان: مكيّة

روي عن ابن عباس: استثناء قوله تعالى: «وَكُلُوا مِنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلامٌ وَالْبَحْرُ
يَمْدَةٌ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ (إلى قوله:) بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرٌ»^٣ ثلاث آيات.

وذلك لأنه ﷺ روى في سبب نزولها: أن أخبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: إنا
قد أوتينا التوراة وفيها علم كثير، فقال ﷺ: أتيناها في جنب علم الله قليل، فنزلت الآيات^٤.

ولكن التعليل إن كان يتناسب مع الآية رقم ٢٧ فرضاً، فإنه لا يتناسب مع الآيتين
بعدها، ولا يصلح داعية لنزولهما أيضاً.
والصحيح أن الآيات الثلاث، هي كسوابقتها ولو أحقها منسجمة بعضها مع بعض وهي
جميعاً عرض لعظمة رب العالمين، لا يدانيه أحد، ولا يماثله شيء... فلا سبب يفصلها عن
قريناتها، ومن ثم لا وجه لاستثنائها أصلاً.

ولو صحّت الرواية المذكورة عن ابن عباس، فلا بد ﷺ قرأها عليهم حينما
عرضوا عليه ذلك التحديّ الغريب! لا أنها نزلت حينذاك.

٢٢ - سورة السجدة: مكيّة

استثنى منها قوله تعالى: «تَكْجَافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ اللَّضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا

١ - التعليلات ٢٩، ٥٦، ٦٠، راجع: مجمع البيان، ج ٨، ص ٢٩٠.

٢ - الترمذ ٣٠، ١٧، راجع: تاريخ القرآن لأبي عبدالله الزنجاني، ص ٣٠، ومجمع البيان، ج ٨، ص ٢٩٢.

٣ - لقمان ٤٦، ٢٧ - ٢٩، ٤ - التذمّنون، ج ٥، ص ١٦٧، والإيمان، ج ١، ص ٤٣.

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»^١.

قال جلال الدين: لما أخرجهم البيهقي وابن مردويه عن بلال، قال: كنا جلوساً وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت.^٢
قلت: الآية عامة. وانسجامها مع قربانها من آيات بادية الموضح. فضلاً عن عدم التامها مع فحوى الرواية في شيء.

وفي المصحف الأميري وتاريخ الزنجاني: استثناء قوله تعالى: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِي لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ»^٣.

ولعل ذلك نظراً لأنها تنمى للآية السابقة. والأصح أنها كسابقتها عامة.
وروي عن ابن عباس: استثناء قوله تعالى: «أَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا» (إلى قوله):
نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^٤.

وذلك لما روي بطرق وأسانيد كثيرة ومعتبرة: أنها نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) والوليد بن عقبة بن أبي معيط، في مشجرة حرات بينهما يوم بدر، قال له الوليد: اسكت فإنك صبي وأنا أسط منك لسافل وأجده منك سناناً وأرد منك للكتيبة! فقال له علي (عليه السلام): على رسلك فإنك فاسق، وليس كما تقول.

أخرجها أبو الفرج الإصبهاني في كتاب الأغاني، والواحد في أسباب النزول وابن مردويه والخطيب البغدادي وابن عساكر من طرق عن ابن عباس. وأخرجها ابن إسحاق وابن جرير عن عطاء بن يسار. وأخرجها ابن أبي حاتم عن السدي وعبد الرحمن بن أبي ليلى. فالؤمن الذي عنده الآية الكريمة هو علي بن أبي طالب والفاسق هو الوليد.^٥

وأخرجها الحافظ الحسكاني باثني عشر طريقاً، ربما بلغت بذلك حد التواتر.^٦

١ - المسجدة ٣٢، ١٦.

٢ - المسجدة ٣٢، ١٧.

٣ - راجع: اندر المنثور، ج ٥، ص ١٧٨؛ وجامع البيان، ج ٢١، ص ٢٨؛ وتفسير التيسيري، ج ٢١، ص ٢٦؛ وجمع البيان، ج ٨، ص ٣٣٢.

٤ - المسجدة ٣٢، ١٨.

٥ - شواهد التنزيل، ج ١، ص ٤٤٥ - ٤٤٤.

٦ - شواهد التنزيل، ج ١، ص ٤٤٥ - ٤٤٤.

قلت: سياق الآية عام، وهي مرتبطة مع بقية الآيات، سابقة ولاحقة. يبدو ذلك لأدنى مراجعة إلى السورة.

نعم يجوز نزول آية مرة ثانية لمناسبة تستدعي ذلك، الأمر الذي حدث في كثير من آيات سوف نبه عليها. ويحتمل أن المحاورة المذكورة بلغت النبي ﷺ فقرأ الآية الكريمة، تطبيقاً مع المورد، فقد فسق الوليد هذا في آيات أخرى، ونزلت: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» بشأنه الخاص، أخرجه جلال الدين بأسانيد رجالها تفات.^١

٢٣ - سورة سبأ: مكية

استثني منها قوله تعالى: «وَيَرَى الَّذِينَ لَوْثُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»^٢.

هذه الآية إشارة إلى أن أهل العلم الواقعيين يؤمنون بهذا الكتاب إيماناً صادقاً عن علم و يقين، ولا شك أن الأمر كذلك، فالتأهبون العقلاء وأرباب الفضيلة والكمال، لا يترددون في الإيمان بهذا الكتاب العزيز الذي لا ريب فيه، فور معرفتهم به. وهذا شأن كل حق صريح. وهكذا رجح هذا المعنى العلامة الطبرسي، قال: وهذا أولى، لعمومه... قال: لأنهم يتدبرونه و يتفكرون فيه، فيعلمون بالنظر والاستدلال أنه ليس من قبل البشر.^٣

لكن أبا جعفر الطبري فسر الآية - ابتداءً - بمسلمي أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظرائه.^٤ ومن ثم زعم بعضهم أن الآية مدنية نزلت بعد إسلام هؤلاء.^٥

هذا... وأبو جعفر لم يستند في تفسيره ذلك إلى نقل مأثور^٦ وإنما نقل عن قتادة: أنهم أصحاب محمد ﷺ السابقين الأولين ممن وجدوا الإسلام حقيقة ناصحة فاحتضنوها عن معرفة و يقين. فنقله يختلف عن رأيه هو!

١ - التحجرات ٥٩: ٦.

٢ - تبارق التوفيق، ج ٢، ص ٨١ - ٨٢، وأخرجه أيضاً أصحاب مجاميع معتبرة فراجع.

٣ - سبأ ٣٤: ٦.

٤ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

٥ - جامع البيان، ج ٢٦، ص ٤٤.

٦ - الإيضاح، ج ١، ص ١٦.

٧ - وفي مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٧٨، أنه قول الضحالك.

واستثني منها - أيضاً - قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ (إلى قوله): وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ» أسع آيات.

يروى عن فروة بن مسييك: أنه سأل رسول الله ﷺ أو سمع رجلاً يسأله ﷺ عن سبأ: جبل أم أرض، رجل أم امرأة؟ فنزلت الآيات، وكان هذا السؤال بعد مرجعه من غزو قبائل سبأ، أرجعه رسول الله ﷺ لأنه لم يؤمر بذلك.^١

قال ابن الحصار: وهذا يدل على أن نزول الآيات كان بالمدينة، لأن مهاجرة فروة كانت بعد إسلام ثقيف سنة تسع من الهجرة.^٢

لكنه قال بعد ذلك: ويحتمل أن يكون قوله: «وأنزل في سبأ ما أنزل» حكاية عما تقدم نزوله قبل الهجرة بمكة، لانزوله حينذاك.

قلت: لو صدقت القصة لأبد من حمل قوله في ذلك على الحكاية، إذ يبعد جداً نزول آية أو آيات لمجرد سؤال رجل كان جوابه ﷺ كافياً لإرضاء حَسَّ استطلاعهم - كما جاء في الرواية - ولم يستدع تفصيلاً تعرضت له الآيات.

على أن ملاحظة عبري بسأن قصة سبأ كما وردت في القرآن تكفي للدلالة على أن الهدف منها عام كسائر القصص الواردة في القرآن تروم توجيه البشرية إلى معالم السير الصحيح، تشبيهاً لها على مواضع الخطأ في حياتها الغابرة لتأخذ منها درساً تسيير عليه في حياتها الحاضرة.

والصحيح في قصة فروة بن مسييك: أنه سأل النبي ﷺ عن قصة سبأ بعد أن قرأها في القرآن، فسأله ﷺ عن سبأ رجل هو أم امرأة، أم هو اسم أرض أم جبل؟ فشرح له النبي ﷺ أنه رجل من العرب كان له من الأولاد كذا وكذا، وهذا يدل على تأخر السؤال عن نزول الآيات.

١ - سبأ ٣٤، ١٥ - ١٦.

٢ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٨٦؛ وجامع البيان، ج ٢٢، ص ٥٣؛ وانظر المنتور، ج ٥، ص ٢٣١.

٣ - الإفتان، ج ١، ص ٤٤. ٤ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٢٨٦.

وأخيراً فإن الرواية بهذا الشأن عن فروة مضطربة ومتناقضة بعضها مع بعض، بما يجعل الاستناد إليها في الحكم بنزول الآيات بشأنها مستحيلاً.

فقد أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح قال: حدثني فلان -؟- أن فروة بن مسيك العظفاني -؟- قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله إن سباً قوم كان لهم في الجاهلية غزوة. وإني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام، أفأقاتلهم؟ فقال: ما أمرت فيهم بشيء بعد، فأنزلت هذه الآية: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَآ فِي مَنكِبِهِم آيَةٌ...»^١

انظر إلى هذه الرواية المتفككة سنداً ومتناً وأسلوباً، وعدم أي مناسبة بين مضمونها ونزول هكذا آيات!! الأمر الذي يجعلنا نطمئن بأنها لم تكن من حياة إنسان نابه يلتفت إلى ما يقوله من كلام!

وهكذا سائر الروايات الواردة بهذا الشأن، فراجع^٢.

فإن كانت هكذا مناسبات تستدعي نزول قرآن، فأجدر بنا أن نقول: إنه كان ينزل بلا مناسبة!!

٢٤ - سورة فاطر (الملائكة): هكبة

قال الحسن: إلا آيتين:

الأولى: قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ...»^٣

الثانية قوله: «فَمَنْ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اضْطَقْنَا مِنْ عِبَادِنَا...»^٤

ولعل الأولى لذكر الصلاة فيها...

والثانية من أجل تعقيبها بقوله: «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ».

فقد روى عكرمة عن ابن عباس: أن الظالم هو المنافق...^٥

غير أن الصلاة فرضت بمكة... وكان تطبيق الظالم على المنافق لا يستدعي نزول

٢ - جامع البيان وائدر المنثور، وغيرهما.

١ - باب اتفقوا، ج ٢، ص ٥٥.

٤ - فاطر ٣٥، ٣٦.

٣ - فاطر ٣٥، ٢٩.

٥ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٩٩ و ٤٠٩.

الآية بالمدينة حيث وفور المنافقين، لأنه تطبيق وبيان معسداق من ابن عباس، إن صح الحديث. واللفظ عام لا يتقيد بموارد تطبيقه.

٢٥ - سورة يس: مكية

استثيت منها آيتان:

الأولى: قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ بِأَحْصَيْنَاهُ فِي

إمام مبین»^١.

أخرج الحاكم والترمذي عن أبي سعيد الخدري، قال: كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة، فشكلوا إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد والمصلاة معه، فنزلت الآية. فقال لهم رسول الله ﷺ: إن أناركم تكتب، فلم ينتقلوا^٢.

لكن النص لا يصلح سبباً لنزول جميع فقرات الآية، لعدم المناسبة؛ ولعل رسول الله ﷺ استشهد بفقرة منها بعد ما شكوا إليه بعد منازلهم، حيث أفضل الأعمال أحمرها.

الثانية: قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ انْفِقُوا بِمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»^٣ قال ابن عباس: نزلت بالمدينة بشأن المنافقين^٤.

لكنها صريحة في خطابها مع الذين كفروا، وقد نص أبو جعفر نزولها بشأن المشركين^٥ وهكذا يشهد بذلك سياق الآية ذاتها.

وفي المصحف الأميري وتاريخ الزنجاني: استثناء الآية رقم ٤٥.

ولعله سهو جاء في اشتباه الرقم. وعلى الفرض فسياقها نفس سياق الآية رقم ٤٧ والكلام فيها هو الكلام في تلك.

١ - يس ٣٦، ٤٢.

٢ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٤١٨، والإتقان، ج ١، ص ٤٣، وجامع البيان، ج ٢٢، ص ١٠٠.

٣ - يس ٣٦، ٤٧.

٤ - الإتقان، ج ١، ص ٤٤، ومجمع البيان، ج ٨، ص ٤١٣.

٥ - جامع البيان، ج ٢٣، ص ٩.

٢٦ - سورة الزمر: مكّية

استثني منها قوله تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^١.

نقل السخاوي في «جمال القراء» عن بعضهم: أنها نزلت بالمدينة^٢.

لكن الآية بنفسها تشي بأنها مكّية، نزلت تحرّض المؤمنين المستضعفين على المهاجرة. وهكذا روي عن ابن عباس^٣.

واستثني - أيضاً - قوله تعالى: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَفْصِيحًا مِنْهُ جُتُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ...»^٤.

حكى ابن الجزري عن بعضهم - أيضاً - أنها نزلت بالمدينة^٥.

لكن لهجة الآية الرقانة الأخاذة بمجامع التلويح، بذاتها شاهدة على أنها مكّية، كما أن السياق أيضاً يشهد بذلك، ولا وجه لهذا الاستثناء بتاتا.

وهكذا استثني منها قوله تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ (إلى قوله): وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ»^٦ ثلاث آيات.

قيل: نزلن في وحشي قاتل حمزة؛ روي ذلك عن ابن عباس بسند ضعيف^٧.

نعم أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس، قال: أنزلت هذه الآية في مشركي أهل مكة^٨ وهكذا فسرها أبو جعفر بعدة طرق^٩.

قلت: لا يستحق وحشي - وهو وحش في صورة إنس - أن تنزل عليه بالخصوص آية هي ذات صدى عاطفي رقيق، وذات إشارات خفية لا يلتمسها إلا ذوو الأفهام ناضجة

وقرائح متوقّدة!

١ - الزمر ٣٩، ١٠.

٢ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٩٢.

٣ - الإيقان، ج ١، ص ٤٤.

٤ - نيبات النقول، ج ٢، ص ٦٣.

٥ - جامع البيان، ج ٢٤، ص ١٠.

٦ - الإيقان، ج ١، ص ٤٤.

٧ - الزمر ٣٩، ٢٣.

٨ - الزمر ٣٩، ٥٣ - ٥٥.

٩ - المصدر.

قال العلامة الطبرسي: ولا يصح نزولها بشأن «وحشي» لأن الآية نزلت بمكة، ووحشي أسلم بعدها بسنين كثيرة، ولكن يحتمل أن يكون قرئت عليه الآية فكانت سبب إسلامه.^١

٢٧ - سورة المؤمن (غافر): مكية

استثنت منها ثلاث آيات:

الأولى: قوله تعالى: «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ وَالْإِنْكَارِ»^٢.

قال الحسن: لأنها تعني بذلك صلاة المغرب وصلاة الفجر، وقد ثبت أن فرض الصلاة نزل بالمدينة.^٣

قلت: وهذا غريب! لأن الصلاة أول ما فرضت بمكة، وكان المسلمون يصلون بها جماعة وفرادى. وتقدم: أن الصلاة هي أول شيء جاء به جبرائيل وعلم رسول الله ﷺ الوضوء والصلاة في بدء بعثته ﷺ.^٤

وأيضاً فإن صدر الآية: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ» دليل على مكيتها، فضلاً عن السياق المناسب!

الثانية والثالثة: قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ» (إلى قوله: «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»)^٥. قال جلال الدين: أخرج ابن حميد وابن أبي حاتم بسند صحيح - ١ - عن أبي العالية، قال: إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: الدجال منا يخرج في آخر الزمان... وجعلوا يعظمون من شأنه، فأنزل الله هاتين الآيتين، وفيهما: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ»^٦.

قلت: نعوذ بالله من سفاسف الكلام، كيف تنزل آية قرآنية في رد مزعومة تافهة تبجح بها يهودي، لتجعل المقايضة بين دجل دجال وخلق السماوات والأرض؟!

٢ - المؤمن، ٥٠: ٥٥.

١ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٥٠٣.

٤ - تقدم ذلك في «أول ما نزل» رقم ٤.

٣ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٥٢٨.

٦ - التوراة، ج ٥، ص ٣٥٤ وتبأب التفوق، ج ٢، ص ٦٥.

٥ - المؤمن، ٥٦: ٥٧.

ولقد أحسن أبو جعفر الطبري^١ فلم يذكر شيئاً من تلكم الأحاديث الفارغة التي ملأ بها جلال الدين السيوطي تفسيره، ونحن ننزه القرآن الكريم منها بناتاً!
ثم إن الآية قارنت بين خلق السماوات وخلق الناس، وجعلت الأولى أكبر، وهذا دليل على جحود وقع بشأن خلق الإنسان... الأمر الذي يتنافى مع تلك المزعومة السخيفة...

ومن العجيب أن مثل الطبرسي^٢ انخرط مع أمثال السيوطي في هذا الفراغ النافذ!

٢٨ - سورة الشورى: مكية

استثنى منها قوله تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افترى عَلَى اللَّهِ كَذِباً (إلى قوله): وَالْكَافِرُونَ هُمْ هَذَابٌ شَدِيدٌ»^٣ ثلاث آيات.

قيل: نزلت في الأنصار. رواه الطبراني عن ابن عباس بسند ضعيف.^٤

وقوله: «وَكُفُّ بَطَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ (إلى قوله): حَبِيرٌ بَصِيرٌ»^٥.

قيل: نزلت في أصحاب الصفوة، أخرجهم الحاكم وصححه.^٦

قلت: من المستبعد جداً نزول الآيات الأولى في الأنصار، إذ كيف يحتل نسبة هذا الكلام إليهم: «افترى - يعني النبي - عَلَى اللَّهِ كَذِباً»؟

ثم الرواية تذكر أن الأنصار أسأوا والظن برسول الله ﷺ فحسبوه يقاتل دون أهل بيته خاصة، فنزلت الآية...؟!

أما الآية الأخيرة فهي عامة، ولو صححت الرواية عن علي رضي الله عنه فإنما تعني شمولها لهم بعمومها، لا أنها نزلت بشأنهم الخاص، إذ ذلك - على هذا الفرض - قدح لاذع بأهل الصفوة، وحاشا القرآن أن يجرح من عاطفته جماعة من المؤمنين لمكان فترهم!!

وزاد الطبرسي قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً، إِلَّا للْوَدَّةِ فِي القُرْبَى»^٧ عن

٢ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٥٢٨.

١ - جامع البيان، ج ٢٤، ص ٥٠.

٤ - نواب التفوق، ج ٢، ص ٦٨.

٣ - الشورى ٤٢: ٦٤ - ٦٦.

٦ - نواب التفوق، ج ٢، ص ٦٨.

٥ - الشورى ٤٢: ٦٧.

٧ - الشورى ٤٢: ٦٣.

ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قال رجل: والله ما أنزل الله هذه الآية! فأنزل الله: «أَمْ يَقُولُونَ افترى عَلَى اللَّهِ كَذِباً»^١. ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ تَابَ وَنَدِمَ، فَنَزَلَ: «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ إِلَى قَوْلِهِ» هَمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ. قال: أربع آيات نزلن بالمدينة. عن ابن عباس وقتادة^٢. ولعله نظراً لكونها (آية المودة في القربى) نازلة بشأن قربي الرسول من آلہ الأظهار - كما حققناه -^٤ لكن لا ينافي ذلك أن يجعل أجر رسالته المودة في قرباه وهو في بدء الدعوة تسجيلاً على المؤمنين، حيث كان ذلك في صالحهم^٥ فليكونوا على وعي من ذلك منذ بداية حياتهم الإسلامية!

وكذا الآية «وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَنْتَهُمُ»^٦ حسبها نزلت بعد أن ظهرت شاكلة الإسلام في المدينة، إذ لم تكن للمسلمين شاكلة وهم في خشية من المشركين في مكة! غير أن الآية تعني شاكلة جماعة المؤمنين على أئمة حالة كانوا، في ضعف أو قوة، وهم يدٌ واحدة أين حلوا وأين ارتحلوا!

واستثني - أيضاً - قوله تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ» (إلى قوله): فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ»^٧ مزقحتة كقولهم رسول

حكى ابن الغرس عن بعضهم: نهن نزلن بالمدينة.^٨

غير أن السياق مكّي لا غير، وآيات تقدمتها وآيات تأخرتها مرتبطة بها تمام الارتباط، مما يجعل التفكيك مستحيلاً، وكلهن نزلن بشأن المؤمنين في مكة أيام كانوا مستضعفين، هذا لا يشك فيه من راجع الآيات.

٢٩ - سورة الزخرف: مكّية

استثني منها قوله تعالى: «وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ قُونِ الرَّحْمَانِ

١ - انشورى ٤٢: ٢٤.

٢ - انشورى ٤٢: ٢٥-٢٦.

٣ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٠.

٤ - راجع: التمهيد، الجزء الثامن، نظرة في الروايات، أنواع التتابع.

٥ - «فَلْ مَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرِهُ فَهُوَ لَكُمْ»، سبأ ٣٤، ٤٦.

٦ - انشورى ٤٢: ٣٨، راجع: مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٠.

٧ - انشورى ٤٢: ٣٩-٤١.

٨ - الإمتقان، ج ١، ص ٤٤.

آلِهَةٌ يُعْبُدُونَ»^١.

قال مقاتل: نزلت بييت المقدس ليلة المعراج^٢ وقيل: نزلت بالمدينة.^٣ لكن الآية مرتبطة بقريباتها المكتنفة بها ارتباطاً وثيقاً. ونزلت بـ «إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا جارة» فهي مكّية بلاشك، نزلت بشأن المشركين، أمّا نزولها في السماء^٤ أو بييت المقدس فلا تجعلها مدنيّة، وإنما هي مكّية باعتبار نزولها قبل الهجرة، وفق الاصطلاح المتقدم.^٥

وجاء في المصحف الأميري ومقلدته: استثناء آية رقم ٥٤. ولعله اشتباه في الرقم.

٣٠ - سورة الجاثية: مكّية

استثني منها قوله تعالى: «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ»^٦.

قال قتادة: نزلت بالمدينة.^٧

والصحيح: أنّها من آيات الصّح التي نزلت بمكة أيام كان المؤمنون مستضعفين، ومن

ثمّ نسخت فيما بعد، عندما قويت شوكة الإسلام بالمدينة.^٨

٣١ - سورة الأحقاف: مكّية

استثني منها قوله تعالى: «قُلْ أُولَئِكَ لَنْ يَكُونَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ قَامَنَ وَانْتَكَبْتُمْ»^٩.

أخرج الطبراني أنّها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبدالله بن سلام.^{١٠}

قلت: ما أغرب ولع المفسرين بكلّ آية جاء فيها إيمان بإيمان أهل الكتاب فسرعان

ما أولوها بعبدالله بن سلام وأضرابه؟!

والصحيح: أنّها تشييع بقريش تقاعست عن الإيمان بدين جاء على يد رجل منهم

١ - الزخرف ٤٣، ٤٤. ٢ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٣٨، والقرآن المنثور، ج ٦، ص ١٩.

٣ - الإيقان، ج ١، ص ٤٤. ٤ - المصدر.

٥ - تقدم ذلك في «اتجاهات في تعيين أمكي ومدني».

٦ - الجاثية ٤٤، ٤٥. ٧ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٧٠، والإيقان، ج ١، ص ٤٤.

٨ - راجع: تفسير الطبري، ج ٢٥، ص ٨٧. ٩ - الأحقاف ٤٦، ٤٧.

١٠ - نواب التنوير، ج ٢، ص ٧٢، ومجمع البيان، ج ٢٦، ص ٨، والإيقان، ج ١، ص ٤٤.

وعلى لغتهم، ثم يؤمن به غيرهم من بني إسرائيل وغيرهم. وإنما خصّ بنو إسرائيل بالذكر - هنا - لمزيد عناية العرب آنذاك بهم وتفتهم بعلمهم وثقافتهم.

هذا... وقد أخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال: أنزلت هذه الآية بمكة بشأن المشركين، وهكذا أخرج أبو جعفر الطبري بعدة أسناد.^١

واستثنى - أيضاً - قوله: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا (إلى قوله): وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^٢ خمس آيات، قيل: نزلت الآيات في أبي بكر حيث برّ بوالديه وفي ابنه عبد الرحمان عندما عاقّ والده، وهما يحاولان إسلامه.^٣

لكن الآيات في كلا الموضوعين عامة، بدليل صيغة الجمع تعقياً على كل من الفقيرتين، فالآيات تصوير تفصيلي عن الذي يبرّ بوالديه والذي يعقهما بصورة عامة.^٤ وعلى تقدير نزولها بشأن أبي بكر وابن عبد الرحمان فلا موجب لعدّها مديّنة بعد أن كانت تلك القصة بشأنهما - على فرض الصحة - بمكة.

وكذلك لا وجه لاستثناء قوله: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ لَوْلَا الْعَزْمُ مِنَ الرَّسُولِ»^٥ بعد أن كانت لهجتها مكّية، وسياق لحنها موجه إلى مشركي قريش، نزلت أيام كان المسلمون على ضعف ومن تمّ نسخت بعدئذ بآية القتال.

٣٢ - سورة ق: مكّية

أخرج الحاكم وغيره: أن قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ»^٦ نزلت بالمدينة، ردّاً على مزعومة يهوديّة، قالوا: إن الله استراح يوم السبت بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام من الأحد إلى يوم الجمعة.^٧ وزاد في المجمع عن الحسن إلى قوله: «وَقَبْلَ الْقُرُوبِ»^٨.

١ - جامع البيان، ج ٢٦، ص ١٧، والتدوّن المتنوّز، ج ٦، ص ٣٩.

٢ - الأحقاف ٥٦، ١٥ - ١٩.

٣ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٨٧.

٤ - ق ٥٠، ٤٨.

٥ - ق ٥٠، ٤٩.

٦ - التدوّن المتنوّز، ج ٦، ص ٤١، وجامع البيان، ج ٢٦، ص ١٤.

٧ - الأحقاف ٥٦، ٣٥، راجع: الإتيان، ج ١، ص ٤٥.

٨ - التدوّن المتنوّز، ج ٦، ص ١١٠، والإتيان، ج ١، ص ٤٥.

قلت: أمّا نزولها رداً على تلك المزعومة الباطلة فنعم، وأمّا أنها نزلت بالمدينة فلا! وذلك لأنّ العرب - كما سبق مراراً - كانوا على اتصال دائم بأهل الكتاب، وربّما كانوا يأخذون منهم تعاليم أو معارف ممّا يخصّ خلق السماوات والأرض، فكانت مشهورة بين العرب المشركين، فهذا الردّ - لوضوح أنّه ردّ - لا يدلّ على أنّه نزل بالمدينة؛ فلعلّ الرواية القائلة بأنّها نزلت في اليهود، إنّما تعني ما ذكرنا، أي نزلت في تعاليم كانوا يتّوّهوا بين العرب.

والشاهد على أنّ الآية مكّية: ما جاء تفریعاً عليها: «فَأَصْرُ عَلَىٰ مَا يَشْفُونَ...» التي هي من آيات الصنح المكّية، والتي نسخت فيما بعد.

٢٣ - سورة النجم: مكّية

استنتي منها قوله: «... هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ».

أخرج الواحدي عن ثابت بن الحرث الأنصاري، قال: كانت اليهود تقول - إذا هلك لهم صبي صغير -: صدّيق. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: كذبوا، ما من نسمة يخلتها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد، فأنزل الله عند ذلك: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ...»^١.

قلت: لو صحّت الرواية فلا دلالة فيها على نزول الآية بالمدينة، فلعلّ قوله اليهود - وهم يتّون تعاليمهم الفاسدة بين العرب - بلغت الرسول ﷺ وهو بمكة، فنزلت الآية بها! لكن الرواية المذكورة لا أساس لها بفحوى الآية رأساً، لأنّ قوله: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ...» تعليل لقوله: «وَإِسْعُ الْغُفْرَةِ».

يعني: إنّ هذا الإنسان منطور على اقتراح مطالب رضىة سافلة وفقاً لظطرته البشرية المتركبة من نزعات ورغبات، والله أعلم بذلك، ومن تمّ عهد على نفسه الغفران، رحمة بهذا الإنسان ورأفة بموقفه الخاصّ تجاه رغباته ونزعاته.

١ - النجم: ٥٣، ٣٢.

٢ - تباب التفوق، ج ٢، ص ٨٨، ٨٩، والتدبر المنثور، ج ٦، ص ١٢٨.

واستثنى - أيضاً - قوله: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تُوْتِي...» إلى تمام الآيات التسع.^١
 قيل: نزلت في رجل أتى النبي ﷺ عند خروجه إلى غزاة، يطلب مركباً وسلاحاً فلم
 يجد، فلقي صديقاً له فقال: أعطني شيئاً. فقال: أعطيك بكري هذا على أن تتحمل بذنوبي،
 فقال: نعم. فنزلت الآيات.^٢

لكن الآيات لا تنطبق على فحوى النص في شيء، وإنما نزلت في صناديد من صناديد
 قريش في تفصيل ذكره أبو جعفر الطبري، فراجع.^٣

٣٤ - سورة القمر: مكّية

استثنى منها ثلاث آيات:

الأولى: قوله تعالى: «سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ»^٤ زعموها نزلت يوم بدر.^٥

والصحيح: أنها وعد بظفر المسلمين فيما يأتي، فتحقق يوم بدر.^٦

الثانية والثالثة: قوله تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ».^٧

ولم يذكر المستثنى سبباً لاستثنائهما كما لا وجه له بعد ملاحظة وحدة السياق،

وذلك الانسجام الوثيق.

وجاء في المصحف الأميري: استثناء الآيات رقم ٤٤ و ٤٥ و ٤٦. ولعلّه اشتباه في

الرقم اثبتوه من غير تحقيق.

٣٥ - سورة الواقعة: مكّية

استثنى منها قوله تعالى: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ»^٨ ولعلّه لما رواه ابن

مسعود من رؤيا رآها رسول الله ﷺ فقصتها على أصحابه ثم قرأ عليهم الآيتين^٩ وهذه

١ - اندر المنصور، ج ٦، ص ١٢٨.

١ - اندر ٥٣، ٣٣ - ٤٦.

٢ - انصر ٥٤، ٥٥.

٣ - جامع البيان، ج ٢٧، ص ٤٦ - ٤٢.

٤ - نواب انقوت، ج ٢، ص ٩٠.

٥ - مجمع البيان، ج ٩، ص ١٩٤، وراجع: الإفتان، ج ١، ص ٤٥ و ٤٦، وجامع البيان، ج ٢٧، ص ٦٥.

٦ - انصر ٥٤، ٥٤ - ٥٥.

٧ - الواقعة ٥٦، ٣٩ - ٤٠، وراجع: الإفتان، ج ١، ص ٤٥.

٨ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٦٩.

الفتنة كانت بالمدينة.

لكن قراءته ﷺ لا تدل على نزولها حينذاك.

واستثنى - أيضاً - قوله: «فَلَا أُقِيمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَكَسَمٌ لِّوَسْعَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَّكْتُوبٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَفَهَذَا الْحَدِيثُ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ. وَمَنْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ»^١.

لما رواه مسلم والحاكم وغيرهما: أن أصحاب رسول الله ﷺ أُصيبوا بجذب أو نذت مياهم في سفر من الأسفار أو في غزوة تبوك، فشكوا إليه فقام ﷺ وصلى ركعتين ثم دعا الله، فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم، فجعل بعض المنافقين يسر إلى بعضهم: إنما مطرنا بنوء كذا، فنزلت الآيات^٢.

غير أن الآيات تآبي الانطباق على هذه الفتنة، وأنها رد على ناكري القرآن وحيها من الله العزيز الحميد، ولما ساس لها بقضية الأنواء، لافي ظاهر الآيات ولا في فحواها. كما أن انسجام الآيات سبقاً ولحوقاً ذلك الانسجام البديع يجعل من قبول الرواية المذكورة مستحيلاً.

٣٦ - سورة الملك: مكة

روى عن ابن عباس: أنزلت تبارك الملك في أهل مكة إلا ثلاث آيات^٣.

قلت: ليس معنى هذا الكلام (لأنها نزلت بمكة غير ثلاث آيات) نزلن بغيرها؛ وذلك لأنه قال: في أهل مكة، ولم يقل: في مكة أو بمكة!

بل المعنى: أن هذه السورة نزلت تفريراً وتشجيعاً بأهل مكة أي المشركين، فكل آياتها تهديد وتوعيد بشأنهم، غير ثلاث آيات تخص المؤمنين: أولها قوله تعالى: «إِنَّ

٢ - باب الفنون، ج ٢، ص ٩٢ - ٩٣.

١ - الواقعة ٥٦: ٧٥ - ٨٢.

٣ - الدر المنثور، ج ٦، ص ٢٤٦.

الَّذِينَ يَخْفَوْنَ رَبَّهُمْ...» والتانية قوله: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ...» والثالثة قوله: «قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّا بِهِ...»^١.

فالصحيح - كما في حديث ابن خديج - أنها نزلت جملة واحدة بمكة.^٢

٣٧ - سورة القلم: مكّية

حكى السخاوي في جمال التراء: استثناء قوله: «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ (إلى قوله): كُو كَانُوا يَعْلَمُونَ»^٣ سبع عشرة آية. وقوله: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ (إلى قوله): فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ»^٤ ثلاث آيات. فهذه عشرون آية زعموها نزلت بالمدينة. وزاد في المجمع الآية رقم ٥١ والآية رقم ٥٢.^٥

أخرج ابن أبي حاتم وابن جريج: أن أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذاً فاربطوهم في الجبال ولا تقتلوا منهم أحداً، فنزلت: «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ...» الخ.^٦ ولكن لامناسبة ظاهرة بين كلام أبي جهل هذا وفحوى الآيات المذكورة، ليكون الداعي لنزولها!

والصحيح: أنها نزلت بشأن المشركين عموماً، استجماً مع بقية آيات السورة، وهكذا فسرها العلامة الطبرسي وأبو جعفر الطبري.^٧

وأما قوله: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ...» الخ فهي من آيات الصفح المكّية بلا ريب، وما ندري ما وجه هذا الاستثناء الغريب؟!

٣٨ - سورة المزمل: مكّية

استثنى منها قوله: «وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَفْتُوُونَ (إلى قوله): وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا»^٨ حكاه

١ - اتصال ٦٧، ٦٢ و ٦٤ و ٦٩.

٢ - انقلم ٦٨، ٦٧ - ٦٣.

٣ - انقلم ٦٨، ٦٧ - ٦٣.

٤ - انقلم ٦٨، ٦٧ - ٦٣.

٥ - انقلم ٦٨، ٦٧ - ٦٣.

٦ - انقلم ٦٨، ٦٧ - ٦٣.

٧ - انقلم ٦٨، ٦٧ - ٦٣.

٨ - انقلم ٦٨، ٦٧ - ٦٣.

الاصبهاني^١ لكن الآيتين تفسير للنبي ﷺ تجاه أذى المشركين، وتوعيد بهم، فهما من آيات الصّبح المكيّة، ولا وجه لعدّهما مدنيّتين.

وحكى ابن الغرس استثناء قوله: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ (إِلَى قَوْلِهِ): إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ»^٢.

قال جلال الدين: ويردّه ما أخرجه الحاكم: أنّه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة، وذلك حين فرض قيام الليل في أوّل الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس^٣ وهكذا أخرج عبد بن حميد عن عكرمة، قال: لبث المسلمون بعد نزول: «يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ قُمْ اللَّيْلُ...» سنة فسق عليهم و تورّمت أقدامهم، حتى نسختها آخر السورة: «فَأَقْرَأُوا مَا تُمَنَّرَ مِنْهُ»^٤.

قلت: تمسك القائل بمدنيّة الآية، بأنّ الصلاة والزكاة لم تفرضتا بمكة^٥ هو استدلال غريب، لأنّ الصلاة هي أولى فريضة فرضت بمكة^٦ أمّا الزكاة فليست هي الزكاة المفروضة بحدود وأنصبة مقرّرة، وإنّما هي مطلق التصديق الذي كان واجباً حينذاك، كما في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ»^٧ وقوله: «الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ»^٨. نعم جاءت تفاصيل حدودها وأحكامها بالمدينة، أمّا أصلها فكانت واجبة بمكة بلا شك.

وليته تمسك بقوله: «وَأَخْرَجُونَ يَفْقَاتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» والقائل لم يشرع أصلاً إلا بالمدينة. لكنّه على تقدير أن يراد بالقائل: هو ما يقع فعلياً، لأمّا سيفرض وسيقع بعد ذلك! والاحتمال الثاني أوجه، نظراً إلى أنّه تعالى - في هذه الآية - يذكر أسباب رفع ذلك التكاليف الأوّل الشديد و تبديله إلى تكليف آخر خفيف. ومن تلك الأسباب تشريع القتال بعدئذ، من غير أن يكون هنا دليل صريح على إرادة فعليّته حينذاك.

١ - الإفتان، ج ١، ص ٤٦.
 ٢ - الإفتان، ج ١، ص ٤٦.
 ٣ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٨٢.
 ٤ - التّورثون ٢٤: ٤.
 ٥ - التّورثون ٢٤: ٤.
 ٦ - التّورثون ٢٤: ٤.
 ٧ - التّورثون ٢٤: ٤.
 ٨ - التّورثون ٢٤: ٤.

٣٩ - سورة المرسلات: مكية

قالوا باستثناء قوله: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَكُمْ أَلَا يُرْكَعُونَ»^١.

قال مقاتل: نزلت في تقيف حين أمرهم رسول الله ﷺ بالصلاة، فقالوا: لا ننحنى، فإن ذلك سبب علينا^٢ وتقيف أسلمت بالمدينة.

لكن وجه الآية وسياقتها مع المكذبين، وهم مشركو العرب، ولا معنى لأن يكون هذا الموضع من السورة خلواً من هذه الآية إلى أواخر سني الهجرة تمّ تكتمل. إذ ذلك يخلل بفصاحة السورة ويخلخل من نظمها المنسجم.

على أن الركوع هنا بمعنى الخضوع لله والانقياد التام لأوامره ونواهيه، لا الركوع المصطلح جزءاً من الصلاة. وهذا هو اختيار أبي جعفر الطبري^٣. كما جاء بهذا المعنى قوله تعالى: «وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ»^٤ راجع: تفسير شبر في هذا الموضع قال: أو أريد به الخضوع والانقياد للحق. وقال - في سورة المرسلات - بصورة جزمية: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَكُمْ أَلَا يُرْكَعُونَ»: سَلَّمُوا وَاسْتَعْوَا أَوْ انْقَادُوا^٥ إذن فلا مساس للآية بقضية إسلام تقيف، بل هي عاثة حكاية عن صمود المشركين أمام الحق الصراح.

٤٠ - سورة المطففين: مكية

قالوا: نزل صدرها في المدينة أول قدوم رسول الله ﷺ إليها فقد كان أهل المدينة من أحب الناس كيلاً، فأنزل الله عز وجل «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ»^٦ إلى تمام الست آيات. فأحسنوا الكيل بعد ذلك^٧.

وقد تقدّم: أنه من المستبعد جداً مواجهة الرسول ﷺ للأتصار بهكذا آيات ذوات لهجة عنيفة، في أول لقياء معهم في دارهم التي آووه إليها، وشمروا ساق الجد لمؤازرته ونصرته، عاهدوه على أنفسهم وأموالهم في سبيل إعلاء كلمة الإسلام.

١ - المرسلات ١٧٧، ١٧٨.

٢ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤١٩.

٣ - البقرة ١٢، ٤٣.

٤ - راجع: جامع البيان، ج ٢٩، ص ١٥٠.

٥ - المطففين ١، ٨٣.

٦ - تفسير شبر، ص ٤٦ و ٤٥.

٧ - الإقنان، ج ١، ص ٤٧، والتذر المنثور، ج ٦، ص ٣٢٤، ومجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٤٢.

والصحيح: أنها بأجمعها مكّية.

وكانت هناك استثناءات من سور مكّية تركناها خوف الإطالة، ولعدم الاستناد إلى حجة مقبولة. كاستثناء من سورتي الليل والماعون ذكرهما السيوطي في الإتيان.

استثناءات من سور مدنية

تقدم استبعاد أن تبقى آية غير مسجلة في سورة مكّية حتى تنزل سورة مدنية بعد فترة طويلة أم قصيرة، فتسجل فيها. وهكذا استبعده ابن حجر في شرح البخاري وغيره.^١ ولكن مع ذلك فقد قالوا في كثير من آيات مسجلة في سور مدنية: أنهم مكّيات. ونحن نذكرهن تباعاً حسب ترتيب السور في المصحف الشريف، ونعقبها بما نرتأيه من رأي.



١ - سورة البقرة: مدنية

استثني منها ثلاث آيات: *مرزوقية* **مَرَاتِحَاتُ كُفْرٍ طَوِيلٍ سَوِيٍّ** الأولى: قوله تعالى: «فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ»^٢. زعموها نزلت بشأن المشركين أيام كان المسلمون بمكة ضعفاء.

لكن صدر الآية: «وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...» شاهد نزولها بشأن أهل الكتاب، أوائل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، ولم تقوشوكة الإسلام بعد، ثم نسخت بقوله: «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ (إلى قوله) مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُنْفِثُوا الْجُرُثَمَ عَنْ يَدِهِمْ صَاعِرُونَ»^٣ راجع الطبرسي بشأن نزول الآية ونسخها بآية براءة.^٤

الثانية: قوله تعالى: «كُلُّنَا عَلَيْكَ هَادِمٌ...»^٥ زعموها - أيضاً - نزلت بشأن صمود

١ - تقدم ذلك في «آيات مستثنيات».

٢ - البقرة: ٢، ١٠٩.

٣ - التوبة: ٩، ٢٩.

٤ - مجمع البيان، ج ١، ص ١٨٤ - ١٨٥؛ والتدبر لصنوبر، ج ١، ص ١٠٧.

٥ - البقرة: ٢، ٢٧٦.

المشركين تجاه قبول الحق، نظيرة قوله: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»^١.

لكن الآية نزلت بشأن إلتحاق المسلمين عن الكفار، حيث امتنعوا من ذلك زعماءها محرمة عليهم وهم على غير دينهم، فنزلت^٢.

الثالثة: قوله تعالى: «وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...»^٣ قيل: هي آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ وهو بمنى في حجة الوداع^٤ وعلى الفرض فهي مدنية على ما سلف.

٢ - سورة النساء: مدنية

قيل: الإقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...»^٥.

وقوله: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُعَذِّبُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...»^٦ فإتتهما نزلتا بمكة...! ذكر ذلك

الطبرسي ولم يذكر حجة ولا القائل بذلك^٧ ولعل الوجه في الآية الأولى ما قيل إنها نزلت بعد الفتح بمكة، خطاباً مع النبي ﷺ برد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح يوم الفتح وأراد أن يدفعه إلى العباس، عن ابن جريج^٨.

لكن العبرة بمكة الآية نزولها قبل الهجرة كما سبق. على أن الآية لا تنطبق على النصّة المزعومة، لأنّ دفع المفتاح إلى النبي ﷺ لم يكن برسم أمانة واستيداع؛ وإلا فحاشى النبي ﷺ أن يخون الأمانات حتى ينهه الله بنزول آية! والطبرسي أيضاً رفض هذا التنزيل...

وأما الآية الثانية فلم نعرف السبب ولا احتمالها. وقد ذكر الطبرسي في سبب نزولها

١ - انقص ٢٨: ٥٦.

٢ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٨٥، واندر المنثور، ج ١، ص ٣٥٧.

٣ - البقرة ٤: ٢٨٦.

٤ - النساء ٤: ٥٨.

٥ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٤٠١.

٦ - انقص ٢٨: ٥٦.

٧ - انقص ٢٨: ٥٦.

٨ - انقص ٢٨: ٥٦.

وجوهاً لاتصلح سندا لهذا الاستثناء^١ ولهجة الآية تنادي بمدنيتها، لأنها من آيات الأحكام.

غير أن هذا الاستثناء ينظر إلى المصطلح الثاني المتقدم، وأما على المصطلح الأول المشهور (ما نزل بعد الهجرة فهو مدني حتى ولو كان نزوله بمكة) فالآية مدنيّة^٢.

٣ - سورة المائدة: مدنيّة

استثني منها قوله تعالى: «الْيَوْمَ يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوهُمْ وَاخْشَوِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا»^٣.

قيل: نزلت على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفات في حجة الوداع^٤ وهكذا زعمه أبو عبد الله الزنجاني في تاريخ قرآنه^٥.

لكن أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال: نزلت الآية بعد أن نصب رسول الله ﷺ علياً عليه السلام للأمة يوم غدير خم، عند منصرفه عن حجة الوداع، فأنزل الله يومئذ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»^٦ وهكذا سجلها ابن واضح اليعقوبي، قال: وكان نزولها يوم النحر على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بغدير خم. قال: وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة^٧ وقد ذكرها الحافظ الحسكاني بعدة طرق^٨.

ثم إن نزول الآية بعرفات أو بغدير خم لا يجعلها مستثناة من المدنيات، وفق المصطلح المشهور المتقدم.

٤ - سورة الأنفال: مدنيّة

استثني منها قوله: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُفِثُوكَ أَوْ يُتَّقِلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ لِلْمَآكِرِينَ»^٩.

١ - المصدر، ص ١٤٩. ٢ - تقدم ذلك في «اتجاهات في تعيين اتصفي والمدني».

٣ - المائدة: ٣، ٤. ٤ - التذوق المشهور، ج ٢، ص ٢٥٧.

٥ - تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني، ص ٢٧. ٦ - التبيين، ج ٣، ص ٤٢٥.

٧ - تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٥. ٨ - شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٥٦ - ١٦٠.

٩ - الأنفال: ٨، ٣٠.

قالوا: إنها نزلت في قعدة دار الندوة اجتمعت فيها قريش للتآمر على رسول الله ﷺ وفشلت مؤامرتهم بهجرة الرسول ﷺ وميبت علي بن أبي طالب على فراشه^١.

لكن نزول الآية بشأن تلك القصة لا يستدعي نزولها حينذاك، ولا سيما بعد ملاحظة أداة ظرف الماضي (إذ) في صدر الآية حكاية عن أمر سابق:

وفي المصحف الأميري وتاريخ الزنجاني: استثناء الآيات: ٣١ إلى ٣٦. نظراً لأنها نزلت بشأن مشركي قريش، لكنها كالآية المذكورة حكاية لأمر سابق، ولأدليل على نزولها حينذاك. وقوله: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»^٢ أيضاً حكاية عن ماضٍ وإخبار عن حال، أي لم يعذبهم الله فيما قبل، بسبب وجودك بين أظهرهم ولا يعذبهم الآن - بعد خروجك - لوجود جماعة من المؤمنين لم يستطيعوا الخروج وهم على عزم الهجرة، فرفع الله العذاب عن مشركي مكة لحرمة استغفار هؤلاء المؤمنين الباقين بين أظهرهم^٣.

هذا... ونقل جلال الدين عن قتادة أنه قال: نزلت الآية: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...» بمكة. ثم قال: ويردّه ماصح عن ابن عباس أن هذه الآية بعينها نزلت بالمدينة^٤ وقد أخرجه في أسباب النزول عن ابن عباس: أن الآية نزلت بعد مقدمه ﷺ المدينة^٥.

واستثنى - أيضاً - قوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»^٦ وصحح هذا الاستثناء ابن العربي وغيره^٧ وذلك لما أخرجه أبو محمد من طريق طارق عن عمر بن الخطاب، قال: أسلمت رابع أربعين فنزلت «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». وهكذا روي عن ابن عباس^٨.

لكن يعارضه ماروي عن الكلبي، قال: نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر^٩ وقال

٢ - الأنفال ٨، ٤٣.

٤ - الإفتان، ج ١، ص ٣٩.

٦ - الأنفال ٨، ٦٤.

٨ - الدر المنثور، ج ٣، ص ٤٠٠.

١ - مجمع البيان، ج ٥، ص ٤٢٧.

٣ - مجمع البيان، ج ٥، ص ٤٢٩.

٥ - نواب التفتون، ج ١، ص ١٧٠.

٧ - الإفتان، ج ١، ص ٣٩.

٩ - مجمع البيان، ج ٥، ص ٤٤٧.

الواقدي: نزلت بالمدينة في بني قريظة وبني النضير.^١

هذا... وسياق الآية يشهد بمدنيّتها، نزلت في إبان تشريع القتال، سواء أَمع المشركين أم مع أهل الكتاب. فالآية يسبقها قوله تعالى: «الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ...» «فَإِذَا تَقَفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّذْ بِهِمْ...» «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ...» «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...» «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا...» «وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصْرِهِ...» «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ...» «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ...»^٢

انظر إلى هذا السياق المنسجم بعضه مع بعض انسجاماً يجعلنا على ثقة من وحدة مترابطة نزلت جملة واحدة.

وأيضاً؛ لأمعنى لكفاية أربعين رجلاً أسلموا بمكة وهم على ضعف ما داموا فيها. الأمر الذي يؤكد من نزول الآية بالمدينة حيث جعلت تزداد شوكة المؤمنين وتقوى جانبهم مع الأيام والساعات، فكانت فيهم الكفاية والكفاءة.

وهكذا فسرها أبو جعفر الطبري، قال: يقول لهم جلّ تناؤه: ناهضوا عدوكم فإن الله كافيكم أمرهم ولا يهولتكم كثرة عددهم وقلة عددكم فإن الله مؤيدكم بنصره. وذكر لهذا المعنى روايات، ولم يتعرض لشيء من روايات نزولها بشأن إسلام عمر بن الخطاب.^٣

٥ - سورة براءة: مدنيّة

استثني منها أربع آيات:

الأولى والثانية: قوله تعالى: «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ (إلى قوله) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ»^٤

قالوا: نزلت بشأن أبي طالب عندما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ وعنده

٢ - الأنفال ٥٦، ٥٧ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٤ و ٦٥.

٤ - براءة ٩، ١١٣ - ١١٤.

١ - التبيان، ج ٥، ص ١٥٢.

٣ - جامع البيان، ج ١٠، ص ٢٦.

أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية. فقال النبي ﷺ: أي عم، قل: لا إله إلا الله، أحتاج لك بها عند الله. فقال القرشيان: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب؟! فكانا كلما عرض عليه النبي ﷺ كلمة الشهادة أعادا كلامهما، فكان آخر كلام أبي طالب: أنه على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ عند ذلك: لأستغفرن لك ما لم أكن عنك. فنزلت الآية... كما ونزلت «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»^١.

وقالوا - أيضاً -: إنها نزلت بشأن والذي رسول الله ﷺ أراد أن يستغفر لأبيه، وهكذا استجاز ربه في زيارة قبر أمه فأجازها، فبداله أن يستغفر لها فنزلت الآية تنهاه! فما ربي رسول الله ﷺ أكثر باكياً من يومه ذلك.^٢

قول: قاتل الله العصبية الجاهلية: إنها نزع أموية ممقوتة عمدت إلى الخطأ من كرامة بني هاشم وإلى تشويه جانب أقرباء النبي ﷺ لتجعل من أبيه وأمه مشركين، ويموت أبو طالب كافراً، وهو المحامي الأول والمدافع الوحيد في وقته عن رسول الله ﷺ وقد قال تعالى: «وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا لَوْلِيكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا»^٣ ولا شك أن أبا طالب كان أول من آواه ونصره ووقف دونه بنفسه ونفسه. والآية الكريمة شهادة عامة تشملته قطعياً^٤ ويكفي دليلاً على إيمانه الصادق، قوله في قصيدته التي يحمي بها عن رسول الله ﷺ مهدداً قريش أجمع، قال فيها:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب	لدينا ولا يعني بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في رومة	تقصر عنه سورة المتطاول
حدثت بنفسي دونه وحميته	ودافعت عنه بالذرا والكلال
فأيده رب العباد بنصره	وأظهر ديناً حقه غير باطل ^٥

هذا... وأما نحن الإمامية فإن أصول معتقداتنا تقتضي بلزوم طهارة آباء النبي ﷺ

١ - انقضى ٢٨، ٥٦، راجع: اندر التثبور، ج ٣، ص ٢٨٢، وصحيح البخاري، ج ٦، ص ١١٩ و ج ٦، ص ٨٧.

٢ - جامع البيان، ج ١١، ص ٣٦. ٣ - الأنفال، ٨، ٧٤.

٤ - راجع: حق التيقن للسيد عبدالله شبر، ج ١، ص ١٠٠، ٥ - سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٩٩.

والأئمة عليهم السلام وأمهاتهم، لم يتلوّتوا بدنس شرك قط، فلم يزالوا ينحدرون من صلب شامخ إلى رحم طاهر. كما جاء في الزيارة السابعة للإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام: «أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لم تتجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهّمات تباها».

وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله: «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفياً مهذباً...»^١

وإلى هذا المعنى جاء تأويل قوله تعالى: «وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ»^٢ أي لم تزل تنتقل من صلب مؤمن موحد إلى صلب مؤمن موحد. قال مجاهد: من نبيّ إلى نبيّ حتى أخرجت نبياً.^٣ قال العلامة الطبرسي: وقيل: معناه: وتقلّبك في أصلاب الموحّدين من نبيّ إلى نبيّ حتى أخرجك نبياً عن ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة. وهو المروي عن أبي جعفر الإمام محمد بن علي الباقر وأبي عبد الله الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام قالوا: في أصلاب النبيين حتى أخرجك من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام.^٤

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

والصحيح في سبب نزول الآية: ما ذكره أبو علي الطبرسي: أن المسلمين جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله يطلبون إليه الاستغفار لموتاهم الذين مضوا على الكفر أو الشقاق، قالوا: ألا تستغفر لأبائنا الذين ماتوا في الجاهلية؟ فنزلت الآية.^٥

ومما يدلنا على صحّة هذه الرواية وبطلان الرواية الأولى: أن الآية الكريمة جاءت بلنظ «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...» فلو صحّت تلك الرواية لما كان هناك سبب معقول لإرداف غير صلى الله عليه وآله من المؤمنين معه في هذا الإنكار الصارم. وأخيراً فإنّ هذه الآية والآية رقم ٨٠ والآية رقم ٨٤ نزلن جميعاً على نمط واحد،

٢ - اشعراء، ٢٦، ٢٦٩.

١ - اندرُ المنثور، ج ٣، ص ٢٩٤.

٤ - مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٠٧.

٣ - اندرُ المنثور، ج ٥، ص ٩٨.

٥ - المصدر، ج ٥، ص ٦٦.

والسبب شيء واحد: هو ما كان المؤمنون على رجاء أن يترحم على آبائهم وأمهاتهم وأقربائهم الذين ماتوا على الكفر، ملتجئين من النبي ﷺ أن يساعدهم على هذه الأمنية، فنزلت الآية لتقطع أملهم في ذلك إذا كانوا علموا من آبائهم البقاء على الشرك حتى الموت: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا تُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»^١ ولتوضح أكثر راجع تفسير الآيتين^٢.

الثالثة والرابعة: قوله تعالى: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»^٣ وهما آخر سورة براءة.

قال ابن الغرس: إنهما مكيتان. قال جلال الدين: وهذا غريب، كيف وقد وردت في آخر ما نزل^٤.

قلت: لم يثبت نزول الآيتين بمكة، ولا ذكر قائله دليلاً أو سنداً لذلك. فثبت الآية في سورة مدنية - ولاسيما هي آخر السور المدنية - هو بذاته دليل على نزولها بالمدينة، حيث الأصل الأول في الآيات هو الشيت الطبيعي تبعاً حسب النزول. مضافاً إلى ما ورد في سبب نزولهما: جاءت جهينة تسأل رسول الله ﷺ - أول قدومه المدينة - عهداً يأتون إليه، فنزلت الآيتان^٥ كما روي أنهما آخر الآيات القرآنية نزولاً بالمدينة^٦.

٦ - سورة الرعد: مدنية

أخرج أبو الشيخ عن قتادة، قال: سورة الرعد مدنية إلا قوله تعالى: «وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ...»^٧.

١ - اتداء ٥: ٤٨ و ١٦٦.

٢ - جامع البيان، ج ١٠، ص ١٤٧ و ١٤١؛ ومجمع البيان، ج ٥، ص ٥٤ و ٥٦؛ واندر المنثور، ج ٣، ص ٢٦٤ و ٢٦٦.

٣ - براءة: ٩، ١٢٨ - ١٢٩.

٤ - اندر المنثور، ج ٣، ص ٢٩٧.

٥ - اندر المنثور، ومجمع البيان، ج ٥، ص ٨٦.

٦ - الرعد: ١٤، ٣٦؛ راجع: الإفتان، ج ١، ص ٤٠.

وذكر الطبرسي استثناء قوله: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ»^١ - إلى آخر الآية - والتي

بعدها.^٢

لكن الآية تشيخ بموقف المشركين المتأرجح وإرعاب لهم، كما هي تبشير بفتح للمسلمين قريب، فهي لأن تكون من تنمة آيات سابقة نزلت في صلح الحديبية^٣ أرجح. وعن عكرمة: أنها نزلت بالمدينة في سرايا رسول الله ﷺ والقارعة هي السريّة كانت تدوخهم. والوعد هو الفتح.^٤

٧ - سورة الحج: مدنيّة

استثني منها قوله: «هَذَانِ خَصَانِ اخْتَصَمُوا...»^٥

قال جلال الدين: إلى تمام الآيات الثلاث فإنهن نزلن بالمدينة.^٦ قلت: وعلى ذلك فينبغي الانتهاء إلى الآية رقم ٢٢. بل إلى الآية رقم ٢٤ ست آيات،

نظراً للانسجام الوثيق بينهما بما لا يمكن التشكيك به.

لكن لا سند لهذا الاستثناء، ومن تمّ فالقول به غريب. مضافاً إلى ماورد متواتراً أنها نزلت بشأن ثلاثة من المؤمنين هم: حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث، وعلي بن أبي طالب، تبارزوا ثلاثة من الكفار، هم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة. قال علي رضي الله عنه: أنا أول من يجنو في الخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة.^٧ فالآية نزلت متأخرة عن وقعة بدر، أو نزلت بدر.^٨

١ - اترعد ١٤: ٣٦.

٢ - راجع: مجمع البيان، ج ٦، ص ٢٩٢.

٣ - اتحج ١٩: ٤٢.

٤ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٢٣ و ١٢٤؛ وصحيح مسلم، ج ٨، ص ٢٤٦.

٥ - اندر الصنوبر، ج ٤، ص ٤٤٨ - ٤٤٩؛ وجامع البيان، ج ١٧، ص ٩٩.

٦ - مجمع البيان، ج ٥، ص ١٤.

٧ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٢٣ و ١٢٤؛ وصحيح مسلم، ج ٨، ص ٢٤٦.

٨ - اندر الصنوبر، ج ٤، ص ٤٤٨ - ٤٤٩؛ وجامع البيان، ج ١٧، ص ٩٩.

واستثنى - أيضاً - قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ...» (إلى قوله): «عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ» الآيات الأربع.

أخرج ابن المنذر عن قتادة: «أنهن مكيات»^٢ قالوا: نزلن بمكة بشأن قصة الغرائيق.^٣
وقد رأينا حديث الغرائيق، وأنه حديث مفتعل وضعته الزنادقة للتشويه على سمعة القرآن ورسالة محمد ﷺ.^٤

والآية إشارة إلى البدع التي تنتاب شرائع الأنبياء على أيدي المعرّفين، لكنه تعالى يحفظ دينه على أيدي علماء ربانيين في كل عصر، ينفون بدع المبطلين كما في الحديث الشريف.^٥ وتلك البدع هي فتنة للذين في قلوبهم مرض.

وفي المصحف الأميري وتاريخ الزنجاني أن الآيات نزلن بين مكة والمدينة! ولم يعرف لهذا التيد سبب محقول أو منقول!



٨ - سورة محمد ﷺ: مدينة مزقمتة كقوتير طوع رسول

استثنى منها قوله: «وَكَايُنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ»^٦.

قال السخاوي في جمال القرآن: قيل إن النبي ﷺ لما توجه مهاجراً إلى المدينة وقف فنظر إلى مكة وبكى، فنزلت تسليية لخاطره الشريف.^٧

لكن الآية في سياقها منسجمة مع آيات قبلها وبعدها انسجاماً وكيداً، بحيث لا يدع

١ - اتحج: ٢٢، ٥٢ - ٥٥.

٢ - اندر المنثور، ج ٤، ص ٤٤٢؛ وراجع: تبرهان، ج ١، ص ٢٠٢.

٣ - مجمع البيان، ج ٧، ص ٩٠؛ وجامع البيان، ج ١٧، ص ١٣٦؛ واندر المنثور، ج ٤، ص ٣٦٦.

٤ - تقدم ذلك في «أسطورة الغرائيق».

٥ - سفينة البحار، ج ١، ص ٢٠٤، مادة «أون».

٦ - محمد: ٤٧، ٤٨.

٧ - الإفتان، ج ١، ص ٥٥ - ٥٦؛ واندر المنثور، ج ٦، ص ٤٨.

مجالاً للمقول بالشنكيك، فإمّا أن الجميع مكّية أو الجميع مدنيّة.

وبما أن السورة تقرّيع عنيف بالمشركين وإثارة عامة بالمؤمنين، تمهيداً لتشريع القتال، فهي مدنيّة نزلت بهذا الملحن اللاذع، وجعلت تعدّد مساوئ ارتكبتها قريش، وتهدّدتها بقتل ذريع وفشل فطبع إزاء معاندتهم مع الحقّ. والآية المذكورة أيضاً على نفس النمط. لم تخرج على قريباتها.

٩ - سورة الحجرات: مدنيّة

نسب إلى ابن عباس استثناء قوله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى...»^١ ولعلّه لمكان الخطاب مع «الناس»، على ما زعمه بعضهم أنّه من دلائل مكّية الخطاب! وقد أسبقنا أنّه لادليل في ذلك، بل وقوعه في سورة البقرة «يا أيها الناس اعبنوا ربكم»^٢.



مركز تحقيقات كبيوتر علوم رسولي

١٠ - سورة الرحمن: مدنيّة

استثنى منها قوله: «يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...»^٣ ولم يعرف سبب هذا الاستثناء الغريب!

١١ - سورة المجادلة: مدنيّة

استثنى منها قوله: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...»^٤ ولم يعرف السبب أيضاً.

١ - الحجرات ٥٩: ١٣، راجع: مجمع البيان، ج ٩، ص ١٢٨.

٢ - البقرة ٤: ٢١، ٣ - الرحمن ٥٥: ٢٩، راجع: الإفتان، ج ١، ص ٤٥.

٤ - المجادلة ٥٨: ٧، راجع: الإفتان، ج ١، ص ٤٦.

١٢ - سورة التحريم: مدنيّة

قال قتادة: هي إلى رأس العشرة مدنيّة: والباقي مكّي.^١
ويردّه: أن الآيتين الأخيرتين هما من تنمّة المنل الذي ضربه الله، نصحاً لزوجات
الرسول ﷺ وقد تطاولن عليه. فلو أفضلناهما عن سائر آيات السورة لما بقي لهما موقع
بديع.

١٣ - سورة الإنسان: مدنيّة

استثنى منها قوله: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ...»^٢ وقيل إلى آخر السورة.

قالوا: نزلت في أبي جهل.^٣

لكن الآية تفريع على آيات سبقت فلا يعقل انفكاكها عنها، على أن الأمر بالعصبر
تجاه تعصّفات المعاندين أو الجاهلين، هي خصيصة الأنبياء في جميع أدوار حياتهم التي
ملؤها الكفاح والجهاد. ومن ثمّ قيل: الآية عامّة في كلّ عاص وفسق وكافر.^٤
وهناك سور أخرى مدنيّة قالوا فيها باستثناءات غريبة تركناها، حيث طال بنا البحث
وفيما ذكرنا كفاية لإثبات أن لا وقع لتلك الاستثناءات إطلاقاً، سواء من سور مكّيّة أم
مدنيّة وكلّها مستندة إلى حدس أو نقل ضعيف لا مبرر للاستناد إليها أثبتة.
وبذلك نظوي سجلّ هذا البحث، والحمد لله أولاً وآخراً.

١ - المصدر.

٢ - الإيمان ١٧٦، ٢٤.

٣ - الدر المنثور، ج ٦، ص ٣٠٢؛ ومجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٠٢ و ٤١٣.

٤ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤١٣.

أسباب النزول

معرفة أسباب النزول

وإذا كان القرآن ينزل نجومياً، وفي فقرات متناصلة بعضها عن بعض، ولمناسبات شتى كانت تستدعي نزول آية أو آيات تعالج شأنها، فقد اصطاحوا على تسمية تلك المناسبات بأسباب النزول أو شأن النزول - على فرق بينهما - وهو علم شريف، وفي نفس الوقت خطير يمس التنزيل في صميم معناه، ويهدي المفسر المسترشد والفقير المستتبط إلى حيث سواه السبيل.

واستيفاء هذا البحث يقتضي النظر في مسائل: قيمة هذه المعرفة وفائدته في مجال الفقهة والتفسير... وكيف الاهتداء إلى معرفة أسباب النزول؟... وهل هناك فرق بين قولهم: سبب النزول، أو شأن النزول؟ والفرق بين التنزيل والتأويل، وكذا ظاهر الآية وبطنها في مصطلح السلف؟ وما معنى قولهم: نزلت الآية في كذا؟ وهل يجب في الناقل الأول للسبب أن يكون حاضر المشهد؟ وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد؟ وأن القرآن نزل بإياتك أعني واسمعي يا جارة.. وأنه يجري كما تجري الشمس والقمر؟ وكيف الاهتداء إلى معالم القرآن؟ وماهي الوسائل المستعملة في هذا السبيل؟ ونحو ذلك من أبحاث عامة وشاملة.

قيمة هذه المعرفة

لمعرفة شأن النزول دورها الخطير في فهم معاني القرآن الكريم وحل معضلات التفسير في كلا مجالي الأصول والفروع.. إنها ترفع النقاب عن وجوه كثير من الآيات، نزلت لتعالج مشكلة في وقتها، لكنها في نفس الوقت ذات وجه عامّ تعالج مشاكل الأئمة عبر الحياة.. وربما كان الوقوف على الحادثة الأولى والمناسبة الأولى التي استدعت نزولها، من خير الوسائل لكشف الإبهام عن وجه الآية، إذ فيها الإشارة للمحالة إلى تلك الواقعة بالذات.

قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها. وجعل السيوطي من فوائد معرفة أسباب النزول، الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال عن وجه الآية،^١ الأمر الذي لا يحيد عنه بعد أن كانت الآية مرتبطة بالحادث المستدعي للنزول وناظرة إليه.

قال القشيري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز.^٢ ولذلك شواهد في التنزيل:

قال تعالى: «إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ مَن حَجَّ الْحَجَّ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا...»^٣.

فقد أُشكل على بعض المفسرين هذا التعبير «لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ...» لأنه لرفع الإثم وليس للإلزام، فالآية تكون دالة على جواز السعي بين الصفا والمروة لا الوجوب، مع أنه إجماعي.

لكن إذا ما عرفنا سبب نزولها، لم يبق مجال لهذا الإشكال. وذلك أن مراسيم الحج والاعتمار كانت معهودة منذ العهد الجاهلي غير أن العرب

١- البرهان تتركبي، ج ١، ص ٢٤.

١- الإفتان، ج ١، ص ٨٢.

٢- البقرة: ١٥٨.

كانوا قد لوتوا من هذه المشاعر ببدع أبدوها، من ذلك أنهم كانوا قد وضعوا على الصفا صنماً على صورة رجل يقال له «أساف»، وعلى المروة صنماً آخر على صورة امرأة يقال لها «نائلة»، زعموا أنهما زنيا في الكعبة فسخهما الله حجرتين، فوضعا على الجبلين ليعتبر بهما.. فلما طالبت المدة عبدهما العرب جهلاً وسنهماً. فكانوا إذا طافوا بينهما مسحوهما تبرّكاً.

ثم لما جاء الإسلام وكسرت الأصنام، تعرج المسلمون عن الطواف بينهما، زعموا أنه كان من بدع الجاهلية تقرباً إلى الصنمين. فنزلت الآية لترفع هذه الشبهة عن أذهان المسلمين.^١

قال الإمام الصادق عليه السلام: كان المسلمون يرون أن الصفا والمروة مما ابتدع أهل الجاهلية، فأنزل الله هذه الآية.^٢

وروي عنه أيضاً: أن ذلك كان في عمرة القضاء. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد شرط عليهم أن يرفعوا أصنامهم. فتشاغل رجل من أصحابه حتى أعيدت الأصنام، فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه عن ذلك، وقيل له: «فلان لم يطف تحرجاً لما قد أعيدت الأصنام..» فأنزل الله هذه الآية.^٣

وقال تعالى: «كُنْ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَتُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».^٤

قد يزعم زاعم أن لابس بتناول الخمرة إذا قوي إيمان الرجل وصلح عمله، فإنه لا يضره شرب المسكر قليلاً. هكذا كان يزعم عمرو بن معدى كرب كما قيل.^٥ وقيل: هو قدامة بن مظعون.^٦

١ - راجع: أسباب النزول نواحدي، ص ٢٥.
 ٢ - تفسير العياشي، ج ١، ص ٧٠، ح ١٤٣.
 ٣ - الإفتان، ج ١، ص ٨٤.
 ٤ - مجمع البيان، ج ١، ص ٢٤٠.
 ٥ - المائدة ٩٣.
 ٦ - التفسير والمفسرون نذهي، ج ١، ص ٦٠.

سوى أن الآية نزلت فيمن سلنت منه هذه الشيعة المنكرة ثم تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى، فقد عفى الله عما سلف.

وقال تعالى: «وَكَيْفَ الْبُرِّ بِأَنْ تَأْتُوا التَّبِوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبُرِّ مِنَ اتَّقَى وَأَتُوا التَّبِوتَ مِنْ أُنُوبِهَا وَأَتُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ»^١.

فقد خفي وجه ارتباطها مع صدر الآية: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ». كما خفي المقصود من هذا الاستتكار على صنيع يبدو غريباً.

أما إذا راجعنا سبب النزول: «أَنَّ الْحُمْسَ^٢ وَهِيَ الْقِبَالُ السَّتُّ الْعَرَبِيَّةُ كَانَتْ إِذَا أَحْرَمَتْ امْتَنَعَتْ مِنَ الدَّخُولِ إِلَى الْخَبَاءِ أَوْ الْبُيُوتِ إِلَّا مِنْ ظُهُورِهَا، فَيَنْقُبُونَ فِي مَوْخَرَتِهَا تَقْباً يَدْخُلُونَ وَيَخْرُجُونَ مِنْهُ». وبذلك يرتفع الإيهام بكلا جانبيه.

وقال تعالى: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً يَتُوبُونَ إِدْءًا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ إِنَّهُمْ لَهُمْ سِوَةٌ أَهْلُهُمْ...»^٣.

كانت العرب تدين بحرمته الشهور الأربعة امتداداً لملته إبراهيم عليه السلام. لكنهم ربما كان يشق عليهم المكث طول ثلاثة أشهر لا يغزون، أو ربما كانت الحرب على ساق فيهل أحد الأشهر الحرم، وكان يصعب عليهم ترك القتال. ولذلك كانوا ينسئون ذلك الشهر إلى وقت آخر ليستمرّوا في النهب والغزو وسفك الدماء...

وهكذا كانوا ينسئون بمراسم الحج لتوافق مع فصل الربيع كل عام، وكان قد وافق الحج قبل حجة الوداع ذاتها، فلما حج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القابل، قال في خطبته: «ألا وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها

١ - البقرة ١٩٦، ١٩٧.

٢ - الخمس - باتضمم فمكون - جمع أحسس وحساء، يعني التصمّم، في دينه ومذهبه، أطلق علي ست قبائل معروفة: قريش وخزاعة وكنانة ونقيف وجشم وبنو عامرين صحصمة، مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٨٤.

٣ - التوبة ٩، ٣٧.

أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذوالتعدة وذو الحجّة والمحرّم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان...» رأدته أن الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها وعاد الحجّ إلى ذي الحجّة، وبطل النسيء.^١

الطريق إلى معرفة أسباب النزول

لمعرفة الصحيح من أسباب النزول طرق معهودة تعارف عليها أهل الاصطلاح، من تصحيح الإسناد أو استفاضة النقل أو تواتره، ممّا يقطع معه من صحّة الحادثة. لكن هناك وسيلة أخرى لعلها أدقّ وأوفق للاعتبار وأكثر اطّراداً مع ضوابط دراسة التاريخ: أن يكون المأثور من شأن النزول ممّا يرفع الإبهام عن وجه الآية تماماً ويحلّ مشكلة تفسيرها على الوجه الأتمّ. على قيد أن لا يكون مخالفاً لضرورة دين أو متنافراً مع بديهة العقل الرشيد. الأمر الذي يكفي بنفسه شاهد صدق على صحّة الحديث أيّاً كان الإسناد. وممّا يجدر التنبيه له في هذا الباب، أن الطابع الغالب على أحاديث شأن النزول، هو الضعف والجهالة والإرسال، فضلاً عن الوضع والندس والتزوير. هكذا جاء في وصف الأئمة:

قال الإمام بدر الدين الزركشي: يجب الحذر من الضعيف فيهِ والموضوع، فإنّه كثير. قال الميموني: سمعت الإمام أحمد بن حنبل يقول: «ثلاث ليس لها أصول - أو لا أصل لها - : المغازي والملاحم والتفسير». أي لا أصل لها معتمداً عليه. قال المحققون من أصحابه: يعني أن الغالب، أنّها ليس لها أسانيد صحاح متصلة الإسناد. وإلا فقد صحّ من ذلك كثير.^٢

قال جلال الدين السيوطي: الذي صحّ من ذلك قليل جداً، بل أصل المرفوع منه (أي

١ - تهرمان زركشي، ج ٢، ص ١٥٦.

٢ - مجمع البيان، ج ٥، ص ٢٩.

المتصل الإسناد) في غاية القلّة. وقد ذكر السيوطي في نهاية الكتاب ما لا يبلغ على الثلاثمائة حديث مرفوع، ما بين ضعيف وسقيم ومعضل. والباقي مرسل لاحجية فيه إطلاقاً.^١

الأمر الذي يعود لومه على السلف تساهلهم بأمر ضبط الحوادث، ومن تمّ فإنّ رصيدنا اليوم بهذا الشأن ضئيل للغاية، ولا يفي بحاجة التفسير في سوى القليل.

هذا الواحدي عمد إلى جمع الشوارد من أسباب النزول، فلم يمكنه التحرّز عن الضعاف والمجاهيل وما لاحجية فيه. مثلاً نراه يروي كثيراً عن ابن عباس عن طريق الكلبي عن أبي صالح. قال جلال الدين السيوطي: وأوهى طرق التفسير طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضمّ إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير، فهي سلسلة الكذب. وكثيراً ما يخرج منها الثعلبي والواحدي.^٢

وقال - عند قوله تعالى: «وَإِذَا قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا...»^٣: أخرج الواحدي والثعلبي من طريق السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه... تمّ قال: هذا الإسناد واه جداً، فإنّ السدي الصغير كذاب وكذا الكلبي وأبو صالح ضعيف.^٤

وعند قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَعِظِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا...»^٥ قال: أخرج الواحدي من طريق عبد الغني بن سعيد التميمي... وهو واه جداً.^٦

وفي المطبوعة من نسخ أسباب النزول للواحدي تصحيف، ذكر الرواية عن عبد العزيز بن سعيد^٧ وليس له ذكر في كتب التراجم.

١ - الإفتان، ج ٤، ص ١٨١ و ٢١٤ - ٢٥٧.
 ٢ - الإفتان، ج ٤، ص ٤٠٩.
 ٣ - البقرة ١٤، ١٤.
 ٤ - تباب التفوت، ج ١، ص ٩.
 ٥ - البقرة ١٤، ٢٦.
 ٦ - تباب التفوت، ج ١، ص ١١ بانهاش.
 ٧ - أسباب النزول للواحدي، ص ١٤.

وقوله: «وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَا تُوَلُّوا قَتْمٌ وَجْهَ اللَّهِ..»^١ نزلت رداً على اليهود في تعبيرهم تحويل القبلة - كما تقدم - قال السيوطي: ماورد من الروايات بهذا المعنى إسنادها قوي والمعنى يساعده أيضاً فليعتمد. ^٢ قال: وفي الآية روايات أخر ضعيفة... منها ما رواه الواحدي وغيره عن أشعث السَّمان. ^٣ قال: وأشعث يضعف في الحديث. ^٤ قال الذهبي: أشعث بن سعيد أبو الربيع السَّمان من الضعفاء، وقد تركه الدارقطني وغيره. ^٥ وهذا جلال الدين السيوطي الناقد على الواحدي اعتماده المراسيل والمجاهيل نراه قد تورط المناكير وما خالف العقل والشرع في موارد من اختياراته في شأن النزول من كتابه «باب التنول».

مثلاً يروي بشأن نزول قوله تعالى: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»^٦ من طريق البيهقي عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استشهد بأحد، وقد مثل به، فقال لأمثلن بسبعين منهم مكانك. فنزل جبرائيل بهذه الآيات. ^٧

قال: وأخرج الترمذي عن أبي بن كعب، قال: أصيب في أحد من الأنصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، وقد مثلوا بهم. فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لثربين عليهم.. فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله هذه الآيات. هذا مع العلم أن سورة النحل مكية، نزلت آياتها كلها بمكة قبل الهجرة. وقد ذكرنا ذلك فيما سبق.

١ - البقرة ١٤، ١١٤.

٢ - نواب التنول، ج ١، ص ٢٤.

٣ - نواب التنول، ج ١، ص ٢٥.

٤ - النحل ١١٦، ١١٧، ١١٨.

٥ - الصغرى للذهبي، ج ١، ص ٩١.

٦ - نواب التنول، ج ١، ص ٢١٣.

٧ - نواب التنول، ج ١، ص ٢١٣.

هذا. وقد أحس السيوطي نفسه بالوهن المذكور، ومن ثم لجأ إلى افتراض نزول الآيات ثلاث مرّات: قبل الهجرة، وبعدها بأحد، ثم يوم الفتح بمكة^١ ويزيد في الطين بلّة، وجود أمثال هذه الغرائب في المدونات الحديدية الكبرى أمثال البخاري ومسلم وغيرهما ممّا زعمه القوم أصحّ كتب الحديث، لكنّها رغم هذا الزعم مليئة بهكذا أساطير لا تلتئم مع قدسية الإسلام.

وقد أسبقنا الحديث عن أسطورة الغرائيق، وقصة ابن نوفل، ممّا صحّحه القوم، وهي تمسّ كرامة القرآن وقدسيّة مقام النبوة. وإليك نموذجاً آخر: قال السيوطي: وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة في مسنده والواحد وغيرهم بسند فيه من لا يعرف، عن حفص بن ميسرة القرشي عن أمّه عن أمّها خولة وقد كانت خادم رسول الله ﷺ أنّ جرّواً دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة، ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبرائيل ما يأتيني؟ فقلت في نفسي: لو هيأت البيت فكنته فأهويت بالمكثت تحت السرير فأخرجت الجرّواً. فجاء النبي ﷺ وترعد لحياه، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة، فأنزل الله: «والضحى - إلى قوله - فترضى»^٢.

قال ابن حجر - في شرح البخاري -: قصّة إبطاء جبرائيل بسبب وجود جرّوا كلب تحت سريره ﷺ ولم يشعر به مشهورة. لكن كونها سبب نزول الآية غريب، بل شاذّ مردود.^٣

قلت: هذه القصّة المزعومة مدنيّة، والسورة مكّية بلاخلاف! غير أنّ الكذوب تخونه
ذاكرته!!

١ - الإتيان، ج ١، ص ٩٦، ونباب التنوير، ج ١، ص ٢١٤.

٢ - التضحى ٩٣، ١ - ٥، راجع الإتيان، ج ١، ص ٩٦، ونباب التنوير، ج ٢، ص ١٣٥ - ١٣٦.

٣ - فتح الباري، ج ٨، ص ٥٤٥.

وأخرج الشيخان (البخاري ومسلم) عن المسيّب، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: أي عمّ قل: لا إله إلا الله، أحتاج لك بها عند الله. فقال: أبو جهل وعبد الله: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: لأستغفرنّ لك ما لم أكنّ عنك. فنزلت «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ»^١.

ويشكك هذه المزعومة، بل المكذوبة المفتعلة، أن أبا طالب ﷺ مات قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان عضداً قوياً لرسول الله ﷺ. أما آية براءة فإنها نزلت في سنة التسع من الهجرة، أي بعد وفاة أبي طالب باتنتي عشرة سنة. هذا فضلاً عن الدلائل الوفيرة على إسلام أبي طالب، ذكرناها في مجالها المناسب. ولا يقول بكفره إلا ذوو الأحقاد على الإسلام والمسلمين أحقاد بدر وحنين!

وقد لجأ السيوطي إلى افتراض نزول الآية مرّتين^٢.

وأسبقنا الكلام عن هذه الآية فيما قيل من استثناء آيات مكّية من سورة براءة المدينة.

وأخرج البخاري عن عمر بن الخطاب، قال: لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكنّ فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، قال عمر: فأخذت توبه وقلت: تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟! فقال رسول الله ﷺ: إنما خيرني الله فقال: «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ»^٣ وسأزيد على السبعين.. قال: إنه

١ - براءة ٩: ١١٣، راجع: صحيح البخاري، ج ٦، ص ٨٧، وج ٢، ص ١١٩.

٢ - الإفتان، ج ١، ص ٩٥. ٣ - براءة ٩: ٨٠.

منافق. قال: فعسلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله: «وَلَا تُصَلُّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَا تَأْتِيهِمْ وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ»^١.

قال عمر: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله^٢.

قلت: «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ»^٣.

كيف يظنون بنبي الإسلام جهله - والعياذ بالله - بأحكام الإسلام، فيحاولوا اختلاق منقبة لابن الخطاب، وإن كانت قد تستدعي الحط من قداسة رسول الله ﷺ والمنقصة من كرامته. بل سؤلت لهم أنفسهم أمرًا، فصبر جميل، والله المستعان على ما يعصفون.

أولاً: النبي ﷺ معصوم، وكل أفعاله وأقواله وحتى تقريره، سنة متبعة، ليس لأحد - على الإطلاق - أن يعارضه فيها أمره أو ينهيه مما يرتبط بأمر الشريعة. إن هذا إلا فضول وخروج عن الطاعة والاستسلام ومعاكسة حريجة مع قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ»^٤.

ومن تم حاول أئمة النقد والتحريض إنكار هذه الرواية. وقالوا: هذا وهم من الرواة. وعللوا ذلك بأنه يستلزم أن يكون عمر قد اجتهد مع وجود النص^٥.

وحاول ابن حجر تصحيح الخبر والرد على هؤلاء، لكنه أتى بما يزيد في الطين بلة، وفي الظهور نغمة. انظر إلى سفاسفه:

يقول: زعم غير هؤلاء أن عمر اطلع على نهي خاص في ذلك. وقال القرطبي: لعل ذلك وقع في خاطر عمر، فيكون من قبيل الإلهام. ويحتمل أن يكون فهم ذلك من نهي الاستغفار.

قال ابن حجر: وما قاله القرطبي أقرب. لأنه لم يتقدم نهي عن العسلة على المنافقين.

٢ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ٨٥-٨٦.

١ - براءة ٩: ٨٤.

٤ - الأحزاب ٣٣، ٢١.

٣ - سبأ ٣٤: ٢٠.

٥ - ذكره عنهم ابن حجر في فتح الباري، ج ٨، ص ٢٥٢-٢٥٣.

بدليل أنه قال في آخر الحديث: فأنزل الله «وَلَا تُصَلُّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَيْدَاءُ؟»^١
وتانياً: كيف علم عمر أن الصلاة على المنافق محرمة في الشريعة، ولم تنزل
بتحريمها آية بعد - كما نبه عليه ابن حجر - أفهل يجوز أن يُلهم عمر بما لا يعرفه مبلغ
الشريعة؟!

وقد حاول ابن حجر محاولة أخرى في حل هذه المشكلة الثانية بما زاد وهنا في
وهن وابتعاداً عن الحقيقة أكثر.

فقد أخرج عن ابن مردويه أن عمر قال لعنه الله: أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي
عليه! فقال له النبي ﷺ: أين؟ قال: قال: «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ...».

قال ابن حجر: فكان عمر قد فهم من هذه الآية ما هو الأكثر الأغلب من لسان العرب،
من أن «أو» ليست للتخيير، بل للتسوية، في عدم الوصف المذكور.

قال: وفهم عمر أيضاً من قوله تعالى: «سَبْعِينَ مَرَّةً» أنها للمبالغة، وأن العدد المعين
لامشهور له، بل المراد نفي المغفرة لهم ولو كثر الاستغفار، فيحصل من ذلك النهي عن
الاستغفار، فأطلقه.

وفهم أيضاً أن المقصود الأعظم من الصلاة على الميت طلب المغفرة للميت
والشفاعة له، فلذلك استلزم عنده النهي عن الاستغفار ترك الصلاة.. قال: ولهذه الأمور
استنكر على النبي ﷺ إرادة الصلاة على عبد الله بن أبي.

قال: هذا تقرير ما صدر عن عمر، مع ما عرف من شدة صلابته في الدين...^٢
يا للعجب من عقلية ابن حجر، كيف يتصور من عمر عملاقاً في فهم قضايا الدين
والوقوف على مزايا اللغة، مما غفل عنه مثل رسول الله ﷺ الذي هو مبلغ الشريعة وأفصح
من نطق بالضاد؟!

أمتل من لا يعرف الأب من الثمت^١ ويجهل الكثير من الآداب والسنن^٢ يقوم بتأنيب
 ناموس الشريعة وصميم العربية الفصحى؟! إن هذا إلا وهم ناشئ عن عصبية عمياء أعادنا
 الله منها!

وبعد.. فإذا قد عرفت قيمة ما أسند من روايات أسباب النزول الواردة في أهم الكتب
 الحديثية، فكيف بالمتطوع والمرسل والمجهول. الأمر الذي ينبؤك عن أصالة مآلدينا من
 صحاح الروايات في هذا الباب. وقد صحّ كلام الإمام أحمد: ثلاثة ليس لها أصل معتمد:
 المغازي والملاحم والتفسير.

هذا السيوطي يخرج لقوله تعالى: «فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا قَمَّ وَجْهَ اللَّهِ»^٣ خمسة أوجه: الأول: إنه
 في تحويل القبلة وارتباب اليهود في ذلك. عن ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق علي بن
 أبي طلحة عن ابن عباس.

الثاني: أن تصلي حيثما توجهت بدراحتك. أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عمر.
 الثالث: إنه كان في سفر ليلة ظلماء فصلّى كل رجل على حياله لا يدرون أين وجه
 القبلة. أخرجه الترمذي من حديث عامر بن ربيعة. وكذا الدارقطني من حديث جابر.
 الرابع: لما نزلت «أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»^٤ قالوا: إلى أين؟ فنزلت. أخرجه ابن جرير عن
 مجاهد.

الخامس: عن قتادة أن النبي ﷺ قال: إن أخطاكم قدمات فعصلوا عليه، فقالوا: إنه كان
 لا يصلي إلى القبلة.. فنزلت..

قال السيوطي - تعقيباً على ذلك - : فهذه خمسة أسباب مختلفة، وأضعفها الأخير

١ - أخرج الطبري في التفسير، ج ٤٠، ص ٣٨، عن أنس قال: قرأ عمر سورة عبس، فلما أتى على هذه الآية «وَمَا كُنْهَ وَأَبَا»
 قال: عرفنا التماكينة فما الأب؟ ثم قال: إن هذا هو التكلّف، وأورد ابن كثير في تفسيره، ج ٥، ص ٤٧٣، وصححه.. ثم
 تدجى من عدم فهم عمر معنى الأب، لأن التكلّف يعلم أنه من نبات الأرض مما يقتات به البهائم تقوته تعالى بعد ذلك
 «كَمَا لَكُمْ وَاللَّعَامِيكُمْ» فالأب علف الدواب كالتفت.

٢ - راجع: نوادر الأثر في علم عصر: التفسير، ج ٦، ص ٨٣.

٣ - غافر، ٤، ٥، ٦.

٤ - البقرة، ١٨٥.

لإعضائه. ثم ما قبله لإرساله. ثم الثالث لضعف روايته. والثاني صحيح لكنه قال: قد نُزِلت في كذا، ولم يصرح بالسبب. والأول صحيح الإسناد وصرح فيه بذكر السبب فهو المعتمد.^١

سبب النزول أو شأن النزول

ما هو الفرق بين قولهم: «سبب النزول» أو «شأن النزول»؟

إن كانت هناك مشكلة حاضرة، سواء أكانت حادثة بهم أمها، أم مسأله خفي وجه صوابها، أم واقعة ضلّ سبيل مخرجها، فنزلت الآية لتعالج شأنها وتضع حلاً لمشكلتها، فتلك هي أسباب النزول، أي السبب الداعي والعلة الموجبة لنزول قرآن بشأنها.

وهذا أخصّ من قولهم: «شأن النزول» لأنّ الشأن أعمّ موردً من السبب - في مصطلحهم - بعد أن كان الشأن يعني: الأمر الذي نزل القرآن - آية أو سورة - لتعالج شأنه بياناً وشرحاً أو اعتباراً بمواضع اختياره. كما في أكثرية قصص الماضين والإخبار عن أمم سالفين، أو عن مواقف أنبياء وقديسين، كانت مشوّهة وكادت تمسّ من كرامتهم أو تحطّ من قدسيّتهم، فنزل القرآن ليعالج هذا الجانب، ويبين الصحيح من حكاية حالهم والواقع من سيرتهم بما يرفع الإشكال والإبهام، وينزّه ساحة قدس أولياء الله الكرام.

وعليه فالفرق بين السبب والشأن - اصطلاحاً - أنّ الأول يعني مشكلة حاضرة لحادثة عارضة. والثاني مشكلة أمر واقع، سواء أكانت حاضرة أم غابرة. وهذا اصطلاح ولا مشاحة فيه.

وقولهم: نزلت في كذا. أعمّ، قد يراد السبب العارض، وقد يراد شأن أمر واقع في الغابر. وأحياناً يراد بيان حكم وتكليف شرعي دائم. قال الزركشي: وقد عرف من عادة

الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لأن هذا كان السبب في نزولها.^١

إلا أن السيوطي خص أسباب النزول بالثبوت الأول، ورفض أن يكون بيان قصة سألته سبباً لنزول سورة أو آية قرآنية، ومن ثم اعترض على الواحدي - في أسباب النزول - قوله: نزلت سورة الفيل في قصة أصحاب أبرهة الذي جاء لهدم الكعبة.^٢

قال: والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح و عاد وتمود وبناء البيت ونحو ذلك.^٣ مع أن الواحدي لم يصرح بالسبب، بل ذكر أنها نزلت في قصة أصحاب الفيل.

ولأوجه لما تضايق السيوطي على نفسه وعلى الآخرين، بعد أن كان المصطلح على دواعي النزول هي المناسبات المقتضية لنزول قرآن، سواء أكانت حادثته واقعة، أم اختلافاً في مسألة شرعية فرعية أو عقائدية، أم قصة غابرة كانت ذات عبرة أو موضع اختلاف، فأراد الله تعالى تحريرها وتهذيبها وتظهير ساحة قدس أوليائه الكرام.

التفزيل والتأويل

سأل الفضيل بن يسار الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام عن الحديث المعروف «ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن»؟ فقال عليه السلام: «ظهره تنزيله وبطنه تأويله. منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن، يجري كما يجري الشمس والقمر...»^٤

٢ - أسباب النزول لتواحدي، ص ٢٥٩.

١ - البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣١ - ٣٢.

٤ - بصائر الدرجات، ص ١٩٦، ج ٧.

٣ - تباب التفوق، ج ١، ص ٥.

وقال عليه السلام: «ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم...»^١.
 ذلك أن الآية وجهاً مرتبطاً بالحادثة الواقعة - التي استدعت نزولها - ووجهاً آخر
 عاماً تكون الآية بذلك دستوراً كلياً يجري عليه المسلمون أدياً، وكما أن الآية عالجت
 - بوجهها الخاص - مشكلة حاضرة، فإنها - بوجهها العام - سوف تعالج مشاكل الأمة على
 مرّ الأيام.

قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «ولو أن الآية نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية
 لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره مادامت السماوات والأرض،
 ولكل قوم يتلونها، هم منها من خير أو شر»^٢.

نعم، إن الحكمة في نزول آية أو سورة، ليست بالتي تقتصر على معالجة مشاكل
 حاضرة، وليست دواءً وقتياً لدايٍ عارضٍ وقتي. إذن تستفي فائدتها بتبدل الأحوال
 والأوضاع. بل القرآن، في جميع آياته وسوره، نزل علاجاً لمشاكل أمة بكاملها في طول
 الزمان وعرضه. وإلى ذلك يشير قولهم عليه السلام: «نزل القرآن بإيائك أعني واسمعي يا جارة»^٣.
 وهذا الوجه العام للآية، هو تاموسها الأكبر، الكامن وراء ذلك الوجه الخاص، وإنما
 يلتقي بأضوائه على الأفاق من وراء ذلك الستار الظاهري، وتبعث أنواره من ذلك البطن
 الكامن وراء هذا الظاهر.

وهذا من اختصاص القرآن في بيان مقاصده من الوجهين الخاص والعام، ومن ثم
 فإن له تنزيلاً (الذين نزل فيهم) وتأويلاً (الذين عملوا بمثل أعمالهم) وذلك ظهره وهذا
 بطنه.

غير أن الوقوف على تأويل القرآن وفهم بطون الآيات، إنما هو من اختصاص
 الراسخين في العلم، ممن تبنا على الطريقة فسقاهاهم ربهم ماءً غدقاً^٤.

١ - تفسير العياشي، ج ١، ص ١١، ح ٤.
 ٢ - المصدر، ح ٤.
 ٣ - المصدر، ح ٤.
 ٤ - من الآية رقم ١٦ من سورة الحج.

ومن ثمّ قال الإمام أبو جعفر - بعد أن تلا الآية -: «نحن نعلمه» أي التأويل ' وفي رواية أخرى: «تعرفه الأئمة»^٢.

قال تعالى: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَجُوهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»^٣.
هذه الآية نموذج من الآيات ذوات الوجهين، لها تنزيل ولها تأويل، ظهر وبطن، وإنما يعلم سرّها الكامن العام أولوا البصائر في الدين الأئمة المعصومون^٤.

هذه الآية تبدو - في ظاهرها - متعارضة مع آيات توجب التوجّه في الصلاة شطر المسجد الحرام^٥ ولكن مع ملاحظة سبب النزول، وإثمه دفع لشبهة اليهود ورفع لارتياحهم في تحويل القبلة، يتبيّن أن لامعارضة، ويرتفع الإيهام عن وجه الآية. ذلك أنّ الاستقبال في الصلاة والعبادات أمر اعتباري محض، يوطأ باعتباره صاحب الشريعة في مصالح يراها مقتضية حسب الأحوال والأوضاع، وليس وجه الله محصوراً في زاوية القدس الشريف أو الكعبة المكرّمة.

وبذلك تنحلّ مشكلة الآية وترتفع إيهامها، وأن ليس ترخيصاً في الاتجاه بسائر الجهات.

هذا. وقد فهم الأئمة^٦ أمراً آخر أيضاً، استخرجوه من باطن الآية، حيث تأويلها المستمرّ، ونّها تعني جواز التنطوع بالنوافل إلى حيث توجّهت به راحلتك، أو اشتبهت القبلة، فتصلّي إلى أيّ الجهات شئت. هكذا وجدنا صراحة الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت^٧.

قال سيّدنا الطباطبائي^٨: إنك إذا تصفّحت كلمات الأئمة^٩ في عموم القرآن وخصوصه، ومطلقه ومقيده، لوجدت كثيراً ما، استفادة حكم من عموم الآية، ثمّ استفادة

١ - بصائر الدرجات، ص ١٩٦، ح ٧.

٢ - المصدر، ح ٨.

٣ - البقرة ١١٥، ١١٤، ١٤٤، ١٤٩ و ١٥٠.

٤ - راجع: وسائل الشريعة، باب ٨ و ١٥ من أبواب القبلة، ح ٤ من ٢٢٥ و ٢٢٩، وتفسير العياشي، ج ١، ص ٥٦ - ٥٧.

حكم آخر مع ملاحظة خصوصيتها. فقد يستفاد «الاستحباب» من الآية من وجه عمومها، و«الوجوب» من وجهها الخاص، وهكذا «الحرمة» و«الكراهة» من الوجهين للآية بذاتها. قال: وعلى هذا المقياس تجد أصولاً هي مفاتيح لكثير من مغالقات الآيات. وإنما تجدها في كلماتهم ﷺ لا غيرهم. قال: ومن هنا يمكنك أن تستخرج من لباب كلامهم في المعارف القرآنية قاعدتين أساسيتين:

الأولى: أن كل عبارة من عبارات الآية الواحدة، فإنها لو حدها تنيد معنى و تلقى ضوءاً على حكم من أحكام الشريعة. ثم هي مع العبارة التالية لها، تفيد حكماً آخر، ومع الثالثة حكماً ثالثاً. وهكذا دواليك.

مثلاً قوله تعالى: «قُلِ اللَّهُ فَمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»^١ فقوله: «قُلِ اللَّهُ» جملة تامة الإفادة. وهي مع قوله: «فَمَّ ذَرَهُمْ» أيضاً كلام آخر هو تام. ومع «فِي خَوْضِهِمْ». وكذا مع «يَلْعَبُونَ» كلام ذو فائدة تامة.

واعتبر نظير ذلك في كل آية كتبت في آيات القرآن

الثانية: أن القسطين أو المعنيين إذا اشتركا في جملة أو نحوها، فهما راجعان إلى مرجع واحد.

قال: وهذان سران، تحتها سرار. والله الهادي.^٢

وقوله تعالى: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا».^٣

قيل: نزلت بشأن الجن استأذنوا رسول الله ﷺ أن يشهدوا مسجده. وقد كان صعباً عليهم وهم منتشرون في فجاج الأرض. فنزلت: إن كل موضع من الأرض فهو مسجد لله يجوز التعبد فيه. سوى أنه يجب الإخلاص في العبادة في أي مكان كانت.^٤ وهكذا روي

١ - التفسير البسيط، ج ١، ص ٢٦٢.

١ - الأندلس، ٩١.

٢ - لباب التفوق، ج ٢، ص ١٢١.

٣ - الجن، ٧٢، ٧٨.

عن سعيد بن جبير.

هذا إذا أخذت «المساجد» بمعنى «المعابد»: أمكنة العبادة.

وربما فسرت بمعنى المصدر، وأن العبادات بأسرها خاصة بالله تعالى لا يجوز

السجود لغيره. روي ذلك عن الحسن.

وقال جمع من المفسرين كسعيد بن جبير والزجاج والفراء: إنها المواضع السبعة حالة

السجود، وهي لله، إذ هو خالقها والذي أنعم بها على الإنسان. فلا ينبغي أن يسجد بها لأحد

سوى الله تعالى.^١

وبهذا المعنى الأخير أخذ الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام حينما سأله

المعتصم العباسي عن هذه الآية، فقال: هي الأعضاء السبعة التي يسجد عليها.^٢

وكان هذا الحادث في قصة سارق جنيء به إلى مجلس المعتصم، فاختلف الفقهاء

الحضور في موضع القطع من يده. فكان من رأي الإمام عليه السلام أن يقطع من مفصل الأصابع.

ولما سأله المعتصم عن السبب، أجاب بأن **الحاجة الكفائية** هي إحدى مواضع السجود

السبعة، وأن المساجد لله، فلا تقطع.^٣

وهكذا، وبهذا الأسلوب البديع استنبط عليه السلام من تعبير القرآن دليلاً على حكم شرعي

كان حلاً قاطعاً لمشكلة الفتناء حلاً أبدتياً.

وهذا من بطن القرآن وتأويله الساري مع كل زمان. تعرفه الأئمة، إمام كل عصر

حسب حاجة ذلك العصر. قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن للقرآن تأويلاً، فمنه ما قد جاء ومنه

١ - وهكذا نشرها الأئمة من أهل البيت فيما ورد من التفسير المتأثور ومجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٧٦، وتفسير التبرهان، ج

٤، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

٢ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٧٦.

٣ - وسائل الشيعة، باب ٤ من أبواب حد التمرد، ج ١٨، ص ٤٩٠، ح ٥.

مالم يجيء، فإذا وقع التأويل في زمان إمام من الأئمة عرفه إمام ذلك الزمان»^١.
 قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ما يستطيع أحد أن يدّعي أن عنده جميع القرآن كله
 ظاهره وباطنه غير الأوصياء»^٢.
 وقال الصادق عليه السلام: «والله، إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي، فيه
 خبر السماء وخبر الأرض وخبر ما كان وخبر ما هو كائن. فيه تبيان كل شيء، - كما قال
 تعالى»^٣.

هل يجب حضور ناقل السبب؟

ذكر الواحدي أنه لا يحل القول في أسباب النزول، إلا بالرواية والسمع ممن شاهدوا
 التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها^٤.
 وهذا الاشتراط إنما هو من أجل الاستيفاء بأن ما ينقله حكاية عن حسن مشهود، لا
 أنه من اجتهاد أو تخرض بالغيبة ومن ثم من علم من علم عن الصادق في لهجته، ثقة في إخباره،
 حذراً واعياً يتجنب الحدس والتخمين، ولا يخبر إلا عن علم، ولا يروي إلا عن يقين، فإن
 مثله معصوق ولو كان غائب المشهد. ومن تم نعتهم قول خيار الصحابة، ولو لم يعصرح
 بحضوره المشهد، وكذا إخبار التابعين لهم بإحسان، ومن بعدهم من أئمة صادقين.
 ونفس السبب نعتهم أقوال أئمتنا المعصومين بشأن تفسير القرآن، تنزيله وتأويله،
 لأنهم أعرف الخلق بعلوم القرآن ظاهره وباطنه، سوى أن المهم هو العلم بصحة الإسناد
 إليهم أو تواتر النقل وقليل ما هو.

١ - بصائر الدرجات، ص ١٩٥، ح ٥.
 ٢ - الكافي، ج ١، ص ٢٢٨، ح ٤.
 ٣ - الكافي، ج ١، ص ٤٢٩، ح ٥، والآية من سورة النحل: ٨٩ «وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ».
 ٤ - أسباب النزول للواحدي، ص ٥.

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد

هذه قاعدة أصولية مطردة في جميع أحكام الشريعة المقدسة، فما يصدر من منابع الوحي والرسالة بشأن أحكام الله وتكاليفه للعباد، ليس يخص موردًا دون مورد، ولم يأت الشرع لمعالجة حوادث معاصرة، وإنما هو شرع للجميع. الأمر الذي دعا بالفتهاء إلى إلغاء الخصوصيات الموردية والأخذ بإطلاق الحكم، إن نظرياً أو مقامياً، حسب المصطلح.

هذا بالنسبة إلى كافة أحكام الشريعة، سنة وكتاباً، وإن كان في الكتاب أكد. وقد عرفت صريح الروايات بهذا العموم في آيات القرآن. فكل ما في القرآن من أحكام وتكاليف واردة في الآيات الكريمة، فإنما ينظر إليها الفتهاء من الوجه العام، ولا يابتهون بخصوص المورد إطلاقاً.

نعم هناك بعض الخطابات مع فئات معهودة، صدرت على نحو القضية الخارجية،^١ فإنها لا تعم بلفظها، وإن كانت قد تعم بملاكها، إذا كان قد أحرز يقيناً. وفي القرآن منه كثير. قال تعالى: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أُصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ...»^٢

نزلت الآية بشأن المؤمنين بعد منصرفهم من وقعة «أحد» وقد أصابهم القرع الشديد. وكان أبو سفيان حاول الكثرة وتقدم على انصرافه عن القتال. وبلغ الخبر للمسلمين، وكان الذي أنشأ الخبر هو نعيم بن مسعود الأشجعي، كما في الحديث عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.^٣ وقيل: الركب الذي دسّه أبو سفيان للإرجاف بالمؤمنين. وقيل: هم المنافقون بالمدينة.

١ - من مصطلح علم التميزان (المنطق) وهو عبارة عن معهودة انموضوع في التنظية، كقولك: أكرم من في المسجد أو في المدرسة، تريد من هو في مسجد ابتدأ أو مدرسته في الحال الحاضر، وليس في كل الأزمان وكل المساجد والمدارس على الإطلاق.

٢ - أن عمران ١٧٢ - ١٧٣.

٣ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٤٦.

لكن المؤمنين الصادقين صمدوا على التبات والإيمان وعزموا على مجابهة العدو بكل مجهودهم، وانتدبهم رسول الله ﷺ قصداً لإرهاب المشركين، وفي مقدمة المنتدبين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

والشاهد في قوله تعالى: «قَالَ لَهُمُ النَّاسُ» إشارة إلى أناس معهودين أو فرد معهود، والمقصود من «الناس» الذين جمعوا لهم، هم أصحاب أبي سفيان.

نعم مجموعة هذه الحادثة تفيدنا مسألة التبات على الإيمان وأن لا نهاب عدو ولا تجمّع الناس ضدّ الحقّ مادام الله ناصرنا وكافلنا، نعم المولى ونعم النصير.

وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. حَتَّىٰ آتَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»^١

إنما يعني الذين كفروا على عهده ﷺ وعاندوا وأصروا على اللجاج، بعد وضوح الحقّ وسطوع البرهان. وليس مطلق الكفار على مرّ الزمان. وهذا تبيس للنبي ﷺ فلا تذهب نفسه عليهم حسرات.

قال العلامة الطباطبائي عليه السلام: ولا يجب أن يكون المراد هم الكفار من صناديد قريش وكبراء مكة الذين عاندوا ولجّوا في أمر الدين ولم يألوا جهداً في ذلك. إذ لا يمكن استطراد هذا التعبير في حقّ جميع الكفار، وإلا لانسدّ باب الهداية. فالأشبه أن يكون المراد من «الَّذِينَ كَفَرُوا» هاهنا وفي سائر الموارد من كلامه تعالى هم كفار مكة في أوّل البعثة، إلا أن تقوم قرينة على خلافه. نظير ما سيأتي أن المراد من قوله: «الَّذِينَ آمَنُوا» فيما أُطلق في القرآن من غير قرينة على إرادة الإطلاق، هم السابقون الأوّلون من المؤمنين. خصّوا بهذا الخطاب تشريفاً^٢.

وهكذا قال عليه السلام في تفسير سورة الكافرون: هؤلاء قوم معهودون لا كلّ كافر. ويدلّ عليه أمره ﷺ أن يخاطبهم ببراءته من دينهم وامتناعهم من دينه.^٣

١ - تفسير الصبر، ج ١، ص ٥٠.

٢ - البقرة ٦٤ - ٦٥.

٣ - المصدر، ج ٢٠، ص ٥٢٦.

وبذلك تحلّ مشكلة كثير من الآيات جاءت بهذا التعبير وأشباهه.
نعم هذا الحكم يسري فيمن شابه أولئك في العناد واللجاج مع الحقّ بعد الوضوح.

نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة

هكذا روى أبو النضر محمد بن مسعود العياشي بإسناده عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام فيما رواه عنه عبد الله بن بكير قال: «نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة»^١ وهذا مثل يضرب لمن يخاطب شخصاً أو يتكلّم عن أمر، وهو يريد غيره، على سبيل الكناية أو التعريض.

وروى بإسناده عن ابن أبي عمير عمّن حدّثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما عاتب الله نبيّه فهو يعني به من قد مضى في القرآن. مثل قوله: «وَكُلُوا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَزْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً»^٢ أعني بذلك غيره عليه السلام^٣.

قوله: «من قد مضى في القرآن» أي مضى ذكره إشارة أو تلويحاً وربّما نصّاً. والأكثر أن يراد أمته عليه السلام بالعتاب، ولا سيما المؤمنون صدر الإسلام، كانوا على قلق واضطراب في مواضعهم مع الكفّار.

وبهذا المعنى ورد قولهم عليه السلام فيما رواه محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: يا محمّد إذا سمعت الله ذكر أحداً من هذه الأمة بخير فنحن هم. وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممّن مضى فهم عدوّنا.^٤

لأنّ القرآن يجري أوّله على آخره مادامت السماوات والأرض. ولكلّ قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شرّ.^٥ قال عليه السلام: «ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم»^٦.

٢ - الإسراء: ١٧، ٧٤.

٤ - المصدر، عن ١٣، ح ٣.

٦ - المصدر، عن ١١، ح ٤.

١ - تفسير العياشي، ج ١، ص ١٠، ح ٤.

٣ - تفسير العياشي، ج ١، ص ١٠، ح ٥.

٥ - المصدر، عن ١٠، ح ٧.

تاريخ القرآن

تأليف القرآن

تأليف القرآن في شكله الحاضر، في نظم آياته وترتيب سورته، وكذلك في تشكيله وتنقيطه وتنصيبه إلى أجزاء ومقاطع، لم يكن وليد عامل واحد، ولم يكتمل في فترة الوحي الأولى. فقد مرّت عليه دور وأحوال، ابتدأت بالعهد الرسالي، وانتهت بدور توحيد المصاحف على عهد عثمان، ثم إلى عهد الخليل بن أحمد النحوي الذي أكمل تشكيله بالوضع الموجود.

وهو بحث أشبه بمعالجة قضية تاريخية مديّلة، عن أحوال وأوضاع مرّت على هذا الكتاب السماوي الخالد. غير أنّ مهمّتنا الآن هي العناية بدراسة القرآن من زاوية جمعه وتأليفه مصحفاً بين دفتين، والبحث عن الفثرة التي حصل فيها هذا الجمع والتأليف، وعن العوامل التي لعبت هذا الدور الخطير. ومن ثمّ سننصل الكلام عن القرآن في عهده الأوّل الذي لم يتجاوز نصف قرن، ثمّ نوجز الكلام في أحوال مرّت عليه في أدوار متأخرة. والبحث الحاضر يكتمل في ثلاث مراحل أساسية:

أولاً: نضد الكلمات في صياغتها الحاضرة هي صنيع الوحي لاغيره إطلاقاً على ما

أسلفنا البحث عنه، كما لم تبدل ولم تتغير صياغتها بزيادة أو نقصه أو بتغيير موضعي من تقديم أو تأخير، حسب ما بيّناه في دلائلنا على صيانة القرآن من التحريف: ^٢ «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ مُجِيدٍ» ^٣.

ثانياً: نظم الآيات وترتيبها القائم ضمن السور وفي أعدادها الخاصة، شيء حصل على عهد الرسالة توقيفياً وبنص صاحب الشريعة لم تمسه يد إطلافاً: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» ^٤.

ثالثاً: ترتيب السور بين دفتين في صورة مصحف كما هو الآن. هذا أمر بقي مؤجلاً إلى ما بعد وفاته ﷺ حيث ترقب الوحي ونزول آيات وسور، مادام ﷺ على قيد الحياة. وإليك التفصيل:

نضد كلماته

لاشك أن العامل في نظم كلمات القرآن وصياغتها جملاً وتراكيب كلامية بديعة، هو الوحي السماوي المعجز، لم يتدخل فيه أي يد بشرية إطلاقاً. كما ولم يحدث في هذا النظم الكلمي أي تغيير أو تحريف **عمر العصور** «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» ^٥ إذ في ذلك يتجسد سرّ ذلك الإعجاز الخالد الذي لا يزال يتحدث به القرآن الكريم. ولمزيد التوضيح نعرض ما يلي:

أولاً: إسناد الكلام إلى متكلم خاص يستدعي أن يكون هو العامل في تنظيم كلماته وتسيق أسلوبه التعبيري الخاص. أمّا إذا كان هو منتقياً كلمات مفردة وجاء آخر فنظمها في أسلوب كلامي خاص، فإنّ هذا الكلام ينسب إلى الثاني لا الأول. وهكذا القرآن المجيد هو كلام الله العزيز الحميد، فلا بد أن يكون الوحي هو العامل الوحيد في تنظيم كلماته جملاً وتراكيب كلامية بديعة، أمّا نفس الكلمات من غير اعتبار التركيب والتأليف

١ - «صياغة القرآن صياغة الوحي».

٢ - صيانة القرآن من التحريف، ص ٣٦-٥٧.

٣ - فضلت ١، ٤٢.

٤ - الحجر ١٥، ٩.

٥ - الحجر ١٥، ٩.

فكان العرب يتداولونها ليل نهار، إنما الإعجاز في نظمها، جاء من قبل وحي السماء. ثانياً: كان القسط الأوفر من إعجاز القرآن كامناً وراء هذا النظم البديع وفي أسلوبه هذا التعبيري الرائع، من تناسب نغمي مرن، وتناسق شعري عجيب، وقد تحدّى القرآن فصحاء العرب وأرباب البيان - بصورة عامّة - : لو يأتون بمثل هذا القرآن، ولا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً^١ فلو جوزنا - محالاً - إمكان تدخل يد بشرية في نظم القرآن، كان بمعنى إبطال ذلك التحدي الصارخ. ومن ثمّ كان ما ينسب إلى ابن مسعود: جواز تبديل العهن بالصوف في الآية الكريمة^٢ أو قراءة أبي بكر: «وجاءت سكرة الحق بالموت»^٣ مكذوباً أو هو اعتبار شخصي لا يتسم بالقرآنية في شيء.

ثالثاً: اتفاق كلمة الأئمة في جميع أدوار التاريخ على أنّ النظم الموجود والأسلوب القائم في جمل وتراكيب الآيات الكريمة هو من صنع الوحي السماوي لاغيره. الأمر الذي التزم به جميع الطوائف الإسلامية، على مختلف نزعاتهم وآرائهم في سائر المواضيع. ومن ثمّ لم يتردد أحد من علماء الأدب والبيان في آية قرآنية جاءت مخالفة لقواعد رسموها، في أخذ الآية حجة قاطعة على تلك القاعدة وتأويلها إلى ما يلتزم و تركيب الآية. وذلك علماً منهم بأنّ النظم الموجود في الآية وحي لا يتسرّب إليه خطأ أبنته، وإنما الخطأ في فهمهم هم وفيما استنبطوه من قواعد مرسومة.

مثال ذلك قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ»^٤ فرعموا أنّ الحال لا تتقدّم على صاحبها المجرور بحرف، والآية جاءت مخالفة لهذه القاعدة. ومن ثمّ وقع بينهم جدال عريض ودار بينهم كلام في صحة تلك القاعدة وسقمها^٥ ولجأ ابن مالك أخيراً إلى نبد القاعدة بحجة أنّها مخالفة للآية، قال:

وسبق حال ما بحرف جر قد أبوا ولا أمنعه فقد ورد

١ - الإسراء: من الآية ٨٨.

٢ - القارعة: ١١، ١٠، ٥. راجع: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص ٢٤.

٣ - ق ٥٠، ١٩. راجع: جامع البيان، ج ٢٦، ص ١٠٠، ٤ - سبأ ٣٤، ٢٨.

٥ - راجع: شرح التوضيح، نخلاند الأزهرى، باب التحاق، فصل: وتلحق المؤسسة مع صاحبها ثلاث حالات، واكتشاف تاريخي.

نظم آياته

وأما تأليف الآيات ضمن كل سورة، على الترتيب الموجود، فهذا قد تحقق في الأكثر الساحق.. وفق ترتيب نزولها؛ كانت السورة تبدأ بسم الله الرحمن الرحيم فتسجل الآيات التي تنزل بعدها من نفس هذه السورة، واحدة تلو أخرى تدريجياً حسب النزول، حتى تنزل بسملة أخرى، فيعرف أن السورة قد انتهت وابتدأت سورة أخرى.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان يعرف انتضاء السورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداء لأخرى»^١.

قال ابن عباس: «كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعرف فصل سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم، فيعرف أن السورة قد ختمت وابتدأت سورة أخرى»^٢.

كان كتبة الوحي يعرفون بوجوب تسجيل الآيات ضمن السورة التي نزلت بسملتها، حسب ترتيب نزوله واحدة تلو أخرى كما للنزول، من غير حاجة إلى تصريح خاص بشأن كل آية آية.

هكذا ترتبت آيات السور وفق ترتيب نزولها على عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ما نسّميه «الترتيب الطبيعي» وهو العامل الأول الأساس للترتيب الموجود بين الآيات في الأكثرية الغالبة، سوى ما شذّ على خلاف هذا الترتيب.

والمعروف أن مصحف علي عليه السلام وضع على دقة كاملة من هذا الترتيب الطبيعي للنزول. الأمر الذي تخلّفت عنه مصاحف سائر الصحابة، على ما سنشير.

روى جابر عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ضرب فساطيط لمن يعلم الناس القرآن، على ما أنزل الله جلّ جلاله فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم، لأنه يخالف فيه التأليف»^٣ أي التأليف الحاضر في ترتيب سورته وبعض آياته،

١ - تفسير العياشي، ج ١، ص ١٩، ح ٥.

٢ - المستدرک علی الصحیحین، ج ١، ص ٤٣١؛ وتاريخ النجفوي، ج ٢، ص ٢٧.

٣ - بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٤٣٩، ح ٨٥؛ والإرشاد للمفيد، ج ٢، ص ٢٨٦.

كما نبيّه.

وهناك عامل آخر عمل في نظم قسم من الآيات على خلاف ترتيب نزولها، وذلك بنص من رسول الله ﷺ وتعيينه الخاص؛ كان يأمر - أحياناً - بنبت آية في موضع خاص من سورة سابقة كانت قد ختمت من قبل، ولا شك أنه ﷺ كان يرى المناسبة القرينية بين هذه الآية النازلة والآيات التي سبق نزولها، فيأمر بنبتها معها بإذن الله تعالى.

وهذا جانب استثنائي للخروج عن ترتيب النزول، كان بحاجة إلى تصريح خاص؛ روى أحمد في مسنده عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص بصره، ثم صوبه. ثم قال: أتاني جبرائيل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ...»^١ فجعلت في سورة النحل بين آيات الاستشهاد وآيات العهد. وروى أن آخر آية نزلت قوله تعالى: «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ»^٢ فأشار جبرائيل في الموضع بين آيتي الربا والذين من سورة البقرة.^٣ وعن ابن عباس والسدي: أنها آخر ما نزلت من القرآن. قال جبرائيل: ضعها في رأس الثمانين والمائتين،^٤ ولا تخفي المناسبة القرينية بينها وبين آيتي الربا والذين. وكذا الآية السابقة في سورة النحل؛ وعن ابن عباس أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء، دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.^٥

هذا ممّا لا خلاف فيه، كما صرح بذلك أبو جعفر بن الزبير، قال: «ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين».^٦

وربما كانت تنزل السورة وقبل أن تكتمل، تفتح سورة أخرى وتكتمل هذه الأخيرة قبل أن تكتمل الأولى. وذلك أيضاً كان بأمر النبي ﷺ وبإشارته. كما في سورة البقرة هي

٢ - البقرة ٢: ٢٨١.

١ - النحل ١٦: ٩٠.

٤ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٤٩٤.

٣ - الإفتان، ج ١، ص ١٧٣ و ٧٨.

٥ - أخرجه الترمذي بطريق حسن، والحاكم بطريق صحيح، راجع البرهان للزركشي، ج ١، ص ٤٤١، وتاريخ النيفوي، ج

٦ - الإفتان، ج ١، ص ١٧٢.

٢، ص ٤٦.

أولى سورة ابتدأ نزولها بالمدينة بعد الهجرة. لكنها استمرّ نزولها سنوات حتى إلى ما بعد سنة الست. إذ فيها الكثير من آيات نزلن في هذه الفترات المتأخرة، منها آية «إِنَّ الصَّافَا وَالْمَزُورَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا». أنها نزلت عندما تخرج المسلمون من السعي بين الصفا والمروة لمكان أساف ونائلة عليهما، وكان المشركون وضعوهما على الجبلين يطوفون بهما ويلمسونهما. فنزلت الآية دفعاً لتوهم الحظر. الأمر الذي يستدعي نزولها بعد صلح الحديبية في عمرة القضاء^١ وهو عام الست من الهجرة. أو لعل النبي ﷺ أمر بوضع الآية في هذا الموضع من السورة. والله العالم.

وهكذا نزلت آيات الحج في نفس العام وثبتت في هذه السورة بالذات!

كما نجد آيات ثبتت في مواضع من السور، لا تثبت وتاريخ نزولها، فهل كان ذلك بأمر النبي ﷺ الخاص، أو لسبب آخر لا نعرفه؟ الأمر الذي نجهله حتى الآن.

✽ من ذلك ما نجده في سورة الممتحنة، بتدري، هذه السورة بآيات (١ - ٩) نزلت

في العام الثامن بعد الهجرة، بشأن حاطب بن أبي بلتعة. كان قد كاتب قريشاً يخبرهم بتأهب النبي ﷺ لغزو مكة، وكان النبي ﷺ يحاول الإخفاء

وتتعمق هذه الآيات آيتان نزلتا بشأن سبيعة الأسلمية عام الست من الهجرة، كانت

قد أتت النبي ﷺ مسلمة مهاجرة، تاركة زوجها الكافر، فجاء في طلبها، فاستعصمت بالنبي ﷺ. وصادف مجيؤه صلح الحديبية، كان النبي ﷺ عاهد قريشاً أن يردّ عليهم كلّ

من يأتيه من مكة، فأخذ الزوج في محاججة النبي ﷺ قائلاً: أردد علي امرأتي على ما شرطت لنا وهذه طينة الكتاب لم تجف، فتخرج النبي ﷺ في أمرها، فنزلت الآيتان.

وبعد هاتين الآيتين آيات نزلت بشأن مبايعة النساء عام الفتح وهي سنة التسع من

الهجرة!

١ - تبقرة ٢، ١٥٨.

٢ - روي ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام راجع: تفسير النباشي، ج ١، ص ٦٠، ج ١٣٢، وراجع أيضاً: جامع البيان، ج ٥، ص

وأما الآية الأخيرة من السورة فإنها ترتبط مع آيات العنبر تماماً. ومن ثم قالوا: إن دراسة هذه السورة تعطينا خروجاً على النظم الطبيعي للآيات، من غير ما سبب معروف.^١ ومن ذلك أيضاً ما نجده في سورة البقرة فيما يخص آيات الإمتاع والاعتداد، كان التشريع الأول في المرأة المتوفى عنها زوجها أن تعتد حولا كاملا ولا تخرج من بيت زوجها وكان ميراثها هو الإنفاق عليها ذلك الحول فقط، والآية التي نزلت بهذا الشأن هي قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ»^٢ تم نسخ هذا التشريع بآية الاعتداد: أربعة أشهر وعشراً من نفس السورة.^٣ وبآية المواريث.^٤

قال الإمام الصادق عليه السلام: نسختها - أي آية الامتاع - آية «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»^٥ ونسختها آية المواريث^٦ هذا وطبيعة النسخ تستدعي تأخر النسخ عن المنسوخ، في حين تقدمه عليه بست آيات.
 وكذلك قوله تعالى: «وَأَنْتُمْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...»^٧ قيل: إنها آخر آية نزلت على رسول عليه السلام ولم يعيش بعدها سوى بضعة أيام أو بضعة أسابيع. والآية مشبهة في سورة البقرة في حين أنها أول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة، ونزلت بعدها نيف وعشرون سورة، وروي أن جبرائيل عليه السلام هو الذي أشار على النبي عليه السلام بأن يضعها موضعها من البقرة. وقد تقدم ذلك.

«وآية الإكمال: «الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا عُدْوَانَهُمْ وَاحْتَسُونَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»^٨ قال ابن عباس: لم ينزل بعدها

١ - بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٦٧.

٢ - البقرة ٢٤٤، ٢٤٤.

٣ - البقرة ٢٤٤، ٢٤٤.

٤ - تفسير البرهان، ج ١، ص ٤٣٦، ح ١؛ ومستندرك الوسائل، ج ٣، ص ٢١.

٥ - البقرة ٢٨١، ٢٨١.

٦ - البقرة ٢٤٤، ٢٤٤.

٧ - البقرة ٢٤٤، ٢٤٤.

٨ - البقرة ٢٤٤، ٢٤٤.

فريضة. وكذا قال السدي والجبائي والبلخي^١ وروى عن الإمامين الصادقين عليهما السلام أيضاً^٢. قال ابن عساکر والمخيطب: إنها نزلت في غدیر خم عند منصرفه عليه السلام من حجّة الوداع بعد ما نصب علياً عليه السلام بالولاية. فنزل بها جبرائيل عليه السلام. وفي عبارة السدي لم ينزل بعدها حلال ولا حرام^٣.

هذا وهي متبنة في سورة المائدة برقم ٣. وآيات الأحكام بعدها كثيرة، كآية تحليل الطيبات والصيد برقم ٤. وآية طعام أهل الكتاب برقم ٥. وآية الوضوء برقم ٦. وآية السارق برقم ٣٨. وآية الإيمان برقم ٨٩. وآية الخمر برقم ٩٠. وآية تحريم الصيد برقم ٩٥. وآية تحريم ما حلله المشركون برقم ١٠٣. وآية الإشهاد على الوصيّة برقم ١٠٧. كل ذلك أحكام تشريعية سجلت بعد آية الإكمال في حين أنها نزلت قبلها قطعاً. فلا بدّ هناك من مناسبة لإحكام مثل هذه الآية بين آيات تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، وإن كنا نجهلها في ظاهر الأمر.

وينبغي أن لا نتغافل جانب «أصالة السياق» في الآيات فإنها محفوظة حسب طبيعتها الأولى، بمعنى أن الأصل الأوّلي هو البناء على أن الترتيب القائم هو ترتيب النزول، إلا إذا ثبت خلافه بدليل، ولم يثبت إلا نادراً. ولأن ما ثبت قليلاً خلاف موضعه الأصلي، فإنما كان بأمر النبي عليه السلام وبإرشاده الخاص، فلا بدّ من مناسبة ملحوظة في ذلك، وكفى بذلك في حكمة السياق، والحكم بتوقيفية النظم القائم بين الآيات ولا يجوز الخلاف!

وسوف نتعرض لهذا الجانب بتفصيل عند الكلام عن سياق الآيات (رابطها ضمن كل

سورة) في فصل «الإعجاز البياني»^٤ إن شاء الله.

١ - اندر المنثور، ج ٢، ص ٢٥٧ - ٢٥٩، ومجمع البيان، ج ٣، ص ١٥٩.

٢ - مجمع البيان، ج ٣، ص ١٥٩. ٣ - اندر المنثور، ج ٢، ص ٢٥٩.

٤ - في الجزء الخامس من التمهيد.

ترتيب السور

وأما جمع السور وترتيبها بصورة مصحف مؤلف بين دفتين، فهذا قد حصل بعد وفاة النبي ﷺ، انقضى العهد النبوي والقرآن منثور على العصب والملخاف والرقاع وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع وبعض الحرير والقراطيس وفي صدور الرجال. كانت السور مكتملة على عهده ﷺ مرتبة آياتها وأسمائها، غير أن جمعها بين دفتين لم يكن حصل بعد. نظراً لترقب نزول قرآن على عهده ﷺ فما دام لم ينقطع الوحي لم يصح تأليف السور مصحفاً إلا بعد الاكتمال وانقطاع الوحي، الأمر الذي لم يكن يتحقق إلا بانتضاء عهد النبوة واكتمال الوحي.

قال أبو الحسين ابن فارس في «المسائل الخمس»: «جمع القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السور، كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين، فهذا الضرب هو الذي تولته الصحابة. وأما الجمع الآخر - وهو جمع الآيات في السور - فهو توقيفي تولاه النبي ﷺ». وقال جلال الدين السيوطي: «كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتبة السور». وهكذا ذهب سيّدنا العلامة الطباطبائي إلى أن القرآن لم يكن مؤلفاً على عهد رسول الله ﷺ. قال: «تأليف القرآن وجمعه مصحفاً واحداً إنما كان بعدما قبض النبي ﷺ بلاشكال». وأكد على أن ترتيب السور على ما هو عليه الآن شيء حصل بفعل الصحابة وعن اجتهاد منهم وردّ على من زعم التوقيف في ترتيب السور.^٤

وأول من قام بجمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، وبوصية منه ﷺ هو الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه). قال الإمام الصادق عليه السلام: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي! القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه

١ - التعميد، جريدة ادخل إذا كسّط فوصفها، واندهف، حجارة بيض رقاق، والأديم، الجلد المدبوغ.

٢ - البرهان للزركشي، ج ١، ص ٢٣٧. ٣ - الإمتان، ج ١، ص ١٦٤.

٤ - راجع تفسير التبريزان، ج ١٢، ص ١٢٤ و ١٣١، وج ٣، ص ٧٨ - ٧٩.

ولانتضيهوه. ^١ تمّ قام بجمعه زيد بن ثابت بأمر من أبي بكر. كما قام بجمعه كل من ابن مسعود وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم، حتى انتهى الأمر إلى دور عثمان، فقام بتوحيد المصاحف وإرسال نسخ موحدة إلى أطراف البلاد، وحمل الناس على قراءتها وترك ما سواها. على ما سنذكر.

كان جمع علي بن أبي طالب وفق ترتيب النزول: المكيّ مقدّم على المدني. والمنسوخ مقدّم على الناسخ. مع الإشارة إلى مواقع نزولها ومناسبات النزول. قال الكلبي: لما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب عليه في بيته فجمعه على ترتيب نزوله. ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير. ^٢ وقال عكرمة: واجتمعت الإنس والجنّ على أن يألفوه كتاباً يقرأ به علي بن أبي طالب عليه ما استطاعوا. ^٣

وأما جمع غيره من الصحابة فكان على ترتيب آخر: قدّموا السور الطوال على القصار، فقد أثبتوا السبع الطوال (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، يونس) قبل المئين (الألقاب، ^٤ براءة، النحل، هود، يوسف، الكهف، الإسراء، الأنبياء، طه، المؤمنون، الشعراء، الصافات) ثم المئين (هي التي تقلّ آياتها عن المائة وهي عشرون سورة تقريباً) ثم العواميم (السور التي افتتحت بحم) ثم المفصلات (ذوات الآيات القصار) لكثرة فواصلها. وهي السور الأخيرة في القرآن.

وهذا يقرب نوعاً ما من الترتيب الموجود الآن على ما سيأتي.

نعم لم يكن جمع زيد مرتباً ولا منتظماً كمصحف، وإنما كان الاهتمام في ذلك الوقت على جمع القرآن عن الضياع وضبط آياته وسوره حذراً عن السلف بموت حامله، فدوّنت في صحف وجعلت في ملئفة، وأودعت عند أبي بكر مدة حياته، ثم عند عمر بن الخطاب حتى توفاه الله، فصارت عند ابنته حفصة، وهي النسخة التي أخذها عثمان

١ - بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٤٨، ج ٧ تفسير آتقي، ج ٢، ص ٤٥١.

٢ - التمهيد لتلويح التنزيل، ج ١، ص ٤.

٣ - الإيقان، ج ١، ص ١٦٦.

٤ - هذا في مصحف أبي بن كعب، نكأها في مصحف ابن مسعود بن الصافي، لأنها تقلّ من المائة، آياتها: ٧٥، راجع: القائمة الآتية.

لمتابلة المصاحف عليها، ثم رده عليها، وكانت عندها إلى أن ماتت، فاستلبها مروان من ورثتها حينما كان والياً على المدينة من قبل معاوية، فأمر بها فشققت.
وسنذكر كل ذلك بتفصيل.

تمحيص الرأي المعارض

ما قدمناه هو المعروف عن رواية الآثار، وعند الباحثين عن شؤون القرآن، منذ الصدر الأول فإلى يومنا هذا، ويوشك أن يتفق عليه كلمة أرباب السير والتواريخ. ولكن مع ذلك نجد من ينكر ذلك التنصيص في جمع القرآن، ويرى أن القرآن بنظمه القائم وترتيبه الحاضر كان قد حصل في حياة الرسول ﷺ.

وقد ذهب إلى هذا الرأي جماعة من علماء السلف كالقاضي أبي بكر بن الطيب و أبو بكر ابن الأباري والكرماني والطبي،^١ ووافقهم علم الهدى السيد المرتضى رحمته قال: كان القرآن على عهد عليه السلام مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن. واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتلى عليه.

وإن جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة ختمات. وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبنوث.^٢

١ - راجع: الإفتان، ج ١، ص ١٧٦.

وحاول الإمام بدر الدين الزركشي التوفيق بين الفريقين وأن اختلاف نطقي، نظراً لأن الأقاليم بالتوقيف في ترتيب السور، يعني: أنه رُمز إليهم بذلك نعاليم بأسباب نزولهم ومواقع كتاباتهم. ولهذا قال الإمام مالك: إنما أُنقوه على ما وعده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم، قال اختلاف إني أنه: هل ذلك بتوقيف قولي أم بمجرد استناد قولي وسجبت بقي نهم فيه مجال للنظر، راجع: الترهان، ج ١، ص ٢٥٧.

قلت: ويمكن حصل كلام السيد أيضاً على إرادة اكتساب السور من غير أن تكون أيها متفرقة مبنوثاً!

٢ - مجمع البيان، ج ١، ص ١٥.

لكن حفظ القرآن هو بمعنى حفظ جميع سورته التي اكتملت آياتها، سواء أكان بين السور ترتيب أم لا. وهكذا ختم القرآن هو بمعنى قراءة جميع سورته من غير لحاظ ترتيب خاص بينها، أو الحفظ كان بمعنى الاحتفاظ على جميع القرآن النازل لحدّ ذلك والتحفظ عليه دون الضياع والتفرقة، الأمر الذي لا يدلّ على وجود ترتيب خاص كان بين سورته كما هو الآن.

هذا وقد ذهب إلى ترجيح هذا الرأي أيضاً، سيّدنا الأستاذ الإمام الخوئي رحمته الله نظراً إلى الأمور التالية:

أولاً: أحاديث جمع القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بنفسها متناقضة، تتضارب مع بعضها البعض، ففي بعضها تحديد زمن الجمع بعهد أبي بكر، وفي آخر بعهد عمر وفي ثالث بعهد عثمان. كما أنّ البعض ينصّ على أنّ أول من جمع القرآن هو زيد بن ثابت، وآخر ينصّ على أنّه أبو بكر، وفي ثالث أنّه عمر إلى أمثال ذلك من تناقضات فاهرة.

ثانياً: معارضتها بأحاديث دلت على أنّ القرآن كان قد جمع على عهد النبي صلى الله عليه وآله منها حديث الشعبي، قال: جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله سنة أبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وسعد بن عبيد وأبو زيد. وفي حديث أنس أنهم أربعة: أبي ومعاذ وزيد وأبو زيد وأمثال ذلك.

ثالثاً: منافاتها مع آيات التحدّي، التي هي دالة على اكتمال سور القرآن وتمايز بعضها عن بعض. ومتناقضية أيضاً مع إطلاق لفظ الكتاب على القرآن في لسانه صلى الله عليه وآله الظاهر في كونه مؤلفاً كتاباً مجموعاً بين دفتين.

رابعاً: مخالفة ذلك مع حكم العقل بوجوب اهتمام النبي صلى الله عليه وآله بجمعه وضبطه عن الضياع والإهمال.

خامساً: مخالفته مع إجماع المسلمين، حيث يعتبرون النصّ القرآني متواتراً عن النبي نفسه صلى الله عليه وآله في حين أنّ بعض هذه الروايات تشير إلى اكتفاء الجامعين بعد الرسول صلى الله عليه وآله بشهادة رجلين أو رجل واحد.

سادساً: استلزام ذلك تحريفاً في نصوص الكتاب العزيز حيث طبيعة الجمع المتأخر تستدعي وقوع نقص أو زيادة في القرآن. وهذا مخالف لضرورة الدين.^١
 وزاد بعضهم: أن في المناسبة الموجودة بين كل سورة مع سابقتها ولاحققتها لدليلاً على أن نظمها وترتيبها كان بأمر الرسول ﷺ إذ لا يعرف المناسبة بهذا الشكل المبدع البالغ حد الإعجاز غيره ﷺ.

لكن يجب أن يُعلم أن قضية جمع القرآن حدث من أحداث التاريخ،^٢ وليست مسألة عقلانية قابلة للبحث والجدل فيها. وعليه فيجب مراجعة النصوص التاريخية المستندة، من غير أن يكون مجال لتجوال الفكر فيها على أية حال!

وقد سبق اتفاق كلمة المؤرخين ونصوص أرباب السير وأخبار الأمم، ووافقهم أصحاب الحديث طراً، على أن ترتيب السور شي، حصل بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يكن بالترتيب الذي نزلت عليه السور.

وبعد.. فلا نرى أي مناقضة بين روايات جمع القرآن، إذ لا شك أن عمر هو الذي أشار على أبي بكر بجمع القرآن، وهذا الأخير أمر زيد أن يتصدى القضية من قبله، فيصح إسناد الجمع الأول إلى كل من الثلاثة بهذا الاعتبار.

نعم نسبة الجمع إلى عثمان كانت باعتبار توحيد المصاحف ونسخها في صورة موحدّة. وأما نسبة توحيد المصاحف إلى عمر فهو من اشتباه الراوي قطعاً، لأن الذي فعل ذلك هو عثمان بإجماع المؤرخين.

١ - راجع: البيان في تفسير القرآن، ص ٢٥٧ - ٢٧٨.

٢ - ولابد أن يكون تبتاً في التاريخ ولاسيما في مثل هذا الحدث الخطير وتم يثبت (أو كان تبارك). وتحدث التاريخي ثلاثة أركان أساسية: بطن اتحادية، زمن اتحادية ومخاطبها. ولابد لمن يزعم أن جمع القرآن بين دفتين وقع في زمن النبي ﷺ، ويأمر منه، أن يضع يده أولاً على الشخص أو الأشخاص الذين كلفهم النبي باتقياد مثل هذه المهمة: من كانوا ثم في أي زمان: قبل الهجرة أو بعدها وفي أي عام وقعت هذه الاتحادية؟ وأخيراً: أي مكة أم في المدينة، في المسجد أو في غيره من سائر البقاع؟ وإذا كانت هذه الأركان «جهوتة» في مثل هذا الحدث الخطير، فترك التعرض له أولى!

إذن، لا تستند هذه ادعوى تاريخياً!

وحديث ستة أو أربعة جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ فمعناه: الحفظ عن ظهر القلب، حفظوا جميع الآيات النازلة لحدّ ذلك الوقت، أمّا الدلالة على وجود نظم كان بين سورته فلا.

وأما حديث التحدي فكان بنفس الآيات والسور، وكلّ آية أو سورة قرآن، ولم يكن التحدي يوماً ما بالترتيب القائم بين السور، كي يتوجّه الاستدلال المذكور!

على أنّ التحدي وقع في سور مكّية أيضاً، ولم يجمع القرآن قبل الهجرة قطعياً، واهتمام النبي ﷺ بشأن القرآن، شيء لا ينكر، ومن ثمّ كان حريصاً على ثبت الآيات ضمن سورها فور نزولها، وقد حصل النظم بين آيات كلّ سورة في حياته ﷺ، أمّا جمع السور بين دفتين وترتيبها كمصحف موحد، فلم يحصل حينذاك، نظراً لتربّب نزول قرآن عليه، فمالم ينقطع الوحي لا يصحّ جمع القرآن بين دفتين ككتاب. ومن ثمّ لمّا أيقن بانقطاع الوحي بوفاة ﷺ، أوصى إلى علي عليه السلام بجمعه.

ومعنى تواتر النص القرآني: هو التقطع بكونه قرآن، الأمر الذي كان يحصل بإخبار جماعة وشهادة آخرين بأنّه قرآن ولا يستمد من الصحابة الأوّلين، الأمر الذي كان قد التزمه زيد في الجمع الأوّل كما يأتي. وليس التواتر - هنا - بمعناه المصطلح عند المتأخرين. وأمّا استلزام تأخر الجمع تحريفاً في كتاب الله، فهو احتمال مجرد لاسنده بعد معرفتنا بضبط الجامعين وقرب عهدهم بنزول الآيات وشدّة احتياطهم على الوحي بما لا يدع مجالاً لتسرّب احتمال زيادة أو نقصان.

وأخيراً فإنّ قولة البعض الأخيرة، فهي لا تعدو خيالاً فارغاً، إذ لامناسبة ذاتية بين كلّ سورة وسابقتها أو تاليها، سوى ما زعمه بعض المفسرين المتكلّنين، وهو تمحل باطل بعد إجماع الأئمة على أنّ ترتيب السور كان على خلاف ترتيب النزول بلاشك. وقد تقدّم حديث الفساطيط المضروبة لتعليم القرآن على خلاف الترتيب المألوف.^١

١ - يونس ٣٨، هود ١١، الإسراء ١٧، ٨٨، ومن مكّيات.

٢ - الإسراء لتفصيح: ص ٤٨٦ وبحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٢٩ ح ٨٤.

وقد يترأى لبعض الباحثين الجدد، أن التعبير بلفظ «المصحف» الوارد في أحاديث الرسول وعلى لسانه ﷺ ليصلح شاهداً على وقوع الجمع وتنسيق السور مع بعضها، في ذلك العهد، إذ لو لم يكن هناك تدوين وجمع بالمعنى الذي يتبادر إلى الذهن، لما صح هذا التعبير ولا كان تمة مبرر لإطلاق لفظ «مصحف» أو «مصاحف» على القرآن.^١

لكن لا موضع لهذا الاستشهاد، بعد أن كان «المصحف» اسماً لمجموعة صحائف مكتوبة انضم بعضها إلى بعض، وربما ربطت بخيط ونحوه، أو وضعت في ملفة أو محفظة وماشاكل، حفظاً لها عن التفرق والضياع، سواء أكان بينها تنسيق ونظم، ليصح إطلاق التدوين عليها، أم لم يكن.

قال ابن دريد: والصُّحف، واحدها صحيفة، وهي القطعة من آدم أبيض أو رَقّ يكتب فيه. وتجمع صحائف، وربما جمعوها الصحيفة صحافاً... والمصحف - بكسر الميم - لغة تميمية، لأنه صحفٌ جمعت، فأخرجوه مخرج مشغل مما يتعاطى باليد. وأهل نجد يقولون: المصحف - بضم الميم - لغة علوية كأنهم قالوا: أصحف فهو مصحف إذا جمع بعضه إلى بعض.^٢

مركز تحقيقات كليات العلوم - بدمشق

وقال الخليل: وسُمي المصحف مصحفاً، لأنه أصحف، أي جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين.^٣

وكانت السورة القرآنية تكتمل وتكتب آياتها منظمّة ومرتبّة حسب النزول، حتى تنزل سورة أخرى بنزول بسمليتها. وكانت تكتب في ورقة من قرطاس أو قطعة من أديم أو رق، و تحفظ برأسها. وهكذا كل سورة سورة. ومن طبيعة الحال أن هذه السور المكتملة كانت تحتفظ وتجمع في مكان. في نحو صندوق أو كيس ونحو ذلك. ولكن من غير أن يجعل لها ترتيب أو تنظيم بتقديم الطوال على القصار على غرار تنظيمها الحاضر. وذلك لأن القرآن لما ينزل نزوله، وكان يترتب نزول سور وآيات، مادام الوحي القرآني لم ينقطع،

٢ - جبهة اللغة، ج ٢، ص ١٦٤.

١ - حقائق هامة، ص ٨٢.

٣ - العين، ج ٣، ص ١٢٠.

والرسول ﷺ على قيد الحياة.

إذن فمجموعة السور النازلة في كل عام ولحدّ ذلك الحين وكانت مكتوبة على صحائف، كانت تُحتفظ في وعاء، وربما كانت متعددة لدى الصحابة، كلُّ له مجموعة منها في بيته. وبذلك صحَّ إطلاق لفظ «المصحف» على كلِّ من تلك المجموعات، بهذا الاعتبار لا غير.

وبذلك تعرف ترادف لفظي القرآن والمصحف، غير أن الأول كان باعتبار اللفظ المقروء، وكان الثاني باعتبار اللفظ المكتوب على صحيفة. فكما أن القرآن يطلق على قليله وكثيره، ومن غير دلالة على تنسيق سُوره ذلك الحين، فكذلك لفظ المصحف من غير فرق.

ومن ثمَّ نجد تبادل لفظ المصحف بالقرآن في نفس الروايات التي استشهد بها المستدلُّ. وقد اعترف بذلك.^١

هذا على فرض صحة إسناد الروايات التي جاء فيها لفظ «المصحف» مسنداً له إلى النبي ﷺ ولم يكن من تعبير الرواية نقلاً بالمعنى حسب متفاهم عهده المتأخر، والأرجح أنه كذلك نقل بالمعنى لا بالنص!

إذاً لا يملك معارضونا دليلاً يُحِيننا عن الذي عزمنا عليه من تفصيل حديث الجمع، وإليك:

جمع علي بن أبي طالب عليه السلام

أول من تصدَّى لجمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، وبوصيته منه هو علي بن أبي طالب عليه السلام. أقعد في بيته مشغلاً بجمع القرآن وترتيبه على ما نزل، مع شروح وتفسير لمواضع مبهمة من الآيات، وبيان أسباب النزول ومواقع النزول بتفصيل حتى أكمله على

١ - حقائق هامة، ص ٨٥.

٢ - تفسير القمي، ج ٢، ص ٤٥١؛ وبحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٤٨، ح ٥، ص ٥٢، ح ١٨.

هذا النمط البديع.

قال ابن النديم - بسند يذكره -: إن علياً عليه السلام رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله فأقسم أن لا يضع رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قبله^٢ وكان هذا المصحف عند آل جعفر.

قال: ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني عليه السلام مصحفاً قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب، يتوارثه بنو حسن^٣.

وهكذا روى أحمد بن فارس عن السدي عن عبد خير عن علي عليه السلام^٤.

وروى محمد بن سيرين عن عكرمة، قال: لما كان بدء خلافة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته يجمع القرآن. قال: قلت لعكرمة: هل كان تأليف غيره كما أنزل الأول فالأول؟ قال: لو اجتمعت الإنس والجن علي أن يألوه هذا التأليف ما استطاعوه.

قال ابن سيرين: فطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه^٥.

قال ابن جزى الكلبي: كان القرآن علي عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال فلما توفي، جمعه علي بن أبي طالب علي ترتيب نزوله. ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ولكنه لم يوجد^٦.

قال الإمام الباقر عليه السلام: ما من أحد من الناس يقول أنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذب. وما جمعه وما حفظه كما أنزل الله إلا علي بن أبي طالب^٧.

قال الشيخ الحفيد - في المسائل السروية -: وقد جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن المنزل

١ - ونعاه سهو من تراوي، لأن تصحيحه عليه السلام أكمل جمع القرآن بعد سنة شهر، كان لا يرتدي خلاتها إلا لتصلاته. انصاف، ج ٢، ص ٤٠.

٢ - قال ابن عباس: فجمع الله القرآن في قلب علي، وجمعه علي بعد موت رسول الله بمئة شهر. المصدر. ٣ - اندهرست، ص ٤٧ - ٤٨.

٤ - في كتابه «انصاحي»، ص ٢٠٠، وهامش تأويل مشكل القرآن، ص ٤٧٥.

٥ - الإفتان، ج ١، ص ١٦٦، وراجع: التطبيقات، ج ٢، ق ٤، ص ١٠١، والاستنباب بهامش الاصابة، ج ٢، ص ٢٤٣.

٦ - التسهيل لعلوم التنزيل، ج ١، ص ٤. ٧ - بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٨٨، ح ٢٧.

من أوله إلى آخره، وألفه بحسب ما وجب تأليفه، فتقدم المكي علي المدني والمنسوخ علي الناسخ، ووضع كل شيء منه في حقه.^١

وقال العلامة البلاغي: من المعلوم عند الشيعة أن علياً أمير المؤمنين بعد وفاة رسول الله ﷺ لم يرتد برداء إلا للصلاة حتى جمع القرآن علي ترتيب نزوله وتقدم منسوخه علي ناسخه. وأخرج ابن سعد وابن عبد البر في الاستيعاب عن محمد بن سيرين، قال: نبت أن علياً أبناً عن بيعة أبي بكر، فقال: أكرهت إمارتي؟ فقال: آليت بيمينني أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن. قال: فزعموا أنه كتبه علي تنزيله. قال محمد: فلو أصبت ذلك الكتاب كان فيه علم.^٢

قال ابن حجر: وقد ورد أن علياً جمع القرآن علي ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ أخرج ابن أبي داود.^٣

قال ابن شهر آشوب: ومن عجب أمره في هذا الباب أنه لا شيء من العلوم إلا وأهله يجعلون علياً قدوة، فصار قوله قبلة في الشريعة. فمنه سمع القرآن. ذكر الشيرازي في نزول القرآن عن ابن عباس قال: ضمن الله محمد أن يجمع القرآن بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فجمع الله القرآن في قلب علي، وجمعه علي بعد موت رسول الله ﷺ ستة أشهر...

قال: وفي أخبار أبي رافع: أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي توفي فيه - لعلي -: يا علي هذا كتاب الله خذها إليك، فجمعه علي في توب ومضى إلى منزله، فلما قبض النبي ﷺ جلس علي فآلفه كما أنزل الله، وكان به عالماً.

قال: وحدّثني أبو العلاء العطار، والموفق خطيب خوارزم في كتابيهما بالإسناد عن علي بن رباح: أن النبي ﷺ أمر علياً بتأليف القرآن فألفه وكتبه.

١ - المصدر، ص ٧٤.

٢ - آلاء الرحمن، ج ١، ص ١٨، باهامش؛ وراجع: الفقهات، ج ٢، ق ٢، ص ١٠١، والاستيعاب بهامش الاصل، ج ٢، ص

٣ - الإفتان، ج ١، ص ٢٠٢.

وروى أبو نعيم في الحلية والخطيب في الأربعين بإسناد عن السدي، عن عبد خير، عن علي عليه السلام، قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقسمت أن لا أضع ردائي على ظهري حتى أجمع ما بين الموحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن.

قال: وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام: أنه صلى الله عليه وآله آلى على نفسه أن لا يضع رداءه على عاتقه إلا للصلاة حتى يؤلف القرآن ويجمعه، فانتقطع عنهم مدة إلى أن جمعه، ثم خرج إليهم به في إزار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فأكروا مصيره بعد انقطاع مع الإلية. فقالوا: لأمر ما جاء أبو الحسن، فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إني مخلّف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي. وهذا الكتاب، وأنا العترة. فقام إليه الثاني وقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله، فلا حاجة لنا فيكما. فحمل صلى الله عليه وآله الكتاب وعاد به بعد أن ألزمهم الحجّة.

وفي خبر طويل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه حملته وولّى راجعاً نحو حجرته، وهو يقول: «فَبَدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَسَ مَا يَشْتَرُونَ»^١.

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

وصف مصحف علي عليه السلام

امتاز مصحفه عليه السلام أولاً: بترتيبه الموضوع على ترتيب النزول، الأول فالأول في دقّة فائقة.

ثانياً: إتيان نصوص الكتاب كما هي من غير تحوير أو تغيير أو أن تشدّ منه كلمة أو آية.

ثالثاً: إتيان قراءته كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وآله حرفاً بحرف.

رابعاً: اشتماله على توضيحات - على الهامش طبعاً - وبيان المناسبة التي استدعت نزول الآية، والمكان الذي نزلت فيه، والساعة التي نزلت فيها، والأشخاص الذين نزلت فيهم.

١ - أن عمران ٣: ٧٨٧. راجع: المناقب، ج ٢، ص ٤٤ - ٤٦؛ وبحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٥٦ - ٥٢، ح ١٨.

خامساً: اشتماله على الجوانب العامة من الآيات بحيث لا تخص زماناً ولا مكاناً ولا شخصاً خاصاً. فهي تجري كما تجري الشمس والقمر. وهذا هو المقصود من التأويل في قوله عليه السلام: «ولقد جئتهم بالكتاب مشتملاً على التنزيل والتأويل»^١.
فالتنزيل هي المناسبة الوقفية التي استدعت النزول. والتأويل هو بيان المعنى العام. كان مصحف علي عليه السلام مشتملاً على كل هذه الدقائق التي أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وآله من غير أن ينسى منها شيئاً أو يشتبه عليه شيء.

قال عليه السلام: ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله إلا قرأنيها وأملاها علي، فأكتبها بخطي. وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها. ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه علي. فكتبته منذ دعا لي مادعاً^٢.

وعن الأصمغ بن نباته، قال: قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة، صلى بهم أربعين صباحاً يقرأ بهم سبح اسم ربك الأعلى، فقال المنافقون: لا والله ما يحسن ابن أبي طالب أن يقرأ القرآن، ولو أحسن أن يقرأ القرآن لقرأنا غير هذه السورة! قال: فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال: ويل لهم إنني لأعرف ناسخه من منسوخه ومحكمه من متشابهه وفصله من فصائه وحروفه من معانيه، والله ما من حرف نزل على محمد صلى الله عليه وآله إلا أني أعرف فيمن أنزل وفي أي يوم وفي أي موضع. ويل لهم أما يقرأون: «لن هذا لي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى»^٣ والله عندي ورتتهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أنهي رسول الله صلى الله عليه وآله من إبراهيم وموسى عليهما السلام ويل لهم والله أنا الذي أنزل الله في: «وكتبها أنن وإميمة»^٤ فإنما كتبنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيخبرنا بالوحي فأعياه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال أنفاً؟^٥
هذا... ولليقوبي وصف غريب عن مصحف علي عليه السلام: يجزئه سبعة أجزاء كل جزء

١ - آلاء الرحمن، ج ١، ص ٢٥٧.

٢ - تفسير التبرهان، ج ١، ص ١٦، ج ١٤.

٣ - الحاقي، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩.

٤ - تفسير التبرهان، ج ١، ص ١٤، ج ١.

٥ - تفسير التبرهان، ج ١، ص ١٤، ج ١.

يحتوي على ستّ عشرة أو خمس عشرة سورة، لتكون مجموع السور مائة وإحدى عشرة سورة!! وكلّ جزء لا بدّ أن تبلغ آياته ثمانمائة وستّ وثمانين آية، فيكون مجموع آيات المصحف ستة آلاف واثنين ومائتي آية!

ويجعل مبدأ الجزء الأول: سورة البقرة ثمّ سورة يوسف ثمّ العنكبوت، وينتهي إلى سورة الأعلى والبيّنة. ويسمّيه جزء البقرة.

ويجعل مبدأ الجزء الثاني: آل عمران ثمّ هود والحج، وينتهي إلى سورة النبل وقريش، ويسمّيه جزء آل عمران.

ويجعل مبدأ الجزء الثالث: سورة النساء وآخره النمل. ويسمّيه جزء النساء. ومبدأ الجزء الرابع: المائدة وآخره الكافرون. ومبدأ الجزء الخامس: الأنعام، ومنتهاه التكاثر. ومبدأ الجزء السادس: الأعراف، ومنتهاه النصر. ومبدأ الجزء السابع: الأنفال وآخره الناس.

وهكذا يوزع السور الطوال على مبادئ الأجزاء السبع ويتدرّج إلى القصار ويسمي كلّ جزء باسم السورة التي بدأها بها. وهذا الوصف يخالف تماماً وصف الآخرين: إنّه كان مرتباً حسب النزول. قال جلال الدين: كان أوّل مصحف علي عليه السلام سورة اقرأ ثمّ سورة المدثر ثمّ نون ثمّ المزمل ثمّ تبتّ ثمّ التكوير... وهكذا إلى آخر ترتيب السور حسب نزولها ومن ثمّ فهذا الوصف مخالف لإجماع أرباب السير والتأريخ.

ومن الغريب أنّه جعل الم تنزيل والسجدة سورتين. وحم والمؤمن سورتين. وطى والنحل سورتين. ونسم والشعراء سورتين. في حين أنّ كلّاً منهما سورة واحدة. وعبر عن سورة الأنبياء بسورة اقتربت، في حين أنّها تبتدئ بقوله تعالى: «اقترب لِلنَّاسِ جَاهُهُمْ».

وهذه الغفلة من مثل أحمد بن الواضح الكاتب الإخباري شريفة جداً!

أمد مصحف علي عليه السلام

روى سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) قال: لما رأى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) غدر الناس به لزم بيته وأقبل على القرآن يؤنثه ويجمعه، فلم يخرج من بيته حتى جمعه. وكان في الصحف والشظاظ والأشبار والرقاع.^١ وبعث القوم إليه ليبيع فاعتذر باشتغاله بجمع القرآن، فسكتوا عنه أياماً حتى جمعه في ثوب واحد وختمه ثم خرج إلى الناس - وفي رواية اليعقوبي: حملته على جمل وأتى به إلى القوم -^٢ وهم مجتمعون حول أبي بكر في المسجد، وخاطبهم قائلاً: إني لم أزل منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله مشغولاً بغسله وتجهيزه، ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد ولم ينزل الله علي نبيته آية من القرآن إلا وقد جمعتها، وليس منه آية وقد أقرنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمني تأويلها. لئلا تقولوا غداً إننا كنا عن هذا غافلين!

فقام إليه رجل من كبار القوم - وفي رواية أبي زر: فنظر فيه فلان وإذا فيه أشياء -^٣ فقال: يا علي، اردده فلاحاجة لنا فيه، ما أختانا بما معنا من القرآن، عما تدعوننا إليه، فدخل علي عليه السلام بيته.^٤

مرزوقية كاتبة علوم إسلامية

وفي رواية: قال علي عليه السلام: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان علي أن أخبركم حين جمعته لتقرأوه.^٥

وقد تقدم كلام ابن النديم: كان مصحف علي يتوارثه بنو الحسن عليه السلام والصحيح عندنا: أن مصحفه عليه السلام يتوارثه أوصياؤه الأئمة من بعده، واحداً بعد واحد لا يرونه لأحد.^٦

وفي عهد عثمان حيث اختلفت المصاحف وأثارت ضجة بين المسلمين، سأل طلحة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لو يخرج للناس مصحفه الذي جمعه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله

١ - التصحف: جمع صحيفة، وهي الورقة من كتاب أو قرطاس. والشظاظ: خشبة محددة، يجمع على شظاة. والأشبار خشبة أو صخرة أو عظمة مرققة مصفوفة. والرقاع: جمع رقعة، وهي القطعة من الورق يكتب عليها.

٢ - تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٥. ٣ - الاحتجاج تطيرسي، ج ١، ص ٢٢٥-٢٢٨. ٤ - كتاب سليم بن قيس، ص ٨١-٨٢. ٥ - الصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٥. ٦ - بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٤٢، ج ١.

وأتى به إلى القوم فرفضوه. قال: وما يمنعك - يرحمك الله - أن تخرج كتاب الله إلى الناس؟ فكفَّ عليه السلام عن الجواب أولاً، فكرر طلحة السؤال، فقال: لا أراك يا أبا الحسن أجبني عما سألتك من أمر القرآن إلا تظهره للناس؟

قال عليه السلام: يا طلحة عمداً كفت عن جوابك. فأخبرني عما كتبه القوم أقرآن كله أم فيه ما ليس بقرآن؟ قال طلحة: بل قرآن كله. قال عليه السلام: إن أخذتم بما فيه نجوت من النار ودخلتم الجنة.. قال طلحة: حسبي أمّا إذا كان قرآناً فحسبي^١. هكذا حرص الإمام وأوصياؤه عليهم السلام على حفظ وحدة الأمة فلا تختلف بعد اجتماعها على ما هو قرآن كله.

جمع زيد بن ثابت

كان ذلك الرفض القاسي لمصحف علي عليه السلام يستدعي التفكير في القيام بمهمة جمع القرآن مهما كلف الأمر، بعد أن أحس الناس بضرورة جمع القرآن في مكان، ولاسيما كانت وصية نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم بجمعه عليه السلام لا يضيع، كما ضاعت اليهود توراتهم^٢. هذا والقرآن هو المرجع الأول للتشريع الإسلامي، والأساس الركين لبناية صرح الحياة الاجتماعية في كافة شؤونها المختلفة آنذاك، ولا يصح أن يبقى منقراً على العسب والخاف وفي صدور الرجال، ولاسيما وقد استحرّ القتل بكثير من حامليه، ويوشك أن يذهب القرآن بذهاب حامليه، فقد قتل منهم سبعون في واقعة اليمامة، وفي رواية: أربعمائة^٣.

وهذه الفكرة أبدأها عمر بن الخطاب، واقترح علي أبي بكر - وهو ولي المسلمين يوم

١ - سليم بن قيس، ص ١٢٤؛ وبحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٤٢، ج ١.

٢ - تفسير التقي، ج ٢، ص ٤٥١؛ وبحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٤٨، ج ٧.

٣ - فتح الباري، ج ٧، ص ٤٤٧؛ وفي تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٩٦؛ قتل من المهاجرين والأنصار من قسبة المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون ومن المهاجرين من غير أهل المدينة ثلاثمائة ومن التابعين ثلاثمائة. وفي كتاب أبي بكر إني خاند (ص ٣٠٠): دم أنف ومائتي رجل من المسلمين ثم يجف بعد...

ذاك - أن يتدب لذلك من تتوفر فيه شرائط القيام بهذه المهمة الخطيرة، فوق اختيارهم على زيد بن ثابت، وهو شاب حدث فيه مرونة حدائثة السن، وله سابقة كتابة الوحي أيضاً. فقد ملك الجدارة الذاتية من غير أن يخشى منه على جوانب الخلافة الفتية في شيء، كما كان يخشى من غيره من كبار الصحابة، وفيهم شيء من المناعة والجموح وعدم الانقياد التام لميول السلطة واتجاهاتها آنذاك.

قال زيد: أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، وعمر جالس عنده. قال: إن هذا - وأشار إلى عمر - أتاني وقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرآن القرآن، وأخاف أن يستحرّ بهم القتل في سائر المواطن فيذهب كثير من القرآن وأشار عليّ بجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف نعمل ما لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال: هو والله خير. فلم يزل يراجعني عمر حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت الذي رأى عمر!

قال زيد: قال لي أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن واجمعه.

قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من مكانه لم يكن أثقل عليّ ممّا كلفوني به. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فلم يزل أبو بكر وعمر يلحان عليّ حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.

قال زيد: فجمت أتتبع القرآن أجمعه من العسب والمخاف وصدور الرجال.^١

منهج زيد

قام زيد بتنفيذ الفكرة، فجمع القرآن من العسب والمخاف والأدم والقراطيس، وكانت متفرقة على أيدي الصحابة أو في صدورهم، وعاونه على ذلك جماعة. وأول عمل قام به: أن وجه نداء عاماً إلى ملأ الناس: «من كان تلقى من رسول الله ﷺ

١ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٤٥؛ وانصاف، ص ٤٠؛ والتكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٥٦؛ وج ٢، ص ٢٤٦؛ والبرهان لأزركشي، ج ١، ص ٢٣٣.

شيئاً من القرآن فليأت به».

وَأُلِّفَ لِحِجَّةٍ مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ عَضْواً - كما جاء في رواية اليعقوبي -^١ وكان عمر يشرف عليهم بنفسه.

وكان اجتماعهم على باب المسجد يومياً، والناس يأتونهم بأي القرآن وسوره كل حسب ما عنده من القرآن.

وكانوا لا يقبلون من أحد شيئاً حتى يأتي بشاهدين يشهدان بصحة ما عنده من قرآن، سوى خزيمه بن ثابت، أتى بالآيتين آخر سورة براءة، فقبلوهما منه من غير استشهاد، لأن رسول الله ﷺ اعتبر شهادته وحده شهادتين.^٢

قال زيد: ووجدت آخر سورة براءة مع [أبي] خزيمه الأنصاري لم أجده مع أحد غيره.^٣ وسنتكلم عما جاء بين المعقوفتين.

ومن غريب الأمر: أن عمر جاء بآية الرجم وزعمها من القرآن: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله» لكتبه واجه بالرفض، ولم تقبل منه، لأنه لم يستطع أن يقيم على ذلك شاهدين^٤ وبقي أثر ذلك في نفس عمر، فكان يقول - أيام خلافته -: لو لا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي - يعني آية الرجم.^٥

ثم أن زيداً لم ينظم سور القرآن ولم يرتبهن كمصحف، وإنما جمع القرآن في صحف، أي أودع الآيات والسور في صحف وجعلها في ملف، فكان جمعاً عن التفرقة والضياع، ومن ثم لم يسم جمعاً مصحفاً.

قال المحاسبي: كان القرآن متفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً، وكان ذلك بمنزلة أوراق فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء.^٦

١ - تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٥. ٢ - راجع: أسدناية، ج ٢، ص ١١٤، والمصاحف، ص ٦ - ٩.

٣ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٢٦. ٤ - الإفتان، ج ١، ص ١٦٧-١٦٨.

٥ - تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٢٦١، والبرهان نازكوشي، ج ٢، ص ٣٥، والإفتان، ج ٢، ص ٥٦.

٦ - الإفتان، ج ١، ص ١٦٨.

وقال ابن حجر: والفرق بين الصحف (التي جاءت في رواية جمع زيد) والمصحف: أن الصحف هي الأوراق المجردة التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر، وكانت سوراً مفترقة، كل سورة مرتبة بآياتها على حدة، لكن لم يرتب بعضها إثر بعض، فلما نسخت ورتب بعضها إثر بعض صارت مصحفاً.^١

وقال أحمد أمين: وفي عهد أبي بكر أمر بجمع القرآن، لكن لا في مصحف واحد، بل جمعت الصحف المختلفة التي فيها آيات القرآن وسوره، وأودعت الصحف الكثيرة التي فيها القرآن عند أبي بكر.^٢

وقال الزرقاني: صحف أبي بكر كانت مرتبة الآيات دون السور.^٣

وهذه الصحف أودعت عند أبي بكر، فكانت عنده مدة حياته، ثم صارت عند عمر، وبعده كانت عند ابنته حفصة، وفي أيام توحيد المصاحف استعارها عثمان منها ليتقابل بها النسخ، ثم ردها إليها، فلما توفيت أخذها مروان - يوم كان والياً على المدينة من قبل معاوية - من ورثتها وأمر بها فشتت.^٤

جاء في نعل البخاري: ووجدت آخر سورة براءة مع أبي خزيمه... ومن تم يتساءل البعض: من هو أبو خزيمه؟

قال القسطلاني: هو ابن أوس بن يزيد بن حزام، المشهور بكنيته من غير أن يعرف اسماً.^٥

واحتمل ابن حجر: أنه الحرث بن خزيمه، كما جاء في رواية أبي داود.^٦ والصحيح أنه من زيادة الرواي أو الناسخ خطأ، وإنما هو خزيمه من غير إضافة الأب إليه. بدليل أن زيد أقبل شهادته مكان شهادتين، وليس في الصحابة من يتسم بهذه السمة الخاصة سواه.^٧ وهكذا جزم الإمام بدرالدين الزركشي أنه خزيمه الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين^٨ ومن تم أدرجه في النعل هكذا بلا إضافة الأب.^٩

٢ - دجر الإسلام، ص ١٩٥.

٤ - إرشاد القسطلاني، ج ٧، ص ٤٤٩.

٦ - المصدر، ج ٩، ص ١٢.

٨ - التبرهان للزركشي، ج ١، ص ٢٤٤.

١ - فتح الباري، ج ٩، ص ١٦.

٣ - مناهل الترقان، ج ١، ص ٢٦٢.

٥ - فتح الباري، ج ٧، ص ٤٤٦.

٧ - الطبقات، ج ٤، ق ٢، ص ٩٠.

أو يقال: إنَّ أبا خزيمة هو خزيمة بن ثابت، كان يقال له: أبو خزيمة أيضاً، كما جاء في نصِّ ابن أَسْتَةَ: أبو خزيمة بن ثابت.^{١٠}

وفي سائر الروايات - غير رواية البخاري - خزيمة بن ثابت، بلا إضافة الأب،^{١١} ومن ثمَّ رجَّحنا خطأ النسخة.

وسؤال آخر: ماذا كان يعني بالشاهدين في جعلهما شرط قبول النصِّ القرآني؟ كما جاء في نصِّ ابن داود بإسنادٍ معتبر، وتلقَّته أئمةُ الفنِّ بالقبول.^{١٢}

قال ابن حجر: وكان المراد بالشاهدين: الحفظ والكتابة.^{١٣}

وقال السخاوي: شاهدان يشهدان على أن ذلك المكتوب كُتِبَ بين يدي رسول الله ﷺ أو المراد: أنَّهما يشهدان بصحَّة قراءة نها، ونها من الوجوه التي نزل بها القرآن. قال أبو شامة: وكان الغرض من ذلك أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ لا من مجرد الحفظ.

قال جلال الدين: أو المراد أنَّهما يشهدان على أن ذلك ممَّا عرض على النبي ﷺ عام وفاته، وكانت هي القراءة الأخيرة التي اتفق عليها الصحابة وبقروها الناس اليوم.^{١٤}

قلت: المراد: أن شاهدين عدلين - أحدهما الذي أتى بالآية وعدل آخر (من يشهد له من الصحابة واحداً أو أكثر) - يشهدان بسماعهما قرآناً من النبي ﷺ بدليل قبول شهادة خزيمة بن ثابت الذي جاء بأخر سورة براءة، مكان شهادة رجلين. وهكذا جاء في نصِّ ابن أَسْتَةَ، أخرجه في المصاحف عن الميث بن سعد، قال: وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل وأن آخر سورة براءة لم يجدها إلا مع [أبي] خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، فقال: اكتبوها، فإن رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب، وإنَّ عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها، لأنه كان وحده.^{١٥}

١٠ - الإتيان، ج ١، ص ٥٨، الطبعة الثالثة، مصر، ١٣٧٠.

٩ - المصدر، ص ٢٣٩.

١٢ - الإتيان، ج ١، ص ١٦٨.

١١ - التمر المثنون، ج ٣، ص ٢٩٦.

١٤ - الإتيان، ج ١، ص ١٤٢ و ١٦٧.

١٣ - فتح الباري، ج ٩، ص ١٢.

١٥ - المصدر، ص ١٦٨.

شكوك واعتراضات

يقول بلاشير: لماذا اختار أبو بكر لهذه المهمة الخطيرة مثل زيد وهو شابٌ حدث لم يتجاوز العشرين، في حين وجود ذوي الكفاءات من كبار الصحابة؟ ولنفرض عكورة المورد حالت دون اللجوء إلى شخصيّة كبيرة مثل علي بن أبي طالب فلماذا أغفلوا سائر فضلاء الصحابة ممن لهم سابقة وعهد قديم بنزول القرآن وصحبة الرسول؟ وهل أن واقعة الإمامة أطاحت بجميع قرّاء الصحابة القدامى، ولم يبق سوى زيد وهو حديث العهد بالقراءة وبالقرآن؟ الأمر الذي يشير شكوكنا في القضية ولانكاد نصدّق بأن زيداً هو الذي جمع القرآن.

أضف إلى ذلك أن التاريخ لم يحدّد بالضبط بدء قيامه بهذا العمل، ومتى انتهى منها؟ فلو صحّ أنّه قام بجمع القرآن بعد واقعة الإمامة، لكان بقي من عمر أبي بكر خمسة عشر شهراً، وهذه فترة تضيق بإنجاز هكذا عمل خطير، الذي يتطلب جهوداً واسعة لجمع المصادر والالتقاء مع رجال كانت عندهم آيات وأسور وكانوا قد انتشروا في البلاد، فإنّ هذا وذاك يتطلبان وقتاً واسعاً وأموالاً كثيرة، ممّا لا يمكن إنجازهما في تلك المدة القصيرة. هذا والرواية تقول: إن زيدا جمع القرآن في صحف وأودعها عند أبي بكر، ثمّ صارت عند عمر ثمّ ورثها ابنته حفصة!

فإذا كانت الغاية من جمع القرآن هي ملاحظة المصلحة العامّة كما ينهه على ذلك أن ورثة أبي بكر لم يختصّوا بتلك الصحف، وإنما انتقلت إلى عمر، الخليفة بعده، فلماذا خفّضها عمر بابنته حفصة ولم يجعلها في متناول المسلمين عامّاً؟ كما أنّه لمّ صارت الصحف وديعة اختصاصيّة عند أبي بكر من غير أن تجعل في مكان هو معرض عام؟ وهكذا اعترض المستشرق شفالي على قضية جمع زيد للقرآن.

والذي يستنتجه بلاشير من شكوكه هذه: أن كبار الصحابة هم الذين قاموا بجمع القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ ورثوه ورثوا سورته، الأمر الذي كانت وظيفته الخلافة الإسلاميّة أن تقوم به ولكنها غفلت عنه. وربما أدّت هذه الغفلة إلى الطعن في القائلين

بأعضادها. ومن ثمّ أوعزت إلى شابٍ حدث لا يتهموه أن ينسخ عن بعض مصاحف الصحابة مصحفاً يمتاز به الخليفة أيضاً أمّا أصل القيام بجمع القرآن فلا^١ قلت: إذا كانت شرائط إنجاز عمل - مهما كان ضخماً - متوفرة، وفي المتناول القريب، فإنّ إنجازَه يتحقق في أقرب وقت ممكن. ولاسيّما إذا كان العمل فورياً يحاول المتصدّون إنجازَه في أقرب فرصة ممكنة. وهكذا كانت قضية جمع القرآن في الصدر الأوّل..

أمّا المصادر الأولية فكانت متوفرة في نفس المدينة، محفوظة على أيدي الصحابة الأمناء، وكان حملة القرآن وحفظته موجودين لا يفارقون مسجد سيّدهم الذي ارتحل من بينهم في عهد قريب - ليل نهار - والاتصال بهم سهل التناول. لاسيّما وسور القرآن كانت مكتملة، وبقي جمعها في مكان، لا أكثر. إذن فقد كانت الأسباب مؤاتية والظروف مساعدة. أضف إليها: أن السلطة - وببدها القدرة - إذا حاولت إنجاز هكذا عمل منتهياً، الأسباب، فإنّه لا يستدعي طولاً في مدّة العمل بعد توفّر هذه الشروط.

هذا وزيد لم يعمل سوى جمع القرآن في مكان وحفظه عن الضياع والابتات ولم يعمل فيه نظاماً ولا ترتيباً ولا أيّ عمل فكريّ آخر، فإنّ هكذا عملاً بسيطاً لا يتطلب جهوداً طويلة ولا فرائداً واسعاً.

نعم كانت الغاية من ذلك هي مراعاة المصلحة العامّة: حفظ القرآن عن الضياع، الأمر الذي تحقّق بإيداع الصحف المشتملة على تمام القرآن في مكان أمين ولم تكن يومذاك حاجة إلى مراجعة تلك الصحف بعد أن كان حفظ القرآن وحاملوه منتشرين بين أظهر الناس بكثرة، والناس يومذاك حافظون لجمال آيات ترتبط والحياة المعيشية والسياسية وما أشبه.

هذا.. وفي أواخر عهد عمر أصبحت نسخ المصاحف المحتوية على جميع آي القرآن وسوره كثيرة، ومجموعة على أيدي كبار الصحابة الموثوق بهم رأى أنّ الحاجة العامّة إلى

١ - مترجم ومختص عن مجلة «خواندنيها» الفارسية في سنتها الثامنة. العدد: ٤٤ بتاريخ ١٣ بهمن ١٣٢٦ هـ من طهران.

تلك الصحف المودعة عنده هبطت إلى درجة نازلة جداً، ومن تمّ تملكها هو، ولم تعد حاجة إليها سوى في دور توحيد المصاحف على عهد عثمان.

جدارة زيد

وأما قضية اختيار مثل زيد لهكذا عمل خطير..

فقال الزرقاني: إن أبا بكر رأى بنور الله أن يندب لتحقيق هذا العمل رجلاً من خيرة رجالات الصحابة، هو زيد بن ثابت، لأنه اجتمع فيه من الموهب ذات الأثر في جمع القرآن ما لم يجتمع في غيره من الرجال، إذ كان من حفاظ القرآن ومن كتّاب الوحي لرسول الله ﷺ وشهد العرضة الأخيرة للقرآن وكان فوق ذلك معروفاً بخصوصية عقله وشدة ورعه وعظم أمانته وكمال خلقه واستقامة دينه.^١

تلك نعوت تمانية عددها الزرقاني، رُغمها متوفرة في زيد وحده، لم تجتمع جميعاً في غيره من صحابة الرسول ﷺ الموجودين آنذاك..!

وهذا ما لا نكاد نصدّقه بتامه لأننا نعلم أن الذين جمعوا القرآن كده وحفظوه على عهد رسول الله ﷺ وقد كان أمر الناس بالرجوع إليهم واستقراء القرآن منهم - على ما جاء في صحيح البخاري وغيره - أربعة، ليس فيهم زيد، هم: عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة.^٢ وكانوا على وفرة من سائر النعوت التي ذكرها الزرقاني، فلماذا لم يختار أبو بكر أحد هؤلاء؟!

أما الذي شهد العرضة الأخيرة فهو ابن مسعود، ولم يكن زيدا..! قال ابن عباس: كان

١ - مناهل العرفان، ج ١، ص ٢٥٠.

٢ - صحيح البخاري، ج ٥، ص ٣٤ و ج ٦، ص ٢٢٩؛ وانطبقات، ج ٢، ق ٢، ص ١١٠.

وجاء في حديث أنس: تم جمع القرآن على عهد ﷺ لثلاثة أربعة: أبواندرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد.. صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٣٠. تكلم زعم زعمه أنس ومن ثم رد عليه أنفة النقد والتصحيح، راجع: فتح الباري، ج ٩، ص ٤٣؛ والإتقان، ج ١، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

وإذا كان زيد ممن جمع القرآن على عهد ﷺ فلماذا استنظم ذلك عندما اقترح عليه أبو بكر أن يقوم بجمع القرآن؟!

القرآن يعرض على رسول الله ﷺ في كل رمضان مرة إلا العام الذي قبض فيه، فإنه عرض عليه مرتين، وقد حضره عبدالله بن مسعود، فشهد ما نسخ وبُدِّل.^١

هذا وسابقة ابن مسعود بالقرآن وبعناية الرسول ﷺ الذي كان يعلمه القرآن من فيه معروفة.^٢

وكان أبي بن كعب أقرأ أصحاب النبي ﷺ وقد أمره الله أن يعرض القرآن كله على أبي^٣ وكان معروفاً بسيد القراء.^٤

وكذلك معاذ بن جبل الذي قال الرسول ﷺ في حقه: هو إمام العلماء رتوة - أي اعتلاء - وخلفه في أهل مكة ينقّهم ويقربهم القرآن.^٥

الأمر الذي يجعل من زيد معوزاً كفاءة سائر الصحابة الكبار! كما أن قضية كتابته للموحي كانت عند فقد الآخرين. قال ابن عبد البر: كان النبي ﷺ إذا لم يكن أبي بن كعب حاضراً دعى زيدا ليكتب له.^٦ هذا... ولم يأت الزرقاني لما ذكره من نعوت خاصة بمستند!

نعم، كان الذي يختص به زيد دون سائر رجالات الأصحاب هو امتيازُه بصفة جاءت الإشارة إليها في نص البخاري: «إِنَّكَ شَابٌّ عَاقِلٌ... لا تُتَّهَمُكَ». كان ذا نزعة متلائمة مع أهداف السلطة القائمة، وقد أبدى ذلك يوم السقيفة، وقف موقفاً المدافع الحادٍ دون المهاجرين، وهو أنصاريٌّ قائلاً: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وكنا أنصاره وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره... فانبسط وجه أبي بكر لهذا الكلام المبتكر وجزاه خيراً قال: جزاكم الله خيراً من حيي يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم

١ - الطبقات، ج ٢، ق ٢، ص ١٠٤.

٢ - راجع: صحيح البخاري، ج ٥، ص ٣٤ و ج ٦، ص ٢٢٩ و ٢٣٠، والطبقات، ج ٢، ق ٢، ص ١٠٤، والمستدرق على الصحيحين، ج ٢، ص ٢٢٠.

٣ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٣٠، والطبقات، ج ٢، ق ٢، ص ١٠٣.

٤ - تهذيب التهذيب، ج ١، ص ١٨٧. ٥ - الطبقات، ج ٢، ق ٢، ص ١٠٧-١٠٨.

٦ - الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ١، ص ٥١، وأسنادنا، ج ١، ص ٥٠.

- يعني زيداً - والله لو قلتم غير هذا ما صالحناكم... وقال له يوماً: أنت عندنا كنا أميناً^١. ولم ينس له ابوبكر هذا الموقف الخطير، ومن تم انتدبه لجمع القرآن، معتمداً عليه كل الاعتماد، من غير أن يتهمه في عقله الذي كان يعرف من أين يؤكل الكتف؟! نعم كان علي وفرة من الذكاء، وكان عند مقدم النبي ﷺ المدينة ابن أحد عشرة سنة فاستخدمه النبي لكتابة رسائله بالعبرية وقرآنها بعد أن كتفه تعلم العبرية والخط في مدارس «مأسلة» اليهودية آنذاك.^٢ وتولى كتابة المصاحف على عهد عثمان أيضاً في نفر من أسلمة قريش، سعيد بن العاص وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمان بن الحارث.^٣

مصاحف أخرى

في الفترة بعد وفاة النبي ﷺ قامت جماعة من كبار الصحابة بتأليف القرآن وجمع سوره بين دفتين، كل بنظم وترتيب خاص، وكان يسمى مصحفاً. يقال: أول من جمع القرآن في مصحف، أي رتب سوره ككتاب منظم، هو سالم مولى أبي حذيفة. فائتمروا فيما يسمونه؟ فقال بعضهم: سموه السفر. فقال سالم: ذلك تسمية اليهود، فكرهوه. فقال: رأيت مثله في الحبشة يسمى المصحف. فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف. أخرجه ابن أخته في كتاب المصاحف.^٤ وهكذا قام بجمع القرآن ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبوموسى الأشعري، وكان سمي مصحفه: لباب القلوب.^٥ والمقداد بن الأسود، ومعاذ بن جبل.

ويبدو من حديث العراقي الذي جاء إلى عائشة يطلب إليها أن تريه مصحفها أن لها أيضاً مصحف كان يخصها. روى البخاري عن ابن مائة، قال: إني عند عائشة إذ جاءها

١ - تهذيب ابن عساکر، ج ٥، ص ٦٤٤ و ٤٤٦ و ج ٦، ص ١٣٢، راجع: المصاحف، ص ٥-١٠، باب جمع القرآن.

٢ - الطبقات، ج ٢، ق ٢، ص ١١٥ - ١١٧.

٣ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٢٦.

٤ - الإفتان، ج ١، ص ١٦٦، والمصاحف، ص ١١ - ١٤.

٥ - التكميل في التاريخ، ج ٤، ص ٥٥.

عراقي فسألها عن مسائل: منها: أنه طلب أن تريه مصحفها، قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك. قالت: لم؟ قال: لعلي أولف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف - أي غير مرتب ولا منظم، أو لاختلاف الناس في نظم آيه وعددها -^١ قالت: وما يضرك أيته قرأت... إلى أن قال: فأخرجت له مصحفاً وأملت عليه آي السور^٢ أي عدد آيها.

وحاز بعض هذه المصاحف مقاماً رفيعاً في المجتمع الإسلامي آنذاك، فكان أهل الكوفة يقرأون على مصحف عبدالله بن مسعود وأهل البصرة يقرأون على مصحف أبي موسى الأشعري. وأهل الشام على مصحف أبي بن كعب. وأهل دمشق خاصة على مصحف المقداد بن الأسود. وفي رواية الكامل: أن أهل حمص كانوا على قراءة المقداد.^٣

أمد هذه المصاحف

كان أمد هذه المصاحف قصيراً جداً انتهى بدور توحيد المصاحف على عهد عثمان، فذهبت مصاحف الصحابة عرضة التمزيق والحرق.

قال أنس بن مالك: أرسل عثمان إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.^٤

نعم حظيت بعض هذه المصاحف عمراً أطول، كالمصحف التي كانت عند حفصة، طلبها عثمان ليتقابل بها نسخ المصاحف فأبت أن تدفعها إليه حتى عاهدها ليردنها عليها^٥ ومن ثم ردها وبقيت عندها حتى توفيت، فأمر بها مروان فشققت.

ويبدو من رواية أبي بكر بن أبي داود: أن ولد أبي بن كعب كانوا قد احتفظوا بنسخة من مصحف أبيهم بعيداً عن آخرين. قال: قدم أناس من العراق يريدون محمد بن أبي، فطلبوا إليه أن يخرج لهم مصحف أبيه! فقال: قد قبضه عثمان، فألحوا عليه ولكن من غير جدوى،

١ - احتفله ابن حجر في فتح الباري، ج ٩، ص ٤٦ - ٢ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٢٨.

٣ - التكميل في التاريخ، ج ٣، ص ٥٥، وصحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٢٥، والمصاحف، ص ١١ - ١٤، والتبرهان لتزركشي.

ج ١، ص ٢٢٩ - ٢٤٢. ٤ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٢٦.

٥ - المصاحف، ص ٩.

الأمر الذي كان يدلُّ على مبلغ خوفه من الحكم القائم، فلم يخرجهُ للعراقيين.^١
وفي رواية الطبري: أن ابن عباس دفع مصحفاً إلى أبي تابت، ووصفه بأنه على قراءة
أبي بن كعب، وبقي إلى أن انتقل إلى نصير بن أبي الأشعث الأسدي الكوفي فأتاه يحيى بن
عيسى الفخوري يوماً وقرأ فيه: «فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجلٍ مسمى»^٢ الأمر الذي
يدلُّ على أن هذا المصحف عاش حتى أواخر القرن الثاني، لأن يحيى بن عيسى توفي عام
٣٠١ هـ.

قال الفضل بن شاذان: أخبرنا الثقة من أصحابنا، قال: كان تأليف السور في قراءة أبي
بن كعب بالبصرة في قرية يقال لها «قرية الأنصار» على رأس فرسخين عند محمد بن
عبد الملك الأنصاري (توفي ١٥٠). أخرج إلينا مصحفاً قال: هو مصحف أبي. رويناه عن
آبائنا، فنظرت فيه فاستخرجت أوائل السور وخواتيم الرسل وعدد الآي.^٤
وجاء في روايات أهل البيت عليهم السلام قول الصادق عليه السلام: «لما نحن فنقرأ على قراءة أبي -
أبي ابن كعب»^٥.

لما ابن مسعود فامتنع أن يدفع مصحفه إلى رسول الخليفة، وظل محتفظاً به في
صرامة بالغة أدت إلى مشاجرة عنيفة جرت بينه وبين عثمان، كان فيها إيعاده عن عمله
وأخيراً حنقه.

عند مجيء رسول الخليفة إلى الكوفة لأخذ المصاحف، قام ابن مسعود خطيباً قائلاً:
أيها الناس إني غالي مصحفي، ومن استطاع أن يغل مصحفاً فليغلل، فإنه من غلَّ يأت يوم
القيامة بما غلَّ ونعم الغلُّ المصحف.^٦

وهكذا كان يحرض الناس على مخالفة الحكم القائم، الأمر الذي جرَّ عليه الويلات،
فأشخصه الخليفة إلى المدينة وجرى بينهما كلام عنيف انتهى إلى ضربه وكسر أضلعه

١ - المصدر، ص ٢٥.

٢ - جامع البيان، ج ٥، ص ٩.

٣ - تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ٢٦٣.

٤ - القهرست لابن التميمي، ص ٥٦.

٥ - وسائل الشيعة، باب ٧٤ من أبواب القراءة في الصلاة، ج ٤، ص ٨٢١، ح ٤.

٦ - المصاحف، ص ١٥.

وإخراجه من المسجد بصورة مزريّة.

روى الواقدي بإسناده وغيره: أن ابن مسعود لما استقدم المدينة دخلها ليلاً، وكانت ليلة جمعة، فلما علم عثمان بدخوله، قال: أيها الناس إنه قد طرقكم الليلة دويبة، من يمشي على طعامه يتقي ويسلح.

قال ابن مسعود: لست كذلك ولكثي صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر، وصاحبه يوم أحد، وصاحبه يوم بيعة الرضوان، وصاحبه يوم الخندق، وصاحبه يوم حنين...
وصاحت عائشة: يا عثمان! أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ؟! فقال عثمان: اسكتي.

ثم قال لعبدالله بن زمعة بن الأسود: أخرجك إخراجاً عنيفاً فأخذته ابن زمعة، فاحتمله حتى جاء به باب المسجد، فضرب به الأرض، فكسر ضلعاً من أضلعه. فقال ابن مسعود: قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان.

قال الراوي: فكأني أنظر إلى حموشة سماقي عبدالله بن مسعود، ورجلاه تختلفان على عنق مولى عثمان، حتى أخرج من المسجد، وهو يقول: أشدك الله ألا تخرجني من مسجد خليلي رسول الله ﷺ.^١

قيل: واعتل ابن مسعود فأتاه عثمان يعوده، فقال له: ما كلام بلغني عنك؟ قال: ذكرت الذي فعلته بي، إنك أمرت بي فوطئ جوفي فلم أعقل صلاة الظهر ولا العصر، ومنعتني عطائي، قال عثمان: فإني أقيدك من نفسي، فافعل بي مثل الذي فعل بك... وهذا عطاؤك فخذ. قال ابن مسعود: منعنيبه وأنا محتاج إليه، وتعطيني وأنا غني عنه! لا حاجة لي به... فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي، وصلى عليه عمار بن ياسر في ستر من عثمان، وهكذا لما مات المقداد صلى عليه عمار بوصية منه، فاشتد غضب عثمان على عمار. وقال: ويلى على ابن السوداء أما لتند كنت به عليهما!^٢

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٤٣ - ٤٤.

٢ - تاريخ ابن عسكروبي، ج ٢، ص ١٦٠.

هذا... ورغم ذلك كله فقد بقي مصحفه متداولاً إلى أيام متأخرة؛ يقول ابن النديم (٢٩٧ - ٣٨٥): رأيت عدة مصاحف ذكر نسخها أنها مصحف عبد الله بن مسعود، وقد كتب بعضها منذ مائتي سنة^١. وهكذا يبدو من الرمزخشري: أن هذا المصحف كان معروفاً حتى القرن السادس، لأنه يقول: وفي مصحف ابن مسعود كذا... وظاهر هذه العبارة أنه هو وجدها في نفس المصحف، لأنه منقول إليه^٢.

وصف عام عن مصاحف الصحابة

كان الطابع العام الذي كانت المصاحف آنذاك تتسم به هو تقديم السور الطوال على القصار نوعاً ما في ترتيب منهجي خاص:

١ - ابتداء من السبع الطوال: البقرة، آل عمران، النساء، الأعراف، الأنعام، المائدة، يونس^٣.

٢ - ثم المثني، وهي السور التي تبدأ على المائة، وهي ما تقرب من اثني عشرة سورة.

٣ - ثم المثاني، وهي السور لا تبلغ آياتها المائة، وهي ما تقرب من عشرين سورة. وسميت مثاني لأنها تنبئ أي تكرر قراءتها أكثر مما تقرأ غيرها من الطوال والمثني.

٤ - ثم الحواميم، وهي السور بدأت بـ «حم»: سبع سور.

٥ - ثم الممتحنات، وهي تقرب من عشرين سورة.

٦ - ثم المفصلات، تبدأ من سورة الرحمان إلى آخر القرآن. وسميت بذلك لتقرب

فواصلها وكثرة فصولها.

١ - الفهرست، ص ٤٦.

٢ - انكشاف، ج ٢، ص ٤١٠ و ج ٤، ص ٤٩٠.

٣ - تانق السبع الطوال في مصاحف الصحابة، غير أن عثمان عند أبي تقديم سورة الأنعام فرعاها مع سورة براءة سورة واحدة جعلها من السبع الطوال. وسيأتي الكلام في ذلك، راجع: الإتيان، ج ١، ص ١٧٢-١٧٣؛ وانستدرك علي

التصحيح، ج ٢، ص ٢٢١.

هذا هو الضابع العام لمصاحف الصحابة، والنظر في الأكثر إلى مصحف ابن مسعود. وإن كانت المصاحف تختلف مع بعضها في تقديم بعض السور على بعض وتأخيرها عنها، أو يزيد عدد سور بعضها على بعض، على تفصيل يأتي.

وصف مصحف ابن مسعود

كان تأليف مصحف عبدالله بن مسعود وفق الترتيب التالي:

- ١- السبع الطوال: البقرة، النساء، آل عمران، الأعراف، الأنعام، المائدة، يونس.
- ٢- المثني: براءة، النحل، هود، يوسف، الكهف، الإسراء، الأنبياء، طه، المؤمنون، الشعراء، الصافات.
- ٣- المتاني: الأحزاب، الحج، القصص، النمل، النور، الأنفال، مريم، العنكبوت، الروم، يس، الفرقان، الحجر، الرعد، سبأ، فاطر، إبراهيم، ص، محمد ﷺ، لقمان، الزمر.
- ٤- الحواميم: المؤمن، الزخرف، فصلت، الشورى، الأحقاف، الجاثية، الدخان.
- ٥- الممتحنات: الفتح، الحديد (بن)، الحشر، السجدة، ق (ن)، الطلاق، القلم، الحجرات، المائد، التغابن، المنافقون، الجمعة، الصف، الجن، نوح، المجادلة، الممتحنة، التحريم.
- ٦- المنصّلات: الرحمان، النجم، الطور، الذاريات، القمر، الحاقة (ن)، الواقعة، التارعات، المعارج، المدثر، المزمل، المطففين، عبس، الإنسان، المرسلات، القيامة، النبأ، التكويد، الانفطار، الغاشية، الأعلى، الليل، الفجر، البروج، الانشقاق، العلق، البلد، الضحى، الطارق، العاديات، الماعون، القارعة، البيئ، الشمس، التين، الهمزة، الفيل، قريش، التكاثر، القدر، الزلزال، العصر، النصر، الكوثر، الكافرون، المسد، التوحيد، الانشراح.

١- علي ماجاء في نقل ابن أخته (الإحقان، ج ١، ص ١٨٦) وأكملنا ما سقط منه على نقل ابن التديم (الفهرست، ص ٤٥) وأرمرزانه بعلامه (ن).

تلك مائة وأحدى عشرة سورة. بإسقاط سورة الفاتحة وسورتي المعوذتين. على ما
سندكر.

جهة أخرى - اختص بها مصحف ابن مسعود - إسقاطه سورة الفاتحة، لا اعتقاد أنها
ليست من القرآن، بل لأن الثبت في المصحف كان قيداً للسوردون الضياع، وهذه السورة
(الفاتحة) مأمونة عن الضياع بذاتها، لا يزال المسلمون يقرأونها كل يوم عشر مرّات أو
أكثر. ذكره ابن قتيبة فيما يأتي.

«وَلَعَلَّهُ رَأَاهَا عَدَلًا لِلْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ
الْعَظِيمَ»^١ والسبع المثاني هي سورة الفاتحة.

وعلى أي تقدير فقد اتفق أئمة الفن على خلوه مصحفه من سورة الحمد، نقل ذلك ابن
النديم عن الفضل بن شاذان، وقال: إنه أحد الأئمة في القرآن والروايات. ومن ثم يرجح ما
ذكره الفضل على ما شهد به بنفسه.^٢

وقال جلال الدين السيوطي: «وأما إسقاطه الفاتحة فقد أخرجه أبو عبيد بسند صحيح^٣
وكان قد ذكر الرواية قبل ذلك.»^٤

وقال ابن قتيبة: «وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لجهله بأنها من القرآن، كيف
وهو أشدّ الصحابة عناية بالقرآن. ولم يزل يسمع رسول الله ﷺ يوم بها، ويقول: لا صلاة إلا
بسورة الحمد، وهي السبع المثاني وأم الكتاب. لكنه ذهب فيما يظن أهل النظر
(المحققون) إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين (الدفئتين) مخافة الشك والنسيان
والزيادة والنقصان، ورأى أن ذلك مأمون على سورة الحمد، لتعصرها ولأنها تنسى في كل
صلاة، ولوجوب تعلمها على كل مسلم. فلما أمن عليها العلة التي من أجلها كتب
المصحف، ترك كتابتها، وهو يعلم أنها من القرآن.»^٥

١ - التجر ١٥: ٨٧.

٢ - الفهرست، ص ٤٦.

٣ - الإفتان، ج ١، ص ٢٤٢.

٤ - المصدر، ص ١٨٤.

٥ - تأويل مشكل القرآن، ص ٤٧ - ٤٩.

جهة ثالثة: إسقاطه سورتي المعوذتين (الفلق والناس)، اعتقاداً منه أنهما عوذة يتعوذ بهما لدفع العين أو السحر، كما ورد أن النبي ﷺ تعوذ بهما من سحر اليهود، وقال: ما تعوذ متعوذ بأفضل من «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ...» و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ...»^١.
وقد صحح الإسناد إلى ابن مسعود: أنه كان يحكّ المعوذتين من المصحف، ويقول: لا تخططوا بالقرآن ما ليس منه، إنهما ليستا من كتاب الله، إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما. وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما في صلاته.^٢

هذا. وقد أنكر بعضهم صحة هذه النسبة إلى ابن مسعود، كالرازي وابن حزم - فيما نقل عنهما ابن حجر - وردّ عليهما بصحة إسناد الرواية قال: والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل، بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل.^٣

وأخذ الباقلاني في بيان هذا التأويل، قال: لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن، وإنما أنكر إثباتهما في المصحف، فإنه كان يرى أن لا يكتب في المصحف شيئاً إلا أن كان النبي ﷺ أذن في كتابته فيه. وكأنه لم يبلغه إلا أن في ذلك، فهذا تأويل منه وليس جحداً لكونهما قرآناً.

مركز تحقيقات كلية أصول الدين

قال ابن حجر: وهذا تأويل حسن، إلا أن الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك، حيث جاء فيها: ويقول إنهما ليستا من كتاب الله. نعم يمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف، فيتمسّى التأويل المذكور.^٤

قلت: هذا التأويل الأخير أيضاً لا يلتزم مع قوله: «لا تخططوا بالقرآن ما ليس منه»^٥.
(ملحوظة): قد يزعم البعض أن ما نسب إلى ابن مسعود يناقض القول بتواتر النسخ القرآني!

لكن غير خفي: أن ابن مسعود لم ينكر كونهما وحياً - بمعنى العام - وإنما أنكر كونهما

٢ - فتح الباري، ج ٨، ص ٥٧١، وانظر المنثور، ج ٦، ص ٤١٦،
٤ - المصدر.

١ - انظر المنثور، ج ٦، ص ٤١٦ - ٤١٧،
٣ - فتح الباري، ج ٨، ص ٥٧١،
٥ - انظر المنثور، ج ٦، ص ٤١٦.

وحيأ قرآنيأ - بسمة كونهما من كتاب الله - فالإتفاق على أن المعوذتين وحي من الله حاصل من الجميع، وإنما الاختلاف جاء في وصفهما الخاص: هل هما من كتاب الله (القرآن) أم لا؟. وهذا لا يضر بعد الاتفاق المذكور.

جهة رابعة: قال صاحب الإقناع: كانت البسملة ثابتة لبراءة في مصحف ابن مسعود. قال: ولا يؤخذ بهذا^١

ويعني بكلامه الأخير: أن ابن مسعود كانت له مخالفات شاذة، نبذها الصحابة والتابعون. ولعلها كانت اجتهادات شخصية خطأه الآخرون عليها. كمذهبه في التطبيق^٢. قال ابن حزم: والتطبيق في الصلاة لا يجوز، لأنه منسوخ. وكان ابن مسعود ينعله، وكان يضرب الأيدي على تركه. وكذلك كان أصحابه يفعلونه. وفي ذلك قال ابن مسعود - فيما روينا عنه -: علمنا رسول الله ﷺ الصلاة فكبر. فلما أراد أن يركع طبق يديه بين ركبتيه وركع. فبلغ ذلك سعد بن أبي وقاص، فقال: صدق أخي، قد كنا نفعل هذا، ثم أمرنا بهذا، أي الإمساك بالركب^٣.

قال الإمام الرازي - بشأن مخالفات ابن مسعود - يجب علينا إحسان الظن به، وأن نقول: إنه رجع عن هذه المذاهب^٤.

جهة خامسة: اختلاف قراءته مع النص المشهور في كثير من الآي. وهذا الاختلاف كان يرجع إلى تبديل كلمة إلى مرادفتها في النص وكان ذلك غالباً لغرض الإيضاح والإفهام.

والمعروف من مذهب ابن مسعود: توسيعه في قراءة ألفاظ القرآن، فكان يجوز أن تبدل كلمة إلى أخرى مرادفتها، إذا كانت الثانية أوضح ولا تغير شيئاً من المعنى الأصلي. قال: لقد سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون، فاقروا كما علمتم - أي كيشما علمكم

١ - الإقناع، ج ١، ص ١٨٤.

٢ - هو: تطبيق يظن التكفين إحداهما على الأخرى وجعلهما بين تركبتيين - حالة الركوع.

٣ - الصحاح، ج ٢، ص ٢٧٤؛ وراجع: تبيان التعريب، مادة طبق.

٤ - التفسير الكبير، ج ١، ص ٢١٣.

التاريخي الأستاذ - فهو كقولكم: هلتم وتعال.^١

وكان يعلم رجلاً أعجمياً القرآن، فقال: «إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَنْيَمِ»^٢ فكان يقول الرجل: طعام اليتيم، ولم يستطع أن يقول: اليتيم. فقال له ابن مسعود: قل: طعام الفاجر. ثم قال ابن مسعود: إنه ليس من الخطأ في القرآن أن يقرأ مكان «العليم» «الحكيم». بل أن يضع آية الرحمة مكان آية العذاب.^٣

ومن هذا القبيل ما رواه الطبري: كان ابن مسعود يقول: إلياس هو إدريس، فقرأ: وإن إدريس لمن المرسلين. وقرأ: سلام على إدراسين.^٤

وذكر ابن قتيبة: أن ابن مسعود كان يقرأ: «وتكون الجبال كالصوف المنفوش» بدل «العهن المنفوش»^٥ لأن العهن هو الصوف، وهذا أوضح وأنس للإفهام.

هذا. ومن ثم تعود بعض المفسرين القدماء، إذا شكك عليهم فهم كلمة غريبة في النص القرآني، أن يرجعوا قراءة ابن مسعود في ذلك، فلا بد أنه أبدلها بكلمة أخرى مرادفة لها أوضح وأبين للمتصود الأصلي.

قال مجاهد: كنا لاندري ما الزخرف، حتى رأيناها في قراءة ابن مسعود: أو يكون لك بيت من ذهب.^٦

وفسر الزمخشري اليبدين في قوله تعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» باليمينين، لأن ابن مسعود قرأ: فاقطعوا أيماهم.^٧

وذكر الغزالي من آداب البيع: إقامة لسان الميزان، فإن النقصان والرجحان يظهر

١ - معجم الأديب نياقوت الحموي، ج ٤، ص ١٩٣، رقم ٤٣ ط دار التمام، في ترجمة أحمد بن محمد بن يزيد بن رستم، وفي طبعة مرجايوت، رقم ٢٤، ج ٢، ص ٦٠ وطبعة بيروت، ج ١، ص ٥٩٨، رقم ١٥٠، وراجع أيضاً: التذوق في القراءات العشر، ج ١، ص ٢١، والإيقان، ج ١، ص ١٢٤.

٢ - الإذعان ٤٤: ٤٤-٤٤، ٣ - التفسير الكبير، ج ١، ص ٢١٣.

٤ - انصافات: ١٢٤ و ١٢٠، راجع: جامع البيان، ج ٢٣، ص ٦٤.

٥ - القارعة ١٠١: ٥، راجع: تأويل مشكل القرآن، ص ٢٤.

٦ - الإسراء ١٧: ٩٣، راجع: جامع البيان، ج ١٥، ص ١٠٩.

٧ - المائدة ٥: ٣٨، راجع: التكملة، ج ١، ص ٦٣٢.

بميله، واستشهد بقراءة ابن مسعود: وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان، قال: لأنَّ النسط - في القراءة المشهورة - إنما يقوم بلسان الميزان.^١

وفي بعض طبقات إحياء العلوم صحَّحوه وفق النص المشهور، ففاتهم غرض استشهاد المؤلف.

وهكذا قرأ: «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ - صمتاً - فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا»^٢ بدل «صَوْمًا» لأنَّ الصوم المذكور كان صوم صمت.

وقرأ: «فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ جَلَابِيهِنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ»^٣ بدل «ثيابهنَّ». إذا كان المقصود من وضع الثياب هي الجلابيب لا غيرها.^٤

وقرأ: «إِنِّي أَرَانِي أُعْصِرُ عَنَابًا» بدل «أعصرُ خمرًا»^٥. لأنَّ المعصور هو العنب.^٦

وقرأ: «ووثومها» بدل «وفومها»^٧. لأنَّهما بمعنى.^٨

وقرأ: «يَوْمَ يَقُولُ النَّافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا - أَمْهَلُونَا - تَغْفِسُ مِنْ نُورِكُمْ»^٩ بدل «انظرونا» لأنَّ المقصود هو الإمهال.

وقرأ: «إِن كَانَتْ إِلَّا - رُزْقِيَةً - وَاحِدَةً»^{١٠} بدل «صِنْحَةً وَاحِدَةً».

قال العلامة الطبرسي: هو من رُزْقِي الطير: إذا صاح. وكان ابن مسعود استعمل هنا صياح الديك تشبيهاً على أن البعث بما فيه من عظيم القدرة واستتارة الموتى من القبور، سهل على الله تعالى كُرْقِيَةً رُزْقَاهَا طائر. فهو كتوبه تعالى: «مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْزُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ»^{١١}.

١ - الترحمان ٥٥: ٩. راجع: إحياء العلوم، ج ٢، ص ٧٩.

٢ - مريم ١٩: ٢٦. راجع: التكتشاف، ج ٢، ص ١٤. وتفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ١٨٥.

٣ - أنور ٢٤: ٦٠. ٤ - التدراسنور، ج ٦، ص ٢٢٢.

٥ - يوسف ١٢: ٣٦. ٦ - النخب لابن جلي، ج ٢، ص ١٥.

٧ - البقرة ٢: ٦١.

٨ - التخصيب، ج ١، ص ١٧١. وبدائي القرآن، ج ١، ص ٤١.

٩ - الحديد ٥٧: ١٣. راجع: الإفتان، ج ١، ص ١٢٤. ١٠ - يس ٣٦: ٤٩ و ٥٤.

١١ - لقمان ٣١: ٢٨. راجع: مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٢١.

(ملحوظة): قد يأخذ البعض من هذا الاختلاف في قراءة النصّ القرآني ذريعة للمطعن عليه، كما جاء في كلام المستشرق الألماني العلامة «جولد تسيهر» في كتابه: مذاهب التفسير الإسلامي، الذي وضعه لهذا الغرض.

لكنها محاولة فاشلة بعد أن علمنا أن الاختلاف كان في مجرد القراءة خارج النصّ الثابت في المصحف. فالنصّ القرآني شيء، لم يختلف فيه اتان، وهو المثبت في المصحف الشريف منذ العهد الأول الإسلامي حتى العصر الحاضر، ومن ثمّ لم يمسه حتى لإصلاح أخطائه الإملائية. تحفظاً على نصّ الوحي يبتلي بالتحوير.

نعم جاءت قضية مراعاة جانب التسهيل على الأمة، من بعض السلف، لتجاوز القراءة بأيّ نحو كانت، مادامت تؤدي نفس المعنى الأصلي من غير تحريف فيه. الأمر الذي يكون خارج النصّ المثبت قطعياً.

ومن ثمّ أجاز ابن مسعود أن ينطق ذلك الأعجمي بدل طعام الأتيم بطعام الناجر^١ فاستبدل من النصّ الصعب التلظظ بالنسبة إليه، لفظاً سهلاً... لكنه لم يبتته في المصحف كقصّ قرآني. ولم يكن ذلك منه تجويراً للتبديل في نصّ الوحي.. حاشاه!

وهكذا كان تجوير عائشة لذلك العراقي، وما يضرّك أيّه قرأت. التوسعة في مقام القراءة فقط، لا توسعة في ثبت النصّ القرآني الذي هو وحي السماء، في المصحف، ولا شك أن مصحفها كان ثابتاً واحداً قطعاً.

جهة سادسة: ربّما كان ابن مسعود يزيد في لفظ النصّ زيادات تفسيرية كانت أشبه بتعليقات إيضاحية أدرجت ضمن النصّ الأصلي.

وهذا أيضاً كان مبنياً على مذهبه: التوسعة في اللفظ، لغرض الإيضاح، مع التحفظ على نفس المعنى الأصلي.

وهكذا اعتبر أئمة النسخ هذه الزيادات في قراءة ابن مسعود تفسيرات. ولم يعتبروها نصّاً قرآنياً منسوباً إلى ابن مسعود، ليكون اختلاف بين السلف في نصّ الوحي..!

١ - تقدم ذلك في «وصف مصحف ابن مسعود» انجزة انجزة.

٢ - راجع: صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٢٨.

نعم كانت هذه التوسعة من ابن مسعود محاباة غير مستحسنة بالنص القرآني، ربما كانت تؤدّي بالنص الأصلي وتجعله عرضة للتحريف والتغيير، الأمر الذي كان يتنافى تماماً مع تلك الحيطنة والحذر على نص القرآن النازل من السماء. وقد تمسك بعض الأنبياء بذلك وجعله دليلاً على جواز إدخال ما ليس من القرآن في القرآن إذا كان الغرض هو التفسير والإيضاح^١ لكنّه تفريع على أصل باطل.

وعلى أي تقدير فقد نسب إلى ابن مسعود زيادات جاءت في قراءته، نذكر منها مايلي، والزيادة هي التي بين معقوفتين:

قرأ: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً [فاختلفوا] فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ»^٢.

وهذه الزيادة ترفع إبهاماً كان في وجه الآية: هل كانت بعثة الأنبياء سبباً للاختلاف، أم كان العكس؟ وذيل الآية يعين هذا الأخير. وجاءت الزيادة توضح هذا الجانب أكثر. وقرأ: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ [وهو أب لهم] وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ»^٣ فجاءت الزيادة انسجماً مع ذي الآية، وتوضيحاً لسبب ولايته^٤ على المؤمنين. وقرأ: «وَجِئْتَكُمْ [بآيات - والنص] بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ [لما جئتمكم به من الآيات] وَأَطِيعُوا [فيما أَدْعُوكم إليه]»^٥.

وقرأ: «وَأَمْرًا تُنَاقِضُونَ»^٦ [وهو قاعد] فَضَحِكْتُمْ»^٧. وقرأ: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ [ولا أربعة إلا الله] خَامِسُهُمْ [ولا خمسة إلا الله - والنص] إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ [ولا أقل - والنص] وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ [إلا الله - والنص] إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ [إذا اتجوا]»^٨. وقرأ: «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً [أنى] وَلِي نَجْعَةٌ [أنى]»^٩.

١ - راجع: التزقذاني على انموطاً، ج ١، ص ٢٥٥. ٢ - البقرة ٢، ٢١٤، راجع: التكملة، ج ١، ص ٢٥٥. ٣ - الأحزاب ٦، ٣٣، راجع: التكملة، ج ٣، ص ٥٢٣. ٤ - آل عمران ٣، ٥٠، راجع: التكملة، ج ١، ص ٣٦٥. ٥ - هود ١١، ٧١، راجع: التكملة، ج ٢، ص ٤١٠. ٦ - المجادلة ٥٨، ٧، راجع: التكملة، ج ٤، ص ٤٩٠. ٧ - ص ٣٨، ٢٣، راجع: التكملة، ج ٤، ص ٨٥، وقاويل مشكل القرآن، ص ٤٨.

وقرأ: «وَأَنْزِلْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [ورحطك منهم المخلصين]»^١.
وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود أنه قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ «يا أَيُّهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [أَنْ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ] وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَخْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»^٢.

والظاهر: أنه أراد تفسير الآية، وأنها كانت على عهده ﷺ هكذا تفسر.
وقرأ: «بَلِّغْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ» - بضم التاء -^٣ والقراءة المشهورة هي بالفتح.
وأنكر ذلك شريح وقال: إن الله لا يعجب، إنما يعجب من لا علم له. قال الأعمش:
فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال: إن شريحاً كان معجباً برأيه، إن عبد الله قرأ «بل
عجبت» بالضم، وعبد الله أعلم من شريح. وإضافة العجب إلى الله ورد الخبر به كقوله:
عجب ربكم من شاب ليس له صبوة. وعجب ربكم من إلكم وقوطكم. ويكون ذلك على
وجهين: عجب مما يرضى. ومعناه: الاستحسان والخير عن تمام الرضا. وعجب مما
يكره، ومعناه: الإنكار له والذم^٤. والإل بأكسر الهمزة وتشديد اللام: شدة اليأس أو رفع
الصوت بالبكاء على إثره. وصححه الحديث على نهاية ابن الأثير.

وقال الرمخشري: فإن قلت: كيف يجوز العجب على الله وإنما هو روعة تعترى
الإنسان عند استعظام الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة؟ قلت: فيه وجهان،
أحدهما: أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام. والثاني: أن يتخيل العجب ويفرض. وقد جاء
في الحديث: «عجب ربكم من إلكم وقوطكم وسرعة إجابته إياكم»^٥.

وقد أوردنا هذا البحث هنا كنموذج هو دليل على مبلغ اهتمام المفسرين واعتناء
الأئمة بقراءات ابن مسعود الرجل العظيم.

١ - الشعراء ٢٦، ٢٦٤، راجع: مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٠٦، وبحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٦٤.

٢ - تصانيف ٥، ٦٧، راجع: اندر الصنوع، ج ٤، ص ٢٩٨، ج ٣، ص ١١٧ (دار الفکر).

٣ - تصانيف ٣٧، ١٢، راجع: التكميل، ج ٤، ص ٣٨، وجامع البيان، ج ٢٢، ص ٤٩.

٤ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٤٠. ٥ - التكميل، ج ٤، ص ٣٧.

ومن غريب قراءته التنص أيضاً قرأ: «والذكر والأنثى» بدل «وما خلق الذكر والأنثى»^١.
 روى البخاري في صحيحه: قال: قدم أصحاب عبدالله إلى الشام، وفيهم علقمة،
 فجاءهم أبو الدرداء وقال: أيتكم يقرأ على قراءة عبدالله؟ قالوا: كلنا. قال: فأيتكم يحفظ؟
 فأشاروا إلى علقمة. قال: كيف سمعته يقرأ «والليل إذا يعفَى...»؟ قال علقمة: «والذكر
 والأنثى» قال أبو الدرداء: أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدوني
 على أن أقرأ «وما خلق الذكر والأنثى» والله لا أتابعهم.^٢
 وأسند الزمخشري هذه القراءة إلى النبي ﷺ.^٣
 وفي رواية الأعمش عن ابن مسعود: أنه قرأ: «حم سق» بلاعين. وهكذا قرأ ابن
 عباس أيضاً.^٤



وصف مصحف أبي بن كعب

كان ترتيب مصحف أبي قريباً من مصحف ابن مسعود، غير أنه قدم سورة الأنفال،
 وجعلها بعد سورة يونس وقبل سورة براءة. وقدم سورة مريم والشعراء والحج على سورة
 يوسف. وهكذا مما سيتبين في الجدول الآتي.
 وقد اشتمل مصحفه على مائة وخمسة عشرة سورة. جعل سورتي الفيل وقريش
 سورة واحدة. وزاد سورتي الخلع والحفد، وسنذكرهما.
 وكان مصحفه مفتتحاً بسورة الحمد، ومختتماً بالمعوذتين، كمصحفنا اليوم.^٥
 جهة أخرى: اشتمال مصحفه على دعاءي القنوت، باعتبارهما سورتين فيما زعم.
 أمّا الخلع فهي: «بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونتني عليك

١ - التلخيص، ج ٤، ص ٦٦١ و ج ٥، ص ٣٥.

٢ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٤١.

٣ - التلخيص، ج ٤، ص ٦٦١.

٤ - الإقبال، ج ١، ص ١٨٦ و ١٨٤.

٥ - الإقبال، ج ١، ص ١٨٦ و ١٨٤.

الخير. ولأنكفرك. ونخلع ونترك من يشجرك». وأما الحنفد فهي: «بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إيتاك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد. نخشى عذابك ونرجو رحمتك. إن عذابك بالكفار ملحق».^١

جهة تالفة: كان قد ترك البسملة بين سورتي الفيل وقريش، باعتبارهما سورة واحدة^٢ وقد ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام أيضاً أنهما سورة واحدة، ولكن مع فصل البسملة بينهما. فإذا قرأ المصلي «ألم تر كيف فعل ربك» يجب أن يقرأ معها «لا يلاف قريش». فهما سورة واحدة قراءة ولكنهما سورتان ثبتاً، على عكس ما في مصحف أبي.

روى العياشي عن أبي العباس عن أحدهما (الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام) قال: **ألم تر كيف فعل ربك، ولا يلاف قريش، سورة واحدة.**^٣

وهكذا روينا بشأن سورتي الضحى والإنشراح أنهما سورة واحدة.^٤ وقد أفنى بذلك علماءنا الأعلام. قال المحقق الحلبي رحمته الله: روى أصحابنا أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة، وكذا الفيل ولا يلاف. ولا يجوز إفراد إحداهما عن صاحبتها في كل ركعة.^٥

وفي مجمع البيان: روى أن أبي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه.^٦ جهة رابعة: كان افتتح سورة الزمر في مصحفه بـ«حم». فيكون عدد الحواميم عنده ثمانية. أخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف، قال: ثم الزمر أولها حم.^٧ جهة خامسة: اختلاف قراءة ته مع النص المشهور على نحو اختلاف قراءة ابن مسعود، وإليك نماذج من قراءاته الشاذة:

١ - المصدر، ج ١، ص ١٨٤.

٢ - وسائل الشريعة، باب ١٠ من أبواب القراءة في الصلاة، ج ٤، ص ٧٤٤، ح ٦.

٣ - المصدر، ج ٤.

٤ - جواهر الكلام، ج ١٠، ص ٢٠.

٥ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٤٤.

٦ - الإمتان، ج ١، ص ١٨٦.

٧ - المصدر، ج ١٠، ص ٥٤٤.

قرأ: «قَالُوا يَا وَيْلَنَا [مَنْ هَذَا - وَالنَّص] مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا»^١.
 وقرأ: «كَلِمًا أُضَاءَ لَهَا [مَرَّوًا فِيهِ. وَقَرَأَ - أَيْضًا - : سَعَا فِيهِ بَدَلًا] مَكْفُوفًا فِيهِ»^٢.
 وقرأ: «فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ [مُتَتَابِعَاتٍ] فِي الْحَجِّ»^٣. نظرًا لأنه يجب المتتابع فيها، فأوضحها
 بهذه الزيادة!

وقرأ: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ [إِلَى أَجْلِ مَسْمِيٍّ] فَآتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً»^٤ للتخصيص
 على أنها متعة النكاح.
 وقرأ: «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا [مَنْ نَسِيَ فَكَيْفَ أَظْهَرَ كَمَ عَلَيْهَا]»^٥. شرح وتفسير
 للآية.

وقرأ: «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ [وَلَوْ حَمِيَّتُمْ كَمَا حَمَى الْفُسَدُ
 الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ] فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ»^٦.
 وفيما يلي جدول يقارن بين مصاحف السلف وترتيب مصحفنا اليوم. أخذناه من
 نص ابن أسنة^٧ وأكملنا سقطاته على نص ابن النديم. وأرمرنا له بعلامة (ن) واعتمد هذا
 الأخير على رواية الفضل بن شاذان، اعتماده يرجحه على ما شاهدته بنفسه. قال: رأيت
 عدة مصاحف ذكر نسخها أنها مصحف عبدالله بن مسعود، ليس فيها مصحفان متفقان.
 وأكثرها في رق كبير السخ. وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ نحو مائتي سنة فيه فاتحة
 الكتاب، والفضل بن شاذان أحد الأئمة في القرآن والروايات، فلذلك ذكرنا مقالته دون ما
 شهدناه.^٨

١ - ص ٣٦، ٥٢. راجع: مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٢٨. ٢ - البقرة ٢: ٢٠. راجع: الإفتان، ج ١، ص ١٣٤.

٣ - البقرة ١٢: ١٩٦. راجع: التكتشاف، ج ١، ص ٤٤٢. ٤ - التسماء ٤: ٤٤. راجع: جامع البيان، ج ٥، ص ٩.

٥ - طه ١: ١٥. راجع: تأويل مشكل القرآن، ص ٤٥.

٦ - الفتح ٤٨: ٤٦. راجع: عبقبات الأنوار، مجلد حديث مدينة العلم، ص ٥١٨.

٧ - الإفتان، ج ١، ص ١٨١. ٨ - القهرست، ص ٤٦.

جدول يقارن بين ثلاثة مصاحف

رقم السورة	مصحف ابن مسعود	مصحف أبي	المصحف الحاضر
١	...	الفاتحة	الفاتحة
٢	البقرة	البقرة	البقرة
٣	النساء	النساء	آل عمران
٤	آل عمران	آل عمران	النساء
٥	الأعراف	الأنعام	المائدة
٦	الأنعام	الأعراف	الأنعام
٧	المائدة	المائدة	الأعراف
٨	يونس	يونس	الأنفال
٩	براءة	الأنفال	التوبة
١٠	النحل	براءة	يونس
١١	هود	هود	هود
١٢	يوسف	مريم	يوسف
١٣	الكهف	الشعراء	الرعد
١٤	الإسراء	الحج	إبراهيم
١٥	الأنبياء	يوسف	الحجر
١٦	طه	الكهف	النحل
١٧	المؤمنون	النحل	الإسراء

رقم السورة	مصحف ابن مسعود	مصحف أبي	المصحف الحاضر
١٨	الشعراء	الأحزاب	الكهف
١٩	الصافات	الاسراء	مريم
٢٠	الأحزاب	الزمر (أولها حم)	طه
٢١	الحج	طه	الأنبياء
٢٢	التقصص	الأنبياء	الحج
٢٣	النمل	النور	المؤمنون
٢٤	النور	المؤمنون	النور
٢٥	الأنفال	سبأ	الفرقان
٢٦	مريم	العنكبوت	الشعراء
٢٧	العنكبوت	المؤمن (عافر)	النمل
٢٨	الروم	الرعد	التقصص
٢٩	التقصص	التقصص	العنكبوت
٣٠	الفرقان	النمل	الروم
٣١	الحجر	الصافات	لقمان
٣٢	الرعد	ص	السجدة
٣٣	سبأ	يس	الأحزاب
٣٤	فاطر	الحجر	سبأ
٣٥	إبراهيم	الشورى	فاطر
٣٦	ص	الروم	يس
٣٧	محمد	الزخرف (ن)	الصافات
٣٨	لقمان	فصلت (ن)	ص
٣٩	الزمر	إبراهيم (ن)	الزمر

رقم السورة	مصحف ابن مسعود	مصحف أبي	المصحف الحاضر
٤٠	المؤمن	فاطر (ن)	غافر
٤١	الزخرف	الحديد ^١	فصلت
٤٢	فصلت	الفتح	الشورى
٤٣	الشورى	محمد	الزخرف
٤٤	الأحقاف	المجادلة	الدخان
٤٥	الجنات	الملك	الجنات
٤٦	الدخان	الفرقان (ن)	الأحقاف
٤٧	الفتح	السجدة	محمد
٤٨	الحديد (ن)	نوح	الفتح
٤٩	الحشر	الأحقاف	الحجرات
٥٠	السجدة	ق	ق
٥١	ق (ن)	الرحمن	الذاريات
٥٢	الطلاق	الواقعة	الطور
٥٣	القلم ^٢	الجن	النجم
٥٤	الحجرات	النجم	القمر
٥٥	الملك	المعارج	الرحمن
٥٦	التغابن	المزمل	الواقعة
٥٧	المنافقون	المدثر	الحديد
٥٨	الجمعة	القمر	المجادلة
٥٩	العصف	الدخان	الحشر
٦٠	الجن	لقمان	المتحة

٢ - جعلها ابن انديم بعد سورة الواقعة.

١ - جعلها ابن انديم بعد سورة فصلت.

رقم السورة	مصحف ابن مسعود	مصحف أبي	المصحف الحاضر
٦١	نوح	الجاثية	الصف
٦٢	المجادلة	الطور	الجمعة
٦٣	المتحنة	الذاريات	المنافقون
٦٤	التحریم	القلم	التغابن
٦٥	الرحمن	الحاقة	الطلاق
٦٦	النجم	الحشر	التحریم
٦٧	الطور ^١	المتحنة	الملك
٦٨	الذاريات	المرسلات	القلم
٦٩	القمر	النبأ	الحاقة
٧٠	الحاقة (ن)	الدهر (ن)	المعارج
٧١	الواقعة	القيامة	نوح
٧٢	النازعات	التكوير	الجن
٧٣	المعارج	الطلاق	المزمل
٧٤	المدثر	النازعات	المدثر
٧٥	المزمل	التغابن	القيامة
٧٦	المطففين	عبس ^٢	الإنسان
٧٧	عبس	المطففين	المرسلات
٧٨	الدهر	الانشقاق	النبأ
٧٩	المرسلات ^٣	التين	النازعات
٨٠	القيامة	العلق	عبس

١ - جعلها ابن التديم بعد سورة الذاريات.

٢ - جعلها ابن التديم بعد سورة انفاسية.

٣ - جعلها ابن التديم بعد سورة القيامة.

رقم السورة	مصحف ابن مسعود	مصحف أبي	المصحف الحاضر
٨١	النبا	الحجرات	التكوير
٨٢	التكوير	المنافقون	الانطار
٨٣	الانطار	الجمعة	المطففين
٨٤	الغاشية	التحریم	الانشقاق
٨٥	الأعلى	الفجر	البروج
٨٦	الليل	البلد	الطارق
٨٧	الفجر	الليل	الأعلى
٨٨	البروج	الانطار	الغاشية
٨٩	الانشقاق	الشمس	الفجر
٩٠	العلق	البروج (ن)	البلد
٩١	البلد	الطارق	الشمس
٩٢	الضحى	الأعلى	الليل
٩٣	الطارق	الغاشية	الضحى
٩٤	العاديات	الصف	الشرح
٩٥	الماعون	البيئة	الئين
٩٦	القارعة	الضحى	العلق
٩٧	البيئة	الانشراح	القدر
٩٨	الشمس	القارعة	البيئة
٩٩	التين	التكاثر	الزلزلة
١٠٠	الهمزة	العصر	العاديات
١٠١	الفيل	الخلع	القارعة

رقم السورة	مصحف ابن مسعود	مصحف أبي	المصحف الحاضر
١٠٢	قريش	الحفد	التكاثر
١٠٣	التكاثر	الهمزة	العصر
١٠٤	القدر	الزلزلة	الهمزة
١٠٥	الزلزلة	العاديات	القييل
١٠٦	العصر	القييل	قريش
١٠٧	النصر	قريش ^١	الماعون
١٠٨	الكوثر	الماعون	الكوثر
١٠٩	الكافرون	الكوثر	الكافرون
١١٠	المسد	القدر	النصر
١١١	التوحيد	الكافرون	المسد
١١٢	الانشراح ^٢	النصر	الإخلاص
١١٣	...	المسد	الفلق
١١٤	...	التوحيد	الناس
١١٥	...	الفلق	...
١١٦	...	الناس ^٣	...



١ - جعلها ابن التديم بعد سورة التضحى،
 ٢ - جعلها ابن التديم بعد سورة التمسد،
 ٣ - تلك مائة وست عشرة سورة، تكن بما أن سورتي القيل وقريش في مصحف أبي واحدة، فمجموع سورته ١١٥ سورة.

توحيد المصاحف

سبق أن الفترة بعد وفاة النبي ﷺ كانت فترة جمع القرآن، فقد اهتم كبار الصحابة بتأليف سور القرآن وجمع آياته، حسب ما أوتوا من علم وكفاءة، كل في مصحف يخصه. وآخرون أعوزتهم الكفاءة فلجأوا إلى غيرهم ليستسخروا لهم مصاحف أو يجمعوا لهم آيات وسوراً في صحف. وهكذا أخذت نسخ المصاحف تتزايد، اطراداً مع اتساع رقعة الإسلام. كان المسلمون وهم في كثرة مطردة، ومنتشرون في أطراف البلاد المترامية، قد أحسوا بحاجتهم القريبة إلى نسخ من كتاب الله، حيث كان الدستور السماوي الوحيد الذي كان المسلمون ينظّمون عليه معالم حياتهم العامة في جميع جوانبها، فهو مصدرهم في الأحكام والتشريعات والتنظيمات.

وقد أحرز بعض هذه المصاحف في العالم الإسلامي آنذاك مقاماً رفيعاً حسب انتسابه إلى جامعته. كمصحف عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل كان مرجع أهل الكوفة وهو بلد العلم ومعهد الدراسات الإسلامية العريقة ومصحف أبي بن كعب في الأقطار الشامية. ومصحف أبي موسى الأشعري في البصرة. ومصحف المقداد بن الأسود في دمشق... وهكذا.

اختلاف المصاحف

ولمّا كان جامعوا المصاحف متعدّدين ومشايعين، ومختلفين بحسب الكفاءة والمقدرة والاستعداد، وكانت كل نسخة منها تشمل على ما جمعه صاحبها، وما جمعه واحد لا يتفق تماماً مع ما جمعه آخرون. كانت طبيعة الحال تقضي باختلاف في تأليف تلك المصاحف، أسلوباً وترتيباً وقراءة وغيرها. وقد تقدّم حديث ما بين مصاحف

السلف من اختلاف.

وهذا الاختلاف في المصاحف وفي القراءات، كان بلا شك يستدعي اختلافاً بين الناس، عندما تجمعهم ندوة أو مناسبة، على مختلف نزعاتهم واتجاهاتهم يومذاك. فربما كان المسلمون يجتمعون في غزوة أو احتفال، وهم من أقطار متباعدة، فيقع بينهم نزاع وجدل، وإنكار أحدهم على الآخر، فيما يتعصبون له من مذهب أو عقيدة أو رأي.

نماذج من اختلاف العامة

وفيما يلي عرض موجز عن نماذج من اختلاف العامة على المصاحف فيما تعصبوا له من قراءات أصحابها:

١ - في غزو مرج أرمينية: بعدما قفل حذيفة راجعاً من غزو الباب (مرج أرمينية - آذربيجان) قال لسعيد بن العاص، وكان يصحبه: لقد رأيت في سفري هذا أمراً، لكن تركت ليختلفن في القرآن، ثم لا يقومون عليه بدأً فقال سعيد: وما ذلك؟ قال: رأيت أناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأيت أهل دمشق يقولون: إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وإنهم قرأوا على ابن مسعود. وأهل البصرة يقولون مثل ذلك، وإنهم قرأوا على أبي موسى الأشعري، ويسمّون مصحفه «باب القلوب».

فلما وصل ركب حذيفة وسعيد إلى الكوفة، أخبر حذيفة الناس بذلك، وحذّرهم ما يخاف. فوافقه أصحاب رسول الله ﷺ وكثير من التابعين.

وقال له أصحاب ابن مسعود: ما تنكر، ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟
فغضب حذيفة ومن وافقه، وقالوا: إنما أنتم أعراب فاسكتوا، فإنكم على خطأ. وقال

حذيفة: والله لئن عشت لأتبن أمير المؤمنين - يعني عثمان - ولأشيرن عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك.

فأغلظ له ابن مسعود، فغضب سعيد وقام، وتفرق الناس. وغضب حذيفة وسار إلى عثمان...^١

٢ - في مسجد الكوفة: عن يزيد النخعي، قال: إني لثني المسجد - مسجد الكوفة - زمن الوليد بن عقبة - وكان والياً على الكوفة من قبل عثمان - في حلقة فيها حذيفة بن اليمان. وليس إذ ذاك حجرة ولا جلاوزة - أي لم يكن للمسجد آنذاك سدنة وحفظة - إذ هتف هاتف: من كان يقرأ على قراءة أبي موسى، فليات الزاوية التي عند باب كندة. ومن كان يقرأ على قراءة عبدالله بن مسعود، فليات الزاوية التي عند دار عبدالله. واختلفا في آية من سورة البقرة، قرأ هذا: «وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ»^٢



فغضب حذيفة واحمرت عيناه، ثم قام ففرق قميصه في حجرته وهو في المسجد، فقال: أما أن يركب إلى أمير المؤمنين وأما أن أركب. فهكذا كان من قبلكم...

وفي رواية أبي الشعثاء: فقال حذيفة: قراءة ابن أم عبد! وقراءة أبي موسى الأشعري! والله إن بقيت حتى آتي أمير المؤمنين، لأمرته بجعلها قراءة واحدة. فغضب عبدالله، فقال كلمة شديدة فسكت حذيفة...

وفي رواية ثالثة: قال حذيفة: يقول أهل الكوفة: قراءة عبدالله! ويقول أهل البصرة: قراءة أبي موسى! والله لئن قدمت على أمير المؤمنين، لأمرته بغرق هذه المصاحف! فقال له عبدالله: أما والله لئن فعلت ليغرقنك الله في غير ماء يعني سقر.^٣ وروى ابن حجر: أن

٢ - البقرة ٢: ١٩٦.

١ - التكميل في التاريخ، ج ٣، ص ٥٥.

٣ - المصاحف، ص ١١ - ١٤.

ابن مسعود قال لحذيفة: بلغني عنك كذا، قال: نعم، كرهت أن يقال قراءة فلان وقراءة فلان، فيختلفون كما يختلف أهل الكتاب.^١

٢- في نفس المدينة: أخرج ابن أشتة عن أنس بن مالك، قال: اختلفوا في القرآن على عهد عثمان، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل - أحد أصحاب المصاحف - والمعلم يعلم قراءة الرجل - آخر من أصحاب المصاحف - فكان الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، فجعل يكفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فقال: عندي تكذيبون به وتلحنون فيه، فمن نأى عني كان أشدّ تكذيباً ولحناً...^٢

وعن محمد بن سيرين، قال: كان الرجل يقرأ حتى يقول الرجل لصاحبه: كفرت بما تقول! فرفع ذلك إلى عثمان فتعاضم في نفسه، فجمع اتني عشر رجلاً من قريش والأنصار...^٣

وعن بكير الأشجّ قال: إن أناساً بالعراق كان يسأل أحدهم عن الآية، فإذا قرأها، قال - أي السائل -: ألا نبي أکفر بهذه القراءة. ففسا ذلك في الناس، فتكلم بعضهم مع عثمان في ذلك.^٤

وهكذا وقعت حوادث حول اختلاف قراءة القرآن كانت تنذر بسوء ووقوع فتن ربّما لا تحمد عقباه، لولا تداركها من قبل رجال نابهين أمثال حذيفة بن اليمان وأضرابه، رضوان الله عليهم.

قدوم حذيفة المدينة

عندما رجع حذيفة من غزو أرمينية، ناقماً اختلاف الناس في القرآن، استشار من كان بالكوفة من صحابة الرسول ﷺ بشأن معالجة القضية قبل تفاقم الأمر. فكان رأيه

١ - فتح الباري، ج ٩، ص ١٥. ٢ - الإمتان، ج ١، ص ١٧٠، والمصاحف، ص ٢٦.

٣ - الطبقات، ج ٣، ق ٢، ص ٦٦، والمصاحف، ص ٢٥. ٤ - فتح الباري، ج ٩، ص ١٦.

حمل عثمان على أن يقوم بتوحيد نسخ المصاحف، وإجاء الناس على قراءة واحدة، فاتفقت كلمة الصحابة على صواب هذا الرأي، سوى عبدالله بن مسعود. ومن ثم أزمع في الأمر وسار إلى المدينة يستحث عثمان على إدراك أمة محمد ﷺ قبل تفرقها، قال: يا أمير المؤمنين، أنا النذير العريان أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في اليهود والنصارى! قال عثمان: وما ذاك؟ قال: غزوت مرج أرمينية فإذا أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب ويأتون بما لم يسمع أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود، ويأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكثر بعضهم بعضاً^٢.

عثمان يأتمر الصحابة

تلك حوادث وأضرابها كانت وخيمة المآل، دعت بعثمان أن يهتم بالأمر ويقوم بساعد المجد، لولا أن تهيئته القضية وهي فاجئة مباغتة، لم يسبقه إليها غيره ممن تقدمه. مضافاً إلى ما كان يراه من صعوبة العمل في مرحلة تنفيذه، حيث انتشر نسخ المصاحف في البلاد، ومن ورائها رجال من كبار الصحابة لا يستهان بشأنهم في المجتمع الإسلامي آنذاك، فربما يقومون بحمايتها والدفاع عنها فيشكلون عرقلة عويصة تسد وجه الطريق! ومن ثم جمع أصحاب الرسول ﷺ من كان حاضراً بالمدينة، واستشارهم في الأمر. فلم يكن منهم سوى اتفاقهم على ضرورة القيام به مهما كلف الأمر. قال ابن الأثير: فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حديثه^٣.

١ - التكملة في التاريخ، ج ٣، ص ٥٥.

٢ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٢٦؛ والمصاحف، ص ١٩ - ٢٠؛ والتكملة في التاريخ، ج ٣، ص ٥٦.

٣ - التكملة في التاريخ، ج ٣، ص ٥٦.

لجنة توحيد المصاحف

وأخيراً أزمع عثمان على تنفيذ النكرة، فوجهه - أولاً - نداءه إلى عائلة الصحابة: يا أصحاب محمد ﷺ اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً. ^١ ثم ندب نفرًا يخصصونه، وهم أربعة: زيد بن ثابت، وهو أنصاري وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهم قرشيون... وهؤلاء الأربعة أعضاء أولية، انعقدت بهم لجنة توحيد المصاحف. ^٢ وكانت لزيد سمة رئاسة على الآخرين. كما يظهر من تذمر ابن مسعود واستنكاره استثمار زيد لهذا المنصب. قال: يامعشر المسلمين، أأعزل عن نسخ المصاحف ويتولأها رجل. والله لقد أسلمت وإنه لني صلب رجل كافر. يريد زيد بن ثابت. ^٣ وكان عثمان هو يتعاهدهم بنفسه. ^٤

لكن هؤلاء الأربعة لم يستطيعوا القيام بصميم الأمر، وكانت تعوزهم الكفاءة لهكذا عمل خطير. ومن ثم استعانوا بأبي بن كعب ومالك بن أبي عامر وكثير بن أفلح وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس ومصعب بن سعد ^٥ وعبد الله بن فطيمة ^٦ إلى تمام الاثني عشر على ما جاء في رواية ابن سيرين وابن سعد وغيرهما. ^٧ وفي هذا الدور كانت الرئاسة مع أبي بن كعب، فكان هو يملئ عليهم ويكتب الآخرون. قال أبو العالية: إنهم جمعوا القرآن من مصحف أبي بن كعب. فكان رجال يكتبون يملئ عليهم أبي بن كعب. ^٨

قال ابن حجر: وكان ابتداء الأمر كان لزيد وسعيد، حيث سأل عثمان: من أكثب

١ - الإتيان، ج ١، ص ٥٩ عن مصاحف ابن ائمة، والمصاحف، ص ٢١.

٢ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٢٦. ٣ - فتح الباري، ج ٩، ص ١٧، والمصاحف، ص ١٧.

٤ - المصاحف، ص ٢٥. ٥ - إرشاد أنصاري، ج ٧، ص ٤٤٩.

٦ - المصاحف، ص ٤٣. ٧ - المصدر، ص ٢٥، والتطبقات، ج ٣، ص ٢٤.

٨ - المصاحف، ص ٤٠.

الناس؟ قالوا: زيد. ثم قال: فأبي الناس أفصح؟ قالوا: سعيد. فقال: فليمل سعيد وليكتب زيد.^١

قال: ثم احتاجوا إلي من يساعدهم في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التي ترسل إلى الآفاق. فأضافوا إلى زيد من ذكر، ثم استظهروا بأبي بن كعب في الإملاء.^٢

موقف الصحابة تجاه المشروع المصاحفي

سبق أن حذيفة بن اليمان كان أول من فكر في توحيد المصاحف وحلف لبياتين الخليفة وليأمره بجعلها قراءة واحدة^٣ كما استشار هو من كان بالكوفة من صحابة الرسول ﷺ فوافقوه على ما عزم، سوى ابن مسعود.^٤

وجمع عثمان من كان بالمدينة من الصحابة فأتمرهم في ذلك فهبوا جميعاً يوافقون فكرة توحيد المصاحف، قال ابن الأثير: فجمع الصحابة وأخبرهم الخبر فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة.^٥

وهكذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بدى ربه موافقاً للمشروع ذاتياً. أخرج ابن أبي داود عن سويد بن غفلة، قال: قال علي عليه السلام: فوالله ما فعل عثمان الذي فعل في المصاحف إلا عن ملامتنا. استشارنا في أمر القراءات، وقال: بلغني أن بعضهم يقول: قراءة أبي خبير من قراءة تك، وهذا يكاد يكون كقرأ. قلنا: فماذا رأيت؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت.^٦

١ - فتح الباري، ج ٩، ص ١٦٦. جاء ذلك في رواية مصعب بن سعد. تكن في صحفة ما تضمنته الرواية من فحوى، كلام ونقاش!

٢ - انصهر، والطبقات، ج ٣، ق ٢، ص ٦٢؛ وتهذيب التهذيب، ج ١، ص ١٨٧.

٣ - فتح الباري، ج ٩، ص ١٤٥. ٤ - التكميل في التاريخ، ج ٤، ص ٥٥.

٥ - انصهر.

٦ - انصاحف، ص ٤٢. قال جلال الدين، والنسب صحيح، والإيمان، ج ١، ص ٥٩؛ ونقل التسيدي ابن طلوس في

وفي رواية أخرى قال: لو وليت في المصاحف ما ولي عثمان لفعلت كما فعل^١ وأخرج ابن أبي داود - أيضاً - عن سويد بن غفلة، قال: قال علي عليه السلام - حين حرق عثمان المصاحف - : لو لم يصنعه هو لصنعته^٢.

وكان عليه السلام - بعدما تولى الخلافة - أحرص الناس على الالتزام بالمرسوم المصحفي - حتى ولو كانت فيه أخطاء إملائية - حفظاً على كتاب الله من أن تمسه يد التحريف فيما بعد باسم الإصلاح. قال عليه السلام بهذا الصدد: لا يهاج القرآن بعد اليوم.

ذكروا: أنه قرأ رجل بسمع الإمام: «وَطَلَعُ مَنْضُودٍ»^٣ فجعل الإمام يترنم في نفسه: ماشأن الطلح! إنما هو طلع - كما في قوله تعالى: «فَمَا طَلَعُ نَضِيدٍ»^٤ - ولم يكن ذلك اعتراضاً من الإمام على القارئ، ولادعوى إلى تغيير الكلمة، بل كان مجرد حديث نفس ترنم به الإمام عليه السلام.

ولكن أناساً سمعوا كلامه فهبوا يفترحون عليه: أو لا نحولده؟ فأنبرى الإمام عليه السلام متسغرباً هذا الاقتراح، وقال كيلمته الحاسمة الخالدة، «إِنَّ الْقُرْآنَ لَا يَهَاجُ الْيَوْمَ وَلَا يَحُولُ»^٥.

وهكذا سار على منهجه عليه السلام الأئمة من بعده:

قرأ رجل عند الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤه

→ سندانسود، ص ٢٧٨، من كتاب اختلاف المصاحف لأبي جعفر محمد بن منصور، رواية محمد بن زيد بن مروان: أن القرآن جمعه زيد بن ثابت على عهد أبي بكر، ثم عاد عثمان، فجمع المصحف برأي مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام. ونقله أبو عبدالله الزنجاني أيضاً في تاريخ القرآن، ص ٤٥، ونقل في ص ٤٦ ما يقرب ذلك من مقدمة تفسير انشهرستاني (ج ١، ص ١١٨) أيضاً.

١ - انشور، ج ١، ص ٨، والمصاحف، ص ٢٤.

٢ - المصاحف، ص ٢٢.

٣ - اتواقعة، ٥٦: ٢٩، اختلفوا في تفسير اطلح، قيل: هو انموز، ومن التريب ما ذكره ابن خاتويه في انشور، ص ١٤٦، إن أول من غرس شجر انموز بمدينة الرسول عليه السلام هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام!

٤ - ق ٥٠، ١٠.

٥ - جامع البيان، ج ٢٧، ص ١٠٤، ومجمع البيان، ج ٩، ص ٢١٨.

الناس! فقال له الإمام: مدمه، كفت عن هذه القراءة وقرأ كما يقرأ الناس.

وقال عليه السلام في جواب من سأله عن الترتيل في القرآن: اقرأوا كما علمتم.^١

ومن ثم وقع إجماع أصحابنا الإمامية على أن ما بأيدينا هو قرآن كله^٢ لم تمسه يد تحريف أصلاً. وأن القراءة المشهورة (والتي قرأها حنص) هي القراءة الصحيحة، التي تجوز القراءة بها في الصلاة. وغيرها من أحكام أجروها على النص الموجود، واعتبروه هو القرآن الذي أوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعتبروا شيئاً سواه.

وأما ابن مسعود فلا أظن مخالفته كانت جوهرية، وإنما أنضبه انتداب أشخاص غير أكفاء، لهكذا مشروع جليل كان أمثاله جديرين بالانتداب له. كان يقول بأن رجالاً لم يؤذن لهم قد تصرفوا في القرآن من تلقاء أنفسهم.^٣ ومن ثم أبى إياه شديداً أن يدفع مصحفه إلى رسول الخليفة. قال أبو ميسرة: أتاني رجل وأنا أصلي فقال: أراك تصلي وقد أمر بكتاب الله أن يمزق كل ممزق! فتحوّرت في صلاتي وكنت أجلس. فدخلت المدار ولم أجلس. ورقبت فلم أجلس. فإذا أنا بالأشعري، وحذيفة وابن مسعود يتناوولان. وحذيفة يقول لابن مسعود: ادفع إليهم المصحف قال: والله لا أدفعه إليهم. قرأني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بضعا وسبعين سورة ثم أدفعه إليهم؟! والله لا أدفعه إليهم.^٤

عام تأسيس المشروع

قال ابن حجر: كانت هذه النصبة في سنة خمس وعشرين، في السنة الثالثة أو الثانية^٥ من خلافة عثمان. قال: وغفل بعض من أدركناه فزعم أن ذلك كان في حدود سنة

١ - وسائل الشريعة، باب ٧٤ من أبواب القراءة في الصلاة، ج ٤، ص ٨٢٦، ح ٤.

٢ - راجع: حديث طححة مع الإمام بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٤٦ - ٤٢، ح ١.

٣ - انصالحف تسجستاني، ص ١٧٧. ٤ - المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ٢٢٨.

٥ - هذا الترتيد ينظر إلى الاختلاف في اليوم الذي يبيع فيه عثمان، فقيل: في العشر الأخير من ذي الحجة عام ٢٣، وعليه فعام تأسيس اللجنة يقع في صدر السنة الثالثة من خلافته، وقيل: في أشهر الأول من محرم عام ٢٤، وعليه فيكون تأسيس اللجنة واقعاً في مؤخره السنة الثانية، راجع: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٠٤، طبعة الاستقامة، أوج ٤، ص ٢٤٢، طبعة دار المعارف.

ثلاثين، ولم يذكر لذلك مستنداً^١.

وعدها ابن الأثير - وتبعه بعض من تأخر عنه من غير تحقيق - من حوادث سنة ثلاثين قال: وفي هذه السنة غزا حذيفة الباب مدد لعبد الرحمان بن ربيعة وفيها رأى حذيفة اختلافاً كثيراً بين الناس في القرآن، فلما رجع أشار على عثمان بجمع القرآن ففعل^٢.

وأظن ابن الأثير متوهماً في هذا التحديد:

أولاً: كانت غزوة آذربيجان وأرمينية سنة ٢٤ في رواية أبي مخنف، ذكرها الطبري. غزاها الوليد بن عقبة، لأنهم حبسوا ما صالحوا عليه حذيفة اليمان عندما غزاهم سنة ٢٢ أيام عمر بن الخطاب^٣.

وقال ابن حجر: أرمينية فتحت في خلافة عثمان، وكان أمير العسكر من أهل العراق: سلمان بن ربيعة الباهلي. وكان عثمان قد أمر أهل الشام وأهل العراق أن يجتمعوا على ذلك، وكان أمير أهل الشام في ذلك العسكر: حبيب بن مسلمة الفهري وكان حذيفة من جملة من غزاهم، وكان هو على أهل المدائن، وهي من جملة أعمال العراق...

ثم قال: سنة خمس وعشرين هو الوقت الذي ذكر أهل التاريخ أن أرمينية فتحت فيه، أول ولاية الوليد بن عقبة بن أبي معيط، على الكوفة من قبل عثمان^٤.

ثانياً: كانت الغزوة التي غزاها عبد الرحمان بن ربيعة، هي في سنة اثنين وعشرين، وكان الذي بصحبته حذيفة بن أسيد الغناري، لا حذيفة بن اليمان العنسي^٥.

١ - فتح الباري، ج ٩، ص ١٥.

٢ - التكملة في التاريخ، ج ٣، ص ٥٥، وافتوحات الإسلام في تاريخي دحلان، ج ١، ص ١٧٥.

٣ - تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٤٦ - ٢٤٧. ٤ - فتح الباري، ج ٩، ص ١٣ - ١٤.

٥ - تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٥٥.

ثالثاً: في سنة ثلاثين عيّن سعيد حاكماً على الكوفة مكان الوليد، وفي نفس الوقت تهيأ لغزو طبرستان. وصحبه في الغزو ابن الزبير وابن عباس والحديثة^١ ولم يرجع سعيد إلى المدينة حتى سنة ٣٤ وفي السنة التالية كان مقتل عثمان^٢.
كل ذلك لا يلتزم وكون سعيد عضواً تانياً للمحنة إذا كانت تأسست عام ٣٠ وهكذا ابن الزبير وابن عباس على ما تقدم.

رابعاً: ذكر الذهبي فيمن توفي عام ثلاثين «أبي بن كعب». قال: وقال الواقدي: هو أثبت الأقاويل عندنا^٣ مع العلم أن أياً كان مملياً على الأعضاء، وكان مرجعهم الأعلى في النسخ والمقابلة.

خامساً: في حديث يزيد النخعي الآنف: إني لفي المسجد زمن الوليد... الخ^٤. الأمر الذي يدل على وقوع الفصمة قبل سنة ثلاثين. وفي لفظ ابن حجر: أنه كان في بدء ولاية الوليد على الكوفة^٥ ولا بد أنه كذلك، إذ كان تعيين الوليد على الكوفة في مفتتح سنة ٢٦. وفي رواية سيف: أنها كانت سنة ٢٥^٦.

سادساً: وربما هو أقوى دليل: روى ابن أبي داود، عن مصعب بن سعد، قال: خطب عثمان - بدء قيامه بجمع القرآن - فقال: إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة، وقد اختلفتم في القرآن! عزمتم على من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله ﷺ لئلا أتاني به...^٧

هذه الخطبة تحدد بالضبط بدء تأسيس المشروع المصاحفي، وأنه كان عام ٢٥ بعد

١ - المصدر، ص ٢٦٩ - ٢٧١.

٢ - المصدر، ص ٣٣٠ و ٣٦٥.

٣ - ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٨٤، وراجع: الطبقات، ج ٣، ص ٦٢.

٤ - تقدم ذلك في «مناجح من اختلاف المائة» رقم ٥. - فتح الباري، ج ٩، ص ١٣ - ١٤.

٥ - تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٥١.

٦ - المصاحف، ص ٢٤.

الهجرة.

وأخيراً فابن الأثير متفرّد عن الطبري في سرد قضيّة حديفة، ضمن حوادث سنة ثلاثين. ولاسيّما والتفصيل الذي أتى عليه في تأريخه، جاء في صورة لانكاد نصّدقها مأخوذة عن مستند تاريخي، وأغلب الظن أنّها مجموعة روايات منضّمة بعضها إلى بعض زعمها مقترنة، فأوردها ضمن حوادث تلك السنة!!

ملحوظة: لايعتمد الطبري نفسه على التحديدات الزمنية التي يذكرها هو قيّد للحوادث، فهو يتردّد أحياناً في حادثة بين وقوعها سنة ١٨ أو سنة ٢١، كواقعة نهاوند - مثلاً - فلا بدّ إذن لمعرفة تاريخ كلّ حادثة من البحث عن ملبساتها والتحقق عن مناسبتها وأسبابها، دون الاعتماد السريع على ما يذكره المؤرّخون من توقيت.



منجزات المشروع

اجتازت اللجنة المصاحفية في عملها ثلاث مراحل أساسية:

- ١ - جمع المصاحف أو الصحف التي فيها قرآن، من أطراف البلاد الإسلاميّة وإمّانها.
 - ٢ - البحث عن مستندات و وثائق صحيحة لغرض النسخ عليها مصاحف متحدة وبثها بين المسلمون.
 - ٣ - مقابلة هذه المصاحف الموحّدة، لغرض التأكّد من صحتها أولاً، وعدم وجود اختلاف بينها تانياً.
- وأخيراً إلزام المسلمين كافّة على قراءتها ومنع غيرها من قراءات. واللجنة - وإن

١ - يصرّح الطبري بتريده بشأن واقعة نهاوند، ج ٥، ص ١١٤، حوادث سنة ٢١.

اجتازت هذه المراحل - ولكنها في شيء من التساهل وإهمال جانب الدقة الكاملة، ولاسيما في المرحلة الثالثة التي كانت بحاجة شديدة إلى اهتمام أكثر.

ففي مرحلة جمع المصاحف وإمحاءها فقد أرسل عثمان إلى كل أفق من يجمع المصاحف أو الصحف التي فيها قرآن وأمر بها أن تحرق.^١

قال اليعقوبي: وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعت، ثم سلقها بالماء الحارّ والخلّ. وقيل: أحرقتها. فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك، خلا مصحف ابن مسعود، فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبدالله بن عامر. فكتب إليه عثمان أن أشخصه. فدخل ابن مسعود المسجد وعثمان يخطب، فقال عثمان: إنّه قد قدمت عليكم دابة سوء. فكلّم ابن مسعود بكلام غليظ. فأمر به عثمان فجزّ برجله حتى كسر له ضلعان، فتكلّمت عائشة وقالت قولاً كبيراً.^٢

وفي المرحلة الثانية، كان عثمان في بدء الأمر زعمها هيئته، ومن ثم اختارها جماعة غير أكفاء، ثم لجأ أخيراً إلى جماعة آخرين وفيهم الأكفاء مثل سيّد القراء^٣ الصحابي الكبير أبي بن كعب. كما وأرسل إلى الربيعة التي كانت في بيت حفصة، وهي الصحف التي جمع فيها القرآن أيام أبي بكر. فطلبها لتكون سنداً وثيقاً للمقابلة عليها والاستساع منها. فأبت حفصة لأوّل أمرها أن تدفعها إليه، ولعلها خافت أن تأخذ مصيره إلى الحرق والتمزيق كسائر المصاحف، حتى عاهدها عثمان ليردّها فبعثت بها إليه.^٤

وهكذا وجه نداءً عاماً إلى كافة المسلمين: عزمت على من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله ﷺ لما أتاني به.^٥

١ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٢٦. ٢ - تاريخ اليعقوبي، ج ٤، ص ١٥٩ - ١٦٠.

٣ - تهذيب التهذيب، ج ١، ص ١٨٧؛ والعلقات، ج ٢، ص ٦٤.

٤ - المصاحف، ص ٩، وصحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٢٦. ٥ - المصاحف، ص ٢٤.

فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعسيب فيه القرآن، وربما كانوا ينتظرون أناساً كانوا أحدثهم بالعرضة الأخيرة، حتى يأتوهم بالقرآن.

قال ابن سيرين: كانوا إذا تداروا في شيء - أي اختلفوا في آية - أحرروه، قال بعضهم: ولعلهم كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة، فيكتبونها على قوله.^١

وقال أنس بن مالك: كنت فيمن أُملي عليهم، فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبل الآية وما بعدها، ويدعون موضعها حتى يجيء الرجل أو يرسل إليه.^٢

هذا... وربما كان أبي بن كعب يُملي عليهم القرآن فيكتبونه، أو يرسلون إليه

فيصطح لهم ما اشتبهت عليهم قراءتها، جاء في حديث أبي العالية: أنهم جمعوا القرآن من مصحف أبي، فكان رجال

يكتبون يُملي عليهم أبي بن كعب *تحياتكم بغير علوم ردي*

وقال عبدالله بن هانئ البربري - مولى عثمان - كنت عند عثمان، وهم يعرضون المصاحف - أي يقابلون النسخ مع بعضها البعض - فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها: «لم يتسن» وفيها: «لا تبديل للخلق الله»، وفيها: «فأمهل الكافرين» فدعا أبي بدواة فمحي اللامين وكتب «لخلق الله»، ومحي «فأمهل»، وكتب «فمهل» وكتب «لم يتسنه» فألحق فيها الهاء.^٤

أما المرحلة الثالثة فكان التساهل فيها أوضح، حسب ما أودعت في المصحف العثماني من أخطاء ومناقضات إملائية بما لا يستهان بها، كما ولم تتحد نسخ المصاحف مع

١ - المصدر، ص ٢٥.

٢ - المصدر، ص ٢٦.

٣ - المصدر، ص ٢٤.

٤ - الإتيان، ج ٢، ص ٢٧١.

بعضها البعض، فكان بين المصاحف المرسلّة إلى الآفاق اختلاف. الأمر الذي يؤخذ على أعضاء اللجنة، ولاسيّما عثمان نفسه، الذي عثر على تلك الأخطاء وأهمّلتها تساهلاً بالأمر!

يحدّثنا ابن أبي داود عن بعض أهل الشام، كان يقول: مصحفنا ومصحف أهل البصرة أحفظ من مصحف أهل الكوفة. لأنّ عثمان لما كتب المصاحف بلغه قراءة أهل الكوفة على حرف عبدالله، فبعث إليهم بالمصحف قبل أن يعرض - أي قبل مقابلته على سائر النسخ - وعرض مصحفنا ومصحف أهل البصرة قبل أن يبعث بهما^١. وهو تسريع في إرسال المصحف إلى قطر كبير قبل مقابلته بدقة.

كما وأنّ وجود اختلاف بين مصاحف الأمصار - على ما يحدّثنا ابن أبي داود أيضاً^٢ - لدليل على مدى الإهمال الذي سمحوا به في ناحية المقابلة والإتقان من صحّة النسخ.

وجانب أفصح من هذا التماثل الغريب، ما روى ابن أبي داود - أيضاً - : أنّهم عندما فرغوا من نسخ المصاحف أتوا به عثمان، فنظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجملتم. أرى فيه شيئاً من لحن! - لكن - ستقيم العرب بألسنتها؟ تمّ قال: لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقف لم يوجد فيه هذا!^٣

قلت: ما هذا الإيتكال الغريب، والفرصة في قدرته؟! ألم يكن كتاب الله العزيز الحميد جديراً بالاهتمام به ليكون خلوّاً من كلّ خطأ أو لحن؟! تمّ ما هذا التمي الكاذب، وفي استطاعته بدء الأمر أن يختار مملياً من هذيل وكتبة من ثقف، وهو يعلم أنّ فيهم الجدارة والكفاءة، الأمر الذي كان يعوزه من انتدبهم من بطانته حينذاك!!

١ - المصاحف، ص ٢٤.

٢ - المصدر، ص ٢٩ - ٤٩، وسندكره في فصل قادم.

٣ - المصدر، ص ٣٢ - ٣٤.

نعم كانت معبّئة هذا التساهل أن حصلت اختلافات في القراءة فيما بعد، وكان كراً على ما فرّوا منه. وسننصّل كل ذلك في فصول قادمة.

عدد المصاحف العثمانية

اختلف المؤرخون في عدد المصاحف الموحدة التي أرسلت إلى الآفاق. قال ابن أبي داود: كانت ستة حسب الأمصار المهمة ذوات المركزية الخاصة: مكة والكوفة والبصرة والشام والبحرين واليمن. وحسب السابعة - وكانت تسمى الأم أو الإمام - بالمدينة^١ وزاد اليعقوبي: مصر والجزيرة^٢.

إذاً فعدد المصاحف التي نسختها لجنة توحيد المصاحف هي تسعة، واحدة هي الأم أو الإمام، كانت بالمدينة والبقية أرسلت إلى مراكز البلاد الإسلامية آنذاك. وكان المصحف المبعوث إلى كل قطر يحفظ عليه في مركز القطر، يستسخ عليه ويرجع إليه عند اختلاف القراءة، ويكون هو الحجة، والقراءة التي توافقتها تكون هي الرسمية، وكل نسخة أو قراءة تخالفها تعد غير رسمية وممنوعة يعاقب عليها. أمّا مصحف المدينة (الإمام) فكان مرجعاً للجميع بصورة عامة، حتى إذا كان اختلاف بين مصاحف الأمصار، فإن الحجة هو المصحف الإمام بالمدينة، فيجب أن يصحح عليه.

وروي: أن عثمان بعث مع كل مصحف قارئاً يُقرئ الناس على قراءة ذلك المصحف. فبعث مع المصحف المكي - مثلاً - عبدالله بن السائب. ومع المصحف الشامي المغيرة بن شهاب. ومع المصحف الكوفي أبا عبد الرحمن السلمي. ومع المصحف البصري

١ - المصدر، ص ٣٤.

٢ - تاريخ اليعقوبي، ج ٤، ص ١٦٠.

عامر بن عبد القيس.. وهكذا. وكان قارئ المدينة والمقرئ من قبل الخليفة هو زيد بن ثابت.^١

هذا.. وكانت شدة الاهتمام بهذه المصاحف والتحفظ عليها من قبل السلطات، وشدة حرص الناس على محافظتها ودراستها، تستدعي بقاءها مع الخلود. غير أن تطورات حصلت عليها فيما بعد: تنقيط وتشكيل وتحزيب وأخيراً تغيير الخط من الكوفي البدائي الذي كتبت به المصاحف على عهد عثمان، إلى الكوفي المعروف، وبعده إلى خط النسخ العربي الجميل وخطوط أخرى تداولت فيما بعد. كل ذلك جعل من المصاحف العثمانية الأولى على مدرج النسيان، فأُمسيت مهجورة ولم يعد لها أثر في الوجود.



هذا... وذكر ياقوت الحموي (ت ١٢٢٦) أن في جامع دمشق مصحف عثمان بن عفان. قالوا: إنه خطه بيده.^٢

وهذا المصحف رآه ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩) قال: وإلى الجانب الأيسر من جامع دمشق المصحف العثماني بخط عثمان بن عفان.^٣

ولم يحفظ لعثمان أنه خط مصحفاً بيده، فلعلّه مصحف الشام بقي لذلك العهد. وهذا المصحف يذكره ابن كثير (ت ٧٧٤) من غير أن ينسبه إلى خط عثمان. قال: وأما المصاحف العثمانية فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة. وقد كان قديماً بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق في حدود سنة ٥١٨ وقد رأيت كتاباً ضخماً بخط حسن مبین قوي، بحبر محكم، في رق أخذته من جلود الإبل.^٤ وقال الرحالة ابن بطوطة (ت ٧٧٩): وفي الركن الشرقي من المسجد إزاء المحراب

١ - منازل الترقان، ج ١، ص ٤٠٣-٤٠٤.
 ٢ - معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٩.
 ٣ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ١، ص ١٩٥. ٤ - فضائل القرآن لابن كثير، ص ١٥.

خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه عثمان بن عفان إلى الشام، و تفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لم ذلك المصحف الكريم. وهناك يحلف الناس غرماً لهم ومن ادعوا عليه شيئاً^١.

ويقال، إن هذا المصحف بقي في مسجد دمشق حتى احترق فيه سنة ١٣١٠هـ.
قال الدكتور صبحي صالح: وقد ذكر لي زميلي الأستاذ الدكتور يوسف العشي: إن القاضي عبدالمحسن الاسطواني أخبره بأنه قد رأى المصحف الشامي قبل احتراقه، وكان محفوظاً بالمتصورة وله بيت خشب.^٢

قال الأستاذ الزرقاني: ليس بين أيدينا دليل قاطع على وجود المصاحف العثمانية الآن فضلاً عن تعيين أمكنتها.

أما المصاحف الأثرية التي تحتويها خزائن الكتب المصرية ويقال عنها: إنها مصاحف عثمانية، فإننا نشك كثيراً في صحة هذه النسبة، لأن بها زركشة ونقوشاً موضوعة كعلامات للفصل بين السور، وبيانات بحسب القرآن. ومعلوم أن المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا ومن النقط والشكل.

نعم في خزانة المشهد الحسيني مصحف منسوب إلى عثمان، مكتوب بالخط الكوفي القديم، مع تجويف حروفه وسعة حجمه جداً. ورسمه يوافق رسم المصحف المدني أو الشامي، حيث رسم فيه كلمة «من يرتدد» من سورة المائدة بدالين مع الفك، فأكبر الظن أن هذا المصحف منقول من المصاحف العثمانية على رسم بعضها.^٤

وهكذا نسب إلى خط الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مصحف بعض أوراقه محفوظة بالخزانة العلوية في النجف الأشرف. بخط كوفي قديم، كتب على آخره: كتبه علي بن

١ - رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ٥٤.
٢ - خطط الشام، ج ٥، ص ٢٧٩.
٣ - مباحث في علوم القرآن، ص ٨٩، باقلمش.
٤ - مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٠٤، ٤٠٥.

أبو طالب في سنة أربعين من الهجرة. قال الأستاذ أبو عبد الله الزنجاني: ورأيت في شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٣ في دارالكتب العلوية في النجف مصحفاً بالخط الكوفي كتب على آخره: كتبه علي بن أبي طالب في سنة أربعين من الهجرة ولتسابه «أبي» و«أبو» في رسم الخط الكوفي قد يظن من لاخبرة له أنه كتب علي بن أبو طالب بالواو.^١

وفي خزنة الآثار بالمسجد الحسيني بالقاهرة أيضاً مصحف يقال: أن علي بن أبي طالب كتبه بخطه، وهو مكتوب بخط كوفي قديم. قال الأستاذ الزرقاني: من العجائب أن يكون كاتبه علياً، أو يكون قد أمر بكتابتها في الكوفة.^٢

ويذكر ابن بطوطة: أن في مسجد أمير المؤمنين علي عليه السلام بالبصرة، المصحف الكريم الذي كان عثمان يقرأ فيه لما قتل، وأثر تغييره الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى: «فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».^٣ وهو غريب جداً.

وروى السهودي عن محرر بن ثابت، قال: «بلغني أن مصحف عثمان صار إلى خالد بن عمرو بن عثمان، فلما استخيف المهدي عليه السلام بعث بمصحف إلى المدينة، فهو الذي يقرأ فيه اليوم، وعزل مصحف الحجاج، فهو في الصندوق الذي دون المنبر.

وقال ابن زبالة: حدثني مالك بن أنس أن الحجاج أرسل إلى أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف كبير، وكان هذا المصحف في صندوق، عن يمين الأسطوانة التي عملت علماً لمقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يفتح في يوم الجمعة والخميس فبعث المهدي بمصاحف لها أثمان فجعلت في صندوق ونحى عنها مصحف الحجاج».

قال السهودي: «ولا ذكر لهذا المصحف الموجود اليوم بالقبّة التي بوسط المسجد المنسوب لعثمان في كلام أحد من متقدمي المؤرخين.

١ - تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني، ص ٤٦. ٢ - سناهل التعرفان، ج ١، ص ٤٠٥.

٣ - البقرة ٤، ١٤٦. راجع: رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ١١٦.

وفي كلام ابن النجار - وهو أول من ترجم مصاحف المساجد -: أن المصاحف الأولى قد دترت على طول الزمان وتفرقت أوراقها فلم تبق لها باقية بعد ذلك^١.

تعريف عام بالمصاحف العثمانية

كانت المصاحف العثمانية - بصورة عامة - ذات ترتيب خاص يقرب من ترتيب مصاحف الصحابة في أصل المنهج الذي سارت عليه بتقديم الطوال على القصار، مع اختلاف يسير.

وكانت خالية عن كل علامة تشير إلى إعجام الحرف أو تشكيله، أو إلى تجزئته من أحزاب وأقسام وأخماس..

وكانت مليئة بأخطاء إملائية ومناقضات في رسم الخط، ويرجع السبب إلى بداءة الخط الذي كان يعرفه الصحابة آنذاك.

تلك أوصاف عامة جرت عليها تلك المصاحف فنصلها فيما يلي:



مركز تحقيقات علوم إسلامي

١ - الترتيب

تقدّم الكلام عن ترتيب المصحف العثماني، هو الترتيب الحاضر في المصحف الكريم، وهو الترتيب الذي جرت عليه مصاحف الصحابة حينذاك، ولاسيما مصحف أبي بن كعب، لكنه خالفها في موارد يسيرة.

من ذلك: أن الصحابة كانوا يعدّون سورة يونس من السبع الطوال، فكانت هي السورة السابعة^٢ أو الثامنة^٣ في ترتيب مصاحفهم.

لكن عثمان عمد إلى سورة الأنفال فجعلها هي وسورة براءة سابعة السبع الطوال،

١ - راجع: وفاة توفاء، ج ٤، ص ٦٦٧ - ٦٦٨.

٢ - في مصحف ابن مسعود.

٣ - في مصحف أبي بن كعب.

زعمتهما سورة واحدة وأخر سورة يونس إلى سور المثيين.

الأمر الذي أثار ابن عباس ليحترض على عثمان، قائلاً: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال، وهي من المناني^٢ وإلى براءة وهي من المثيين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم^٣ ووضعتموهما في السبع الطوال؟!

قال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً. وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتهما في السبع الطوال.

قال الحاكم: والحديث صحيح على شرط الشيخين.^٤

وهذا يدل على اجتهاد الصحابة في ترتيب المصحف. فكان عثمان يعرف أن آيات من سور ربما كان يتأخر نزولها، فيأمر النبي ﷺ أن توضع موضعها من السورة المتقدمة. فزعم عثمان أن سورة براءة هي من تنمة سورة الأنفال^٥ لتشابه ما بينهما في السياق العام؛ تخفيف بمناوئي الإسلام من كافرين ومنافقين. وتحريض بالمؤمنين على

١ - سبق أن عضويته في لجنة توحيد المصاحف كانت متأخرة.

٢ - تعاه ينظر إبي مصحف ابن مسعود الذي جعلها من المناني. أما في مصحف أبي بن كعب فهي من المثيين.

٣ - أيضاً ينظر إبي مصحف ابن مسعود الذي أثبت فيه التسمية لسورة براءة.

٤ - المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ٢٢٦ و ٣٣٠.

٥ - وهكذا روى التبراشي، ج ٢، ص ٦٤، ح ٣ بسنده عن أحدهما ﷺ: قال: الأنفال وسورة براءة واحدة.

وهناك اختلاف بين العلماء في ألها سورة واحدة أم اثنتان؟ راجع: مجمع البيان، ج ٥، ص ٢، وربما كان يرجح اتقون بألها سورة واحدة ماورد؛ ألما كان يعرف اقتضاء السورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداء للأخرى. تفسير التبراشي، ج ١، ص ١٩، ح ٥.

النبات والكفاح لتثبيت كلمة الله في الأرض، وحيث لم يرد نقل بشأنهما فقرن بينهما وجعلهما سورة واحدة هي سابعة الطوال.

ولعله لم ينتبه أن سورة براءة نزلت نعمة بالكافرين، ومن ثم لم تنزل معها التسمية التي هي رحمة، حيث لا يتناسب بدء نعمة برحمة. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف.^١

وهكذا الاختلافات يسيرة جاءت في المصحف العثماني مع بقية المصاحف، لا في أصول منهج الترتيب العام، بل في سور كل نوع من التنوع، المتقدم. وكان الجدول السابق كفل بيان هذا الاختلاف.

٢ - المقط والتشكيل

كانت المصاحف العثمانية خلواً عن كل علامة مائزة بين الحروف المعجمة والحروف المهملة، وفق طبيعة الخط الذي كان دارجاً عند العرب آنذاك. فلا تمييز بين الباء والتاء ولا بين الياء والتاء ولا بين الجيم والحاء والحاء. وهكذا كان مجرداً عن الحركة والإعراب... وكان على القارئ بنفسه أن يميز بينهما عند القراءة حسب ما يبدو له من قرائن. كما كان عليه أن يعرف هو بنفسه وزن الكلمة وكيفية إعرابها أيضاً.

ومن ثم كانت قراءة القرآن في الصدر الأول موقوفة على مجرد السماع والنقل فحسب. ولو لا الإسماع والإقراء كانت القراءة في نفس المصحف الشريف ممتنعة تقريباً. مثلاً: لم تكن كلمة «تبلو» تفترق في المصحف عن كلمة «تبلو» أو «نتلو» أو «تتلو» أو «يتلو»... وكذا كلمة «يعلمه» لم تكن تتميز عن كلمة «تعلمه» أو «نعلمه» أو

١ - التمسندك على التصحيحين، ج ٢، ص ٣٣٠، والإيقان، ج ١، ص ١٨٤، ومجمع البيان، ج ٥، ص ٤.

«بعلمه».

وهكذا قوله: «لتكون لمن خلقت آية» ربّما قرأه بعضهم: «لمن خلقت». وفيما يلي

أمثلة واقعية، اختلفت القراءة فيها، معجزة خلوّ المصاحف من النقط:

«نُشِرْهَا» «نُشِرَهَا»^١. «نُشِرَهَا»^١.

«يُعَلِّمُهُ» «نَعْلَمُهُ»^٢.

«كُتِبُوا» «تَتَلَوُ»^٣.

«نُجِّيكَ» «نُحْيِكَ»^٤.

«لُكُوتِهِمْ» «لُشُوتِهِمْ»^٥.

«عُجَازِي» «يَجَازِي»^٦.

«فَتَنِيْتُوا» «فَتَنَبَتُوا»^٧.



إلى غيرها من أمثلة وهي كثيرة.

هذا... وخلوّ المصاحف الأولى من علامات فارقة، كان عمدة السبب في اختلاف

القراءات فيما بعد. إذ كان الاعتماد على الحفظ والسمع، وبطول الزمان ربّما كان يحصل

اشتباه في النقل أو خلط في السماع، مادام الإنسان هو عرضة للنسيان، والاشتباه حليفه

مهما دقق في الحفظ، لو لم يقينه بالكتابة. ومن ثمّ قيل: ما حُفِظَ فَرٌّ وما كتبَ قَرٌّ.

أضف إلى ذلك تخلخل الأمم غير العربية في الجزيرة وتضخم جانبهم مطرداً مع

التوسعة في القطر الإسلامي العريض. فكان على أعضاء المشروع المصاحفي في وقته أن

١ - انقرة ٤: ٢٥٩. راجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٦٨. ٢ - أن عمران ٤: ٤٨. راجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٤٤.

٣ - يونس ١٠: ٣٠. راجع: مجمع البيان، ج ٥، ص ١٠٥. ٤ - يونس ١٠: ٩٢. راجع: مجمع البيان، ج ٥، ص ١٣٠.

٥ - التلحوت ٢٩: ٥٨. راجع: مجمع البيان، ج ٨، ص ٢٩٠.

٦ - سبأ ٣٤: ١٧. راجع: مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٨٤.

٧ - الحجرات ٤٩: ٦. راجع: مجمع البيان، ج ٤، ص ٩٤. راجع: مجمع البيان، ج ٩، ص ١٤٦.

يفكروا في مستقبل الأمة الإسلامية، ويضعوا علاجاً لما يحتمل الخلل في قراءة القرآن قبل وقوعه. ولكن نُي وروح الإهمال والتساهل كان مسيطراً تماماً على المسؤولين آنذاك.

هذا.. وقد أغرب ابن الجزري، فزعم أن المسؤولين آنذاك تركوا وضع العلام عن عمد وعن قصد، لحكمة! قال: وذلك ليحتمل الخط ما صح نقله وتثبت تلاوته عن النبي ﷺ إذ كان الاعتماد على الحنظ والسماع لا على مجرد الخط.^١
ووافقه الزرقاني على هذا التبرير المنضوح، قال: كانوا يرسمونه بصورة واحدة خالية من النقط والشكل، تحقيقاً لهذا الاحتمال.^٢

لكن لا مجال لهذا التبرير بعد أن نعلم أن الخط عند العرب حينذاك كان بذاته خالياً عن كل علامة مائزة. وكان العرب هم في بداية معرفتهم بالخط والكتابة، فلم يكونوا يعرفون من شؤون الإعجام والتشكيل وسائر العلام شيئاً لحدّ ذلك الوقت.

مركز تحقيقات كلية علوم راسدي

نشأة الخط العربي

ليس في آثار العرب بالحجاز ما يدلّ على معرفتهم بالكتابة، إلا قبيل الإسلام. والسبب في ذلك أن العرب كان قد غلب على طباعهم البداوة، فكانوا في ترحال وارتحال أو حروب وغارات، وكانت تصرفهم عن التفكير في شؤون الصناعات، والكتابة من الصناعات الحضريّة.

لكن بعض العرب ممن رحلوا إلى الشام والعراق في تجارة أو سفارة، جعلوا يتخلّفون بأخلاق تلكم الأمم المتحضّرة. فاقتبسوا منهم الكتابة والخط على سبيل

٢ - بناهل العرفان، ج ١، ص ٢٥٨.

١ - انظر في انقراضات العس، ج ١، ص ٧.

الاستعارة، فعادوا وبعضهم يكتب بالخط النبطي أو الخط السرياني. وظل الخطان معروفين عند العرب إلى ما بعد الفتح الإسلامي.

وقد تخلف عن الخط النبطي الخط النسخي - وهو المعروف اليوم - وتخلف عن الخط السرياني الخط الكوفي. وكان يسمى الخط الحيري، نسبة إلى الحيرة - مدينة عربية قديمة بجوار الكوفة اليوم - لأن هذا التحوّل حصل فيها. ثم بعد بناء الكوفة وانتقال الحضارة العربية إليها، تحوّل اسم هذا الخط إلى الخط الكوفي. وظل هذا الخط هو المعروف والمتداول بين العرب في فترة طويلة.

والخط النبطي - المتحوّل إلى الخط النسخي - تعلّمته العرب من حوران، أثناء تجارتهم إلى الشام. أمّا الخط الحيري أو الكوفي فقد تعلّموه من العراق. فكانوا يستخدمون القلمين جميعاً: الأول في المراسلات والكتابات الاعتيادية والثاني للكتابات ذوات الشأن كالقرآن والحديث.

ودليلاً على تخلف الخط الكوفي عن السرياني، أنهم كتبوا في القرآن «الكتب» بدل «الكتاب»، و«الرحمن» بدل «الرحمان». وتلك قاعدة مطّردة في الخط السرياني، يحدّفون الألفات الممدودة في أثناء الكلمة.

جاء الإسلام والخط غير معروف عند العرب الحجازيين، فلم يكن يعرف الكتابة إلا بضعة عشر رجلاً، واستخدمهم النبي ﷺ لكتابة الوحي. لكنّه جعل يعرض المسلمين على تعلّم الخط حتى نموا وكثروا.

وقد بقي الخطان: النسخ والكوفي، هما المعروفين بين المسلمين، يعملون في تطويرهما وتحسينهما، حتى نبغ ابن مقلة في مفتح القرن الرابع الهجري، وأدخل في خط النسخ تحسينات فائقة. وهكذا بلغ الخط النسخي العربي ذروته في الكمال على نحو ما هو

عليه الآن.

وظل الخط الكوفي، على عكس ازدهار الخط النسخي وتقدمه، يتدهور إلى أن هجر تماماً، وكتبت المصاحف بعدئذ بالخط النسخي الجميل. وقد كانت تكتب بالخط الكوفي نحو قرنين أو أكثر^١.

أول من نقط المصحف

كان الخط عندما اقتبسته العرب من السريان والأنباط، خالياً من النقط، ولا تزال الخطوط السريانية بلا نقط إلى اليوم. وهكذا جرت عليه العرب يكتبون بلا نقط حتى منتصف القرن الأول، وبعده بقليل جعل الخط العربي ينتقل إلى دوره الجديد، دور تشكيل الخط وتنقيته، وسيأتي الكلام عن التشكيل.

وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق من قبل عبد الملك بن مروان (٧٥-٨٦) تعرف الناس على نقط الحروف المعجمة والتمييزها عن الحروف المهملة. وذلك على يد يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، تلميذَي أبي الأسود الدؤلي^٢.

والسبب في ذلك: أن الموالي في هذا العهد قد كثروا، وازدهم القطر الإسلامي بأجانب عن اللغة العربية، وكان منهم العلماء والقراء، والعريضة ليست لغتهم، فكان لابد أن يقع في تلفظهم لحن، ومن ثم كثرت التصحييف في القراءات، وهال المسلمين ذلك.

١ - راجع: دائرة معارف القرن العشرين فريد وجدي، ج ٤، ص ٢٢١، وتاريخ التصديق الإسلامي لجرجي زيدان، ج ٣، ص ٥٨-٦٠، و«تقدمت لابن خلدون»، ص ٤١٧-٤٢١، وأصل الخط العربي تغليل يحيى زلمي، انجدان الثالث، و«خط العربي الإسلامي تركي عطية»، ص ٢٢، و«تشار الخط العربي بعد افتتاح عبادة»، ص ١٣-١٥، و«مصور الخط العربي نداجي التصريف»، ص ٣٣٨، وتاريخ الخط العربي لصحدهاكر الكردلي، ص ٥٤.

٢ - دائرة معارف القرن العشرين، ج ٣، ص ٧٢٢، ومجاهل التردان، ج ١، ص ٣٩٩-٤٠٠، وتاريخ القرآن، ص ٦٨.

حكى أبو أحمد العسكري أن الناس غيروا يقرأون في مصحف عثمان نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق، ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشبهة علامات. يقال: إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها...^٢
وقال الأستاذ الزرقاني: أول من نقط المصحف هو يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم تلميذاً أبي الأسود المدولي.^٣

أول من شكّل المصحف

وهكذا كان الخطّ العربي آنذاك مجرداً عن التشكيل (علامات حركة الكلمة وإعرابها) وبطبيعة الحال كان المصحف الشريف خلوّاً عن كل علامة تشير إلى حركة الكلمة أو إعرابها.

بيد أن القرآن في الصدر الأول كان محفوظاً في صدور الرجال ومأموناً عليه من الخطأ والمحن، بسبب أن العرب كانت تقرأه صحيحاً حسب سليقتها النظرية التي كانت محفوظة لحدّ ذلك الوقت. أضف إلى ذلك شدة عنايتهم بالأخذ والتلفّي عن مشايخ كانوا قريبي العهد بعصر النبوة. فقد توفّرت الدواعي على حفظه وضبطه صحيحاً حينذاك.

أمّا وبعد منتصف القرن الأول حيث كثرت الدخلاء وهم أجنب عن اللغة فإن السليقة كانت تعوزهم، فكانوا بأمر حاجة إلى وضع علامات ودلالات تؤمّن عليهم الخطأ والمحن. مثلاً: لفظة «كتب» كانت العرب تعرف بسليقتها الذاتية، أنها في قوله تعالى: «كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ»^٤ تقرأ مبنياً للفاعل، وفي قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»^٥ مبنياً

٢ - وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٦ في ترجمة الحجاج.

٤ - الأنعام، ٦، ٥٤.

١ - في كتاب التصحيف، ص ١٣.

٣ - منازل اتعرفان، ج ١، ص ٤٠٦.

للمشعول، أمّا الرجل الأعجمي فكان يشتبه عليه قراءتها معلومة أو مجهولة.

كما أنّ أبا أسود سمع قارئاً يقرأ: «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ»^٦ - بكسر اللام - فقال: ما ظننت أنّ أمر الناس آل إلى هذا، فرجع إلى زياد بن أبيه - وكان والياً على الكوفة (٥٠-٥٣) وكان قد طلب إليه أن يصنع شيئاً يكون للناس إماماً، ويعرف به كتاب الله، فاستعفاه أبو الأسود، حتى سمع بنفسه هذا اللحن - في كلام الله - فعند ذلك عزم على إنجاز ما طلبه زياد^٧ فقال: أفعل ما أمر به الأمير، فليبع لي كاتباً مجيداً يفعل ما أقول، فأتوه بكاتب من عبد قيس فلم يرضه، فأتوه بآخر وكان واعياً فاستحسنه.

قال أبو الأسود للكاتب: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطه فوقه من أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطه بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف^٨ وفي لفظ ابن عياض: زيادة قوله: فإذا أتبت ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين ففعل^٩.

وظلّ الناس بعد ذلك يستعملون هذه النقط علاماً للحركات، غير أنّهم - في الأغلب - كانوا يكتبونها بلون غير لون خطّ المصحف، والأكثر يكتبونها بلون أحمر، والظاهر أنّ تبديل النقط السود إلى نقط ملوثة حدث بعد وضع الإعجام على يد نصر بن عاصم الأنفي، للفرق بين النقطة التي هي علامة الحركة، والتي هي علامة الإعجام. قال جرجي زيدان: وقد شاهدنا في دار الكتب المصرية مصحفاً كوفياً منقطعاً على هذه الكيفية، وجدوه في جامع عمرو بن العاص بجوار القاهرة، وهو من أقدم مصاحف

٥ - انبذة ٤: ١٨٣. ٦ - التوبة ٩: ٣.

٧ - يقال: إن زياداً هو الذي دبر هذه الطريقة نجبر بها أبو الأسود على قبول ما طلبه منه، فأوعز إلى رجل من أتباعه أن يفتد في طريق أبي الأسود وينتقد التحن في القراءة، راجع: الخطّ العربي الإسلامي، ص ٢٦، والخطّ الكوفي، ص ٢٣.

٨ - انبذة لابن انديم، ص ٦٦ الفن الأول من الصقاة الثانية.

٩ - تأسيس الشيعة لمؤد الإسلام، تأليف حسين انصاري، ص ٥٢.

العالم، ومكتوب على رفوف كبيرة بمداد أسود وفيه نقط حمراء اللون، فالنقطة من فوق الحرف فتحة وتحتها كسرة ويين يديها ضمة، كما وصفها أبو الأسود.^١
وقد جرى بالأندلس استعمال أربعة ألوان للمصاحف هي: اللون الأسود، للحروف، واللون الأحمر، للشكل بطريقة النقط، واللون الأصفر، للهمزات، واللون الأخضر، لألفات الوصل.^٢

تحسينات متأخرة

قال جلال الدين: كان الشكل في الصدر الأول نقطاً، فالفتحة نقطة على أول الحرف، والضمة على آخره والمكسرة تحت أوله، وعليه مشى الداني، والذي اشتهر الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف، وهو الذي أخرجهُ الخليل بن أحمد الفراهيدي^٣ فالفتح شكله مستطيلة فوق الحرف، والمكسر كذلك تحته، والضيم واو صغيرة فوقه، والتنوين زيادة مثلها... قال: وأول من وضع الهمز والشديد والروم والإشمام الخليل أيضاً.^٤

وهكذا اكتمل امتداد الزمان بالناس ازدادت عنايتهم بالقرآن وتيسير رسمه من طور إلى طور، حتى إذا كانت نهاية القرن الثالث الهجري، بلغ الرسم ذروته في الجودة والحسن، وأصبح الناس يتنافسون في اختيار الخطوط الجميلة وابتكار العلامات المميزة، حتى جعلوا المسكون الحرف رأس خاء، ومعناها: أن الحرف المسكون أخف من

١ - تاريخ تمدن الإسلام، ج ٣، ص ٦١.

٢ - انخط العربي الإسلامي، ص ٢٧، وتاريخ القرآن لأبي عبدالله التزجاني، ص ٦٨، نقلًا عن عثمان بن سعيد الداني في كتابه «التفخ».

٣ - هو أول من صنف النقط ورسمه في كتاب وذكر عنه (المحكم: ١٩).

٤ - الإفتان، ج ٤، ص ١٦٢، وكتاب النقط لأبي عمرو الداني، ص ١٤٣.

الحرف المتحرّك. أو برأس ميم، ومعناه: أن الحرف مسكّن فلا تحرّكه. وعلامة التشديد ثلاث سنايات، ومعناها: شدّ الحرف شديداً ووضعوا الألفات الوصل رأس صاد، ومعناه: صل هذا الحرف.. وهكذا لطفت صناعة رسم الخطّ لطفنا، ورقّت حاشيته تهديباً حسناً وظرفاً^١.

وأما وضع الأعشار والأخماس وغيرهما من علائم التحزيب والتجزئة، فقبيل: إن المأمون العباسي هو الذي أمر بذلك.

وقيل: إن الحجّاج فعل ذلك، قال أحمد بن الحسين: بعث الحجّاج إلى قرّاء البصرة فجمعهم واختار منهم جماعة. وقال: عدّوا حروف القرآن، فجعلوا يعدّونها أربعة أشهر، وإذا هي: ٧٧٤٣٩ كلمة، و ٣٢٣٠١٥ حرفاً. وفي رواية: ٣٤٠٧٤٠ حرفاً. وينتصف القرآن على الفاء من قوله: «وَلْيَلْغُفْ»^٢. وعدد آياته في رواية البصريين - وهي الأصح - (٦٢٣٦) آية.

وقد اشتهر تحزيب القرآن إلى مائة وعشرين حزباً وتجزئته إلى ثلاثين جزء، تسهلاً لقراءته في المدارس وغيرها. وذكر أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣) في كتابه «جمال القرآن» أنّه عمل أبي عثمان عمرو بن عبيد (ت ١٤٤) بطلب من المنصور العباسي (ت ١٥٨): طلب منه أن يجزّي القرآن على حسب أيام السنة (٣٦٠) ليسهل حفظه يومياً. فقام أبو عثمان بهذه المهمة وجزّأ القرآن إلى ثلاثين جزءاً، كلّ جزءٍ إلى اثني عشر حزباً، ليتمّ ثلاثمائة وستون حزباً، كما أراد^٣.

وأطول سورة في القرآن هي البقرة، وأقصرها الكوثر.

١ - انصباح تلامذة بن عياض (تأسيس انشعبة علوم الإسلام، ص ٥٢).

٢ - التكهف ١٨، ١٩.

٣ - راجع: جمال القرآن وكمال الإقراء للسخاوي، ج ١، ص ٣٧٩، ٣٨٠.

وأطول آية في القرآن آية الدين^١ تحتوي على ١٢٨ كلمة وهي ٥٤٠ حرفاً.
 وأقصر آية «وَالضُّحَى» تم «وَالفَجْرِ». حروفها: ٥ لفظاً و٦ رسماً.
 وأطول كلمة في القرآن: «فَأَسْمَيْنَا كَثُورَةً»^٢ أحد عشر حرفاً لفظاً ورسماً.^٣
 وأخرج أحمد في مسنده عن أوس بن حذيفة، قال: كنت في الوفد الذين أتوا
 رسول الله ﷺ كانوا أسلموا من تقيف من بني مالك فأنزلنا في قبة له، فكان يختلف إلينا بين
 بيوته وبين المسجد، فإذا صلى العشاء الآخرة انصرف إلينا يحدثنا ما لقي من قومه بمكة
 وبعد المهاجرة إلى المدينة، فمكثت عنّا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء، قال:
 قلنا: ما أمكثك عنّا يا رسول الله ﷺ؟ قال: طرأ عني حزب من القرآن، فأردت أن لا أخرج
 حتى أقضيه، فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا:
 نحزبه ست سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة
 سورة، وحزب المفصل من سورة ق حتى تختم.^٤
 والظاهر أن الجملة الأخيرة هي من كلام أوس نفسه، تقريباً على ما ذكره أصحاب
 رسول الله ﷺ لأن القرآن لم يؤلف حينذاك مصحفاً بين دفتين، وإنما كانت السور مكتملة،
 فكانوا يقسمون السور إلى أعداد متساوية لتسهيل قراءتها حسب تقسيم الأيام أو
 الأوقات.

مخالفات في رسم الخط

لا شك أن الخط وضع ليبر عن المعنى بنس اللفظ الذي ينطق به، فالكتابة في
 الحقيقة قيد للفظ المعبر عن المعنى المقصود. وعليه فيجب أن تكون الكتابة مطابقة للفظ

٢ - الحجر: ١٥، ٢٢.

١ - البقرة: ٢، ٢٨٢.

٣ - راجع: البرهان للزركشي، ج ١، ص ٢٤٩، ٢٥٢. ٤ - مسند أحمد، ج ٤، ص ٤٤٣.

المنطوق به تماماً، ليكون الخطّ مقياساً للفظ من غير زيادة عليه أو نقصان.
غير أن أساليب الإنشاء والكتابة تختلف عن هذه القاعدة بكثير. ولكن لا بأس
بذلك مادام الاصطلاح العامّ جارياً عليه، فلا يستبّ اشتباهاً أو التباساً في المراد.
هذا... ورسم الخطّ في المصحف الشريف تخلف حتى عن المصطلح العامّ. ففيه
الكثير من الأخطاء الإملائية وتناقضات في رسم الكلمات، بحيث إذا لم يكن سماع
وتواتر في قراءة القرآن، ولا يزال المسلمون يتوارثونها جيلاً بعد جيل في دقّة وعناية
بالغة، لأصبح قراءة كثير من كلمات القرآن، قراءة صحيحة، مستحيلة.

ويرجع السبب - كما تقدّم - إلى عدم اضطلاع العرب بفنون الخطّ وأساليب الكتابة
ذلك العهد. بل ولم يكونوا يعرفون الكتابة غير عدد قليل، خطأً بدائياً رديئاً للغاية. كما يبدو
على خطوط باقية من الصدر الأوّل.^١

كما يبدو أن الذين اتدبهم عثمان لكتابة المصحف كانوا غاية في رداءة الخطّ
وجهلاء بأساليب الكتابة، حتى ولو كانت يدوية،^٢

يحدّثنا ابن أبي داود - كما سبق - : أنهم بعد ما أكملوا نسخ المصاحف، رفعوا إلى
عثمان مصحفاً فنظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجملتم، أرى فيه شيئاً من لحن ستقيمه العرب
بألسنتها. ثم قال: أما لو كان المملي من هذيل والكاتب من تقيف لم يوجد فيه هذا.^٣
يبدو من هذه الرواية أن عثمان كان يعلم من هذيل معرفتها بأسلوب الإنشاء ذلك
الوقت، ومن تقيف حسن كتابتها وجودة خطّها. الأمر الذي فقده في المصحف الذي رفع
إليه. ومن ثمّ يؤخذ عليه انتدابه الأوّل الذي تمّ من غير دقّة ولا عناية!

وروى النعلمي في تفسيره - عند قوله تعالى: «إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ»^٤ - أن عثمان قال:

١ - راجع: مقدّمة ابن خلدون، ص ٤١٩ و ٤٢٨.

٢ - المصاحف، ص ٣٢-٣٣.

٣ - طه ٥٠، ٥٣.

إن في المصحف لنا ستقيمه العرب بألسنتها. فتبيل له: ألا تغيره؟ - أي ألا تصححه؟ - فقال (عن تكاسل أو تساهل): دعوه فإنه لا يحلل حراماً ولا يحرم حلالاً.^١

هذا... ولابن رويهان - هنا - محاولة فاشلة. قال: وأما عدم تصحيح لفظ القرآن، لأنه كان يجب عليه (على عثمان) متابعة صورة الخط، وهكذا كان مكتوباً في المصاحف، ولم يكن له التغيير جائزاً، فتركه لأنه لغة بعض العرب!^٢

ماندري ماذا يعني بقوله: كان مكتوباً في المصاحف، أي مصاحف؟ وكيف يجمع بين قوله هذا وقوله أخيراً: لأنه لغة بعض العرب؟!

وعلى أي تقدير فإن تساهل المسؤولين، ذلك العهد، أعقب على الأمة - مع الأبد - مكابدة أخطاء ومناقضات جاءت في المصحف الشريف، من غير أن تجر العرب أو غيرهم على إقامتها عبر العصور.

نعم لم يمتوا القرآن بيد إصلاح بعد ذلك قط لحكمة، هي خشية أن يقع القرآن عرضة تحريف أهل الباطل بعد ذلك ~~بمخافة إصلاح خطه~~ أو إقامة أوده، فيصبح كتاب الله معرضاً خصباً للتلاعب أيدي المفرضين من أهل الأهواء.

وقد قال علي رضي الله عنه كلمته الخالدة: «إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول»^٣. فأصبحت مرسوماً قانونياً التزم به المسلمون مع الأبد.

(ملحوظة): ليس وجود أخطاء إملائية في رسم المصحف الشريف بالذي يمس كرامة القرآن:

أولاً: القرآن - في واقع - هو الذي يقرأ، لا الذي يكتب. فلتكن الكتابة بأي أسلوب، فإنها لا تضر شيئاً مادامت القراءة باقية على سلامتها الأولى التي كانت تقرأ على

١ - دلائل التصديق للمظفر، ج ٢، ص ١٩٦.

٢ - المصدر، ص ١٩٧.

٣ - جامع البيان، ج ٢٧، ص ١٠٤.

عهد الرسول ﷺ وصحابته الأكرمين.

ولاشك أن المسلمين احتفظوا على نص القرآن بلفظه المقروء صحيحاً، منذ الصدر الأول فالى الآن، وسيبقى مع الخلود في تواتر قطعي.

ثانياً: تخطئة الكتابة هي استنكار على الكتابة الأوائل: جهلهم أو تساهلهم، وليست قدحاً في نفس الكتاب، الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»^١.

ثالثاً: إن وجود أخطاء ظلت باقية لم تبدل، يفيد المسلمين في ناحية احتجاجهم بها على سلامة كتابهم من التحريف عبر القرون. إذ أن أخطاء إملائية لا شأن لها، وكان جديراً أن تمد إليها يد الإصلاح، ومع ذلك بقيت سليمة عن التغيير، تكريماً بمقام السلف فيما كتبوه، فأجدر بنص الكتاب العزيز أن يبقى بعيداً عن احتمال التحريف والتبديل رأساً. وقلنا - آنفاً -: إن الحكمة في الإبقاء على تلك الأخطاء كانت هي الحذر على نفس الكتاب: أن لا تمسه يد سوء بحجة الإصلاح، ومن ثم أصبحت سداً منيعاً دون أطماع المغرضين، وبذلك بقي كتاب الله يشق طريقه إلى الأبدية بسلام.

(ملحوظة أخرى): بأيدينا آثار - رويت بأسانيد، حكم أرباب النقد والتمحيص بصحتها - تنسب إلى كثير من الصحابة والتابعين اعتقادهم بخطأ رسم المصحف العثماني، وعدم تفتهم بالكتابة الأولى، فيما كانوا يتشككون في تبت آية أو كلمة هل كانت كما نزلت على رسول الله ﷺ؟ وهذا يبدو غريباً للغاية!

نعم إن دلت فائماً تدل على أن الثقة بالرسم القائم من قبل الكتاب الذين انتدبهم عثمان، كانت قد زالت عند الصحابة والتابعين، إذ وجدوهم غير أكفاء لهكذا مشروع

جليل. وقد أخذوا من لحن المرسوم دليلاً على قسورهم في الأمر، ومن ثم لم يتفوا بالرسم الموجود.

هذا غاية ما تدلّ عليه تلك الآثار، أما المحتوى فلانكاد نصدّقه على أي تقدير، وفيما يلي نماذج من ذلك:

١- روى ابن أبي داود وأبو عبيد بسندهما إلى عروة بن الزبير، قال: سألت عائشة عن لحن القرآن في ثلاث آيات: «إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ»،^١ و«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ»^٢ و«لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ»^٣؟

فقالت: يا ابن أخي، هذا عمل الكتاب، أخطأوا في الكتابة.^٤

قال جلال الدين السيوطي: هذا السناد صحيح على شرط الشيخين.^٥

٢- روى أحمد بن حنبل بسنده إلى أبي حنيفة مولى بني جمح: أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة في سقيفة زمزم، ليس في المسجد ظلٌّ غيرها، فرحبت بعبيد بن عمير، وقالت: ما جاء بك؟ قال: جئت أن أسألك عن آية في كتاب الله، كيف كان رسول الله ﷺ يقرأها؟ فقالت: آية آية؟ فقال: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا [- أو - يَأْتُونَ مَا آتَوْا]»^٦؟

فقالت: أيتهما أحب إليك؟ قال: والذي نفسي بيده لإحدهما أحب إلي من الدنيا جميعاً؛ قالت: أيتهما؟ قال: «يَأْتُونَ مَا آتَوْا»!

١- طه ٤٠، ٤١. والقاعدة تقتضي نصب اسم إن وعن أبي عمرو: أي لأستحي أن أقرأ «إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ» التفسير انكبي.

ج ٢٦، ص ٧٤.

٢- النساء ٥، ٦٩. ومقتضى القاعدة هو ان نصب لأنه عطفت على اسم إن.

٣- النساء ٥، ١٦٦. ويجب الرفع لأنه عطفت على مرفوع.

٤- انصاحف، ص ٣٤. وفضل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، ص ١٦١، والانتصار لتبلاقي، ص ١٨٤، وتاويل

مشكل القرآن، ص ٢٥-٢٦. ٥- الإفتان، ج ٢، ص ٢٦٩.

٦- المؤمنون ٢٤، ٦٠. أي ممدوداً مزيداً فيه أو مقصوراً مجرداً؟

قالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرؤها، وكذلك أنزلت، ولكن الهجاء حرف.^١

٣- روى أبو جعفر الطبري والحاكم النيسابوري - وصححه -^٢ عن ابن عباس، قال في قوله تعالى «لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْأَلُوا عِلَىٰ أَهْلِهَا»:^٣ هي من خطأ الكتاب. وإنما هي: حتى تستأذنوا وتسألوا...^٤

٤- وأخرج أبو عبيد عن ابن عباس، قال: أنزل الله هذا الحرف على لسان نبيكم «[ووصى] رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»^٥ فالتصقت إحدى الواو بين بالصاد، فقرأ الناس «وَوَصَىٰ رَبُّكَ» - ولم يكن المصحف منقوطة آنذاك - قال: ولو نزلت على النضاء ما أشرك به أحد.^٦

وفي لفظ ابن أخته: استمدت الكتاب منادياً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد.^٧

٥- وأخرج ابن المنذر وسعيد بن منصور عن ابن عباس: أنه كان يقرأ: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْقُرْآنَ [ضياءً - والقراءة المشهورة] وَحَيَاءً»^٨ ثم قال: خذوا - أو انزعوا - هذه الواو من هنا، واجعلوها هنا: في أول قوله تعالى: «[و] الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ»^٩ لأنه زعمها عطفنا على الموصول قبلها!^{١٠} قال ابن حجر: هو إسناد جيد.^{١١}

١- مسند أحمد، ج ٦، ص ٩٥. وثابت في المصحف هو استمد ما فيها مزيداً فيه. والتصني يختلف على انقراءتين: فبالي تصد: يظنون انشيم وهم يخشون أن لا يقبل منهم عند الله. وعلى انقصر: يعملون العمل وهم يخافون الله. راجع: مجمع

التيبان، ج ٧، ص ١١٠. ٢- الإفتان، ج ٢، ص ٢٧٥-٢٧٦.

٣- التنوير، ٢٧: ٢٤. ٤- جامع التيبان، ج ١٨، ص ٨٧.

٥- الاسراء، ١٧: ٢٣. ٦- الدر المنثور، ج ٤، ص ١٧٠.

٧- الإفتان، ج ٢، ص ٢٧٥. ٨- الأنبياء، ٢١: ٤٨.

٩- آل عمران، ٣: ١٧٣. والآية غير مصدرة بالتوا في القراءة المشهورة.

١٠- الإفتان، ج ٢، ص ٢٧٦. والدر المنثور، ج ٤، ص ٢٦٠.

١١- فتح الباري، ج ٨، ص ٤٨٣.

٦- أخرج أبو جعفر الطبري وابن الأثير عن ابن عباس، كان يقرأ: «أَقْلَمَ [يشين] الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً». فقيل له: إنها في المصحف «أَقْلَمَ يَنَاسٍ» فقال: الكاتب كتبها وهو ناعس.

وفي لفظ الطبري: كتب الكاتب، الأخرى - أي القراءة المشهورة - وهو ناعس. قال ذلك بصورة جزم.^٢

قال ابن حجر: هذا حديث رواه الطبري وعبد بن حميد بإسناد صحيح، كلهم من رجال البخاري عن ابن عباس.^٣

وقد بالغ الزمخشري في الإنكار على صحة الأثر.^٤ فقال ابن حجر في رده: هذا إنكار من لا علم به بالرجال.. وتكذيب المنقول بعد صحته ليس من ذاب أهل التحصيل، فلينظر في تأويله بما يليق به.

٧- وعن الضحاك أنه قال: كيف تقرأ هذا الحرف...؟ قال: «وَوَضَى رَبُّكَ»؟ قال: ليس كذلك تقرأها نحن ولا ابن عباس، إنما هي «وَوَضَى رَبُّكَ»، وكذلك كانت تقرأ وتكتب. فاستمدت كاتبكم فاحتمل القلم مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد ثم قرأ: «وَوَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ لَوْثُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ».^٥ ولو كانت قضى من الرب لم يستطع أحد ردّ قضائه. ولكنه وصية أوصى بها العباد.^٦

٨- أخرج ابن أبي داود عن سعيد بن جبير، قال: في القرآن أربعة أحرف لحن: «الصَّابِتُونَ»^٧، «وَالْمُقِيمِينَ»^٨، «فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ»^٩، «إِنْ هَذَا إِلَّا سَاحِرٌ»^{١٠}.

١ - اترعد ١٤: ٣٦.
 ٢ - فتح الباري، ج ٨، ص ٢٨٢.
 ٣ - التمام ٤: ١٣٦.
 ٤ - التمام ٥: ٦٩، وقاعدة: انصب.
 ٥ - التمام ٥: ٦٩، وقاعدة: انصب.
 ٦ - التمام ٥: ٦٩، وقاعدة: انصب.
 ٧ - التمام ٥: ٦٩، وقاعدة: انصب.
 ٨ - التمام ٥: ٦٩، وقاعدة: انصب.
 ٩ - التمام ٥: ٦٩، وقاعدة: انصب.
 ١٠ - التمام ٥: ٦٩، وقاعدة: انصب.

٩ - أخرج ابن أبي داود - أيضاً - عن أبي خالد، قال: قلت لأبان بن عثمان: كيف صارت «وَالْمُتِّمِينَ الصَّلَاةَ». وما بين يديها وما خلفها رفع؟! قال: من قبل الكاتب. كتب ما قبلها. ثم سأل المملي: ما أكتب؟ قال: اكتب المقيم الصلاة. فكتب ما قبل له.^١

١٠ - أخرج الطبري عن قيس بن سعد، قال: قرأ رجل عند علي عليه السلام «وَطَلَعَ مَنْضُودٌ». فقال عليه السلام: ما شأن الطلح، إنما هو «وَطَلَعَ مَنْضُودٌ» تمّ قرأ: «كَمَا طَلَعَ نَضِيدٌ»^٢ فقلنا: أو لا نحولها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول.^٣

تلك نماذج عشرة عرضناها، أردنا بذلك لازم مدلولاتها: وهو عدم ثقة السلف بالكتابة الأولى، فلم يطمأنوا إلى ما أتتوه أن تكون هي القراءة الصحيحة الثابتة. فلو كانوا عرفوا فيهم الكفاءة والالتقان لما ترددوا في صحة ما أتتوه... هذا غاية ما تدلنا عليه تلك الآثار، أمّا نفس المحتوى وصحة ما تضمنته من تعديل نصّ المصحف الشريف، فهذا شيء لا نكاد نصدّقه أبنته لأنه هو التحريف الذي أجمعت الأمة الإسلامية على عدم تسريته إلى كتاب الله العزيز الحميد: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ كَافِعُونَ»^٤ فلا بدّ من الأخذ في تأويلها إلى وجه معقول أو رفضها رأساً.^٥

وأجاب ابن أثنّة عن هذه الآثار بأن القرآن نزل على سبعة أحرف، وهي القراءات السبع، كلّها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله. - فيما زعموا - فالوارد في هذه الروايات يكون المقصود: أن الكتابة الأوائل أخطأوا في القراءة التي وقع اختيارهم عليها، فكان ينبغي أن يختاروا الملتب في المصحف تلك القراءة التي رجّحها أصحاب هذه الروايات كعائشة

١ - المصدر، ص ٣٣-٣٤.

٢ - ق ٥٠: ١٠.

٣ - جامع البيان، ج ٢٧، ص ١٠٤.

٤ - الحجر ١٥: ٩.

٥ - وسوف نوفي البحث في تفصيل هكذا مزاعم «هزوتة» تجاه عظمة القرآن التضخمة الفخمة، عند الكلام حول حماية القرآن من التحريف، إن شاء الله.

وابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير وأبان بن عثمان وعلي رضي الله عنهم.

وجرح ابن الأباري إلى تضعيف إسناد الروايات. فوقف جلال الدين السيوطي في وجهه: أنها روايات صحيحة الإسناد، بشهادة أئمة الفن، كابن حجر والحاكم وغيرهما، فالجواب الأول أولى^١.

هذا... وأما الأخطاء الإملائية الموجودة في الرسم العثماني، فشيء لا يمكن إنكاره، الأمر الذي يدل دلالة قطعية على ضعف مقدرة السلف في ناحية الإملاء وأصول الكتابة الصحيحة، ومن ثم ذلك الملحن والتناقض في رسم الكلمات، وفيما يلي نماذج من الملحن الواقع في الرسم العثماني.

نماذج من مخالفات الرسم

وربما نرسم جدولاً يستوعب الأخطاء الواقعة في الرسم العثماني مستقصاة، ونشير هنا - الآن - إلى أهم أخطاء وقعت فيه كنماذج بارزة:

- ١ - «وَاخْتَلَفِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ» البقرة ٢: ١٦٤. والصحيح: وَاخْتَلَفِ اللَّيْلُ...
- ٢ - «يَأْتِيهِمْ أَنْبُؤُهُ» الأنعام ٦: ٥. والصحيح: أَنْبَاءُ...
- ٣ - «وَيَسْتَوْنَ عَنْهُ» الأنعام ٦: ٢٦. والصحيح: يَنْأَوْنَ عَنْهُ.
- ٤ - «بِالْفِدْوَةِ» الأنعام ٦: ٥٢. والصحيح: بِالْفِدَاةِ. والواو زائدة في الرسم بلا سبب معروف.

٥ - «فِيكُمْ شُرَكَاءُ» الأنعام ٦: ٩٤. والصحيح: شُرَكَاءِ.

٦ - «مَنْشُورًا» هود ١١: ٨٧. والصحيح: مَنْشَاءِ.

١ - الإفتان، ج ٢، ص ٢٦٦ بتوضيح منا.

- ٧ - «إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ» يوسف ١٢: ٨٧. والصحيح: لَا يَأْتِيَنَّكَ.
- ٨ - «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤًا» إبراهيم ١٤: ٩. والصحيح: نَبَأًا...
- ٩ - «فَقَالَ الضُّعْفُؤُا» إبراهيم ١٤: ٢١. والصحيح: الضُّعْفَاءُ.
- ١٠ - «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ» الكهف ١٨: ٢٣. والصحيح: لِشَيْءٍ.
- ١١ - «كُلَّ شَيْءٍ لَّحَدَّثَتْ» الكهف ١٨: ٧٧. والصحيح: لَأَتَّخِذَتْ.
- ١٢ - «قَالَ يَبْنَؤُمْ» طه ٢٠: ٩٤. والصحيح: يَا بَنُؤُمَّ.
- ١٣ - «أَوْ لَا أَدْبَحْنَهُ» النمل ٢٧: ٢١. والصحيح: لَا دَبْحَنَهُ. وقد زيدت ألف في الرسم بلا

سبب معقول.

- ١٤ - «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ» النمل ٢٧: ٢٩. والصحيح: الْمَلَأُ.
- ١٥ - «سُفْعُؤُا» الروم ٣٠: ١٣. والصحيح: سُفْعَاءُ.
- ١٦ - «هُوَ الْبَلُؤَا الْمَبِينُ» الصافات ٣٧: ١٠٦. والصحيح: الْبَلَاءُ.
- ١٧ - «وَأَصْحَابُ لُثَيْكَةٍ» ص ٢٨: ١٣. والصحيح: الْأَيْكَةِ.
- ١٨ - «وَجِئَاءَ النَّبِيِّينَ» الزمر ٣٩: ٦٩. والصحيح: وَجِئَ.
- ١٩ - «وَمَا دَعُؤُوا الْكَافِرِينَ» غافر ٤٠: ٥٠. والصحيح: وَمَا دُعَاءُ...
- ٢٠ - «بِأَيْدِيكُمْ الْمُتَعُونُ» القلم ٦٨: ٦. والصحيح: بِأَيْدِيكُمْ.

تلك نماذج عشرون كان اللحن فيها عجيبياً جداً، ولاسيما إذا علمنا أن المصاحف آنذاك كانت مجردة عن كل علامة تشير إلى إعجام الحرف أو إلى حركة الكلمة أو هجاءها الصحيح. مثلاً: من أين يعرف قارئ المصحف أن «للتخذت» شدة التاء، وأي فرق بينها وبين «للتخذت» مخنفة بلام تأكيد؟! أو كيف يعرف أن ألف «لاذبحنه» زائدة لا تقرأ؟! أو

أن إحدى الياءين زائدة في قوله: «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ»^١ وكذلك لا يدري في «نَسْوَ»
-بلاعلامة- أن الواو زائدة، والألف ممدودة والهمزة تلفظ بعد الألف. إذ ليس في اللفظ
ما يشير إلى ذلك بناتنا وهكذا...

مناقضات في الرسم العثماني

والشيء الأغرب وجود مناقضات في رسم المصحف، بينما الكلمة مثبتة في
موضع برسم خاص، وإذا هي بذاتها مرسومة في موضع آخر بما يخالفها، الأمر الذي يثير
العجب، ويبعث على الاعتقاد بأن الكتابة الأوائل كانوا أبعدهم عن معرفة أصول الكتابة
أو الاتقان من وحدة الرسم على الأقل!

واليك نموذجاً من ذلك التناقض الغريب:



مركز تحقيقات كبيوتر علوم إسدري

(الكلمة برسمها الصحيح)

- ١- إِذَا لَا تَخْذُوكَ. الاسراء: ١٧، ٧٣
- ٢- أَصْحَابِ الْآيَةِ الحجر: ١٥، ٧٨ وق: ٥٠، ١٤
- ٣- لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ التوبة: ٩، ٩١
- ٤- لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً. الأعراف: ٧، ٣٤
- ٥- وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ. الرعد: ١٣، ١٤
- ٦- لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ. آل عمران: ٣، ١٨٢
- ٧- ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ. الاسراء: ١٧، ٤٨
- ٨- يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ. الرعد: ١٣، ٣٩
- ٩- أَحْيَاكُمْ فَمُؤْمِنِكُمْ. النج: ٢٢، ٦٦
- ١٠- لَا يَلْبِسُ قَرْيَشٍ. قريش: ٦، ١٠
- ١١- قَالَ ابْنُ أُمِّ الْأَعْرَابِ. الأعراف: ٧، ١٤٠
- ١٢- فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ. النج: ٣٢، ٥
- ١٣- وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ. النحل: ١٦، ١٨
- ١٤- وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ. النج: ٤٨، ٢٣
- ١٥- عَلَى بَيْتٍ مِنْ رَبِّهِ. محمد: ١٧، ١٤
- ١٦- أَدَى الْحَنَاجِرِ. ظافر: ٤٠، ١٨
- ١٧- إِنَّهُ طَفَى. الزمر: ٧٩، ١٧
- ١٨- وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. الكهف: ١٨، ٤٥
- ١٩- وَقَالَ الْمَلَأُ الْمُؤْمِنُونَ. المؤمنون: ٢٣، ٣٣
- ٢٠- أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ. يس: ٣٦، ٥٩

(الكلمة برسمها الملحون)

- ١- لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ. الكهف: ١٨، ٧٧
- ٢- أَصْحَابِ لَيْكَةِ الشُّعْرَاءِ. الشعراء: ٢٦، ١٧٦ وحسب: ٣٨، ١٣
- ٣- فَقَالَ الضُّعْفَاءُ. ابراهيم: ١٤، ٢١
- ٤- فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً. يونس: ١٠، ٤٩
- ٥- وَمَا دُعْوَا الْكَافِرِينَ. ظافر: ٤٠، ٥٠
- ٦- لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ. النج: ٣٢، ١٠
- ٧- ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ. الفرقان: ٥، ٩
- ٨- وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ. الثورى: ٤٢، ٢٤
- ٩- فَأَحْيَاكُمْ فَمُؤْمِنِكُمْ. البقرة: ٢٢، ٢٨
- ١٠- إِي لَيْسَ رِحْلَةً. قريش: ٦، ١٠
- ١١- قَالَ يَنْتُومٌ. طه: ٤٠، ٩٤
- ١٢- فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ. هود: ١١، ٨٧
- ١٣- وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ. ابراهيم: ١٤، ٣٤
- ١٤- فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ. ظافر: ٣٥، ٤٣
- ١٥- عَلَى بَيْتٍ مِنْهُ. ظافر: ٣٥، ٤٠
- ١٦- أَدَى الْبَابِ. يوسف: ١٢، ٢٥
- ١٧- طَفَا الْمَاءُ. الحاقة: ٦٩، ١١
- ١٨- وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ. الكهف: ١٨، ٢٣
- ١٩- فَقَالَ الْمَلَأُ الْمُؤْمِنُونَ. المؤمنون: ٢٣، ٢٤
- ٢٠- أَيُّهَا الْفَالِقَانِ. الرحمن: ٥٥، ٣١

١- وإن كان تبت الألف بعد التواو أيضاً خطأ، لأنه مفرد. ٢- وإن كان حذف الألف أيضاً خطأ.

تلك - أيضاً - أمثلة عشرون اخترناها من التناقض الموجود في الرسم العثماني. وربما تزداد غرائبك - أيها القارئ - إذا ما لاحظت التناقض في إملاء سورة واحدة، كالمثال رقم ١٨ سورة الكهف. ورقم ١٩ سورة المؤمنون، كما رسموا «بسطه» في البقرة: ٢٤٧ بالسين، وفي الأعراف: ٦٩ بالصاد. وكذلك «يسط» في الرعد: ٢٦ بالسين، وفي البقرة: ٢٤٥ بالصاد. وهذا أيضاً من التناقض في سورة واحدة.. إلى غير ذلك وهو كثير.

غلو فاحش

قد يغلو بعض المتزمتين بالرسم القديم، فيزعمونه توقيفياً كان بأمر النبي ﷺ الخاص، ولم يكن للمكتبة الأوائل دخل في رسمه بالهيئة الموجودة. وإن وراء هذه المخالفات الإملائية سرّاً خفياً وحكمة بالغة لا يعلمها إلا الله: نقل ابن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدبائغ أنه قال: «رسم القرآن سرٌّ من أسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة. وهو صادر عن النبي ﷺ وهو الذي أمر الكتاب أن يكتبوه على هذه الهيئة، فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النبي ﷺ».

ثم قال: «مالمصحابة ولاغيرهم في رسم المصحف، ولاشعره واحدة، وإنما هو توقيف من النبي ﷺ وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المدونة بزيادة الألف ونقصانها. لأنها أسرار لا تهتدي إليها العقول، وهو سرٌّ من أسرار الله، خص الله به كتابه العزيز، دون سائر الكتب السماوية.

وكما أن نظم القرآن معجز، فرسمه أيضاً معجز.

وكيف تهتدي العقول إلى سرّ زيادة الألف في «مائة» دون «فئة». وإلى سرّ زيادة الياء

في «بأييد» و «بأييكم»!

أم كيف تتوصل إلى سرّ زيادة الألف في «سعو» في سورة الحج، وتقصانها من «سعو» في سورة سبأ!

وإلى سرّ زيادتها في «عموا» حيث كان. وتقصانها من «عموا» في سورة الفرقان!
وإلى سرّ زيادتها في «آمنوا» وإسقاطها من «باؤ. جاؤ تبؤؤ. فأؤ» بالبقرة! - ثم يقول: - وكيف تتوصل إلى حذف بعض التاءات وربطها في بعض!

فكل ذلك لأسرار إلهية وأعراض نبوية. وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني. فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل السور، فإن لها أسراراً عظيمة ومعاني كثيرة وأكثر الناس لا يهتمون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أُشير إليها، فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف.

هذا وقد كشف بعضهم عن هذا السرّ الخفي، وأبدى تمحلات غريبة، فزعم أن زيادة الألف في «لاذبحنه» إنما كانت للدلالة على أن الذبح لم يقع. وأن زيادة الياء في «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ»^٢ للإيماء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء، ونها لاتشبهها قوة، على حدّ القاعدة المشهورة: زيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني.^٣

وقد أوضح في ذلك وأسهب أبو العباس المراكشي الشهير بابن البناء (ت ٧٢١) في كتابه «عنوان الدليل في مرسوم التنزيل»، وبيّن أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخطّ بحسب اختلاف وأحوال معاني كلماته، من حكم خفية وأسرار بهية، منها: التشبيه على العوالم الغائب والشاهد، ومراتب الوجود والمقامات. والخطّ إنما يرسم على الأمر الحقيقي لا الوهمي...

١ - مناهل العرفان، ج ١، ص ٣٨٢-٣٨٣ نقلاً عن ابن تيمية في كتابه «الابريز».

٢ - التذاريات ١: ٥٦، ٥٧.

٣ - مقدمة ابن خلدون، ص ٤٦٩، ومناهل العرفان، ج ١، ص ٣٧٤.

ونذكر فيما يلي مقتطفات من كلامه تدلّك على مبلغ غلوّه بشأن الرسم وتكلفه في الاختلاق الباهت:

١- زيدت الألف في «لاذبحنه» تشبيهاً على أن الذبح أشدّ من العذاب الذي ذكر في صدر الآية «لَأَعَذِّبَنَّ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَا أذْبَحْنَهُ»^١.

٢- زيدت الألف في «يرجوا» و«يدعوا» للدلالة على أن الفعل أثقل من الاسم، لتحمّله ضمير الفاعل، ومن ثمّ لمّا استخفوا بالفعل حذفوا منه الألف وإن كان جمعاً، كقوله: «سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ»^٢، فإنّه سعي باطل لا يصحّ له تبوت في الوجود.

٣- زيدت الألف بعد الهمزة من قوله: «كَأَمْفَالِ اللُّؤْلُؤِ»^٣ تشبيهاً على معنى البياض والصفاء بالنسبة إلى ماليس بمكنون، ومن ثمّ لم تزد بعد قوله: «كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ»^٤ للإجمال وخفاء التفصيل.

٤- زيدت الألف في «وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ جَهَنَّمُ»^٥ دليلاً على أن هذا المجرى هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المجرى كما في قوله: «وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ جَهَنَّمُ»^٥.

٥- زيدت الألف في «مائة» دون «فئة»، لأنّه اسم يشتمل على كثرة منفصلة بمرتبين: آحاد وعشرات.

٦- زيدت الواو في «سَأُورِيكُمْ آيَاتِي»^٦ للدلالة على الوجود في أعظم رتبة العيان.

٧- زيدت الياء في «بأيدي»^٧ فرقاً بينها وبين «الأيدي» الذي هو جمع اليد. وأنّ القوّة التي بنى الله بها السماء هي أحقّ بالتبوت في الوجود من الأيدي. فزيدت الياء لاختصاص

١- التعليل ٢٧: ٢١.
 ٢- التواقيع ٥٦: ٢٣.
 ٣- التفسير ٨٩: ٢٣.
 ٤- التذاريات ٥٦: ٤٧.
 ٥- سبأ ٣٤: ٥.
 ٦- الطور ٥٢: ٦٤.
 ٧- الأنبياء ٢١: ٣٧.

اللفظة بمعنى أظهر في دراك الملكوتي في الوجود.

٨ - سقطت الواو من «سَدْعُ الرِّبَانِيَّةِ»^١ لأن فيه سرعة الفعل وإجابة الربانية وقوة

البطش.

٩ - سقطت الواو من «وَيَذَعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ»^٢ لمد لالة على أنه سهل عليه ويسارع فيه

كما يعمل في الخير.

١٠ - كتبت «بِطَّة» في البقرة: ٢٤٧ بالسين. وفي الأعراف: ٦٩ بالصاد، لأنها

بالسين: السعة الجزئية وبالصاد السعة الكلية.^٣

قال الدكتور صبحي الصالح: لا ريب أن هذا غلو في تقديس الرسم العثماني، وتكلف

في الفهم ما بعده تكلف. فليس من المنطق في شيء، أن يكون أمر الرسم توقيفياً، ولا أن

يكون له من الأسرار ما لفواتح السور، ولما مجال لمقارنة هذا بالحروف المقطعة التي

تواترت قرآنيها في أوائل السور، وإنما اصطلاح الكتابة على هذا اصطلاحاً في زمن

عثمان، ووافقهم الخليفة على هذا الاصطلاح على ما هو عليه.

وقال العلامة ابن خلدون: ولاتلفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين، من أن

العصاة كانوا محكمين لعساعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم

ليس كما يتخيل، بل لكأها وجه.

يقولون في مثل زيادة الألف في لا ذبحنه: أنه تشبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة

الياء في بأييد: أنه تشبيه على كمال القدرة الربانية. وأما ذلك مما لا أصل له إلا التحكم

المحض.^٥

١ - اتفق ١٨، ١٦.

٢ - الإسراء: ١٧، ١٦.

٣ - راجع: البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣٨٠-٤٣٠. ٤ - مباحث في علوم القرآن، ص ٢٧٧.

٥ - مقدمة ابن خلدون، ص ٤١٩ و ٤٣٨.

قال ابن الخطيب: لما كان أهل العصر الأول قاصرين في فن الكتابة، عاجزين في الإملاء، لأُميتهم وبدوتهم، وبعدهم عن العلوم والفنون، كانت كتابتهم للمصحف الشريف سقيمة الوضع، غير محكمة الصنع، فجاءت المكتبة الأولى مزيجاً من أخطاء فاحشة ومناقضات مشابهة في الهجاء والرسم^١.

هذا... وقد أنجب محمد طاهر الكردي - وهو يستطلع القرن الخامس عشر الهجري - فتراجع الفقهاء وأخذ في الغلو الفاحش بشأن الرسم العثماني القديم! قال - بعد استعراض جملة من أخطاء الرسم العثماني والتناقض الموجود فيه بصورة غريبة -: «بقي علينا أن نعرف لماذا لم يكتب الكتبة الأولى المصحف على قواعد الكتابة الصحيحة، ولماذا لم يمشوا في كتابته على وتيرة واحدة؟»

«هذا سؤال يجب أن يوجه إلى الذين كتبوه بأمر عثمان، ونرى يكون ذلك وقد دفعهم التراب؟ ومن هنا يقول العلماء: إن رسم المصحف سرٌّ من الأسرار لا يطلع عليه أحد...!» قال: «ولا تتوهمن عليهم السهو والخطأ والجهل بأصول الكتابة، إن هذا وهم باطل... ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً بأن الصحابة كانوا يعرفون قواعد الإملاء والكتابة حق المعرفة. ونستدل على قولنا هذا استدلالاً فنياً بثلاثة أمور:

الأول: إن العلامة الألويسي قال في تفسيره روح المعاني: الظاهر أن الصحابة كانوا متقنين رسم الخط، عارفين بقواعد الكتابة، غير أنهم خالفوا القواعد في بعض المواضع عن قصد، لحكمة...»!! (ولعله يريد تمخّلات المراكشي الأنفة).

قال: «فالألويسي - وهو العالم المتبحر وصاحب التفسير الكبير - لا يقول هذا إلا بعد النظر والتحقيق، وإن لم يذكر شواهد تؤيد قوله (!!!)

الثاني: إنهم كانوا يرسلون الملوك والأمراء فلا بد من إتقان كتابتهم.
الثالث: إنّه قد مرّ على نشر الكتابة في الجزيرة إلى عهد عثمان أكثر من ربع قرن، فهل يعقل أن الصحابة لم يتقنوا الكتابة في هذه الفترة الطويلة؟^١
قلت: ويكفيها جواباً عن سفاسته ما ذكره العلامة ابن خلدون: ولاتفتش إلى ما يزعمه بعض المغفلين...^٢

وقد أسهب ابن الخطيب في الردّ على هذه المزعومة الفاضحة، وأتى بالكلام مستوفى، نقتطف منه ما يلي.

قال: قال الجعبري في سياق كلامه عن هجاء المصحف: «وأعظم فوائده أنّه حجاب يمنع أهل الكتاب أن يقرأوه على وجهه».^٣

قال: وبمثل هذا الهراء ينطق أحد أئمة الهراء. وبمثل هذا الكلام يحتج القائلون بوجوب الهجاء القديم. مع أنّ هذا القول واضح البطلان بادي الخسران.
وفي القرآن آيات كثيرة تحاطب كل الكتاب وتدعوهم إلى الإيمان فكيف عن تلاوته يحجبون؟!!

ثمّ قال: ومن أشنع ما يتصف به إنسان سليم العقل، صحيح العرفان ما ذكره الصباغ: «إنّ فوائد هذا الرسم كثيرة وأسراره شتى، منها عدم الاهتداء إلى تلاوته على حقه إلا بموقف، شأن كل علم نفيس يتحفّظ عليه».

فقال: بالمداهية الدهيئة، لقد صار القرآن مثل علم اليازرجات واللوغارتمات والطلسمات والاصطرلابات وضرب الرمل والتنجيم وماشاكل ذلك من العلوم يزعمون نفاستها لما تحتويه من أسرار لا تنال إلا بجهد جهيد وتلقّ طويل الأمد.

١ - تاريخ القرآن لصمد طاهر الكردي، ص ١٠١، ١٢٠، ١٢١ - تقدّم ذكر في «غلوّ فاعش».

٢ - راجع: مذهب التردان، ج ١، ص ٣٧٣ فإنه أيضاً أتى بمفاسف زعمها فوائد مترتبة على الرسم العثماني القديم!

هذا... وقد قال تعالى: «وَلَقَدْ يَمْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ»^١ وأنتم تقولون أنه أبعدهم منه وأظلمهم عنه فما أكبر هذا الزعم! وما أعظم هذه الشريعة!
 قال: ولو تساءلنا: هل وضع رسم المصحف ليقرأ أو ليكون رمزاً ويظلّ طليماً، يتناقله القراء وحدهم، ويلتئنون له لمن يريدون تلقينه، ممن يتزلف إليهم بماله ونفسه ويمنعونه ممن يرون منعه ممن لم يرزق جاهاً ولا مالاً!
 قال: ولقد رأيت بعيني وسمعت بأذني، كثيراً من ذوي الثقافات والأدب يلحنون في قراءة القرآن، لعدم أنسهم بهذا الرسم الغريب وعدم معرفتهم بأساليب القراءة على وجهها
 المأثور^٢.

الرأي الحاسم

هكذا يرجح ابن الخطيب تصحيح رسم المصحف إلى ما يعرفه جمهور الناس واستقر عليه اصطلاح أرباب الثقافة اليوم *مكتبة حقايق حقايق علوم ردي*
 وهذا رأي جمهور المحققين، ذهبوا إلى جواز تبديل الرسم القديم إلى الرسم الحاضر بعد أن لم يكن رسم السلف عن توقيف، وإنما هو اصطلاح منهم أو كانت الكتابة في بداءة أمرها غير مثقنة، أمّا مع تقدم أساليب الكتابة وفيها من التوضيح ما يجعل أمر القراءة سهلاً على الجميع، فلا بد من تغيير ذلك الرسم إلى المصطلح الحاضر الذي يعرفه كافة الأوساط ويكون القرآن في متناول عامة الناس، وفي ذلك تحقيق للغرض الذي نزل لأجله هذا الكتاب الخالد ليكون هدى للناس جميعاً مع الأبد.

وبهذا الصدد يقول القاضي محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣) في كتابه

٢ - الفرقان لابن الخطيب، ص ٦٤ - ٨٦.

١ - القصر ٥٤: ١٧.

«الانتصار»: وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً، إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطوط المصاحف رسماً بعينه دون غيره أوجه عليهم وترك ما عداه، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف. وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه، أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحدّ محدود لا يجوز تجاوزه. ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدلّ عليه. ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك، ولادلت عليه القياسات الشرعية.

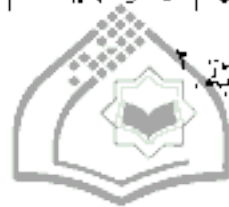
بل السنة دلت على جواز رسمه بأيّ وجه سهل، لأن رسول الله ﷺ كان يأمر برسمه ولم يبيّن لهم وجهاً معيّنًا، ولا نهى أحداً عن كتابته، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح وأن الناس لا يخفى عليهم الحال، ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفيّة والخطّ الأوّل، وأن يجعل اللام على صورة الكاف، وأن تعوج الألفات، وأن يكتب على غير هذه الوجوه، وجاز أن يكتب المصاحف بالخطّ والهجاء القديمين، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثه، وجاز أن يكتب بين ذلك.

وإذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة وكان الناس قد أجازوا ذلك، وأجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته، وما هو أسهل وأشهر وأولى، من غير تأنيب ولا تناكر، علم أنه لم يؤخذ في ذلك على الناس حدّ محدود مخصوص، كما أخذ عليهم في القراءة والأذان.

والسبب في ذلك أن الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز، فكل رسم دالّ على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته وتصويب الكتاب به على أيّ صورة كانت.

وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجّة على دعواه وأتى له ذلك؟... انتهى. هذا ما لخصه الشيخ عبد العظيم الزرقاني من كلام القاضي أبي بكر الباقلاني، لكنّه تابعه بالردّ عليه من وجوه ونقول لا يحصى وهنّها وضعناها تجاه هذا التحقيق المنيع.^١

ومن ثمّ قال الدكتور صبحي الصالح - تعقيباً على هذا الكلام -: وإنّ رأي القاضي أبي بكر لجدير أن يؤخذ به، وحجّته ظاهرة، ونظره بعيد، فهو لم يخلط بين عاطفة الإجلال للسلف وبين التماس البرهان على قضية دينيّة تتعلّق برسم كتاب الله. وأمّا الذين ذهبوا إلى أنّ الرسم القرآني توقيفيّ أزلي فقد احتكموا في ذلك إلى عواطفهم، واستسلموا استسلاماً شعرياً صوفياً إلى مذاويقتهم ومواجيدهم، والأذواق نسبيّة لا دخل لها في الدين، ولا يستنبط منها حقيقة شرعيّة.^٢



مركز تحقيقات كتاب وعلوم اسلامی

١ - راجع: معاهل الترفان، ج ١، ص ٣٨٠ - ٣٨١. ٢ - مباحث في علوم القرآن، ص ٢٧٩.

سبعة آلاف مخالفة في رسم الخط!

قد يستغرب الباحث إذا ما عثر على نيف وسبعة آلاف مخالفة في الرسم العثماني القديم، ويعدّه رقماً كبيراً إذا ما قاسه إلى عدد آي القرآن، وهي نيف وستة آلاف آية..! لكن الحقيقة تشهد بذاتها على صحة هذا الرقم الضخم، وإليك عدد ما في كل سورة من مخالفة جاءت في الرسم القديم:

١٥٩	: النحل	٤	: الفاتحة
١٤٢	: الإسراء	٤٨٠	: البقرة
١١٦	: الكهف	٣٣	: آل عمران
٩٢	: مريم	٢٩٢	: النساء
١١٤	: طه	٢٢٥	: المائدة
١٧٠	: الأنبياء	٢٣٨	: الأنعام
١٠٤	: الأعراف	٣٠٣	: الأعراف
١٢٥	: المؤمنون	٦٨	: الأنفال
١٣٦	: النور	٢١٨	: براءة
٧٨	: الفرقان	١٣٦	: يونس
١١٠	: الشعراء	١٣٦	: هود
١٠٧	: النمل	١٥٣	: يوسف
١٣٩	: القصص	٧٢	: الرعد
١٠٨	: العنكبوت	٦٠	: إبراهيم
٨٠	: الروم	٧٥	: الحجر



مركز تحقيقات كبيوتر علوم إسلامي

٣٠	النجم:	٤٨	لقمان:
٢٥	القمر:	٤٦	السجدة:
٣٠	الرحمان:	١٤٤	الأحزاب:
٤٥	الواقعة:	٧٣	سبأ:
٥٨	الحديد:	٥٢	فاطر:
٤٥	المجادلة:	٧٤	يس:
٥٨	الحشر:	١٠٦	الصافات:
٣٥	المتحنة:	٧٠	ص:
٢٧	الصف:	١٠٠	الزمر:
٢٦	الجمعة:	١١٥	شاعر:
١٨	المنافقون:	٧٤	فصلت:
١٧	التغابن:	٦٧	الشورى:
٢٤	الطلاق:	٩٠	الزخرف:
٣٢	التحریم:	٣٧	الدخان:
٢٠	الملك:	٥٣	الجاثية:
٤٢	القلم:	٥٨	الأحقاف:
٢١	الحاقة:	٥٣	محمد:
٢٤	المعارج:	٣٧	الفتح:
١٦	نوح:	٣٠	الحجرات:
٢٠	العن:	٢٦	ق:
١٢	المزمل:	٣٤	الذاريات:
١٦	المدثر:	٢٧	الطور:



٦	الشيئ:	١٢	القيامة:
٤	العلق:	٢١	الإنسان:
٤	التقدر:	١٨	المرسلات:
٩	البيئنة:	٢٢	النبأ:
٢	الزلزلة:	٣٣	النازعات:
٤	العاديات:	٥	عبس:
٤	القارعة:	٦	التكوير:
٢	التكاثر:	٦	الانفطار:
٣	العصر:	١١	المطففين:
١	الهمزة:	٧	الانشقاق:
١	الثيل:	١١	البروج:
٣	قريش:	٥	الطارق:
١	الماعون:	٣	الأعلى:
١	الكوثر:	٦	الغاشية:
٣	المكافرون:	١١	الفجر:
...	النصر:	٨	البلد:
...	المسد:	١٧	الشمس:
...	الإخلاص:	٣	الليل:
١	الفلق:	٦	الضحى:
١	الناس:	...	الشرح:



تلك ستة آلاف وسبعمائة وسبعة وسبعون (٦٧٧٧) مخالفة جاءت في رسم المصحف العثماني، موزعة على السور.

وإذا أضفنا إلى هذا العدد، حذف الألف من «بسم» و«الرحمن» في البسملة، وهي مكررة في القرآن (١١٤) مرة، فيرتفع الرقم إلى (٧٠٠٥).

هذا مع غرض النظر عن حذف الألف من لفظ الجلالة، وهو مكرّر في القرآن (٢٥٥٠) مرة. وفي البسملة (١١٤) مرة. فيبلغ عدد مخالفة الرسم القديم إلى تسعة آلاف وستمائة وتسع وستين (٩٦٦٩) وهو عدد كبير هائل. وللتحور على مواضع هذه المخالفات، بدقّة وتفصيل، راجع: البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣٨٠-٤٣١ والمصحف الميسر، تنظيم الأستاذ عبدالجليل عيسى، شيخ كلية أصول الدين بالجامع الأزهر. غير أن هذا الأخير اشتبه في مواضع، منها: ص ٧٧٥، رقم ٥، زعم «واوتوا» لحنا فصّححه على «واوتوا». وص ٧٩٤ رقم ١، صحّح «المؤدة» على «المؤدة».

وقد لخص جلال الدين هذه المخالفات في قولها ستة استوفى فيها جميع ما في الرسم العثماني من مخالفات إملائية. ذكرها في الإتيان، ج ٤، ص ١٤٦-١٥٨. ونقلها الزرقاني برمتها في مناهل العرفان، ج ١، ص ٣٦٩-٣٧٣.

وإليك الآن جدولاً تنصلياً يقارن بين رسم الكلمة في إملائها القديم، ورسمها بالإملاء المعاصر. ما عدا حذف الألفات في مثل «الرحمن» و«العلمين» و«الصراط» وهي كثيرة في المصحف، جاءت موافقة للخط الكوفي القديم المنحدر من خط السريان، كانوا يكتبون الكلم بلا ألف. وكذلك لم تتعرض لكلمات جاءت فيها الواو أو الياء بدلاً عن الألف كالصلوة والزكوة والتورية وهدين، لكنرتها وتكررها.

١ - كانت لغة قرين تميل بهذه الألفات نحو اتوا، ومن ثم كتبوها كذلك.

كما ولم نذكر من الكلمة المتكررة سوى التي جاءت في أولى آية، وتركنا ذكرها في آيات وسور تالية، وأرمرنا لذلك بعلامة «ك».

ونبدأ بالكلمة على إملائها القديم، ثم نقابلها بإملائها المعاصر، مرتبة حسب ترتيب السور في المصحف الشريف.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

جدول تفصيلي

يقارن بين رسم الكلمة بإملائها القديم ورسمها بالإملاء المعاصر

رقم الآية	(سورة البقرة)	
٣٣	يَا آدَمُ	يا آدم
٤٠	إِسْرَائِيلَ «كُ»	إسرائيل
٧١	الآن «كُ» ^٢	الآن
٨٧	عيسى ابن مريم	عيسى بن مريم
٩٠	بِسْمِ مَا «كُ»	بِسْمِ
١٦٤	الليل «كُ»	الليل
٢٢٦	فَأَوْ	فأوا
٢٤٠	فِي مَا «كُ»	فيما
٢٧٥	الرَّبُّوا «كُ»	الربا
٢٨٢	تَسْمُوا ^٣	تساموا
	(سورة آل عمران)	
٣٥	امرأت «كُ»	امرأة
٧٥	الأميين ^٤	الأميين

٢ - برسم همزة أمام اللام.

٤ - برسم ياء كوقية صغيرة فوق الياء.

١ - برسم همزة فوق الألف.

٣ - برسم همزة فوق التميم.

ربانين	رَبَّيْنِ ^١	٧٩
أفان	أَفَايْنِ «نك»	١٤٤
تلون	تَلُونُ ^٢	١٥٣
(سورة النساء)		
الذان	الذَانِ	١٦
الملائي	المَلَايِ «نك»	٢٣
فمما	فَمَنْ مَا «نك»	٢٥
فما لهؤلاء	فَمَا لَهُؤُلَاءِ «نك»	٧٨
(سورة المائدة)		
أبناء	أَبْنَاءِ	١٨
جزاء	جَزَاءِ ^١ «نك»	٢٩
سوءة	سُوءَةٍ	٣١
(سورة الأنعام)		
أبناء	أَبْنَاءِ «نك»	٥
نبأ	نَبَأِي	٣٤
بالغداة	بِالْغَدَاةِ ^٣	٥٢
شركاء	شُرَكَاءِ «نك»	٩٤

٢ - برسم واو صغيرة فوق الواو.


١ - برسم ياء كوفية صغيرة فوق الياء.

٣ - برسم ألف صغيرة فوق الواو.

كلمت «ك»	كلمت «ك»	١١٥
أم ما	اما «ك»	١٤٤
(سورة الأعراف)		
فلسان ^١	فلسان ^١	٦
ماووري	ماووري ^٢	٢٠
رحمة	رحمت «ك»	٥٦
بسطة	بسطت ^٣	٦٩
نستحيي	نستحيي	١٢٧
		
سنة	سنت	٣٨
(سورة التوبة)		
ولأوضعوا	ولأوضعوا	٤٧
(سورة يونس)		
تلقاء	تلقاءي	١٥
يبدأ	يبدؤ	٣٤
أم من	أممن	٣٥

٢ - برسم واو صغيرة فوق الواو.

١ - برسم همزة فوق التميمين،
٢ - برسم سين صغيرة تحت الصاد.

(سورة هود)		
بقيت	بقيت	٨٦
مانسوا	مانسوا	٨٧
ملايه	ملايه	٩٧
(سورة يوسف)		
لدا	لدا	٢٥
تياسوا ^١	تياسوا	٨٧
يايس ^٢	يايس	٨٧
وايي	وايي	١٠١
استياس ^٣	استياس	١١٠
 <p style="text-align: center;">(سورة الرعد) مركز الدراسات والبحوث الإسلامية</p>		
يمحو	يمحو	٣٩
(سورة ابراهيم)		
نبا	نبا	٩
الضعفوا	الضعفوا	٢١
(سورة الحجر)		
المستهزئين	المستهزئين	٩٥

٢ - برسم همزة فوق الياء.

١ - برسم همزة فوق الياء.

٣ - برسم همزة فوق الياء.

(سورة النحل)		
فسألوا	فسألوا	٤٣
يتفياً	يتفياً	٤٨
رأى	رأى «ك»	٨٦
وايتاء	وايتاي	٩٠
(سورة الإسراء)		
يدعو	يدع	١١
(سورة الكهف)		
لشيء	لشيء	٢٣
لكن	لكن	٣٨
أن لن	أن لن	٤٨
أرأيت	أرأيت	٦٣
لأخذت	لأخذت	٧٧
يرجو	يرجوا «ك»	١١٠
(سورة مريم)		
يا أخت	يا أخت	٢٨
يا أبت	يا أبت	٤٤
يا إبراهيم	يا إبراهيم	٤٦

	(سورة طه)	
أَتَوَكَّنَا	أَتَوَكَّنَا	١٨
يَا أَيُّهَا	يَبْنُوْم	٩٤
لَا تَنْظِمَا	لَا تَنْظِمَا	١١٩
سوء اتھما	سوء اتھما ^١	١٢١
آفَاء	آفَاءِ	١٣٠

	(سورة الأنبياء)	
سأريكم	سأوريكم «ك»	٣٧

	(سورة المؤمنون)	
الملا	الملا «ك»	٢٤
كلما	كل ما «ك»	٤٤

	(سورة النور)	
ويدرأ	ويدرأ	٨
جاءوا	جاء و «ك»	١٣
عن	عن من	٤٣

	(سورة الفرقان)	
وعتوا	وعتوا	٢١
وتمود	وتمودا «ك»	٣٨

لنحيي	لنحي ^١	٤٩
	(سورة الشعراء)	
أينما	أين ما	٩٢
الغاوون	الغاون «ك»	٩٤
	(سورة النمل)	
لأذبحته	لأذبحته	٢١
يبدأ	يبدؤا «ك»	٦٤
أتلوا	أتلوا	٩٢
	(سورة القصص)	
نتلوا	نتلوا	٣
يستحيي	يستحيى «ك»	٤
قرّة	قرّت	٩
	(سورة الروم)	
شعاع	شنعوا	١٣
لقاء	لقاي	١٦
فيحيي	فيحيى	٢٤

فطرت	فطرت	٣٠
ليربوا	ليربوا «ك»	٣٩
	(سورة الاحزاب)	
لكيلا	لكي لا	٣٧
	(سورة سبأ)	
سعا	سعو	٥
	(سورة غافر)	
التلاقي	التلاقي	١٥
التنادي	التنادي	٣٢
	مركز بحوث كيمياء علوم رسي	
	(سورة فصلت)	
الَّذِينَ	الَّذِينَ	٢٩
	(سورة الشورى)	
ويمحو	ويمح	٢٤
ويعثو	ويعثوا «ك»	٣٠
الجوارى	الجوار	٣٢

جزء	جزءاً	٤٠
وراء	وراءى	٥١
(سورة الدخان)		
شجرة	شجرت	٤٣
(سورة الذاريات)		
يومهم	يوم شم	١٣
بأيد	بأييد	٤٧
(سورة القمر)		
يدعو	يدع	٦
الداعي	الداع	٦
 مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي		
(سورة المجادلة)		
معصية	معصيت	٩
(سورة الممتحنة)		
براء	براءوا ^١	٤
(سورة التحريم)		
امرأة	امرات	١١
بكلمات	بكلمت ^٢	١٢

٢ - يرسم ألف صغيرة فوق الميم.

١ - يرسم ألف صغيرة فوق الهمز.

	(سورة الفلم)	
٦	بأبيكم	بأبيكم
	(سورة التكوير)	
٨	الموودة ^١	الموودة
	(سورة الانشاق)	
١١	يدعوا	يدعوا
	(سورة الغاشية)	
٢٢	بمصيطر ^٢	بمصيطر
	(سورة الفجر)	
٤	يسر	يسري
٢٣	وجاي ^٣	وجي
	(سورة قريش)	
٢	النهيم ^٣	ايلافهم

١ - برسم واو صغيرة بعد الهمز.

٢ - برسم سين صغيرة تحت الصاد.

٣ - برسم ياء كوفية صغيرة ومنفصلة بعد الهمز.

اختلاف المصاحف

كانت العناية من إرسال المصاحف إلى الآفاق، هي رعاية جانب وحدة الكلمة لتلا تختلف، وليجتمع المسلمون على قراءة واحدة ونبد ما سواها. فكان يجب أن تكون هذه المصاحف مستنسخة على نمط واحد، وأن تكون موحدة من جميع الوجوه. ومن ثم كان يجب على أعضاء المشروع أن يتحققوا من وحدتها ويقابلوا النسخ مع بعضها في دقة كاملة.

غير أن الواقعية بدت بوجه آخر، وجاءت المصاحف يختلف مع بعضها البعض. كان المصحف المدني يختلف عن المصحف المكي، والمصحف المكي يختلف عن الشامي، وهذا عن البصري، والكوفي وهكذا. الأمر الذي يدل بوضوح أن اللجنة تساهلت في أمر المقابلة - أيضاً - فلم يأخذوا بالدقة الكاملة في جانب توحيد المصاحف المرسلت إلى الآفاق.

وصار هذا الاختلاف في المصاحف، من أهم أسباب نشوء الاختلاف القرآني فيما بعد، وفتح باب جديد لاختلاف القراءات في حياة المسلمين. كان قاري كل مصر ومقرئها يلتزم - طبعاً - بقراءة ما في مصحفهم من نص. وكان عليه أيضاً أن يختار نوع الحرف والشكل حسب ما يبدو له من ظاهر الكلمة المثبتة في المصحف بلا نقط ولا تشكيل. ومن ثم كانت السلائق والمذاويق، وكذلك الأنظار والأفهام تختلف في هذا الاختيار.

أما الرواية والسماع عن الشيخ، فهي لا تنضبط تماماً وفي جميع الوجوه إذا لم تكن مثبتة في سجل أو في نص المصحف ذاته. فلا بد أن يقع فيها خلط أو اشتباه من جانب النقل أو السماع، ولا سيما إذا طالت الفترة بين الشيخ الأول والقارئ الأخير.

ومن ثم ظهرت قراءة مكة وقراءة المدينة وقراءة البصرة وقراءة الكوفة وقراءة الشام. وهكذا... الأمر الذي كان كراً على ما قرؤا منه!

وزعم الزرقاني أن هذا الاختلاف في النص كان عن عمد منهم وعن قصد، لحكمة

تحمل اللفظ كل قراءة ممكنة. قال: وكتبوها مشاوتة في إثبات وحذف وبدل وغيرها، لأن عثمان قصد اشتغالها على الأحرف السبعة فكانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه نحو «فتبينوا» و«نشرها».

أما الكلمات التي لا تحتمل أكثر من قراءة، فإنهم كانوا يرمونها في بعض المصاحف برسم وفي بعض آخر برسم آخر، كوصي بالتضعيف وأوصى بالهمز. وكذلك «تحتها الأتھار» في مصحف و «من تحتها الأتھار» بزيادة «من» في مصحف آخر...!

قلت: هذا تعليل عليل، بعد أن كان الغرض من نسخ المصاحف وتوحيدها هو رفع الاختلاف في القراءات. كان أحدهم يقول: قراءة تناخير من قراءة تكم. فلتأيقع مثل هذا الجدل المرير تأسس المشروع المصاحفي باتفاق من آراء الصحابة. أما وبعد أن أنجزت اللجنة مهمتها وإذا بدواعي الاختلاف: الاختلاف في القراءة ذاتها، موجودة.

أما قضية الأحرف السبعة المنسوبة إلى القراءات السبع، فحديث مشتببه ربما بلغ تفسيره إلى أربعين معنى.^٢ وأوهن المعاني هو تفسيره بالقراءات، إذ لم يثبت أن النبي ﷺ قرأ القرآن على سبعة وجوه. كما أن لاختلاف القراء في قراءاتهم عدلا وأسباباً تخصهم هم، وقد فصلها أبو محمد مكِّي بن أبي طالب في كتابه «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» فراجع. وسوف نتكلم عن حديث الأحرف السبع في فصل قادم والمختار هو إرادة اللهجات المختلفة في التعبير والأداء فحسب.

هذا... وأما الأستاذ الأبياري فإنه يرى أن هذا الاختلاف إنما كان بين مصاحف سبقت مصحف عثمان. وجاء هذا الأخير ليرفع تلکم الاختلاف.^٣

لكنها نظرة تخالف النص القائل بأن الاختلاف كان في نفس مصاحف عثمان.^٤ وعلى أية حال فإن الاختلاف بين المصاحف المبعوثة إلى الآفاق، شيء واقع، ويؤسف عليه، وكانت البذرة الأولى التي انبثقت منها اختلاف القراءات فيما بعد.

١ - مناهل الترفان، ج ١، ص ٢٥٨.

٢ - راجع: الإختلاف، ج ١، ص ١٤٦.

٣ - تاريخ القرآن لإبراهيم الأبياري، ص ٩٩.

٤ - راجع: المصاحف، ص ٣٩.

وفيما يلي عرض نموذجي عن اختلاف مصاحف الآفاق، اعتمدنا فيه على نص ابن أبي داود في كتابه «المصاحف» (ص: ٣٩ إلى ٤٩).

(ملحوظة): مصحفنا اليوم يتوافق - أكثرياً - مع مصحف الكوفة، سوى مواضع نرمز إليها في الجدول التالي بعلامة (※).

غير أن مصحف البصرة كان أدق من سائر المصاحف - كما أشار إليه حديث الشامي الأتني - تدلنا على ذلك، الآية رقم ٨٧ من سورة المؤمنون: «ثُمَّ فِي مِصْحَفِ الْبَصْرَةِ: «قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ اللَّهُ». وهي في مصحف الكوفة وغيرها: «سَيَقُولُونَ لِلَّهِ».

وكذلك الآية: ٨٩ من نفس السورة، والآية: ٣٣ من سورة فاطر، مثبتة في مصحف البصرة: «مِنْ ذَهَبٍ وَوُثُوقٍ». وفي غيره «وَوُثُوقًا».

وهكذا الآية: ١٦ من سورة الإنسان في مصحف البصرة: «قَوَارِيرًا قَوْلِيرًا مِنْ فِضَّةٍ». وفي غيره «قَوَارِيرًا قَوْلِيرًا مِنْ فِضَّةٍ»... إلى غير ذلك.

وإليك جدولاً نموذجياً يعين مواضع الاختلاف بين مصاحف الآفاق: الشام، الكوفة، البصرة، مكة. أهم البلاد التي أرسلت إليها المصاحف، ومقارنتها مع المصحف الإمام «مصحف المدينة».

جدول نموذجي يعين مواضع الاختلاف من مصاحف الآفاق

السورة	الآية	مصحف المدينة	مصحف الشام	مصحف الكوفة	مصحف البصرة	مصحف مكة
البقرة	١١٦	قالوا اتخذوا الله ولداً	قالوا	و قالوا	و قالوا ...	
البقرة	١٢٢	و أوحى بها إبراهيم	و أوحى	و وصى	و وصى ...	
سورة عمران	١٢٣	سارعوا إلى مغفرة من ربكم	سارعوا	و سارعوا	و سارعوا ...	
سورة عمران	١٨٤	جاؤوا بالبينات وبالزبير	و بالزبير	و الزبير	... و الزبير	
النساء	٦٦	...	فأهبطوه إلا قليلاً	إلا قليل	... إلا قليل	
النساء	١٧١	...	فأمنوا بالله ورسوله	فأمنوا بالله ورسوله	فأمنوا بالله ورسوله	... ورسوله
المائدة	٥٣	يقول الذين آمنوا	يقول	و يقول	و يقول ...	
المائدة	٥٤	من يرتدد	من يرتدد	من يرتدد	من يرتدد	
الأنعام	٢٢	...	ولم يأت الآخرة	ولم يأت الآخرة	ولم يأت الآخرة	
الأنعام	٦٣	لئن أنجبتنا	...	لئن أنجبتنا	لئن أنجبتنا	
الأعراف	٢	قليلاً ما يتذكرون	يتذكرون	تذكرون	... تذكرون	
الأعراف	٤٣	ما كنا لنهتدي	ما كنا	و ما كنا ...	و ما كنا	
الأعراف	٧٥	قال الملأ	قال الملأ	و قال الملأ	و قال الملأ	
الأعراف	٤٦	و إذ أنجاكم	و إذ أنجاكم	و إذ أنجاكم	و إذ أنجاكم	
الأعراف	١٩٥	تم كيدوني	تم كيدوني	تم كيدون	تم كيدون	
الأنفال	٦٧	...	ما كان لنبي	ما كان لنبي	ما كان لنبي	
التوبة	١٠٠	تجري تحتها الأنهار	تجري من تحتها الأنهار
التوبة	١٠٧	الذين اتخذوا مسجداً ضراباً	الذين	و الذين	و الذين ...	
يونس	٢٢	هو الذي يشرككم	هو الذي يشرككم	هو الذي يشرككم	هو الذي يشرككم	
الرعد	٤٢	وسيعلم الكافر	...	وسيعلم الكافر	وسيعلم الكافر	
الإنساء	٩٣	قال سبحانه ربي	...	قل سبحانه ربي	قل سبحانه ربي	

السورة	الآية	مصحف المدينة	مصحف الشام	مصحف الكوفة	مصحف البصرة	مصحف مكة
الكهف	٣٦	لا أجدن خيراً منها	منهما	منها	... منها	
الكهف	٩٥	قال ما مكنتي	مكنتي	مكنتي	... مكنتي	
الأنبياء	٤	قل ربي بعثهم	...	قال ربي بعثهم	قال ربي بعثهم	
الأنبياء	١١٢	قال رب احكمهم	قل رب احكمهم	
المؤمنون	٨٧	قل من رب السموات... سيقولون لله	سيقولون لله	سيقولون لله	سيقولون الله	
المؤمنون	٨٩	قل من يده ملكوت... سيقولون لله	سيقولون لله	سيقولون لله	سيقولون الله	
المؤمنون	١١٢	قال كم لبتنم	قال كم لبتنم	قال كم لبتنم	قل كم لبتنم	
السنعراء	٢١٧	فتوكل عني العزيز	فتوكل	و توكل	و توكل ...	
فاطر	٣٣	من ذهب و لؤلؤاً	...	و لؤلؤاً	... و لؤلؤاً	
يس	٣٥	و ما عملته	...	و ما عملت	و ما عملته	
شاعر	٢١	كانوا هم أسد منكم	كانوا هم أسد منكم	كانوا هم أسد منكم	... منهم	
شاعر	٢٦	و إن يظهروا في الأرض	و إن	و إن	و إن ...	
الشمس	٣٠	بما كسبت أيديكم	بما كسبت أيديكم	بما كسبت أيديكم	فيما كسبت أيديكم	
الزخرف	٦٨	يا عبادي	يا عبادي	يا عبادي	يا عباد	
الزخرف	٧١	ما تشبهوه الأكنس	ما تشبهوه الأكنس	ما تشبهوه الأكنس	ما تشبهوه الأكنس	
الأحقاف	١٥	بوالديه حسناً	...	بوالديه إحساناً	بوالديه إحساناً	
محمد	١٨	إن تأتيهم بغتة	إن تأتيهم ...	إن تأتيهم ...
الرحمان	١٢	و الحب ذا العصف	و الحب ذا العصف	و الحب ذو العصف	و الحب ذو العصف	
الرحمان	٧٨	تبارك اسم ربك ذو الجلال	ذو الجلال	ذو الجلال	... ذي الجلال	
الحديد	١٠	وكل وعد الله الحسنى	وكل ...	وكل ...	وكل ...	
الحديد	٢٤	إن الله الغني الحميد	إن الله الغني	إن الله هو الغني	إن الله هو الغني ...	
الجن	٢٠	قال إنحوا ادعوا ربي	...	قل إنحوا ادعوا ربي	قل إنحوا ادعوا ربي	
الإنسان	١٦	قواريراً، قواريراً من	...	قواريراً، قواريراً من	قواريراً، قواريراً من	
النحس	١٥	فلا يخاف عقابها	فلا يخاف	و لا يخاف	و لا يخاف ...	

القرآن في أطوار الإنافة والتجويد

لم يزل القرآن - منذ الصدر الأوّل - في طور التجويد والتحسين، لاسيّما في ناحية كتابته وتجميل خطّه من جميل إلى أجمل. وقد أسهم الخطّاطون الكبار في تجويد خطّ المصاحف وتحسين كتابتها.

وأوّل من تنوّق في كتابة المصاحف وتجويد خطّها، هو خالد بن أبي الهياج - صاحب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) - (ت حدود ١٠٠) وكان مشهوراً بجمال خطّه وإنافة ذوقه. ويقال إن سعداً - مولى الوليد وحاجبه - اختاره لكتابة المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦) فكان هو الذي خطّ قبلة المسجد النبويّ بالمدينة بالذهب من سورة الشمس إلى آخر القرآن. وكان قد جدّد بناءه وأوسع عمره بن عبد العزيز واليا على المدينة من قبل الوليد وبأمر منه، وفرغ من بنائه سنة ٩٠.

وطلب إليه عمر بن عبد العزيز أن يكتب له مصحفاً على هذا المثال فكتب له مصحفاً تنوّق فيه، فأقبل عمر بقلبه وبسبحانه، ولكنّه استكثر من تمّنه فردّه عليه. والظاهر أن ذلك كان أيام خلافته (٩٩ - ١٠١) التي كان قد ترهّد فيها.

قال محمد بن إسحاق - ابن النديم -: رأيت مصحفاً بخطّ خالد بن أبي الهياج، صاحب علي (عليه السلام) وكان في مجموعة خطوط أترية عند محمد بن الحسين المعروف بابن أبي بكرة، ثمّ صار إلى أبي عبد الله بن حنّان (١).

وقد ظلّ الخطّاطون يكتبون المصاحف بالخطّ الكوفيّ، حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ثمّ حلّ محله خطّ النسخ الجميل في أوائل القرن الرابع، على يد الخطّاط الشهير محمد بن علي بن الحسين بن مقلبة (٢٧٢ - ٣٢٨).

قيل: إنّه أوّل من كتب خطّ التلث والنسخ، وأوّل من هندس الحروف - إذ كان بارعاً

١ - تاريخ الخفوي، ج ٤، ص ٣٠ و ٣٦.

٢ - الفهرست لابن اندليم، الفن الأوّل من المقالة الأولى، ص ١٥. والفن الأوّل من المقالة الثانية، ص ٦٦ و ٦٧.

في علم الهندسة - ووضع قواعدها وأصول رسمها. واتفق الباحثون أن الفضل الأكبر في تطوير وتحسين الخط العربي الإسلامي وتويعه يرجع إلى هذا الخطاط الماهر، الذي لم تنجب الأمة الإسلامية لحد الآن خطاطاً بارعاً مثله.

وقد نسب عدد من المخطوطات الأثرية إليه، كالمصحف الموجود في متحف هراة بأفغانستان. ويقال: إنه كتب القرآن مرتين.^١

وقد بلغ خط النسخ العربي ذروته في الجودة والحسن في القرن السابع على يد الخطاط المستعصي ياقوت بن عبدالله الموصلي (ت ٦٨٩) كتب سبع مصاحف بخطه الرائع الذي كان يجيده إجادة تامة، ويكتب بأنواعه المختلفة حتى صار مثلاً يقتدى به.^٢ وهكذا صارت المصاحف تكتب على أسلوب خط ياقوت حتى القرن العاشر عشر، ومنذ مفتح القرن الثاني عشر اهتم الأتراك العثمانيون عنايتهم بالخط العربي الإسلامي لا سيما بعد فتح سلطان سليم مصر وزوال حكم المماليك عنها، فجعل الخط العربي يتطور على أيدي الخطاطين الفرس الذين استخدمهم العثمانيون في إمبراطوريتهم. وقد نقل السلطان سليم جميع الخطاطين والرسامين والفنانين إلى عاصمته، وأضافوا للخط العربي أنواعاً جديدة، لازالت تستعمل في الكتابات الدارجة، كالخط الرقعي والخط الديواني والخط الطغرائي والخط الإسلامي وبولي وغيرها.

ومن الخطاطين العثمانيين الذين ذاع صيتهم: الحافظ عثمان (ت ١١١٠) والسيد عبدالله أفندي (ت ١١٤٤) والأستاذ راسم (ت ١١٦٩) وأبو بكر ممتاز بك مصطفى أفندي الذي اخترع خط الرقعة، وهو أسهل الخطوط العربية وأبسطها استعمالاً، وقد وضع قواعده وكتب به لأول مرة، في عهد السلطان عبد المجيد خان سنة ١٢٨٠.^٣

١ - الخط العربي الإسلامي، ص ١٥٥ (نقلاً عن الخطاط الهندي، ص ١٦).

٢ - المصدر، ص ١٧٦؛ ومصور الخط العربي لذاهي المتصرف، ص ٩٢.

٣ - الخط العربي الإسلامي، ص ١٢٣.

أما طباعة المصحف الشريف فقد مرّت - ككتابتها خطأ - بأطوار التجويد والتحسين. فلأوّل مرّة ظهر القرآن مطبوعاً في البندقية في حدود سنة ٩٥٠ هـ = ١٥٣٠ م. لكن السلطات الكنسيّة أصدرت أمراً بإعدامه حال ظهوره.

ثمّ قام «هنلكمان» بطبع القرآن في مدينة «هانبورق» - ألمانيا - سنة ١١٠٤ هـ = ١٦٩٤ م. ثمّ تلاه «مراكي» بطبعه في «بادو» سنة ١١٠٨ هـ = ١٦٩٨ م.

وقام مولاي عثمان بطبع القرآن طبعة إسلاميّة خالصة، في مدينة «سانت بترسبورغ» (روسيا) سنة ١٢٠٠ هـ = ١٧٨٧ م. وظهر مثلها في «قازان».

وقام «فلوجل» بطبعته الخاصّة للقرآن في مدينة «لينزبورغ» سنة ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٤ م. فتلقاها الأوروبيون بحماسة منقطعة النظير، بسبب إملائها السهل. ولكنّها - كسائر الطبعات الأوروبيّة - لم تنجح في العالم الإسلامي.

وأوّل دولة إسلاميّة قامت بطبع القرآن، فكان نصيبها النجاح، هي إيران. طبعت طبعتين حجريّتين جميلتين ومنقّحتين في حجم كبير، مع ترجمة موضوعة تحت كلّ سطر من القرآن، ومنهريستين بعدة فهارس. إحداهما كانت في طهران سنة ١٢٤٣ هـ = ١٨٢٨ م والأخرى في تبريز ١٢٤٨ هـ = ١٨٣٣ م.

وظهرت في الهند - في هذا العهد - أيضاً عدّة طبعات.

ثمّ عنيت الأستانة - تركيا العثمانيّة - ابتداءً من سنة ١٢٩٤ هـ = ١٨٧٧ م بطبع القرآن طبعات أنيقة ومنقّحة جدّاً.

وقامت روسيا الملكيّة عام ١٢٢٣ هـ = ١٩٠٥ م بطبع قرآن كتب بخطّ كوفيّ قديم، في حجم كبير، يظنّ أنّه أحد المصاحف العثمانيّة الأولى، خال عن النقط والتشكيل، سقطت من أوّله وورقات، وناقص من آخره أيضاً. بيتدى من قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا

١ - مباحث في علوم القرآن، للدكتور صبحي اتصالح، ص ٩٩، وينقل عن الصنمشرق «بلاشير» معلومات هامة بهذا التصدد، اعتماداً في هذا العرض.

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ»^١ وينتهي إلى قوله: «وَأِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ»^٢ عتروا عليه في سمرقند، فامتلكته المكتبة الملكية في بترسبورغ. تم تولى معهد الآثار في طشقند طبعه طبعة فتوغرافية على نفس الرسم والحجم في خمسين نسخة، وأهداها إلى أهم جامعات البلاد الإسلامية. ومنها نسخة في مكتبة جامعة طهران، مسجلة برقم المطبوعات: ١٤٤٠٣/DSS.

وأخيراً قامت مصر بطبعة ممتازة للمصحف الشريف سنة ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م، تحت إشراف مشيخة الأزهر. وبإقرار لجنة عينتها وزارة الأوقاف. وقد تلقى العالم الإسلامي هذه الطبعة بالقبول، وجرت عليها سائر الطباعات.

كما ظهرت في العراق سنة ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م طبعة بارزة نسيئة للقرآن. وهكذا اهتمت الأمم الإسلامية في مختلف الأقطار بطبع هذا الكتاب ونشره على أحسن أسلوب وأجمل طراز. ولا تزال.

والحمد لله أولاً وآخراً حمداً لانهايته له ولازوال

مركز بحوث وتطوير علوم إسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس الآيات

الفاتحة

١ ٧ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ... وَلَا الضَّالِّينَ ١٥٩

القرة

٦ و٧ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَنَيْهِمْ أَقَدَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُقَدِّرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. حَسْبُكَ اللَّهُ عَسَىٰ فُتُورِهِمْ وَعَالِي ... ٢٧٥

٨ وَبَيْنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسًا بِشَهَادَةِ اللَّهِ بِأَلْفٍ وَبِأَلْفَيْنِ وَمَالِهِمْ مَمْرُومِينَ ٤٠٥

١٤ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ٢٦٠

٢٠ كُنَّا أَهْلَاءَ لَكُمْ مَسْأُوفِينَ *مرکز تحقیقات کلامی و علوم اسلامی* ٣٢٤

٢١ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٦٤، ١٦٥، ٢٥٢

٢٦ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ٢٦٠

٢٨ فَأَخِيكُمْ لِمَ يُؤْمِنُكُمْ ٣٧٢

٤٣ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ٦٢، ٢٤٢

٥٣ وَإِذْ كَتَبْنَا مَوْسَىٰ الْكِتَابَ وَالْمُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥

٦١ وَفِيهَا ٣١٨

٧٨ وَبَيْنَهُمْ أُمَّمٌ لَا يَعْقِلُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَعْيَابًا ١٣١

٩٧ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ فُتُورًا ٥٧، ٧٢

١٠٩ وَذَكَرْنَا مِنْ أَعْلَى الْكِتَابِ ... فَاسْتَفْهَمُوا وَاسْتَفْهَمُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ٢٤٢

- ١١٥ وَفِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٠
- ١١٨ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنزِيلًا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ٦٢
- ١٢٩ يَذُرُّ عَلَيْكُمْ آيَاتِكُمْ وَمَعْتَبُورَاتِكُمُ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ١٥٧
- ١٣٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٢٤٩
- ١٥٦ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ٧٤
- ١٥٨ إِنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَبَيْنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَاجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَصَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْجَسَ ٢٤٨، ٢٧٤
- ١٦٤ وَاخْتَلَفَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيُّ ٢٦٩
- ١٦٨ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنْ ثَمَرِ الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ١٦٤
- ١٨٣ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ ٢٥٧، ٦٢
- ١٨٥ شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ ١٤، ١٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٥
- ١٨٩ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَافِقُ لِنَفْسٍ وَالْحَجَّ وَالْبُرُوقَ بِأَنَّ كُنُوزَ الْبُيُوتِ بَيْنَ ظَهْرِيهَا ٢٥٨
- ١٩٠ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُوكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ٢١١
- ١٩١ قُلْ قَاتِلُوا مَنْ قَاتَلَكُمْ ٢١١
- ١٩٦ صِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ٢٢٤
- ١٩٦ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ٢٣٣
- ٢١٣ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُتِرَ مَعَهُمُ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ ٢٢٠
- ٢٣٤ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْ يَأْتِيَنَّهِنَّ أَرْبَعَةٌ اثْنَتَا عَشْرَةَ ٢٨٢
- ٢٤٠ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِبْغًا لَزَوْجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْخَوَارِجِ ٢٨٢
- ٢٤٧ بِسَخْتِ ٣٦٥، ٢٧٦
- ٢٥٩ كُنَّيْرُهَا ٢٥٢
- ٢٧٢ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ٢٤٢
- ٢٧٥ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ٦٢
- ٢٨١ وَاعْتَدُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فَيُدْخِلُهُمْ اللَّهُ ثُمَّ يُؤَفِّيهِمْ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ١٦٠، ١٦١، ٢٤٤، ٢٨١، ٢٨٢

أل عمران

- ٣ فَرَزْنَا عَلَىٰ مَنَافِئِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَنزَلْنَا التُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ ١٥٥
- ٧ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ مِنْهُ أُمَّ الْكِتَابِ وَآخَرٌ مُتَسَاهِلَاتٌ ١٥٦، ١٦٠
- ٧ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ٥٩
- ٤٨ يُعَلِّمُهُ ٣٥٣
- ٥٠ وَجِئْتَكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ٣٢٠
- ٩٧ لِلَّهِ عَشَىٰ النَّاسِ حِجَّ الْأَنْبِيَاءِ ٦٢
- ١٣٨ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْجِزَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ٦٦، ٥٦
- ١٧٢ و ١٧٣ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَنصَبُوا النَّحْلَ لِلَّذِينَ احْتَمَسُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا ٢٧٤
- ١٧٣ الَّذِينَ قَالُوا لِلَّهِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ٣٦٦، ٣٦٦
- ١٨٧ فَتَبَدُّوهُ وَرَأَىٰ مَشْرُورِهِمْ وَاتَّقُوا رَبَّ فَبَدَّلَ إِلَيْهِ تَكْوِينًا فَغَرَّبْتُمَا ٢٩٥



النساء

- ١ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم مركز تحقيق تكاميل علوم رسول ١٦٤
- ٢٤ فَمَا اسْتَسْمِعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ٣٢٤
- ٤٨ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ٢٥٠
- ٥٨ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ١٧٨
- ٥٨ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ٢٢٤
- ٧٦ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ١١٠
- ٧٦ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ١٢٥
- ٧٦ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ١٣٠
- ١١٣ وَ أَنزَلْنَا اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمْنَا مَا نَحْنُ نَنصَحُكَ ١٢
- ١٣١ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ٣٦٧
- ١٣٣ إِنْ يَسْأَلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنْكَ فَإِنَّجِبْهُمْ فِي سَمْعِكَ ١٦٤

- ١٣٧ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ٢٠٢
- ١٥٣ مِمَّا لَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُخَازِنَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ٦٢
- ١٦٢ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا آتَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا آتَيْنَا مِنْ قَبْلِكَ ١٢ ٣٦٥
- ١٦٢ وَالْمُتَّبِعِينَ الْعِلْمَ ٣٦٧
- ١٦٣ ١٦٧ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَ ٧١
- ١٦٤ وَكُنَّمِ اللَّهُ مُوسَى كُنُوزًا ٥٠
- ١٧٦ يَسْأَلُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُغْنِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ٢٤٤

المائدة

- ٣ الْيَوْمَ اكْتَمَلَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَانْتَحَضْتُ عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا رَضَيْتُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ١٦٠ ٢٤٥ ٢٨٢
- ٤ الْيَوْمَ يَمَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تُخْشَوْنَهُمْ وَاحْسَبُوا ١٦٠ ٢٤٥ ٢٨٢
- ٣٨ وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةَ فَاقْتَعُوا أَيْدِيَهُمَا ٣١٧
- ٦٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بَلِّغْ مَا آتَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَعَثْنَا لِسَالِكَيْهِ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٣٢١
- ٦٩ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالضَّالِّينَ ٣٦٥ ٣٦٧
- ٩٣ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا تَجَعَلُوا إِذَا تَوَلَّوْا وَمَنْ ٢٥٧

الأنعام

- ٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ٣٦٩
- ٧ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كِتَابٍ فِي فِرْعَوْنَ فَخَسَمُوهُ ١٥٦
- ١٩ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنَ لِأَتْلُوهُ بِذِكْرِهِ وَإِنْ يَنْقَلِبْ ١٣
- ٢٠ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ١٩٨
- ٢٣ لَمْ يَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَإِنَّا رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ١٩٨
- ٢٦ وَيَتْلُونَهُ عِنْدَهُ ٣٦٩
- ٣٧ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٌ مِنْ رَبِّهِ ١٥٦

- ٥٢ بِالْعَدَاةِ ٣٦٩
- ٥٤ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ٣٥٧
- ٩١ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا سُورَةً مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ ١٩٩، ٥٨
- ٩١ قُلِ اللَّهُ نَزَّلَهُ فِي سُورَاتٍ مُتَعَابٍ ٢٧١
- ٩٣ وَمَنْ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ قَبْلِهِ عَلَى شَيْءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ قَبْلِهِ وَأَنْزَلْنَاهُ عَلَى شَيْءٍ مَسْكُونٍ ٢٠٠
- ٩٤ فَبِكُمْ شُرَكَاؤُا ٣٦٩
- ١١٢ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ٧٠
- ١١٤ أَفَغَفِرُ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ حِكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ١٥٦، ٢٠٢
- ١٢١ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ٧٠
- ١٤١ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ جَنَّاتٍ مَعْرُونًا وَأَنْزَلَ مِنْهَا نَاقَاتٍ مَعْرُونًا لِيُضْرَبَ بِهَا بِهَا وَنُقِرَّتْ فِيهَا الْكُفْرُ ٢٠٣
- ١٥١ قُلْ نَعَلْنَا نكُلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ٢٠٣، ٢٠٤
- ١٥٢ وَلَا تَقْرَبُوا مَا نَسَى إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ٢٠٣
- ١٥٣ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ ٢٠٣



الأعراف

- ٢٦ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ لِباسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا. ذَلِكَ خَيْرٌ. ذَلِكَ ٥٣
- ٢٧ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ ٥٣
- ٥٢ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَفَسَّنَاهُ عَلَيْهِمْ ١٥١
- ١٥٠ قُلْ إِنَّ أُمَّ ٣٧٢
- ١٥٧ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ١٣١
- ١٥٨ قَالُوا يَا بَشْرُ إِنَّا رَسُولُ اللَّهِ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ١٣١
- ١٦٣ وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقُرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ٢٠٤
- ١٧١ وَإِذْ نُنزَلْنَا الْإِنْجِيلَ فَوَجَدْنَا آلَهُمْ حَصَدًا ٢٠٥

الأضال

- ١ سَأَلُوكَ عَنِ الْأَعْدَانِ. قُلِ الْأَعْدَانُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ سُلْطَانٍ مِّنْكُمْ..... ٥٣
- ١٢ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْخَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَجَاءُوا الَّذِينَ كَفَرُوا..... ٧٠
- ٢٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ..... ١٢
- ٣٠ وَإِذْ يَتَكَلَّمُ بِنَتِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْعِلُوكَ فِي سِجْنٍ مِّنْكُمْ..... ١٩٧، ٢٥٥
- ٣٣ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ..... ٢٥٦
- ٤١ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَافِ الْجَمْعَانِ..... ١٣٨
- ٥١ ٥٤ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ كَذَّابِ الَّذِينَ بَيْنَ قَتِيلِهِمْ..... ٦٣
- ٥٦ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مَعَهُمْ ثُمَّ يَنفِثُونَ عَهْدَهُمْ..... ٢٥٧
- ٥٧ فَإِذَا تَفَفَّهُتُمْ فِي الْحَرْبِ فَاسْرُدْ لَهُمْ..... ٢٥٧
- ٥٩ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْلَمُونَ..... ٢٥٧
- ٦٠ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ..... ٢٥٧
- ٦١ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتِنِحْ لَهُمُ..... ٢٥٧
- ٦٢ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الَّذِي يُضِرُّهُ..... ٢٥٧
- ٦٤ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..... ٢٤٦، ٢٥٧
- ٦٥ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ خَرِّصِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ..... ٢٥٧
- ٧٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَخَرُّوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا..... ٢٤٨

النوبة

- ٣ أَنْ اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ..... ٢٥٨
- ٢٩ فَاتَّقُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... مِنَ الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ حَاغِرُونَ..... ٢٥٢
- ٣٧ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُخَلِّئُ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَرِّمُونَ عَامًا وَيُحَرِّمُونَ عَامًا لِيُطِغُوا عِدَّةً... ٢٥٨
- ٨٠ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ..... ٢٦٢، ٢٦٥
- ٨٤ وَلَا تُحْسَبْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ..... ٢٦٤، ٢٦٥

- ٩١ لَيْسَ عَلَى الصَّخَّاءِ ٣٧٢
 ٩٧ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ١٥٥
 ١١٣ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلنَّاسِ كَيْفَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَا قُرْبَى ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٦٣
 ١١٤ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَنِيمٌ ٢٤٧
 ١٢٨ و ١٢٩ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ... وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٢٥٠

يونس

- ٢ أَكُنْ لِنَاسٍ عِجَابًا أَنْ نُوحِيَنَّ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَقُولُوا ... ٧١، ٩٠
 ٣٠ تَبَوَّءُوا ٣٥٢
 ٤٠ مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَبَيْنَهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّنَا أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ٢٠٥
 ٤٩ فَلَا يَسْتَنْجِرُونَ سِجَاعًا ٣٧٢
 ٦١ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْلَمُونَ مِنْ غَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ١٣
 ٩٢ فَجَعَلْنَا ٣٥٢
 ٩٤ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ فَاصْبِرْ إِلَىٰ ظُهُورِ الْكَوْكَبِ مِنْ قَبْلِكَ ٥٤، ٥٨، ٢٠٥
 ٩٥ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا ٢٠٥
 ٩٦ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَيْدُهُ رَبِّكَ ٢٠٥

هود

- ١ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ فِي هَذِهِ نَسُفٌ مِنْ لَدُنِّكَ حَكِيمٌ حَبِيرٌ ١٥١
 ١٢ فَجَعَلْنَا تَارِكًا لِبَعْضِ مَا يُرْوَى إِلَيْكَ وَصَائِقِي بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ ... ٢٠٦
 ١٧ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَيُكَلِّمُهُ سَاهِدًا مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ ٢٠٦
 ٤٤ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ ٢٠
 ٤٩ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ١٢
 ٧١ وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ ٣٢٠

٨٧ في أموالنا ما أنسونا ٣٧٢، ٣٦٩

١١٤ وأقيم الصلاة طرفي النهار وزلفاً بين الليل إن الحسنات يذبحهن السيئات ٢٠٦

يوسف

٢ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تتقون ٥٧، ٥٤

٣ نحن نقص غيبنا أحسن النقص بما أوحينا إليك هذا القرآن ٧٠

٧ لقد كان في يوسف وإخوته آيات لمن آمن ٢٠٧

٢٥ لذا الباب ٣٧٢

٢٩ يوسف أعرض عن هذا. واستغفري لذنبك ٥٣

٣٦ إني أناني أعصر خيراً ٣١٨

٨٧ إني لأيايئس ٣٧٠

١١١ وتفضل كل نبي ١٤



مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

الرعد

١٤ وما دعاء الكافرين ٣٧٢

١٧ أنزل من السماء ماء فسالك أو ريتك بشكرك ٥٧

١٧ فإما الزبد فبذهب جدها. وأما ما ينفع الناس فبجكمت في الأرض ١٣١

٣٠ كذلك أرسلناك في أمية قد حسنت بين قنبيها أمم لتسلو غيبهم الذي أوحينا إليك ١٦٣

٣١ ولو أن فرقة من سبيرت به الجبال ... ولا يزال الذين كفروا عبيهم بما صنعوا فارجع ٢٥١، ٢٥٠

٣١ أفلم يناس الذين آمنوا أن لو بئس الله لهدى الناس جميعاً ٣٦٧

٣٩ فمخروا الله ما يشاء ٣٧٢

إبراهيم

٤ وما أرسلنا من رسول إلا بنسابة قلوبهم ليعلم ٥٧

٩ ألم يأنكم يا أيها الذين آمنوا ٣٧٠

- ٢١ فَتَالِ الصُّكُورَ ٣٧٠، ٣٧٢
 ٢٢ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ مَنَظَرٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ١١٩، ١٢٦
 ٢٨ و ٢٩ أَلَمْ نَرِ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا بَعْدَ الْبَيْعَةِ اللَّهُ كُفْرًا وَأَحْمُوا قُرُونَهُمْ دَارَ الْبُيُوتِ جَهَنَّمَ يَصْرُوهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ٢٠٨
 ٣٤ وَإِنْ تَدُّوا بَعْدَ الْبَيْعَةِ اللَّهُ ٣٧٢

الحجر

- ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرَّانٍ مُبِينٍ ٢٤
 ٩ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ٦١، ١١٨، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٧٨، ٢٦٨
 ٢٢ فَاسْتَعِينَا كَمُرَّةٍ ٣٦١
 ٢٣ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ٢٠٨
 ٢٤ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَكْفِرِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَكْفِرِينَ ٢٠٨
 ٢٥ وَإِنَّ زَيْنَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَزِيمٌ ٢٠٨
 ٨٧ وَلَقَدْ نَبَّأْنَاكَ سُبْحَانَ اللَّهِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ١٥٩، ١٧٨، ٢٠٨، ٣١٤
 ٩٠ و ٩١ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُتَسِيمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ٢٠٨
 ٩٤ و ٩٥ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ١٤٢

النحل

- ٩ وَعَنَى اللَّهُ فَصْلُ السَّبِيلِ ١٥
 ٤١ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَنُّوا ٢٠٩
 ٤٣ و ٤٤ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ٥٨، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٦
 ٤٤ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١٥٦
 ٦٨ و ٦٩ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ نَحْمُكُمْ ٦٩
 ٨٩ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ ١٤

٩٠. إِنَّ اللَّهَ بِأَعْمَارِكُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ٢٨١
٩١. وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ٢١٠
- ٩٥ و ٩٦. وَلَا تَسْتَكْبِرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ فَتَكُنُ قَدِيرًا... وَأَحْسِنِي مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٢٠٩
٩٨. فَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ فَاسْتَجِذْ بِاللَّهِ وَبِالَّذِينَ السَّبْعَةُ الرَّجِيمِ ٤٣
٩٩. إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَسَىٰ رَبُّهُمْ يُؤْخَذُونَ ١٢٦
١٠٣. وَهَذَا لِمَنْ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ٥٧
١٠٦. وَلَكِنْ مِنْ شَرَحٍ بِالْكَفْرِ حَسْبًا ٢٠١
١٢٥. أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْجِزَةِ الْحَسَنَةِ وَجَاهِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٢١١
١٢٦. وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِجَمَلٍ مَّا عُوذْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ لَهُمْ خَيْرٌ لِلْعَاقِبِينَ ٢٦١، ٢١١، ٢٠٩
١٢٧. وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ٢٦١، ٢١١
١٢٨. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ٢٦١



الإسراء

١١. وَبَدَعَ الْإِنْسَانَ بِالسَّمْرِ مركز تحقيق تكاميل علوم ريسودي ٣٧٦
٢٣. وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ٣٦٦
٢٦. وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلَ وَالسَّبِيلَ وَلَا يَحْتَسِبْ عِتْدًا ٢١٢
٣٢. وَلَا تَحْزَبُوا الرِّدَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ٢١٢
٣٣. وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ٢١٢
٤٥. وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَالْآخِرَةَ جَهَنَّمَ كَمَا فَتَنَّا نَبِيَّكُمْ ٤٣
٤٨. حَزَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ٣٧٢
٥٧. أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ٢١٤
٦٠. وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أُرِيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ١٨٨، ١٨٧، ٩٦، ٢١٤
٦٥. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ١٢٦، ١١٩، ١٩٤
٧٣. وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ١٢٨

- ٢٣ إذا لا تأخذوا ٢٧٢
- ٧٤ ولولا أن ينذرك لقد كنت تركن إليهم شيئاً قليلاً ٢٧٦، ٢١٤، ١٢١، ١٢٠، ١١٤، ٢٧٦
- ٧٣ وإن كانوا ليقتينوك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لا تأخذوا خذوا ٢١٤، ١٢١
- ٧٥ إذا لا تأخذوا خذوا الحيات وخذت الممات ثم لا تجدن لنا غيباً تغيروا ٢١٤، ١٢١
- ٧٦ و٧٧ وإن كانوا ليشتقروك من الأرض ليخرجوك منها ... ولا تجدن لنا خويلاً ٢١٥
- ٧٨ وقرون الفجر إن قرون الفجر كان مشهوراً ١٣، ٤٤
- ٧٨-٨١ أقم الصلاة لذكري الشمس إلى غربي الليل ... وزمق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ٢١٥
- ٨٥ وسألوك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ٢١٦، ٢١٩
- ٨٨ قل لني اجتمعتم إيمان و الجحى عنى أن تأتوا بجيل هذا القرآن لا يؤمن بعينيه ١١، ٢١٦
- ٨٩ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ٦٣
- ٩٠ وقالوا لن مؤمن لك حتى نفجر لنا من الأرض شراً ٢١٧
- ٩٣ ولن مؤمن لرؤيتك حتى تقول غيباً كتاباً تنزلنا ٤٤
- ٩٥ لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسوماً ١٥٦
- ١٠٦ وقرفاً فرفداً لتفراه عنى الناس على مكتب وتزلناه تنزيلاً ١٢، ٤٣، ٤٤، ١٥١، ١٥٥
- ١٠٧ قل سوا به أولاً مؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبليه إذا ينلى غيبهم يخبرون إلا ذقان سجداً ... ٢١٧

الكهف

- ٤ ويؤذون الذين قالوا اتخذ الله ولداً ٢١٨
- ١٩ ولينظف ٢٦٠
- ٢٣ ولا تقولن لسانى ٣٧٠، ٢٦٢
- ٢٨ واحصر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ... فرحاً ٢١٨
- ٤٥ وكان الله على كل شيء ٢٧٢
- ٧٧ لو ينشئ لآخذت ٣٧٠، ٢٧٢
- ٨٣ وسألوك عن ذي القرنين ٢١٨

- ١٠١ لَا يَنْظُرُونَ شِعْراً ٢١٨
 ١٠٧ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ٢١٩
 ١٠٩ قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ ٢١٩
 ١١٠ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ٢١٩

مریم

- ١١ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُحْرَهُ وَعَبِيدُهَا ٦٧
 ٢٦ إِنِّي فَذَرْتُ لِرَبِّهِمَا صِمَماً فَمَنْ أَكَلَمَ الْيَوْمَ أَنسِيّاً ٢١٨
 ٣٠ تَأْتِي الْكِتَابَ ١٥٦
 ٥٨ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ ... خَرُّوا سُجْداً وَبُكِّيّاً ٢٢٠
 ٧١ وَإِنْ يَنْتَظِرُكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتماً مَنْظُوماً ٢٢٠



طه

- ١٢ و١١ فَوَدَىٰ بِأُمُوسَىٰ إِنِّي إِذَا أَنَا رَبُّكَ ١٠٩
 ١٥ لِيُخْرِجَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ٣٢٤، ١٨٢
 ٦٣ إِنْ هَذَا إِلَّا لِسَاحِرٍ رَاجٍ ٣٦٧، ٣٦٥، ٣٦٢
 ٩٤ فَإِنْ يَنْتَظِرُكُمْ ٣٧٢، ٣٧٠
 ١١٤ وَلَا تَجْعَلِ بِالْقُرْآنِ مِنَ الْقَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ١٥٤، ١٤٨، ١١٨، ١٠١
 ١٣٠ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ٢٢٠
 ١٣١ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ ٢٣٠

الأنبياء

- ١ افْتَرَبَ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ ٢٩٧
 ١٨ كُلُّ نَفْسٍ بِأَلْحِقِ عَنِ الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ١٣١، ١١٠
 ٣٧ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ٣٧٥

- ٤٤ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ النَّاسَ نَحْنُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ٢٢١
- ٤٨ وَلَقَدْ كَتَبْنَا مِيسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَحِبَاءَ وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ٢٦٦، ١٥
- ٥٠ وَهَذَا ذِكْرُ مَبَارَكٍ نُنزِّلُهُ ١٥

الحج

- ٥ فِي الْأَرْحَامِ مَا نُسَاء ٢٧٢
- ١٠ لَيْسَ بِضَمِّ الْعَبِيدِ ٢٧٢
- ١٩ هَذَانِ حُفْمَانِ احْتَضَمُوا ٢٥١
- ٥٢ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ ١٣٠، ١٢٩، ١٢٨، ١٢١
- ٥٢-٥٥ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي ... عَذَابٍ يَوْمَ عَقِيبِهِ ٢٥٢

المؤمنون

- ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرُّكَاةِ فَاعِلُونَ ٢٤١
- ١٢ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ حَمِيمٍ ٢٠١، ٥٤
- ١٤ نَمَّ خَلَقْنَا السُّفَهَاءَ عَفْفَةً ... نَمَّ أَسْمَاءُ خَلَقْنَا سَمِيعًا وَجَبْرًا اللَّهُ الْعَلِيمُ الْخَالِقِينَ ٢٠١، ٧٤، ٦٦
- ١٣ نَمَّ جَعَلْنَاهُ كُفَّةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ٧٤
- ٣٣ وَقَانَ الْفَلَاحُ ٢٧٢
- ٦٠ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا كَانُوا ٢٦٥
- ٦٤ ٧٧ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ ... مَبِينُونَ ٢٢١
- ٨٦ و٨٧ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ ٢٩٩

النور

- ٢٧ لَأَكْفُرُنَّ بِمَا كُفِرْنَا بِهِ وَإِنَّا لَمُتَّقُونَ ٢٦٦
- ٣٥ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٦٢
- ٦٠ قَبَسَ عِبْقِيهِ جُدَاحٌ أَنْ يَضَعَنَّ يَدَيْهِ عَيْرَ مُتْرَجَاتٍ ٢١٨

الفرقان

- ١ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ١٥، ١٤
- ٨ و٩ وقال الظالمون إن نذيرون إلا رجلاً مسحوراً. انظر كيف خسروا لك الأمان فقتلوا ١٩٥
- ٣٢ كذلك لبثت به فؤادك ١٢٣
- ٣٢ وقال الذين كفروا لولا نزل علينا القرآن لعلمنا أنك كذّاب ١٥٦، ١٥٣، ١٥٦

الشعراء

- ١٧٦ أصحاب الأيكة ٣٧٢
- ١٩٢ وإله لتربل رب العالمين ١٠٠
- ١٩٣ و١٩٤ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ١٥١، ١٠٠، ٩٨، ٧٢، ٥٧، ٥٧
- ١٩٥ بلسان عربي مبين ١٠٠، ٥٧
- ١٩٧ أولم يكن لهم آية أن ينزلنا من السماء نبي سمانيا ٢٢١
- ٢١٤ وأنزلنا عسيرتك الأقربين مركز تحقيق وتطوير علوم راسدي ٣٢١
- ٢١٩ وثقلبت في المعاجدين ٢٤٩
- ٢٢٤ والشعراء يتبعهم الغاؤون ٢٢٢

النمل

- ٩ يا موسى إن الله العزيز الحكيم ١٠٩
- ١٠ يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ١٠٩
- ١٠ إني لا يخاف لدي المرسلون ١١١
- ٢١ لأعدت له عذاباً شديداً أو لا أدري ٣٧٥، ٣٧٠
- ٢٩ يا أيها الملأ ٣٧٠

القصص

- ٧ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألعيه في اليم ولا تخافي ولا تحزبي ٦٩
- ٥٢ الذين كذبوا الكتاب من قبله هم به يؤمنون ٢٢٢
- ٥٥ سلام علىكم لأتيناكمي الجاهدين ٢٢٣
- ٥٦ إنا نهدى من أحييت من أحييت ولكن الله يهدي من يشاء ٢٤٨، ٢٤٤
- ٨٥ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ١٦٢، ٢٢٣

العنكبوت

- ٤٥ أكل ما أوحى إليك من الكتاب ٧١
- ٤٦ ولأنجادوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظنوا أنهم ١٩٩، ٢٢٣
- ٤٧ وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين كذبوا الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به ١٩٩، ٢٢٣
- ٤٨ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا لا رتاب الميطنون ١٣١
- ٥٦ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإني فاعبدون ٢٢٤
- ٥٨ ليرؤنهم ٣٥٢
- ٦٠ وكأين من ذات لا تحس رزقها الله يرزقها وإنا نعلم وهو السميع العليم ٢٢٤

الروم

- ١٣ شعاع ٣٧٠
- ١٧ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ٢٢٥
- ٣٠ فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ١٢
- ٥٤ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً ٧٩

لقمان

- ٢٧-٢٩ ولوا أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ... بما نعمتون خير ٢٢٥
- ٢٨ ما خلقكم ولا بكم إلا كنفس واحدة ٣١٨

السجدة

- ٧ ٩ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُضَلَّةً بَيْنَ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِي . ٧٤
 ١٦ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا يَتَذَكَّرُ إِذْ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ خَوْفًا وَخُضوعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٢٢٥
 ١٧ فَلَا تَحْسَبُ النَّفْسَ مَأْخُوفَةً لِّإِنسَانٍ إِنَّهُ يَحْسِبُ أَنَّ سَمِعًا بَصِيرًا ٢٢٦
 ١٨ و ١٩ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَوْلَا مَا كُنَّا يَعْمَلُونَ ٢٢٦

الأحزاب

- ٦ الَّذِينَ أُوتُوا بِالْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ أَقْسَامِهِمْ وَأَرْوَاهُ أَمْهَاتِهِمْ ٢٢٠
 ٢١ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ٢٦٤
 ٢٣ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا ١٥٢

سبا

- ٥ نَعُوذُ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ٢٧٥
 ٦ وَيُرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٢٢٧
 ١٥ لَقَدْ كَانَ لِنَبِيٍّ فِي مَسْجِدِكُمْ آيَةٌ مَرَاتِحَتِهَا كَقَبْرِ عَلِيٍّ ٢٢٨ ، ٢٢٩
 ١٧ نُجَازِي ٢٥٢
 ٢٠ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ ٢٦٤
 ٢١ وَرَبَّنَا عَلَيَّ كُلُّ نَيْءٍ وَحَفِيفٌ ٢٢٨
 ٢٣ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ١٠٥ ، ١٠٤
 ٢٨ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَلِمَةً بِنَاسٍ ٢٧٩

فاخر

- ٢٩ لِيَنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ٢٢٩
 ٣٢ ثُمَّ نُورِثُنَا الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِن عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ ٢٢٩
 ٣٣ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ٢٩٩

٤٠ على بئس بئس ٢٧٢

٤٣ فمن تجد لبسب الله ٢٧٢

يس

١٢ إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا ونازهم وكل شيء احصيناه في إمام أمين ٢٣٠

٢٩ إن كانت إلا صيحة واحدة ٢١٨

٤٧ وإذا قيل لهم اتفوا بما رزقكم الله فإن الذين كفروا للذين كانوا انطعم من لؤ نساء الله ٢٣٠

٥٢ فالوا يا ويلنا من كنا بين مرفدة ٢٢٤

٥٥ ٦٥ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل ذاهبون هم وأزواجهم في ظلال الأرائب ٥٢

٥٩ أيا المجرمون ٢٧٢

الصفات

٨ لا سمعون إلى الملا الأعلى وسدقون من كل جانب ١٢٧

١٢ بل عجبتم وتسخرن ٢٢١

مرآة تحت كل نور علوم رسولى

١٠٦ لهم النبوا الثمين ٢٧٠

١٣٧ و ١٣٨ وإلهم لسمون خديهم معضحين وبالذليل أفلا تعقلون ٦٢

١٧١-١٧٣ ولقد سمعت كلبنا إعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون. وإن جندنا لهم الغالبون ١١٠

ص

١٣ وأصحاب نيك ٢٧٠

٢٣ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة ٢٢٠

الزعر

١٠ قل يا إعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم لئلا تحسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله وابعده ٢٣١

٢٣ لله قول أحسن الحديث كذاها منسأها منابى شعير منه جود الذين يخشون ربهم ٢٣١

٢٧ ولقد حزننا لناس في هذا القرآن بين كل مثل لعنهم بتدثرون ٦٣

- ٢٨ قُرْآنًا غَرِيبًا تَنْزِيلًا لِّعِبَادٍ تَعْلَمُونَ ٥٧
 ٥٣ ٥٥ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ... وَأَتُوبُوا لِيَسْمَعُوا... ٢٣١
 ٦٩ وَجَاءَءَ بِالْقَبِيلِينَ ٢٧٠

غافر

- ١٨ لَدَىٰ الْحَاكِمِينَ ٢٧٢
 ٥٠ وَمَا دَعَا الْكَاذِبِينَ ٢٧٠
 ٥١ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ١١٠، ١٣٠
 ٥٥ قَامِصِرًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنبِي وَسَتَجْعَلُكَ رَبُّكَ بِالْعَنِيِّ وَالْإِنكَارِ ٢٣٢
 ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ٢٣٢
 ٥٧ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٣٢
 ٦٠ أَدْعُونِي أَجْزِبْ لَكُمْ ٢٦٦



فصلت

- ٧ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَمْشُونَ بِالْبُرُوجِ ٢٥١
 ١٢ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ٦٩
 ١٢ لَا تَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَوَلَّىٰ مِنْ حَكِيمٍ حَبِيبٍ ١٢٣، ٢٧٨، ٣٦٤

الشورى

- ٧ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ١٧٠، ١٣١
 ١١ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ٦٥
 ٢٣ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ جُزْءًا إِلَّا الْوُفْؤَةَ فِي الْعَهْدِ ٢٣٢
 ٢٤ وَبَشِّرِ النَّبِيَّ الْبَاطِلَ ٢٧٢
 ٢٤-٢٦ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا... وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ٢٣٣، ٢٣٤
 ٢٧ وَلَوْ بَدَّ اللَّهُ الرَّزْقَ لِعِبَادِهِ... خَيْرٌ مِمَّا يَحْسَبُونَ ٢٣٢

- ٣٨ وأمرهم شورى بينهم ٢٣٤
- ٣٩ ٤١ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ النَّعْيُ قَالُوا كُنَّا مُسْلِمِينَ ٢٣٤
- ٥١ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ الَّذِي آتَاهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا وَحْيًا أَوْ بَيِّنَاتٍ أَوْ وَجْهًا أَوْ جَنَابًا ٩٤، ٧١
- ٥٢ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ ... ٩٤

الزخرف

- ٣ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٥٧
- ٤ وَإِذْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعْنِيَّ حَكِيمٌ ٤٠٥
- ٥ وَإِنَّمَا مِنْ أُمَّتِنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَٰنِ لِهَذَا يُعْبَدُونَ ٢٣٤

الدخان

- ٣ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١٥٥، ١٤٦
- ٤ ٤٤ إِنَّا نَحْنُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٢١٧
- ٥٨ فَإِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ بِلِغَابِكَ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ٥٧



الجاثية

- ١٤ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيٌ وَمَا لَهُمْ فِي آيَاتِنَا مِنْ حَافِظٍ ٢٣٥

الأحقاف

- ١٠ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عَدُوِّ اللَّهِ وَكَفَرُوا بِهِ وَسَبَّهْتَ سَبْحًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مَثَلِهِمْ مَا كُنَّ ٢٣٥
- ١٥ ١٩ وَوَحَّيْنَا إِلَى الْبَنِي إِسْرَائِيلَ بِرُسُلِنَا وَقَالُوا لِمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُعْبَدُوا ٢٣٦
- ٣٥ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ ٢٣٦

محمد

- ١٣ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَنَا مِنْهَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ٢٥٢
- ١٤ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ ٢٧٢
- ٢٠ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ١٥٦

٢٤ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ٥٦

الفتح

١٨-٢٠ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ... وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَالِيمَ كَثِيرَةً كَأَخَذُوا نَهْجَهَا ٥٢

٢٦ إِذْ جُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْخَمِيمَةَ خَمِيمَةُ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سُكْرَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ٢٢٤

٢٧ لَقَدْ حَسِبْنَا اللَّهُ رَسُولَهُ لُزُومًا بِالْحَقِّ لَنُدْخِلَنَّهُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ٩٦

الحجرات

٦ إِنْ جَاءَكُمْ فَالِسِي بِئْسَ فَتْنَةً ٢٢٧

٦ فَتَنُوا ٢٥٢

١٣ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ٢٥٢

ق

١٠ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ٢٣٨

٢٨ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَبَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ٢٣٦

٣٩ وَقَبَلِ الْقُرْوبِ ٢٣٦

الذاريات

١٩ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِمَسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ٢٠٢

٤٧ وَالسَّمَاءَ بَنَاهَا بِأَيْدِي ٣٧٦، ٣٧٤

الطور

٢٤ كَانَتْ لَهُمْ لُؤْلُؤًا ٢٧٥

٤٨ وَأَحْسِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ١٠٩

النجم

٢١ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا حَقَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ١٢٤

- ٣-٥ وما يُلَقِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ١١٩، ١٢٤، ١٢٤
 ٦ ١٧ ذُو بَرَذٍ فَاتَسْتَوِيْ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَىٰ ... مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ٩٨
 ١٩ و ٢٠ أَقْرَأْتُمْ اللَّاتَ وَالْعَمْرَىٰ. وَمِنَ اللَّاتِ الْأُخْرَىٰ ١٢٠
 ٢٣ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ١٢٧
 ٢٦ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُعْطِي سَفْعًا عَنْهُمْ شَيْئًا ١٢٨
 ٣٢ هُوَ أَحْسَنُ بِكُمْ إِذْ أَنْزَلْنَاكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُحْرَانٍ أُنْهَيْتُكُمْ فَلَا تُرْكُوا الْأُلْسَامُ ٢٣٧
 ٣٣ أَقْرَأْتِ الَّذِي تُوَلَّى ٢٣٨

القمر

- ١٧ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِتَذَكَّرَ قَبْلُ مِنْ مُذَكِّرٍ ٥٦، ٢٧٩
 ٤٥ سَيَجْعَلُ الْجَمْعَ وَيُوَلِّدُ الدُّمُورَ ٢٣٨
 ٤٥ هـ إِنْ الْمُنتَهَيْنِ فِي جَنَابٍ وَنَهْرٍ. فِي فَمْعَدٍ حَسْبِي حَسْبُكَ قَبِيحٌ مُغْتَبِرٌ ٢٣٨



الرحمان

- ١٣ فَيَأْتِي لَوْلَا رَبُّكُمَا تُكذِّبَانِ *مرکز تحقیقات کلامی و علوم اسلامی* ١٨١
 ٢٩ سَأَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٢٥٢
 ٣١ أَيْدِي الثَّقَلَيْنِ ٢٧٢

الرافعة

- ٢٣ كَأَنَّهَا لَلْوَالُو ٢٧٥
 ٢٩ وَطَلَّحَ مَنطُودٍ ٣٢٨، ٣٦٨
 ٣٩ و ٤٠ نَسْتَدُ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَالَهُ مِنَ الْآخِرِينَ ٢٣٨
 ٧٧ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ١٥
 ٧٥-٨٢ وَلَا أَقْسِمُ بِخَوَافِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَنَسَمٌ لَوْ كَفَعْتُمْ عَنْ عَظِيمٍ ... وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ... ٢٣٩
 ٧٧-٧٩ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ١٥١

الحديد

- ١٨٢ ٨ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
 ٣١٨ ١٤ يَوْمَ يَكْفُرُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا انظُرُوا نَفْسَهُنَّ بِأَنفُسِكُنَّ
 ١٨٢ ١٦ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ... فَكَلَّمْتُ قُلُوبَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ
 ١٣١ ٢٥ إِنْ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ

الجمادى

- ١٥٢ ١ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتُسْتَضَعُ بِحَاوِرِكَمَا
 ٣٢٠ ٧ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ
 ١٣٠ ٢١ كَتَبَ اللَّهُ لَأَحْمَدَ بْنَ أَنَسٍ وَأَنَا رَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ

الحشر

- ٢١٢ ٧ مَا أَقَامَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَذَرَهُ وَالرَّسُولَ وَالَّذِي الْقُرَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ
 ١٥٥ ٢١ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَالِجًا
 ٦٥ ٢٢-٢٤ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامی

الجمعة

- ١٣١ ٢ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ
 ١٥٢ ١١ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا

المنافقون

- ٣٦٧ ١٠ قَدْ صَدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ

التغابن

- ١٨٤ ١٣ قَبِيضًا عَلَى الْمُؤْمِنُونَ

الملك

- ٢٤٠ ١٢ إِنْ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
 ٢٤٠ ١٥ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ
 ٢٤٠ ٢٩ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَعْلَى بِهِ

القلم

- ١٥٩ ١ ن وَالْقَلَمِ
- ٢٧٠ ٦ يَا بَيْتَكُمْ الْمُكَتُوبِينَ
- ٢٤٠ ١٧ إِنَّا بَدَّلْنَاهُمْ كَمَا بَدَّلْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ
- ٢٤٠ ٣٣ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
- ٢٤٠ ٤٨ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
- ٢٤٠ ٥٠ فَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْعَالِينَ

الحاقة

- ٢٧٢ ١١ حَقًّا الْعَاءُ
- ٢٩٦ ١٢ وَنَجَّيْنَاهَا أَذُنًا وَأَعْيُنًا
- ٥٤ ١٩ ٢٣ فَمَا مِنْ آيَةٍ كِتَابَةٍ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مِنْ آيَاتِنَا فَلْيُصْبِرْ وَأَلْبَسْنَا
- ١٢٦، ١٢٥، ١٢٣، ١١٩، ١١٠ ٤٤-٤٦ وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ عَذَابَ بَعْضِ الْأَقْوَامِ الَّذِينَ لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ وَرَبَّهُمْ لَمَّا لَأَعْتَبْنَا

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامی

الجن

- ٢٧١ ١٨ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا
- ١٣٧ ٢٧ إِلَّا مِنَ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَنْصِتُ لِحُكْمِهِ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنََ الرَّحِيمَ

الزمر

- ٢٤١ ١ وَايُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَدْ نَبَأَ
- ١٠٦ ٥ إِنَّا سَنُلْقِي عَذَابًا قَوْلًا تَقْبَلُونَ
- ٢٤٠ ١٠ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ
- ٢٤٠ ١١ وَتَهْلِكُ قَلِيلًا
- ٢٤ ٢٠ فَاقْرَأُوا مَا بَيَّنَّنَا فِي الْقُرْآنِ
- ٢٤١ ٢٠ إِنَّ رَبَّنَا يَعْلَمُ الْقُلُوبَ وَالْخُرُوفَ وَيُعَلِّمُ الْبَشَرَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا بَيَّنَّنَا ... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ رَحِيمٌ

البدن

١٥٨، ١٥٧ ٢١ يا أيها المدثر، قم فأنزل، ١٥٨، ١٥٧

١٥٨ ٣-٥ وربك فكري، وربك فطير، والرجز فأهجر ١٥٨

القيامة

١٤ و ١٥ بلي الإنسان على نفيده بعيره ولو ألقى معاذيره ٥١، ٥٢

١٦ لا تحرك يدك يد لسانك لتعجل به ٥١، ١١٨

١٧ و ١٨ إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ١٣، ١٤، ١٥، ٤٤، ٥١، ١١٨

٢٠ و ٢١ كلا بل نجون العاصية وندون الآخرة ٥١

٢٢-٢٤ وجوه يومئذ خيرة، إلى ربها ذخرة، ووجوه يومئذ باسرة ٥١

٢٩ و ٣٠ وألقى المطاق بالمطاق، إلى ربك يومئذ الحساب ٥٢

الإنسان

١٥ و ١٦ قراريرا قراريرا من فضة ٣٩٩

٢٤ فاصبر لحكم ربك ٢٥٤



مركز تحقيقات كبيوتر علوم اسلامی

المرسلات

٤٨ وإذا قيل لهم لا يزرعون ٢٤١

النازعات

١٧ إنهم طغى ٣٧٢

عبس

١ و ٢ عبس وتولى أن جاءه الأعمى ٥٣

٣ وما يدريك لعله يزكى ٥٣

النكوير

١ إذا الشمس كورت ١٨٢

١٤ علبت نفس ما أخطرت ١٨٢

١٩-٢٣ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين، وما صاحبكم بمجنون ٩٩

البطنن

١ وَبَلِّغْ لِلْمُحْسِنِينَ ٢٤٢

الأعلى

٦ سُبْحَانَكَ فَلَا تُسَبِّحُنِي ١٢٣، ١١٨، ١٠٦، ١٠١، ٤٤

١٤ و ١٥ قَدْ أَفْجَحَ مِنْ كُرْكُمِي وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ١٨٥

١٨ و ١٩ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ٢٩٦

الفجر

١ وَالْفَجْرِ ٣٦١

١-٤ وَالْفَجْرِ وَالْبَيِّنَاتِ عَشْرًا، وَالشَّمْعِ وَالْوُشْرِ، وَالنَّيْلِ إِذَا يَسْرِ، ٥٤

٢٣ وَجَاءُ يُؤْمِنُ بِحَيْثُكُمْ ٣٧٥

الليل

١ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ٣٢٢

٣ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣٢٤

٨ و ٩ وَأَمَّا مَنْ يَجْهَلْ وَإِسْتَفْهَى وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ١٨٦



مركز تحققات كالمبيوتر علوم اردنى

الضحى

١ وَالضُّحَى ٣٦١، ٢٦٢

٥ فَتَرَضَى ٢٦٢

العلق

١ إِفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ٤٤

١-٥ إِفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، إِفْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ١٥٧، ١٣٩، ١٣٦

١٨ سَنَدَعُ الرِّبَابَةَ ٣٧٦

القدر

١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١٥٥، ١٤١

الزلزلة

٧ فَمَنْ يَحْمِلْ بِضَلَالٍ ذُرِّيَّةً خَيْرًا يَرَهُ ١٨٨

القارعة

٥ أَلَيْسَ الْخُنُوفِ ٣١٧

٨-١١ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أُنذِرَكَ إِلَّا هَارِيَةً. نَارُ حَامِيَةٍ ٥٤

النكاثر

١ أَلَيْسَ لِكُلِّ نَكَاتٍ ١٨٩

الفيل

١ أَلَمْ نَكْنِثْ فَعَلًا رُبًّا ٣٢٢

قريش

١ لَيْلًا لَيْلٍ قُرَيْشٍ ٣٧٢، ٣٢٣

٢ إِي لَنَهُمْ رَحْمَةٌ ٣٧٢



الكوثر

١ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِذَا أَنْعَمْنَا لَكَ الْكَوْثَرَ ٩٨، ٩٦

النصر

١ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ١٥٧، ١٦٠

القلق

١ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ٣١٥

الناس

١ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ٣١٥

٤ ٦ بَيْنَ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ بَيْنَ الْإِحْنَاءِ وَالنَّاسِ ٧٠